معجم أعلام ومعالم

القرآن الكريم

علي بن الأخضر غنابزية
باحث في تاريخ الفكر و التراث و الحضارة الإسلامية
أستاذ التعليم العالي ❁ جامعة الوادي ❁ الجزائر

سامي
للطباعة و النشر و التوزيع

مُعجم أعلام ومعالم

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُعجم أعلام ومعالم القرآن الكريم

علي بن الأخضر غنابزية
باحث في تاريخ الفكر و التراث و الحضارة الإسلامية
أستاذ التعليم العالي ❁ جامعة الوادي ❁ الجزائر

سامي
للطباعة والنشر والتوزيع

عنوان الكتاب

مُعجم أعلام ومعالم القرآن الكريم

علي بن الأخضر غنابزية
باحث في تاريخ الفكر و التراث و الحضارة الإسلامية
أستاذ التعليم العالي جامعة الوادي الجزائر
alijadla@gmail.com
00213 559 38 29 00

ردمك:
978-9931-798-20-0

الإيداع القانوني:
جانفي 2021

تصميم الغلاف:
كمال خزان

الطبعة الأولى

سامي للطباعة والنشر والتوزيع

2021
ولاية الوادي - الجزائر
032 14 93 39
imprimeriesami39@gmail.com

إهـــــــــداء...

ـ إلى من جعل القرآن الكريم منهج حياته، وسبب سعادته.

ـ إلى من يتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار، فيتدبره ويعمل بمقتضاه طاعة واستجابة وعبادة.

ـ إلى كل من اتعظ وأناب، واقتدى واعتبر بقصص هذا الكتاب، وكان لأعلامه أثر في روحه ووجدانه.

ـ إلى كل قارئ بتدبر وتفكر وتذكر "فإن الذكرى تنفع المؤمنين".

أهدي هذا العمل

أ. د/ علي غنابزية

تصدير المـؤلف

ما أجمل وأبهى، واشرف وأكرم عند الله تعالى، أن يختارك للكتابة حول آيات كتابه الكريم، والغوص في معاني الذكر الحكيم، والعيش بين الحواضر التاريخية في القرآن العظيم، التي أشارت اليها الآيات البينات حتى يتعظ بها كل لبيب حكيم، ويتم التواصل الروحي مع الاعلام الذين انبثوا بين ثنايا الالفاظ والسور، والتي حملت اسماؤهم بعض اسمائها لحكمة ربانية. وتلك رسالة واضحة البيان، ودعوة لأهل العلم والعرفان، بتتبع الآيات بالدراسة، وابراز البعد الحضاري في الكتاب العزيز.

كانت فكرة هذا المعجم طيفا تداعى على النفس بصور متعددة، فمنذ وعيت، وحفظت بعض الآيات والسور في كُتَّاب الحي، استرعت انتباهي بعض المعاني، وكبرت معي التساؤلات، كلما استمعت للوعاظ في المساجد، ونضجت الفكرة، وبدأت تؤتي أكلها عندما بدأت الوعظ بنفسي في المساجد، والتدريس في الجامعة. ويومئذ عزمت على الكتابة في هذا الموضوع الجديد، الذي لم اعثر على كتاب يشبهه في ميدانه، الا ما كان أجزاء متناثرة في جانب واحد. وحينها استعنت بالله المعين، وعشت أياما وليالي مع الكتاب الكريم، وكانت اوقاتا ممتعة زكية، وأنسا بالله تعالى. وكان الفرح الشديد يغمرني كلما اتممت ترجمة أحد الاعلام، أو كتابة تعريف مركز لأحد المعالم، أو بلورة مصطلح قرآني تاريخي سابح في طوايا الآيات البينات.

والحمد لله الذي وفقني إلى انجازه منذ خمسة عشر سنة مضت، ولكن طباعته تأخرت، بسبب اعراض الناشرين، والتراخي الذي اعتراني؛ ولعل في ذلك حكمة بالغة، حتى يكون فضل الله على كاتبه مضاعفا، وبذله سخيا، وكيف لا والمقصد هو خدمة كتاب الله، فتكفلت وحدي بطباعته، ومن حُرِ مالي، معتمدا على العلي الاعلى، وأعانني مولاي سبحانه، وأنا اليوم أقوم بتصديره، سائلا المولى أن ينفع كل من يطلع على كلماته، ويهتدي به إلى سواء السبيل.

لقد قمت بمراجعته النهائية في فصل الصيف، المتزامن مع النصف الأول من شهر ذي القعدة الحرام 1439 هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، والموافق للنصف الثاني من شهر جويلية 2018.

وتتبعت مادته مراجعا ومصححا، حرفا حرفا، وآية آية، ومع المراجعة امتزجت القصص وأحداثها وَعِبَرُهَا مع دموعي السخية التي لم تبخل عليَّ، سكبتُهَا بدون حول مني ولا قوة، ولم أتمالك نفسي من شوقي لتلك الأجواء الربانية. ولا يفوتني في هذا السياق إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من كان له فضل في هذا العمل، الأستاذ الدكتور إبراهيم رحماني الذي تفضل بتصويب قسم هام منه، وأُضيف شكرا آخر لأخي وشقيقي العزيز، أستاذ اللغة العربية، الأستاذ الساسي بن الأخضر غنابزية، الذي سهر

على مراجعته لغويا، وأخص بالذكر أيضا كل من أعانني من الأبناء والزوجة الفاضلة، دون أن أنسى مطبعة سامي التي أخذت بزمام المبادرة، وسهلت عملية طباعته، فلهم الأجر الجزيل عند الله، وجميل الشكر مني. والحمد لله أولا وآخرا، وأسأل الله تعالى أن يجعله نافعا للعباد، وأن يرفع به قدرنا عند الله، ويثقل موازيننا، ويثبت به أقدامنا يوم تزل الأقدام، ويغفر لي ما غفلت عنه، فهو الغفور الرحيم، والحمد لله رب العالمين.

الوادي ـ الجزائر: السبت 09جمادى الاولى 1441هـ
04 جانفي 2020م
الأستاذ الدكتور علي غنابزية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

الحمد لله الذي أنزل القرآن سراجا منيرا للعالمين، ومنهاجا هاديا لعباد الله الصادقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ﴾ [الزمر: 27-28]. وأشهد أن محمدا رسول الله، يقول وهو الصادق المصدوق: (**اِقرؤوا القرآن، فإن الله تعالى لا يُعَذِّبُ قلباً وَعَى القرآن، وإِنَّ هذا القرآن مأْدُبَةُ الله تعالى، فمن دخل فيه، فهو آمِنُ...**) رواه **الدارمي**. فاللهم صلِّي وسلم على هذا النبي الكريم، وعلى آله الأطهار، وعلى صحابته الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء في دار القرار، جنات عدن يدخلونها ونعم عقبى الدار. وبعد...

إن القرآن الكريم نور من الله، لاح شعاعه بغار حراء، في يوم مبارك عظيم، أنار الله به قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فانشرح له صدره، وتفتحت بصيرته على النور المبين، فانطلق يعلم الدنيا بأسرها كيف تقرأ باسم الله تعالى، لتتجلى في حياتها قيم الخير، وتنشر في الناس مبادىء الحق.

وقد عَايشتُ القرآن الكريم منذ صغري في كُتَّابِ الحي الذي أسكن فيه، فكانت الآيات تطرح في ذهني أسئلة محيرة، تبحث عن إجابة شافية، حولَ قوم نوح وقريشٍ، ورحلة الشتاء والصيف، وأصحاب الفيل، والطير الأبابيل، وناقة الله وسقياها، والوادي المقدس طوى، وصحف إبراهيم وموسى، وغيرها من الآيات التي ترتبط بحوادث مهمة، أو مواقع ثابته، وكبرت مع الزمن تلك الأسئلة، وأضيفت إليها أخرى، واشتد الإلحاح عليَّ عندما صرت مدرساً في المساجد، ومحاضراً في المنتديات، وأستاذاً في قاعات الدرس؛ فأحدهم يسأل عن طيور الجبال في عهد الخليل إبراهيم عليه السلام، وآخر يستفسر عن نسب عمران، وهل له علاقة بموسى عليه السلام، ومريم البتول، فكلاهما ابني عمران، ويدخل بينهما اسم هارون ليزداد التساؤل ويتعمق، وهلم جراً.

وعندما اطلعت في أواخر سنة **2004** على البحوث القيمة التي أنجزها الدكتور شوقي أبو خليل، من خلال أطالسه حول القرآن والسيرة والحديث النبوي الشريف، ازداد الحافز إلحاحا عليَّ، فجمعت بعض همتي، وشرعت في البحث، وطورت العمل إلى معجم مركز، يعتمد على المادة التاريخية في ضوء النصوص القرآنية، ويستجلي المصطلحات المرتبطة بالآيات ويربطها بالحوادث تارة، والمواقع والهياكل المجسدة تارة أخرى، وذلك يضفي على النصوص روحًا جديدة، تسهل على المسلم فهم القرآن، وترفع عن الذهن كل لبس سابق، وتضع المكان والإنسان في إطاره الصحيح الذي يجمع بين النص وامتداداته التاريخية.

وهذا المعجم يجمع بين طياته عدة معارف، ويقدم للقارىء مادة تاريخية موثقة، تضيء جوانب مهمة في الآيات القرآنية، من الناحية التاريخية والجغرافية (الإنسان والمكان) وتبقى المصار والمراجع التراثية هي أساس البحث

في الفهم، وقد اعتمدت في صياغة المواد العلمية على كتب التفسير والسير والتاريخ بالدرجة الأولى، وكتب الفقه والحديث والدراسات المختلفة حول القرآن الكريم بالدرجة الثانية، وكلها كتب جليلة في فنها.
وقد اتبعت أثناء الانجاز منهجا يجمع بين الوصف برصد المعارف وتحليل المعاني وتحقيق الأخبار قدر الامكان، والغرض المستهدف هو محاولة إعطاء النصوص فهما عميقا في ظلال نزولها وفضاءاتها الداعية إلى التأسي والاعتبار.
والجدير بالذكر، أنني حاولت تبسيط المعلومات وجمعت بين الروايات التاريخية، وقمت بتركيب الأفكار وترتيبها، وصياغة الحوادث حتى يتواصل حبلُ القصة، ويتتابع سياق المواد المعرفية؛ وتعمدت ترك الإحالات واكتفيت بالإشارة إلى قائمة مطولة للمصار والمراجع في آخر البحث، وقمت بهذا حتى لا أثقل المعجم بالصفحات، ويكون هامش الحرية في كتابته أوسع.
وقد راودتني عند إنجازه فكرة تقسيمه إلى جزئين، يكون أحدها للأعلام والثاني للمعالم والمواضع، ولكن تبين لي أن المحافظة على الجمع بين التاريخ والجغرافيا أولى، لأن كثيرا من الأعلام لهم روابط وثيقة بالمعالم، فمكة المكرمة تشدها وشائج متينة وحبال متماسكة مع قصة إبراهيم وحياة إسماعيل وسعيِ هاجر، ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وجهاد الصحابة الكرام. وجبل الطور يحكي باستمرار رحلات موسى وبني إسرائيل إلى أطراف الجبل في جزيرة سيناء، وَمَدْيَنَ لا يمكن فهمها إلا في إطار قصة موسى وشعيب عليهما السلام. وهكذا ترتبط المعالم بالأعلام ارتباطا عضويا كارتباط الآيات وتماسكها.
واعترضتني أثناء إنجاز المعجم عدة عقبات مثل تعدد الروايات والآراء في فهم الآية، أو سبب نزولها، أو الاختلاف في تاريخ الحوادث، أو ورود أخبار مهمة عند أهل الكتاب، أو صعوبة تحديد الأماكن مثل العراء الذي ألقَى فيه الحوت يونس عليه السلام، وجبال الطيور التي أختبر بها إبراهيم، والبحر الذي كانت تجوبه سفينة المساكين في قصة الخضر عليه السلام.
وذللت تلك الصعوبات بذكر الروايات المختلفة، أو محاولة التوفيق بينها، أو إحالتها إلى أصحابها، وفي بعض الأحيان أختار الرواية المشهورة وأعلق عليها، والغرض النهائي هو رفع اللبس والغموض قدر الإمكان.
وأخيرا أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن ينفع به أهل القرآن، ويثقِّل لي به الميزان يوم القيامة، وأن يغفر لي كل زلل أو سهو إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النصير، والهادي إلى سواء السبيل.

الوادي ـ الجزائر: 20 شوال 1426هـ
24 نوفمبر 2005م
الأستـاذ: علي غنـابزية

التعريف بالمعجم

أخذ هذا المعجم القرآني الجليل اسم " **معجم أعلام ومعـالم القرآن الكـريم** " ؛ ويمكن شرح عناصر العنوان للتعرف على محتوى الكتاب:

معـجـم

المعجم: نقصد به الكتاب المفهرس الذي رتب ترتيبا معجميا، وفق الحروف الألفبائية، ويطرح ضمن مواده المتسلسلة معلومات غزيرة ذات طابع تاريخي علمي على نسق محدد، وتم استنباط مواده من النص القرآني المقدس. واعتمد في ترتيب ألفاظ المعجم على كتاب "**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** " لصاحبه " **محمد فؤاد عبد الباقي**"، مع بعض التعديلات التي دعت إليها الضرورة، مثل تقديم لفظ " **آدم** " بوضع مادته في فاتحة المعجم لأن آدم هو أبو البشر، ومادة " **إبراهيم** " تأتي قبله مباشرة، ولما كان الفرق بينهمامرحلة واحدة، اعتمد هذا التأخير؛ كما تم تقديم لفظ " **اليسع** " من **حرف الياء** إلى **حرف الألف،** حتى يكون مباشرة بعد مادة " **إلياس** " لوجود روابط معرفية. وغير ذلك من التعديلات الاجتهادية. أما تسلسل حروفه فاعتمدت الحروف الهجائية المغربية المشهورة في تراثنا المحلي.

وتم مراعاة عدة اعتبارات في ترتيب قائمة الأعلام والمعالم، ومنها:

1) إذا كان اللفظ واضحا صريحا، يرتب في مجال الحرف الذي ينتمي إليه دون النظر إلى الزوائد، فلفظ " **بنوإسرائيل** " رتب ضمن **حرف الألف،** ولفظ **البلد الأمين** رتب في مجال حرف الباء، **وتسعة رهط،** رتبت في نطاق **حرف التاء،** اعتبارا للعدد الذي هو نعت للأعلام في سياق الآية، بينما أفرد الرهط بمجاله ضمن **حرف الراء.**

2) إذا كان اللفظ مستنتجا من معنى الآية، يمكن صياغته صياغة تصلح لعدة مواضعَ من المعجم، مثل قصة أبي لهب وزوجته، وقد نزلت فيهما **سورة المسد**، والآية ذكرت الزوجة بلفظ المرأة في قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿4﴾ ﴾ [**المسد: 4**]. فيمكن اعتماد كنيتها " **أم جميل** " أو " **زوجة عبد العزى**" ويصلح لها **حرف العين** أو اسمها الحقيقي "**أروى بنت حرب**"ويصلح لها **حرف الألف،** أو صفتها حسب الوصف القرآني لها في معاداتها للنبي صلى الله عليه وسلم، فسماها القرآن " **حمالة الحطب** " وتم اختياري لهذا الوصف القرآني، ورتبته ضمن **حرف الحاء**، لكنه لما جاور اسماً عظيما، وهو اسم النبي صلى الله عليه وسلم" **أحمد ومحمد** "عدلت عن ذلك الترتيب ـ تأدباً مع صاحب الرسالة. واعتمدت كنيتها " **أم جميل** " لأنها مشهورة في كتب السير والتفسير، ووضعتها في مجال **حرف الجيم.**

أعـــلام

أعلام: مفردها **علم**، وعرَّفَتْهُ كتب اللغة بمعنى المنار، أو الشيء الذي ينصب في الطريق ليهتدي به الناس كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿24﴾ ﴾ [ارحمن: 24]. كما سميت الجبال بالأعلام، وكذا رسمُ الثوب ورقمُهُ. **والعلم** في الاصطلاح النحوي: هو ما وضع لمسمى معين بدون احتياج إلى قرينة" **كأحمد والهند** ". والعلم عند العرب: من معانيه " **سيد القوم** " ويقال للمشهور من الناس في المثل العربي القديم: " **أشهر من نار على علم** ". لبروزه في كل وقت للناس.

ونقصد بالأعلام في هذا المعجم: **الإنسان في القرآن الكريم** بصفته الصريحة، أو الخفية، أو العامة. ويمكن تصنيفها كما وردت في ثنايا المعجم بصفة فردية أو جماعية:

***العلم (الفـرد):** وهـو:

ـ النبي مثل عيسى وموسى عليهما السلام، والولي مثل الخضر، والشهيد مثل عبد الله بن حرام، والحكيم مثل لقمان، والملك مثل طالوت، والطاغية مثل النمرود بن كنعان، وصاحب السلطان مثل فرعون، وصاحب المال مثل قارون، وصاحب الوزارة مثل هامان.

ـ الصحابي مثل أبو بكرالصديق، وعمربن الخطاب، ومسطح بن أثاثة، والصحابية مثل خديجة بنت خويلد، وخولة بنت ثعلبة، وزنيرة الرومية، وعائشة بنت عبد الرحمن.

ـ والمشرك مثل: أبو جهل، وأبو لهب، وأبو طالب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث.

ـ والمرأة مثل حواء أم البشر، و سارة زوج إبراهيم، وسودة بنت زمعة أم المؤمنين، وامرأة العزيز، وبلقيس ملكة سبأ، والمرأة المشركة مثل أم جميل، وامرأة نوح، وامرأة لوط.

ـ وفئات العمر المختلفة مثل: الفتى، والصبي، والطفل، والغلام، والرجل، والكهل، والشيخ الكبير، والعجوز.

***الأعلام (الجماعة):** وهـــم:

ـ جماعة من أهل الخير: الصحابة، والمهاجرون والأنصار، وأهل الصفة، وأهل البيت، والمنعم عليهم من الصالحين.

ـ جماعة من أصحاب الباطل: السفهاء، والمطففون، والمستهزؤون، والمخلفون، والكفار، والمشركون، والمنافقون.

ـ جماعة عامة: وهي الطائفة، والفئة، والفرقة، والعصبة، والذرية، والملأ، والرهط، والأسباط، والنقباء.

ـ الطوائف الدينية: المسلمون، واليهود (بنو إسرائيل) ، والنصارى (الحواريون) ، والمجوس، والصابئون، وأهل الكتاب، والربيون، والقسيسون، والأحبار، والرهبان.

ـ الأقوام: قوم تبع، وسبأ، وعاد، وثمود، ويأجوج ومأجوج، وأصحاب الفيل، وأصحاب الكهف، وأصحاب الرس، وأصحاب الأيكة، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود.

ـ أهل المدينة المنورة: بنو سلمة، وبنو حارثة، وبنو أبيرق، وبنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع.
ـ أهل مكة المكرمة: قريش، والحُمس، والعرب، وثقيف.
ـ **منهجية الترجمة الخاصة بالأعلام:** تحتوي الترجمة على عدة عناصر منها:
* **نسب العلم:** بتتبع سلسلة النسب إذا وجدت المعلومات الكافية والأخبار الموثوقة، مع التأكيد على قومه وعشيرته، وبلده الذي يمثل الأصل الأول للعلم.
* **المولد والنشأة:** بذكر المعلومات المتوفرة عن صاحب الترجمة، منذ ولادته إلى زمن وفاته، ويتخلل ذلك ما وقع في مسيرة حياته من أحداث مهمة، وإنجازات معتبرة، والتأكيد على المراحل البارزة في حياته.
* **الوفاة وزمنها:** بذكر كل الحيثيات التي تفيد في معرفة النهاية المحتومة، وما يترتب عن ذكرها من نتائج وعبر، وكل ذلك يضفي ظلالا من المعارف تكشف عن منزلة الأعلام الذين ارتبطوا بآيات القرآن الكريم.
***الآية المربوطة بالعلم:** تذكر الآية أو الآيات في سياق الترجمة، وتوضع في محلها ضمن الترجمة مع مراعاة الميقات الزماني والمكاني، والظروف التي دعت إلى ذكرها، وسبب نزول الآيات الكريمة، وتم الاعتماد على رواية ورش، بنسخ كل آيات المعجم من مصحف ورش الالكتروني.

معـالـم

معـالـم: مفردها **معلم**، وهو ما يستدل به على الطريق، ومعالم الطريق هي الأمكنة التي يهتدي بها المسافر، ويستدل بموقعها البشر لتكون إشارة يتفق عليها جميع الناس. ونقصد بالمعالم في هذا المعجم، كل الألفاظ الدالة على شيء بارز بشكل مادي ملموس، أو معلم ذكر في القرآن وله دلالة ترتقي به إلى الحيز المادي ويرتبط بالمكان والزمان أو الحدث، ومن أمثلة المعالم:

* **البلدان:** وهي التي عبر عنها المصطلح القرآني بالمدينة مرة، وبالقرية في مرات كثيرة، وقد كشف المعجم عن تلك البلدان التي ذكرت تلميحا، وتوجد بلدان أخرى صرحت بها الآيات ومنها:

مكة المكرمة (وهي بكة) ، والمدينة المنورة (وهي يثرب) ، وبابل، ومصر، ومدين، والحجر، والأحقاف، وسيناء، والبقعة المباركة، والأرض المباركة، والأرض المقدسة.

* **مواقع الغزوات:** أو تلك المواطن التي شهدت وقائع السيرة النبوية الشريفة، كبلد الإقامة، ومجال حدوث السرايا والغزوات ومنها: البلد الأمين، بدر، وأحد، وحمراء الأسد، والخندق، والحديبية، وخيبر، وحنين، وتبوك.

* **أماكن العبادة:** لكل الأديان والملل، وذكر بعضها بصفة عامة، وأخرى بصفة صريحة واضحة، ومنها:

البيت العتيق، والحرم، وعرفات، والمشعر الحرام، والصفا والمروة، ومقام إبراهيم، والكعبة، والبيع، والصلوات، والصوامع، والمساجد (ومنها: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ومسجد قباء، ومسجد القبلتين، ومسجد الضرار، ومسجد أصحاب الكهف).

* **الاتجاهات الأرضية:** وهي المشرق، والمشرقين، والمشارق، والمغرب، والمغربين، والمغارب، والغروب، والغربي، والقبلة.

* **المظاهر الطبيعية:** ومنها الجبال (الجودي، والطور) ، والغار (غار حراء، وغار ثور) ، والبحار (البحر الأحمر، والبحر المتوسط، والمحيط الهادي) ، والساحل، والعراء (الصحراء) ، والأنهار (نهر النيل، ونهر الأردن) ، والوديان (وادي طوى، وادي القرى، وادي النمل) ، والظل.

* **المعـالـم القرآنيـة:** وهي الألفاظ التي برزت في الآيات، وارتبط أغلبها بحركة الأشخاص، أو كانت نعتا لحادثة في موقع شهير، ومنها التابوت (وهو تابوت الصبي موسى، وتابوت العهد، وكلاهما ارتبطا بقصة بني إسرائيل في مصر أو في أرض التيه) والألواح (وهي ألواح التوراة) ورحلة الشتاء والصيف، وحادثة الإسراء والمعراج، وشجرة بيعة الرضوان (وهي بيعة الحديبية) ، وسيل العرم (وارتباطه بسد مأرب بأرض سبأ اليمنية).

ـ **منهجية الترجمة الخاصة بالمعالم:** تحتوي الترجمة على عدة عناصر منها:

* **تسمية المعلم:** بذكر الأسماء الواردة أو المتعددة، والجذور التاريخية للتسمية ـ وليس ضروريا في كل المعالم ـ ويمكن الإشارة إلى نسب الشخص الذي سمي عليه المعلم.

* **الموقع والحدود:** ويكون بتحديد موقع المعلم والأبعاد الأرضية التي تربطه بغيره، والإشارة إلى البلد الذي ينتمي إليه، أو البلدان والأماكن التي تحده (مثل ذكر حدود الحرم المكي والمدني).

* **الحوادث والمميزات:** وتوجد في أغلب الأحيان حوادث وقعت في الموضع الذي أشار إليه النص القرآني، كالغزوة أو عبور جيش طالوت لنهر الأردن، أو فضائح المنافقين في مسجد الضرار. أما المميزات فهي الخصائص التي وصف بها المعلم، مثلما ذكر في المساجد المقدسة الثلاث (المسجد الحرام والأقصى والنبوي) والقبلة وأوقات التوجه نحوها.

***الآية الدالة على المعلم:** تذكر الآية في سياقها ضمن التعريف بالمعلم، وتوضع في محلها مع مراعاة الميقات الزماني والمكاني، وعند تعددها يتم اختيار نماذج من الآيات المختلفة.

القـرآن الكـريـم

القـرآن الكـريم: اتفق أهل العلم على ان القرآن الكريم: (هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس).

وللقرآن عدة أسماء نطقت بها الآيات ومنها:

* **القـرآن:** قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (77) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (78) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (79) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (80)﴾ [الواقعة: 77-80].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) ﴾ [الإسراء: 9].

***الفرقان:** قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (1) ﴾ [الفرقان: 1].

* **الكتاب:** قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) ﴾ [الفرقان: 2].

***الذكر:** قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (9) ﴾ [الحجر: 9].

***التنزيل:** قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ (195) ﴾ [الشعراء: 192-195].

وللقرآن عدة صفات وردت في ثنايا الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، ومن تلك الصفات: النور، والهدى، والشفاء، والرحمة، والكريم، والمبين، والموعظة، والمبارك، والبشرى، والبشير، والنذير، والعزيز.

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدُبَتَهُ ما استطعتم ؛ إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيُسْتَعْتَبُ، ولا يَعْوَجَّ فيُقَوَّمُ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ من كثرة الـرَّدِّ، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كُلَّ حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول لكم الـم حرف ؛ ولكن ألف ولام وميم**) رواه **الحـاكم.**

ـ واجبات المسلم نحو القرآن الكريم:

1) تـلاوة القرآن: يتعبد المؤمن بتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار لأن عمله محببا إلى الرحمن سبحانه وتعالى الذي قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ

﴿تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر: 29-30].

وأجر التلاوة عظيم لأن الله يجعل صاحبه مع السفرة الكرام البررة، ويشفع فيه القرآن يوم القيامة، وبرفع له الدرجات العالية في جنات النعيم. ويتطلب من التالي لكتاب الله ما يلي:

ـ **تحسين الصوت بقراءة القرآن**: وسماه النبي صلى الله عليه وسلم، التغني بالقرآن. ففي حديث أبي لبابة الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من لم يتغن بالقرآن فليس منا)** رواه **أبو داود بإسناد جيد.**

ـ **إتقان أحكام التلاوة:** لأن الله أوجب ذلك بقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل: 4].

واعتبر العلماء ذلك فرض عين على كل مكلف، ومن لحن (مخالفة الأحكام) في قراءته يأثم عند الله، قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتمُ لازمُ * منْ لم يُجَوِّد القرآن آثِمُ
لأنـهُ بــه الإلــهُ أَنْـــزَلا * وهكـــذا مِنْهُ إلينَـا وَصَـلاَ

2) **تدبر القرآن:** وقد أنزل الله هذا الكتاب الكريم لتدبر آياته، وفهم معانيه، فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: 29]. ويتم التدبر بما يلي:

ـ **التأمل المستمر:** لأن من خصائص القرآن، كلما قرأته أكثر أزددت فهما لآياته، وخضوعا لأحكامه، وتأثرا بمعانيه، وصدق رسول الله لما قال: (**... ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ من كثرة الرَّدِّ...**) وكان الصحابة يعدون العدة للتدبر، بالقراءة المستمرة لآيات وسور مخصوصة، عن ابن عباس قال: لأن أقرأ(إذا زلزلت) و (القارعة) أتدبرهما، أحب إليّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً. (أي المبالغة في قول ما لا ينبغي).

ـ **الخشوع والتأثر:** ويكون الخشوع في القلب، ويؤثر ذلك على العين، فتجود بالدمع من خشية الله تعالى. وهذا ما أُثِرَ عن النبي عليه الصلاة والسلام. ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: " **اقرأ عليَّ القرآن** " فقلت: يا رسول الله، أَقْرَأُ عليك وعليك أُنزِلْ؟ قال: " **إني أحب أن أسمعه من غيري** " فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾[النساء: 41]. قال: " **حسبك الآن**" فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان. **متفق عليه.**

3) **تعلم القرآن:** ويكون بحفظ آياته، ودراسة معانيه، وتفهم ألفاظه:

ـ **حفظ القرآن:** جعل الله القرآن الكريم كتابا ميسرا للحفظ فقال: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾[القمر: 17].

وهو كنز عظيم لمن وفقه الله إلى حفظه كله، أو حفظ ما تيسر منه. قال صلى الله عليه وسلم: (**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين**) رواه مسلم.

ـ **مدارسة القرآن:** وتكون عادة بعد تدبره، وتتم بدراسة القرآن من أفواه العلماء، أو من كتب التفسير والأحكام، أوالدراسات القرآنية المختلفة مثل هذا المعجم الذي يساعد على معرفة الآية في إطارها التاريخي، أو سياقها الجغرافي، أو مجالها البيئي، وكلها تنير للمسلم طرق الحق وتدفعه إلى العمل على منهج من الله مستقيم.

4) **العمل بالقرآن:** أنزل الله القرآن الكريم ليكون منهجا لحياة البشر، تسير حياتهم ومعاملاتهم وفق أحكامه، ويعبدون الله تعالى بما شرعه في القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ ﴾[الذاريات: 56]. ومن مجالات العمل بالقرآن:

ــ **إتقان الإستدلال بالآيات:** فيكون لسان المؤمن رطباً بها في كل أحواله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿87﴾ ﴾[النساء: 87].

وقد وهب الله أهل الصدق فهما نيرا لكتاب الله تفجرت منه ينابيع الحكمة، وتقاطرت من معينه شهدا محلى.

قيل لسفيان بن عيينة: **قد استنبطت من القرآن كل شيء... فأين المروءة فيه؟** فقال: في قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿199﴾ ﴾[الأعراف: 199]. ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق فجمع في قوله: **خذ العفو:** صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين.

ودخل في قوله: **وأمر بالعرف:** صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. ودخل في قوله: **وأعرض عن الجاهلين:** الحضُّ على التخلق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة بالأغنياء.

ـ **الاحتكام إلى القرآن:** ويكون بالالتزام بأوامره، والاجتناب لنواهيه، بتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والوقوف عند حدوده، مثلما فعل الصحابة الكرام. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن. وكان بعض الصحابة يطلب الآية الكريمة يريد أن يطبقها في حياته، وينتظر كثيرا، وعندما تحين الفرصة ويعيش في رحابها، يرقص كيانه فرحا بها. ومن ذلك آية الاستئذان: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿28﴾ ﴾[النور: 28]. قال قتادة: قال بعض المهاجرين: **لقد طلبت عمري** كله هذه الآية، فما أدركتها، أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي: ارجع فأرجع وأنا مغتبط، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿28﴾ ﴾[النور: 28].

طرق البحث في مواد المعجم

البحث في مواد معجم أعلام ومعالم القرآن الكريم، يتم بطريقتين مختلفتين هما:

ـ الطريقة الأولى:

ويكون البحث انطلاقا من المواد الصريحة في آيات القرآن الكريم، فيكون العَلم أو المعلم واضحا، فيتم البحث عن ترجمته استنادا إلى الحروف المعجمية. ونضرب لذلك أمثلة:

* **البحث عن نبي الله يوسف عليه السلام:** والذي ورد ذكره في ست وعشرين آية (**26 آية**) من القرآن الكريم، في عدة سور منها **أربع وعشرين (24آية)** في سورة يوسف، وآية في الأنعام، وآية في سورة غافر. ومنها الآية: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾[يوسف: 7]. **يظهر فيها** اسم يوسف واضحا، ويكون البحث عنه في مواد **حرف اليـاء.**

* **البحث عن يثرب:** وهي موضع ورد في القرآن مرة واحدة في سورة الأحزاب في قوله تعالى:

﴿قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ ١٣﴾ [الأحزاب: 13]. ويظهر لفظ يثرب واضحا في الآية، ويكون البحث عنه بين مواد **حرف اليـاء.**

ـ الطريقة الثانية:

ويكون البحث فيها من خلال الآيات القرآنية، وهي الآيات التي تطرح تساؤلات على القارئ، وتتحدث عن قوم أوموضع معين، ويكتنف ذلك الغموض، ويتطلب الأمر التوضيح، ويتم التعرف على المجهول من خلال الآية الكريمة، وهي مثبتة في الجدول المساعد وفيه الآيات المعلمية، وهو في آخر المعجم، ونضرب لذلك أمثلة:

* **آية تدل على علم مجهول للقارىء:** يقول تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ ٤٩﴾ [التوبة: 49]. ونزلت الآية في الجد بن قيس، وحدد في الجدول اسم السورة وهي: **التوبة.** ورقم الآية: **49.** وحدد اسم العلم الذي تدل عليه الآية وهو: **الجد بن قيس.** ويتم التعرف عليه ضمن مواد **حرف الجيم.**

* **آية تشير إلى نهر في قصة طالوت:** يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ ٢٤٩﴾ [البقرة: 249]. وبعد البحث في الجدول، يتبين أن النهر المقصود هو: **نهر الأردن.** فنرجع إلى **حرف النون.**

* **البحث عن موضع أشارت إليه الآية تلميحا:** يقول تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣﴾

[الشعراء: 53]. وعند الرجوع إلى الجدول نجد الآية تنتمي إلى مادة: **المدائن.** وتنتمي إلى **حرف الميم**، وبعد الرجوع يتعرف الباحث عن معنى المدائن التي ذكرت في قصة فرعون.

ـ الطريقة الثالثة:

البحث عن اسم مركب مجهول، وذكر في الآية بعمومه، ونضرب على ذلك أمثلة:

* **البحت عن أصحاب القرية:** يقول تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿13﴾ ﴾ [يس: 13]. عند الرجوع إلى جدول الآيات، يرشدنا الجدول إلى المادة التي تنتمي إليها الآية، وهي **أصحاب القرية.** فيتم الرجوع إلى **حرف القاف.**

* **البحث عن صاحب الحوت:** قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿48﴾ ﴾ [يس: 48]. عند الرجوع إلى جدول الآيات، يرشدنا الجدول إلى المادة التي تنتمي إليها الآية، وهي **صاحب الحوت.** فيكون الرجوع إلى **حرف الحاء.**

ـ الطريقة الرابعة:

يتضمن المعجم بعض الآيات التي ارتبطت بأحد الأعلام، وأخرى كانت معلما لموقع معين، ولكن سياق الآية لا يدل على شيء من ذلك، فتعرض الآية على جدول الآيات، مع مراعاة التسلسل في ترتيب الآيات حتى تسهل عملية البحث، ونضرب لذلك أمثلة:

* **المثال الأول:** نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿8﴾ ﴾[المنافقون: 8]. وبعد البحث في ثنايا آيات الجدول، نجد أن الآية وردت في قصة " **عبد الله بن أبي بن سلول** " في **حرف العين**، كما وردت بشكل بارز في عنوان الموقع المعروف في السيرة وهو: " **المريسيع** " لأن الآية نزلت في أحداث غزوة بني المصطلق، وأحداث ماء المريسيع، ويكون الرجوع مرة أخرى للتعرف على جانب آخر للآية في **حرف الميم**، ضمن مادة " **المريسيع** ".

* **المثال الثاني:** نقرأ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿172﴾ ﴾ [آل عمران: 172]. وبعد البحث في سياق الجدول، نجد أن الآية تشير إلى مادة " **حمراء الأسد** " وهي الموضع الذي وصله النبي صلى الله عليه وسلم عند مطاردة قريش في اليوم الموالي لغزوة أحد، ونزلت الآيةفي ذلك الحدث، فتمت الإشارة إليها في المعجم من خلال موضع الحادثة لأهميته، ويمكن التعرف عليه، بالرجوع إلى موضع الكلمة في **حرف الحاء.**

ـ ملاحظات عامة:

1) لا بد من الإشارة أن كثيرا من الآيات القرآنية لم تذكر في المعجم لأنها لا ترتبط بالأعلام، ولا تشير إلى المعالم التي تم اختيارها من بين الآيات الكثيرة.

2) وردت بعض الآيات ضمن الشرح لأن ضرورة التوضيح تستدعي ذكرها، أو كانت شرحا لبعض المصطلحات القرآنية، فمصطلح "**العلماء** " تصلح له كل الآيات الواردة في القرآن ـ في شأن العلم ـ أن تكون محل الشاهد، ولكن ضرورة الاختصار حتمت اختيار نماذج فقط.

3) لا شك أن بعض الآيات أشارت إلى أعلام أو معالم، ولكن الاختلافات الكثيرة، وعدم التبين في معناها، تركت للضرورة.

4) يشير الجدول إلى الآيات التي جعلت عنوانا للمادة، أو المواد التي لم تذكر صراحة، أما بقية الآيات الصريحة فلا داعي لتكرارها.

﴿حـرف الألف﴾

آدم عليه السلام: أبو البشر.

﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ ﴾ [ص: 71].

آدم عليه السلام، إسم عربي وليس أعجمي، وأسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربع، وهم: آدم وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم. واسمه مشتق من أدمة الأرض، وآدم هو وجهها فسمي بما خلق منه. وقيل مشتق من الأدمة وهي السمرة، وقيل هي البياض لأنه أبيض. قال القرطبي والصحيح أنه مشتق من أديم الأرض.

- **خلق الله آدم عليه السلام:** روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب**) حديث حسن صحيح. وخلق الله آدم في آخر يوم الجمعة على عدة أطوار فأخذ تعالى من تراب الأرض، فعجن بالماء فاختلط وتحول في الطور الثاني إلى طين (لازب) جيد النوع متماسك، سريع الإلتصاق باليد: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١ ﴾[الصافات: 11]. ثم تركه حتى صار حمأً مسنونًا (وهو الطين الأسود المنتن) وهو الطور الثالث: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٦ ﴾[الحجر: 26]. ثم صوره في المرحلة الموالية كما تصور الأواني الطينية على هيئة إنسان، ثم تركه في الطور الخامس حتى يبس وصار صلبا كالفخار الذي يسمع له صوت عندما ينقر: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ ﴾[الرحمن: 14]. وفي الطور النهائي نفخ الله فيه من روحه فإذا هو إنسان بدم ولحم يتحرك ويفكر. ثم أمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا لهذا الإنسان سجود تكريم: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١ ﴾[الحجر: 28-31].

فامتثل الملائكة كلهم باستثناء إبليس الذي أبى واستكبر ورفض السجود لآدم، زاعما أنه أفضل منه، فقد خلق من نار بينما خلق آدم من طين، فصار في نظره أفضل من الطين، وبسبب هذا الصنيع طرده الله من الجنة، ومن رحمته الواسعة، فحلت عليه اللعنة إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ

ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿32﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿33﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿34﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿35﴾ ﴾[الحجر: 32-35]. حينئذ طلب إبليس من ربه أن يبقيه حيا إلى يوم القيامة، فأجابه الله ــ لحكمة أرادها ــ ولكن إبليس أقسم على الله ببذل كل جهده لإفساد بني آدم وإبعادهم عن الصراط المستقيم، فجعل الله جزاءه مع كل أتباعه نار جهنم خالدا فيها.

﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿35﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿36﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿37﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿38﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿39﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿40﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿41﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿42﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿43﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿44﴾ ﴾[الحجر: 36-44].

- **آدم في الجنة:** أمر الله آدم أن يسكن الجنة، ولكنه بقي وحده بدون أنيس، نخلق له حواء لتكون زوجة تؤنسه في كل حياته، وأباح الله لهما الأكل من ثمار الجنة باستثناء شجرة واحدة وهي (الكرم أو الحنطة) ، ولكن إبليس وسوس لهما أن تلك الشجرة تخلدهما في الجنة وتنقلهما إلى عالم الملائكة الأبرار: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿19﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿20﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿21﴾ ﴾[الأعراف: 19-21]. فانطلت الحيلة الشيطانية عليهما فأكلا من الشجرة وكان هذا التصرف أول معصية لآدم.

وذكرت التوراة أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية، وتذكر بعض الأخبار الأخرى أن الشيطان هو الذي استعان بالحية لتوسوس لهما بذلك، وكلها أخبار لا يعول عليها، ونكتفي بما جاء في القرآن من أمر الشيطان ووسوسته.

وكانت نتيجة الأكل انكشاف عورتهما، ومن فرط الحياء أخذا يجمعان ورق الجنة ليغطيا ما انكشف منهما، وأخذ آدم يجري في الجنة من مكان إلى آخر بائسا حزينا، والندم يعصر قلبه، والنداء الرباني يخترق أذنيه: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿22﴾ ﴾[الأعراف: 22]. ويجري آدم في الجنة، وتتعلق بشعره الأغصان، وهو يسمع النداء الإلهي من جديد" **أفرارا مني يا آدم؟** " فيجيب بخجل وألم وهو حزين " **بل حياء منك يا رب**" ولجأ إلى الله

مستغفرا، نادما، منيبًا... وهو يناجي ربه بهذه الكلمات " **اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك... رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك.. رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم.** "فتاب الله عليه وجعله خليفة في الأرض وأنزله إليها ومعه حواء والحية التي أغوتها فأكلا من الشجرة. ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿23﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿24﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿25﴾﴾[الأعراف: 23-25].

ـ **آدم خليفة الله في الأرض:** اختلف العلماء في المكان الذي أنزل فيه آدم ومن معه، فقيل أهبط آدم بالهند ومعه الحجر الأسود وقبضة من ورق الجنة، فنبتت شجرة الطيب في الهند، وقيل: أهبط آدم بأرض يقال لها " دحنا"بين مكة والطائف، وقال ابن عمر " اهبط آدم بالصفا، وحواء بالمروة"، وعن الحسن قال" أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدستميان من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان"، ومما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس قال: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، فجاء في طلبها حتى أتى " جمعا " ـ وهو مزدلفة، وهو المشعر، وسمي جمعا لاجتماع الناس به ـ فازدلفت إليه حواء، وبذلك سميت المزدلفة، وأمره ربه ببناء بيته الحرام بمكة المكرمة. وكان النزول يوم الجمعة لما رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة**". وأجمعوا أن آدم كان يعيش بالهند ويتردد على مكة ولم يدخل إلى بلاد الشام.

وعلمه ربه صنع كل شيء، فبدأ حياة الكد والسعي في مناكب الأرض، فعمرها بالخير وأنجب ذرية كثيرة من أولاده وأحفاده بلغ عددهم يوم وفاته نحو "أربعين ألفا"، ومن أبنائه قابيل وهابيل، وشيث ومعناه هبة الله، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل، وقيل أن أنساب بني آدم كلها تنتهي إلى شيث، لأن سائر أبناء آدم انقرضوا وبادوا. ولما بلغ عمر آدم ألف سنة، وحضرته الوفاة عهد بالأمر من بعده إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك.

ـ **وفاة آدم عليه السلام:** كانت وفاة آدم يوم الجمعة حينما جاءت الملائكة بحنوط وكفن من الجنة، وعزوا فيه ابنه ووصيه النبي شيث عليه السلام، وبعد قبض روحه غسلته الملائكة وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه، وكبروا عليه أربعا. قيل إن جبريل عهد إلى إبنه شيث فصلى عليه ـ ثم أدخلوه إلى قبره وحثوا عليه التراب، وقالوا يا بني آدم هذه سنتكم.

واختلفوا في المكان الذي دفن فيه، قال الحافظ ابن كثير: فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط عليه بالهند. وهو جبل يقال له "بَوْذ" في جنب غربي جزيرة سرنديب أو سيلان سابقا، يبلغ طوله 2243م وأعلى قمة به تدعى " قمة آدم" لأن بها صدع في صخرة سوداء يشبه أثر القدم يعرف بقدم آدم، ويقول ابن بطوطة في رحلته: ليس مرادي منذ وصلت هذه الجزيرة إلا زيارة القدم الكريمة، قدم آدم عليه السلام، وعلى هذا الرأي يكون استقرار آدم في تلك المنطقة كل حياته، ولكن يتنقل كلما دعت الضرورة، فعن ابن عباس قال: حج آدم عليه السلام من الهند إلى مكة أربعين حجة على رجليه. وقيل إن نوحا عليه السلام أعاد دفن آدم بعد الطوفان فحمله هو وحواء في تابوت فدفنهما ببيت المقدس، أما الرأي الذي ذكره الطبري وابن الأثير واليعقوبي: أن آدم بعد أن غفر الله له، حمله جبريل إلى جبل عرفات، وعلمه مناسك الحج، وأنه دفن عند سفح جبل أبي قبيس بمكة، وقيل إن آدم حج في تلك السنة ومعه ولده شيث فدفنه بجبل أبي قبيس في غار يقال له الكنز وهذا القول له قيمته. وقيل أن أبناء شيث جعلوا جدهم آدم في مغارة وجعلوا عليها حافظا حتى يمنع أبناء قابيل من قربه، وكان أبناء شيث يزورونه ويستغفرون له. وآدم أول من مات على فراشه، بينما إبنه قابيل هو أول من قتل على الأرض.

ـ **أبناء آدم في خلافة الأرض من بعده:** لما مات آدم قام بالأمر من بعده خير قيام، ابنه شيث عليه السلام، وكان نبيا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه، عن أبي ذر مرفوعا: **أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.** فلما حضرته الوفاة عهد بالأمر إلى ابنه **أنوش**، ثم خلفه ابنه " **قينان** " ثم من بعده ابنه "**مهلاييل** ". وبعد وفاته تولى بعده ولده " **يَرْد** " فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده "**أخنوخ** " وهو النبي**إدريس** عليه السلام على المشهور.

وورد في القران، وفي عدة مواضع قوله تعالى " **يا بني آدم**" وهو خطاب عام لذرية آدم من البشر والمقصود بالخطاب "الإنسان" عموما، والمسلم على وجه الخصوص، لأنه مطالب بما ورد في القرآن الكريم.

إبراهيم عليه السلام: أبو الأنبياء.

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿41﴾ ﴾[مريم: 41].
هو أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده من ذريته وشيعته، وهو جد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وجد العرب ببلاد الحجاز، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الأبوة: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴿78﴾ ﴾[الحج: 78].
وله منزلة عظمى عند أتباع الشرائع السماوية (اليهود والنصارى والمسلمين).
- **نسبه:** هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن سالح بن أرنخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهذا نسبه الموجود في التوراة وكتب التاريخ. واسم أمه أميلة وقيل اسمها بونا بنت كربنا بن كرثى من بني أرنخشذ بن سام بن نوح. وإبراهيم معناه بالسريانية والعربية: الأب الرحيم، لرحمته بالأطفال من أبناء المؤمنين الذين يموتون صغارا فيتكفل بهم مع زوجته سارة إلى يوم القيامة.
- **حياة إبراهيم الأولى:** ولد إبراهيم في حدود **1861 ق م**، بجنوب العراق في قرية بسواد الكوفة تدعى كوثى، ثم استقر في مدينة أور الكلدانية، وقيل أن أور هي مهده، وتقع بين دجلة والفرات، ومنهم من ذكر أن موطنه الأصلي هو أرض بابل الواقعة بين دجلة والفرات، ويقال لها السواد، وعاش في ذلك الزمن الذي سيطرت على العراق الحضارة البابلية، في عهد الملك نمرود بن كنعان بن كوش. وكان قومه يعبدون الأصنام، واشتهرت بلادهم بتعدد الآلهة، وكان لكل مدينة رب يحميها، وفي القرى كانت الآلهة الصغرى وتخضع للإله الأعظم، ثم اختصرت في الإله **(مردك)** إله بابل وكبير آلهتها، وكان الملوك يشعرون بشدة الحاجة إلى هذه الآلهة لأنها تغفر لهم، فأقاموا لها الهياكل، وقدموا لها القرابين والطعام والنبيذ.

- **دعوة إبراهيم لقومه:** فلما أوحي إلى إبراهيم دعاهم إلى التوحيد وترك الأوثان: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿51﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿52﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿53﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿54﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿55﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿56﴾ ﴾[الأنبياء: 51-56]. فلما رآهم متمسكين بالآلهة، أعلن عداوته لأوثانهم، وبين لهم صفة رب العالمين: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿75﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿76﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ

(77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) ﴾[الشعراء: 75-82].

ولكنهم تنكروا لدعوته، فهددهم بتحطيم الأصنام، ونفذ الأمر، فلما حاوروه أفحمهم وسفه معتقدهم، فأحسوا بظلمهم، ثم تراجعوا: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) ﴾[الأنبياء: 57-67].

ولكن القوم قرروا حرقه بالنار، دفاعا عن باطلهم، فجعل الله النار بردا وسلاما عليه: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) ﴾[الأنبياء: 68-70]. ولم يبق لإبراهيم أي قبول في قومه فهاجر في أرض الله الواسعة يدعوا إلى الله.

ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة، وابن أخيه لوط بن هاران بن تارح، فرحل بهم جميعا إلى أرض (حرَّان) حاران شمال أرض الجزيرة، وأقام بها مدة يدعوا إلى الله، ولكنه وجد العداوة والإعراض من أهلها فهاجر بمن آمن معه إلى فلسطين. ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) ﴾[العنكبوت: 26].

ـ **هجرة إبراهيم إلى أرض كنعان:** بعد نجاته من القوم الظالمين اختار الهجرة إلى فلسطين، وكانت تعرف بأرض كنعان ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) ﴾[الأنبياء: 71-72]. فمكث بها مدة داعيا إلى عبادة الله، ولكن ظروف المعيشة اضطرته كغيره من السكان إلى مغادرتها بسبب المجاعة التي ألمت بها، فخرج يبحث عن المراعي والرزق الحسن من فضل ربه.

- **هجرة إبراهيم إلى مصر:** وكانت هجرته إلى مصر في عهد الملوك الرعاة وهم العماليق ويسميهم الرومان (الهكسوس) ، ومكث مدة وقد اكرمه الملك (خرطيش كما يسميه القبط) فأعطاه أموالا وماشية وعبيدا، وجارية تدعى " هاجر".

- **عودة إبراهيم إلى أرض كنعان:** ثم عاد مرة أخرى إلى فلسطين، وكانت زوجته سارة عاقرًا، وكبيرة السن (تجاوزت السبعين) ، وابراهيم يلح على ربه في الدعاء: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿100﴾ ﴾[الصافات: 100].

فأشارت عليه سارة بأن يتزوج جاريتها هاجر، فتم الزواج ورزق منهابولدهو إسماعيل، ولكن الحال تغيرت في بيته، فهاجر بابنه الرضيع وأمه هاجر إلى **جبال فاران** (مكة) ، ثم عاد إلى فلسطين فرزقه الله بولد آخر من سارة هو إسحاق. وتزوج بعدها **قنطورا** بنت يقطن الكنعانية، فولدت له ستة أولاد هم: مدين، وزمران، وسرج، ويقشان، ونشق، ولم يذكر السادس. وتزوج أخرى هي **حجون** بنت أمين فولدت له خمسة أبناء هم: كيسان، وسورج، وأميم، ولوطان، ونافس. ذكره السهيلي. وظل يتردد على مكة وفي إحدى المرات أمره الله ببناء البيت العتيق، فبناه بمساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام.

- **صفات إبراهيم وأخلاقه السامية:** وعرف إبراهيم بخصال كريمة، خصه بها مولاه أهمها:

* **الخلة:** فهو " **خليل الرحمن**" ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿125﴾ ﴾[النساء: 125]. وسمي خليلا لأنه كان محبا لربه ومحبوبا عنده، ومحبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته، وقد وصل إلى درجة الخلة وهي أرقى مقامات المحبة، لأنه كثير الطاعة لربه.

* **الإمامة:** وجعله إماما يُقتدَى به في الدين، واستحق ذلك لأنه قام بما كلفه به الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴿124﴾ ﴾[البقرة: 124].

* **الوفاء:** وقد وصفه ربه بالوفاء: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿37﴾ ﴾[النجم: 37]. فتمم ما أمره به في الصحف، فبلَّغَ الرسالة وداوم على الطاعة. قال النبي صلى الله عليه وسلم (**اتخذ الله إبراهيم خليلا لإطعامه الطعام وإفشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام)**.

* **الحلم:** ووصفه بالحلم لأنه استغفر لوالده ودعا له مع شدة عداوته له: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿114﴾ ﴾[التوبة: 114].

***الشكر:** كان إبراهيم قائما بشكر نعم الله عليه، وأجلُّها نعمتي النبوة والهداية إلى الدين القويم، والصراط المستقيم، وعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿120﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿121﴾ ﴾ [النحل: 120-121].

* **التوكل:** كان متوكلا على الله، وظهر ذلك جليا في الأوقات العصيبة، فحينما ألقي في النار، التجأ إلى مولاه فآواه ورعاه، وحفظه من كل سوء. وقد روى البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " **حسبنا الله ونعم الوكيل**" قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ـ وعلى لسان القرآن الكريم ـ: ﴿ **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴿173﴾ ﴾ [آل عمران: 173].

* **الأواه المنيب:** وصف **بالأواه** وهو الذي يكثر من التأوه والتأسف على الناس ويشفق عليهم لرقة قلبه. **والمنيب:** هو الذي يكثر الرجوع إلى الله ويتوب إليه ويستغفره ويطلب عفوه، ويرجو رحمته ويخاف عذابه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿75﴾ ﴾[هـود: 75].

واتصف إبراهيم بأمور أخرى: قيل هو أول من خطب على المنابر، وأول من ضرب بالسيف، وأول من اختتن، وأول من أضاف الضيف، وأول من ثرد الثريد، وأول من لبس السراويل، وأول من استنجى بالماء، وأول من استحد، وأول من قلم الأظفار، وأول من قص الشارب، وأول من شاب فلما رأى الشيب قال ما هذا؟ قال: وقار، قال رب زدني وقارا.

ـ **وفـاة إبراهيم عليه السلام:** وتوفي إبراهيم في فلسطين بعد عمر دام نحو **175 سنة** كما في بعض الروايات عند أهل الكتاب، أي في حدود (1686 ق م) ودفنه إسماعيل وإسحاق في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صرصر الحثي، وفيها دفنت سارة من قبل وهي في مدينة الخليل " حبـرون" بفلسطين، وكانت سابقا تدعى" قرية أربع".

أبي بن خلف الجمحي

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: 78].

هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو أخو أمية بن خلف. وكان شديد العداوة للرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يلقاه بمكة فيقول: يا محمد إن عندي " العـود " فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أنا أقتلك إن شاء الله. وأضاف إلى العداوة، التشكيك في البعث بعد الموت، فقد أتى يوما إلى رسول الله بعظم بَالٍ قد تفتت، فقال يا محمد: تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أَرمَ - أي بَلِيَ - ثم فتته بيده، ونفخه في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " **نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النار**". فنزل فيه وفي أمثاله قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: 4]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ [مريم: 66]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: 77-79].

وحذره الله من الغرور والعتو بقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: 6]. وفي يوم أحد لما أسند الصحابة رسول الله في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا؟ وأراد الصحابة أن يواجهوه ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **دعـوه**. فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة، وضربه بها حتى تدحرج عن فرسه مرارًا، فكسر ضلعا من أضلاعه.

فلما رجع إلى قريش وقد خدش في عنقه واحتقن فيه الدم، وهو يخور خوار الثور، فقالوا له ما أعجزك. إنه خدش. قال: قتلني والله محمد. فطيبوا خاطره وهوَّنُـوا عليه الأمر، ولكنه تذكر ما قاله النبي في مكة. فقال أبي: قال لي بمكة أنا أقتلك، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلني، وبقي يتعذب، ويخور كخوار الثور ويقول: " والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعا". ولما كانت قريش في طريق عودتها إلى مكة مات أبي بمكان يدعى " سرف". فأنزل الله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: 17].

بنو أبيـرق

﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿105﴾ ﴾[النساء: 105].

أصل الكلمة (**الإستبرق**) وهي كلمة فارسية تعني: الديباج الغليظ، وتصغيره أبيرق. وبنو أُبَيْرق: هم قوم من بني ساعدة سكنوا جنوب غرب المدينة المنورة، أي شمال غرب قباء. وكانوا ثلاثة إخوة: بشر، وبَشير، ومُبشر، وابن عمهم ويدعى أسير بن عروة. عاشوا فقراء الحال في الجاهلية والإسلام. وكان غالب طعام أهل المدينة، التمر والشعير، وأما الرجل الميسور الحال فكان يتحين قدوم القافلة من الشام فيشتري لنفسه الدقيق الأبيض، بينما يقتصر عيَالهُ على التمر والشعير فقط.

ذكرقتـادة بن النعمان أن عمه " رفاعة بن زيد "، لما قدمت قافلة الشام، ابتاع حملا من الدقيق، ووضعه في غرفة بها السلاح ومنه الدرع والسيف، فدخل السراق إليها بالليل وأخذوا ما وجدوه من طعام وسلاح. واكتشف رفاعة ذلك في الصباح، فأخبر ابن أخيه قتادة، وكانت التهمة موجهة لبني أبيرق لأنهم رأوهم قد استوقدوا النار في تلك الليلة، والأرجح عندهم أنه طعام رفاعة المسروق. فلما راجعوا بني أبيرق تبرأوا من ذلك وأتهموا غيرهم فقالوا: "... والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل،رجل منا، له صلاح، وإسلام.. "فلما سمع لبيد استل سيفه وأراد الفتك بهم، أو يبينوا أمر السرقة.

فقالوا له: " إليك عنا أيها الرجل، فما أنت بصاحبها، وسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها.. " وقيل أن السرقة قام بها بنو أبيرق كلهم، وقيل كان السارق بشير وحده ويكنى" أبا طعمة"، وكان منافقا يقول الشعر، يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ينسب الشعر لبعض العرب، فيقول: قال فلان: كذا. وكان الصحابة يعرفون أنه شعره فيقولون: والله ما هو إلا شعر الخبيث. وقد قال شعرا يتبرأ فيه من تلك التهم الثابتة عليه:

أوكلما قال الرجال قصيدة * نحلت وقالوا ابن الأبيرق قالها

وروي أن " طعمة بن أبيرق" من بني ظفر سرق درعا من جاره، وكانت في جراب دقيق مثقوب، فتناثر الدقيق في الطريق، ولكنه خبأ الدرع عند يهودي يدعى" زيد بن السمين "، ولما لاح وجه الصباح التمس أهل البيت درعهم، فتتبعوا الأثر فساقهم الدقيق المتناثر إلى بيت بشير بن أبيرق (طعمة)، فلم يجدوا شيئا وأقسم لهم بعدم أخذها، فلما بحثوا قادهم الدقيق، إلى بيت اليهودي، فأخذوها منه. فقال لهم اليهودي: دفعها إليَّ طعمة وشهد له بعض اليهود.

ورغم تعدد الروايات، فالمجمعُ عليه أن السارق من بني أبيرق، والمسروق هو" رفاعة بن زيد"، فلما عسر الأمر، طلب رفاعة من ابن أخيه قتادة أن يرفع ذلك إلى رسول الله، فلما أتاه قتادة قال: " يا رسول

الله، أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه، وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سأنظر في الأمر. فلما سمع بنو أبيرق أمروا ابن عمهم " أسير بن عروة "، ومعه جماعة من أهل الدار، فأتوا رسول الله، وقالوا: " يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان، وعمه عمدا إلى أهل بيت منا، أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينة، ولا ثبت". فنادى النبي صلى الله عليه وسلم قتادة وقال له: " عمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم اسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة من غير ثبت وبينة". ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس وبرأ بشير بن أبيرق، قال قتادة: (فرجعت وودت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك) فأخبرت عمي (رفاعة) فقال: " الله المستعان ". فانزل الله (11 آية) من سورة النساء، كشفت أن السرقة قام بها بنو أبيرق، ونبهت النبي صلى الله عليه وسلم والقضاة من بعده إلى آداب القضاء وأحكامه. والآيات من قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿105﴾ ﴾ [النساء: 105]. إلى قوله تعالى في نفس السورة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿116﴾ ﴾ [النساء: 116].

ولما اتضح الأمر، رد النبي صلى الله عليه وسلم السلاح إلى رفاعة. قال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح ـ وكان شيخا أعمى، وكنت أرى في إسلامه مدخولا ـ فقال: يا ابن أخي هي في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحا.

أما بشير بن أبيرق، فقد هرب من القصاص لما حكم عليه النبي بقطع يده، والتحق بمشركي مكة، فارتد عن الاسلام، ونزل عند امرأة تدعى سلافة بنت سعد بن شهيد، فهجاها حسان بن ثابت بأبيات من الشعر هي:

وقد أنزلته بنت سعد وأصبحت * ينازعها جلد استها وتنازعه
ظننتم بأن خفي الذي قد صنعتموا * وفينا نبي عنده الوحي واضعه

فأخذت رحله فوضعته على رأسها ثم خرجت به فرمته في الأبطح ثم قالت: أهديت لي شعر حسان ما كنت تأتيني بخير. فهرب بشير إلى خيبر، ورجع إلى السرقة، وذات ليلة كان ينقب حائط بيت ليسرقه فسقط عليه الحائط فمات مرتدا عن الإسلام، وقيل حدث ذلك بمكة، فقد نقب حائط رجل يدعى " حجاج بن علاط "، فسقط عليه الحائط، فبقي سالما، فأخرجوه من مكة، فأتجه نحو بلاد الشام، فسرق بعض أموال القافلة، فرجموه حتى مات.

أُحُـــدُ

﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ [آل عمران: 121]

أحد: هو اسم جبل يقع شمال المدينة المنورة، ذو لون أحمر، ويبعد عن المدينة قرابة ميل في شمالها. وكان محببا إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه: " **أُحُدُ جبل يُحِبُّنا ونُحِبُّه، وهو على باب من أبواب الجنة، وعَير جبل يبغضنا ونبغضه، وهو على باب من أبواب النار**". وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: " **خير الجبال أُحُدُ والأَشْعَر ووَرِقان** ". ومحبة النبي لهذا الجبل لأنه شهد مآثر الأحبة، واستشهاد عمه حمزة في الغزوة الشهيرة. وعرفت بغزوة أحد، ووقعت يوم (**15 شوال 3 هـ**) الموافق لسنة **625م**.

خرجت قريش بجيش كبير للأخذ بثأرها من المسلمين مما حدث في غزوة بدر، وكان جيش المشركين ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها وأحابيشها، ومائة من ثقيف، بينهم سبعمائة دارع، إضافة إلى مائتي فرس وثلاثة آلاف بعير، ويقود الجيش أبو سفيان، واستصحب أكثر زعماء قريش نساءهم للتشجيع ورفع المعنويات.

وبلغت قوات المسلمين ستمائة وخمسون راجلا وخمسون فارسا كلهم تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أعد خطة محكمة للقتال، وحدد مهام المقاتلين ووزع الأدوار بإحكام، وجعل خمسين رجلا من الرماة في جبل عينين (جبل الرماة) وأَمَّر عليهم الصحابي عبد الله بن جبير، ومهمتهم التصدي لقوات المشركين ورد خيلهم، وأوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم ترك أماكنهم مهما كانت الأسباب فقال: (احموا لنا ظهورنا، فاننا نخاف أن يجيئوا من ورائنا، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل...).

ولما انطلقت المعركة كان النصر حليف المسلمين، فأخذوا يطاردون المشركين حتى أبعدوهم عن معسكرهم، ثم عادوا لجمع الغنائم، وتأثر الرماة واستهوتهم عملية جمع الغنائم فاندفعوا إلى ساحة المعركة ونسوا وصية النبي صلى الله عليه وسلم: (ولا تدفعوا عنا، إنا لا نزال غالبين ما مكثتم ـ أو ثَبَتُّم ـ مكانكم..). وثبت رئيس الرماة ومعه عشرة فقط. حينئذ اغتنم ـ قائد ميمنة المشركين ـ **خالد بن الوليد** ذلك الفراغ، فباغت المسلمين من تلك الثغرة التي تركها الرماة، فقتل بقية الرماة وأعاد قوات المشركين مرة أخرى إلى ساحة المعركة، وأحاط المشركون بالمسلمين من كل الجوانب، فتبعثرت قوات المسلمين ووصل الخطر إلى رسول الله، فَرُمي بحجر فوقع على شقه، وكسرت رباعيته وشج، وسال دمه الزكي،

فجعل يمسح الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128) ﴾[آل عمران: 128].

ويومها استشهد جمع من الصحابة حول رسول الله وهم يدافعون عنه. ثم استدرك المسلمون أمرهم فتجمعوا مرة أخرى، فانهزم المشركون ورجعت قريش إلى مكة، وطاردتهم قوات المسلمين في اليوم الموالي إظهارا لعزة الإسلام والمسلمين. ونزلت عدة آيات من سورة آل عمران (من الآية **121 إلى الآية 179**) في شأن الغزوة، ووجهت خلال ذلك كثيرا من النصح للمسلمين:

1) وجه الله اللوم للمسلمين عن تفريطهم في أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما حدث من أمر الرماة، وإقبالهم على الغنائم، فحذر القرآن من مغبة التعلق بالدنيا فهي مدخل للهزيمة: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153) ﴾ [آل عمران: 152-153].

2) ذكَّرَ الله المؤمنين أن ما حدث لهم من ألم وهزيمة وقرح قد أصاب المشركين منه شيئا كبيرًا، وتلك سنة جارية في حياة البشر، يوم لك ويوم عليك: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ (140) ﴾ [آل عمران: 140].

3) لفت الله الانتباه إلى أن ما حدث في الغزوة من قتل وجراح في صف المسلمين، يدخل في باب الابتلاء ويصنف في خانة الامتحان، باختبار الله صبر المؤمنين ومدى تحملهم، واصطفاء الشهداء، وتمييز الصف المسلم عن فئة النفاق، وتمحيصه من الذنوب، وجعل الشهادة ثمنا للجنة التي وعدوا بها: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (143) ﴾ [آل عمران: 140-143].

4) دعا الله المؤمنين إلى الاعتزاز بدينهم والثبات على إيمانهم، لأنهم عند الله من المقبولين، وفي كل الحالات من العابدين، ويكفيهم علواً أن شرفهم الله بالإسلام وندبهم للدفاع عن حوزته في كل الأوقات: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: 139].

الأرض المقدسة

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: 21].

وهي بلاد الشام وتضم أرض بيت المقدس " فلسطين " لأنها كانت قرار الأنبياء، وتضم دمشق، وبعض الأردن، والطور وما حوله،وهي البلاد المباركة، والمطهرة من القحط والجوع. وقد أمر موسى ــ عليه السلام ــ قومه بالدخول إلى بيت المقدس، وحرضهم على الجهاد بقتال أعدائهم: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: 21].

وكانت بأيديهم في زمن أبيهم يعقوب ــ عليه السلام ـ قبل هجرته الى مصر أثناء وجود يوسف ـ عليه السلام ـ ولما خرج موسى ببني إسرائيل كان بها قوما من العمالقة الجبارين، فأمرهم موسى بالدخول اليها لأنها الأرض التي وعدوا بها على لسان أبيهم إسرائيل وقضى الله أن تكون لهم.

الأرض المباركة

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف: 137].

وهي بلاد الشام، قال ابن الجوزي: وبركتها أن الله عز وجل بعث أكثر الأنبياء منها، وأكْثَرَ فيها الخصب والأنهار. وقد أذل فرعون بني إسرائيل بالخدمة، فأورثهم الله بعد هلاك فرعون الأرض المباركة: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف: 137]. وجعل الله في بيت المقدس؛ المسجد الأقصى وبارك ما حوله بالخيرات المادية كالثمار والأنهار، أو الفضائل الدينية فجعله مقر الأنبياء والصالحين، ومهبط الملائكة الأطهار. روى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: " **يقول الله تعالى يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي**".

وقال الله فيها: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿1﴾ ﴾ [الإسراء: 1]. وهي الأرض التي نجى الله اليها سيدنا إبراهيم مع إبن أخيه لوط، حينما هاجرا من العراق إلى الشام: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿71﴾ ﴾ [الأنبياء: 71]. وأكرم الله فيها سليمان ـ عليه السلام ـ بفضله: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿81﴾ ﴾ [الأنبياء: 81].

وجعل الله ما حول المسجد الحرام بمكة مباركا، بما خصه من الخير لسكانه وكل من حجه واعتمره، ويفيض على المؤمنين الهداية والرشاد: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿96﴾ ﴾ [آل عمران: 96].

ارم ذات العمـاد

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿6﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿7﴾ ﴾ [الفجر: 7].

ارم ذات العماد: وتحمل عدة معاني، فهي اسم قوم، لهم صفات ومساكن أختلف في موقعها:

* أما **القوم** فهم من العرب، وينتسبون إلى ارم، وهو والد عاد " عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح"، وقيل جده فيكون" عاد بن عوص بن ارم بن سام"، وهم بذلك قبيلة عاد الأولى وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وأصنامهم ثلاثة: صدا، وصمودا، وهرا. أما عاد الثانية فهي متأخرة في الزمن.

* أما **العماد** فهي وصف لأجسامهم الطويلة جدا، قال ابن عباس: " طول الرجل منهم كان سبعين ذراعا"، وكانوا ينصبون الخيام ذات الأعمدة التي تتناسب مع طولهم، وعند تشييدهم القصور رفعوا الأبنية الشاهقة على أعمدة عالية.

* أما **موطنهم**، فالرأي الأول يذكر دمشق، أو الإسكندرية، أي أن ارم مدينة تدور في الأرض فتارة في الشام وتارة في اليمن وتارة في الحجاز وتارة في غيرها، وهذا احتمال بعيد، والرأي الأرجح، أن موقعهم كان بالأحقاف وهي جبال الرمل، وتقع باليمن بين عُمَان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها " الشحر" واسم واديهم " مغيث".

آزر بن ناحـور

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴿74﴾ ﴾ [الأنعام: 74].

آزر: وهو والد إبراهيم الخليل، واسمه الذي سماه به أبوه " تارح" وعند أهل الكتاب" تارخ"، وكان قَيِّمًا على خزانة الملك النمرود فسماه "آزر"، وقيل لأنه كان من عباد الأصنام وأحدها يدعى" آزر" فنعت به، وكانت مهنته نحت الأصنام وبيعها. ولما بلغ تارخ خمسا وسبعين سنة ولد له ثلاثة أبناء هم: إبراهيم عليه السلام، وناحور، وهاران، وولد لهاران لوط عليه السلام، ومات هاران في حياة أبيه ببابل. وكان القوم يعبدون الكواكب والأصنام، فبدأ إبراهيم يقدم النصائح لوالده بالحسنى، وحاول إقناعه مرات عديدة، متخذا الحجج والبراهين العقلية، متأدبا في إظهار الحق، وبين له عاقبة الكفر والضلال: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿41﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿45﴾ ﴾ [مريم: 41-45].

ولكن آزر أصر على الكفر، وهدد إبراهيم بالرجم، وطلب منه أن يهجره: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿46﴾ ﴾ [مريم: 46]. حينئذ قال له إبراهيم (**سلام عليك**) أي لا يصلك مني مكروه ولا أذى، وسوف أستغفر لك الله ربي لأنه كان بي لطيفا ومحسنا، ولما كان وجودي يزعجك فإني مستعد للاعتزال، وسوف أعبد ربي في طمأنينة: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿47﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿48﴾ ﴾ [مريم: 47-48].

فأستغفر له إبراهيم كما وعده، ولكن الأيام أظهرت إصراره وعداوته للحق، حينئذ تركه إبراهيم وشأنه، وتبرأ من كفره، وهاجر مع من آمن من أسرته وهم زوجته سارة وابن أخيه لوط. ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿114﴾ ﴾ [التوبة: 114].

روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرَةُ وَغَبَرَةُ فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب: إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال يا إبراهيم: ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذبح متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار).

إسحاق عليه السلام

﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[الصافات: 112].

ـ **نسبه ومولده:** هو نبي الله " **إسحاق** " إبن إبراهيم الخليل من زوجته سارة، ومن ذريته أنبياء بني إسرائيل وأولهم ابنه يعقوب عليه السلام. وبشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق عندما كانوا في طريقهم لتدمير مدائن قوم لوط، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، فحسبهم ضيوفا، فعاملهم على هذا الأساس فامتنعوا عن الطعام وأخبروه بوجهتهم الأساسية، وزفوا له البشرى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات: 112]. كما بشروا زوجته سارة، وهي العجوز العاقر: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ [هـــود: 71].

وولد إسحاق في حدود (**1761 ق م**) بعد ولادة إسماعيل بأربع عشرة سنة، وقد بلغ إبراهيم مائة سنة، وسارة تسعون عاما، ولما ولدته سارة أسمته " **يصحق** " ومعناها يضحك، وتعني بذلك أن كل من يسمع بولادته الغريبة يضحك لذلك فرحا وسرورا وبهجة.

ـ **زواجه ونسله:** ولما صار مكتمل الرجولة ـ وقُبَيْلَ وفاة إبراهيم بقليل ـ فكر في تزويجه، ولكنه لا يريدها امرأة كنعانية غريبة عن العشيرة، فأرسل خادمه ـ الذي كان قيم بيته وموضع ثقته ـ إلى حاران في العراق ليأتيه بفتاة من عائلته، وبعد سعي حثيث وقع اختياره على " رفقة بنت بتوابيل بن ناحور" وهي ابنة ابن شقيق إبراهيم، فعاد بها الخادم، واقترن بها إسحاق، وبعد عشرين سنة أنجبت له توأمين ذكرين، أولهما سموه (عيصو) ، وهو الذي يعرف عند العرب باسم (العيص) ، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه (يعقوب) ويسمى أيضا إسرائيل.

وكان إسحاق يحب العيص أكثر من أخيه باعتباره الابن البكر، بينما كانت رفقة تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر، وقد وَلَّد ذلك التمييز عداوة جعلت الأم تتخوف على ولديها من الشر، فأشارت على يعقوب بالسفر إلى زيارة خاله (لابان) ، والإقامة عنده ريثما تهدأ النفوس وتطمئن القلوب، وأوصته بالزواج، فاستجاب لأمرها ومكث بالعراق عشرين سنة، وعاد بأهل بيته وأولاده، فاستقبله أخوه العيص في

ظاهر أرض كنعان (فلسطين)، بأربعمائة رجل، فلما رآه يعقوب سجد له سبع مرات ـ وكانت تحيتهم في ذلك الزمان ـ وقدم له يعقوب هدية عظيمة أدخلت السرور على قلبه، وقد ترك العيص المكان لأخيه يعقوب وذهب إلى جبال سعير وأقام بها. بينما اتجه يعقوب نحو والده إسحاق وسكن معه في بلدة حبرون (الخليل).

ـ **صفته وأعماله:** عاش إسحاق نحو (**180**) سنة، وقد أثنى عليه ربه في تلك المدة فكان من الصالحين، وباركه بتكثير ذريته وجعل منهم أنبياء بني إسرائيل: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿112﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿113﴾ ﴾[الصافات: 112-113]. كما اتصف بالعلم النافع، والعمل الصالح، والاجتهاد في العبادة، والبصيرة النافذة في مختلف أمور الدين. وقد بشر الله إبراهيم بذلك قبل ولادة اسحاق بقوله: ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿53﴾ ﴾ [الحجر: 53].

ـ **وفاة اسحاق:** وكانت وفاة اسحاق في حدود (**1581 ق م**) وبعد موته دفن مع والده الخليل عليه السلام في مغارة المكفيلة في بلدة الخليل بفلسطين.

الأسـرى

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴿67﴾ ﴾[الأنفال: 67].

أسرى أو أُسارى أو أَسارى: ومفردها أسير، وكانوا قديما الذي يقبضون عليه في الحرب يشدون وثاقه بالإسار وهو القيد.

ومن هؤلاء أسرى غزوة بدر وكان عددهم سبعون أسيرا، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أصحابه فقال: **إن الله أمكنكم منهم.** فأشار عمر بن الخطاب بضرب أعناقهم، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال مرة أخرى: **إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس،** فأعاد عمر، أضرب أعناقهم، فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، نرى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء، فذهب عن وجه رسول الله ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء. ولكن الله عاتبهم لأخذهم الفداء فنزلت الآية: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿67﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿68﴾ ﴾[الأنفال: 67-68].

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أسيرين، وكانا من ألد أعداء الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة، ولشدة عداوتهما اعتبرا مجرمين لا أسيرين، وهما: النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط.

أما بقية الأسرى وعددهم ثمانية وستون، فقد وزعهم على أصحابه وأوصاهم بقوله: "**استوصوا بالأسارى خيرا**". وأخذوا الفداء منهم لأن الله قال: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴿٤﴾ ﴾ [محمد: 4].

فأخذ منهم الفداء، فبعثت قريش في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم من الأغنياء، وكان مبلغ الفداء يتراوح ما بين الف درهم إلى أربعة آلاف. وكان العباس بن عبد المطلب أكثرهم فداء لأنه كان رجلا موسرا، فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهبا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم"**أضعفواالفداء على العباس**" وكلفه أن يفدي ابني أخويه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، فأدى عنهما ثمانين أوقية، وعن نفسه ثمانون أوقية، وأخذ منه اثناء المعركة عشرين أوقية، لأنه أحد العشرة الذين تكفلوا باطعام جيش قريش، فبلغت النوبة اليه يوم بدر فاقتتلوا قبل ان يطعمهم، وبقيت العشرون معه، فأخذت منه، فبلغ عدد ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية ذهبا.

وكان من الأسرى أبو العاص بن الربيع ختن النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب، وكان أبوالعاص من رجال مكة المرموقين بالمال والأمانة والتجارة، وأمه هالة بنت خويلد، فكانت السيدة خديجة خالته، فسألت خديجة رسول الله أن يزوجه زينب، وكان ذلك قبل بعثته فوافق، وكانت خديجة تعتبره بمنزلة ولدها، ولما أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بقي أبو العاص على شركه بينما أسلمت زوجته زينب. ولما بدأ فداء الأسرى بعثت زينب في فدائه بمال ومن ضمنه قلادة أمها خديجة ـ رضي الله عنها ـ وقد أهدتها إليها يوم عرسها، فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال: "**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها، فافعلوا**". فقالوا: " نعم، يا رسول الله". فأطلقوا سراحه، وردوا على زينب مالها، واشترط النبي صلى الله عليه وسلم على أبي العاص أن يخلي سبيل زينب، ففعل بعد رجوعه إلى مكة، وهاجرت زينب بعد ذلك.

وأطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراح عدد من الأسرى بدون فداء لأنهم من الفقراء ومنهم: المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الجمحي. وكلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، وأطلق سراحهم بعد التعليم.

وكان في الأسرى سهيل بن عمرو، وكان خطيبا مؤثرا، قال عمر: يا رسول الله، أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع لسانه، فلا يقوم خطيبا عليك في موطن أبدا، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل، متجنبا

التمثيل بالأسير، والخوف من بطش الله يوم القيامة. وقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر: " **يا عمر.. لعل سهيلا يقف غدا موقفا يسرك**". وفعلا صار سهيل من أعظم خطباء الإسلام.

الإســـراء والمعراج

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿1﴾ [الإسراء: 1].

* **الإسـراء:** ومعناه السير ليلا، وهو رحلة ليلية تمت بين مسجدين مقدسين عند المسلمين، وكان صاحب الرحلة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، برفقة الروح الأمين " **جبريل عليه السلام**"، وكان ذلك يوم **27 رجب في السنة (10)** من البعثة النبوية، وقيل تمت الرحلة قبل الهجرة بعام واحد. وهي رحلة تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم، وتأييد لدعوته، وتثبيت لقلبه في تلك الأيام العصيبة التي مرت بها الدعوة في مكة، وفيها تبشير بامتداد رسالته إلى بيت المقدس، وتأييد الأنبياء للدين الإسلامي الحنيف، وربطت المقدسات الإسلامية،(المسجد الحرام، والمسجد الأقصى) بآية كريمة يتعبد بها المسلمون ويتذكرونها عبر الأجيال المتعاقبة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، حتى تبقى هذه المقدسات محل احترام وتقدير، ورعاية، وحماية مستمرة من المسلمين. وزرع الله حبها في القلوب، وجعل السعي إليها عبادة، والدفاع عنها قربة، ومجرد تلاوة آية الإسراء عبادة.

ـ **المرحلة الأولى من الإسراء:** بدأت الرحلة ليلا، لأن الليل فيه السكون والسكينة والتأمل والستر، وفيه الظلام الذي مازال مخيما على البشرية، لأن الجاهلية هي التي تحكم تلك البقاع الشرقية.

روى الترمذي من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، كيف أسري بك؟ قال: " صليت لأصحابي صلاة العتمة (يعني العشاء) بمكة معتما، فاتاني جبريل عليه السلام، بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل، فقال اركب،... ثم حملني عليها، فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا ارضا ذات نخل فأنزلني، فقال: صَلِّ، فصليت، ثم ركبت فقال: أتدري اين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال صليت بيثرب، صليت بطيبة. فانطلقت تهوي بنا... ثم بلغنا ارضا، قال: أنزل، ثم قال: صَلِّ، فصليت، ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم، قال: صليت بمدين عند شجرة موسى. ثم انطلقت تهوي بنا... ثم بلغنا ارضا بدت لنا قصور، فقال: أنزل، فنزلت، فقال، صَلِّ، فصليت ثم ركبنا، فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم. قال: صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسى بن مريم، ثم انطلق بنا حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني، فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من

باب تميل فيه الشمس والقمر، فصليت في المسجد حيث شاء الله... " . والراجح أنه دخل من الجنوب وصلى نحو الصخرة المشرفة، ويومئذ كان الأقصى بدون بناء.

ورأى في رحلته أمورا عجيبة كما ورد في حديث أنس الذي رواه البيهقي في دلائل النبوة " فلما سار به البراق رأى عجوزا على جانب الطريق، فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال سر يا محمد. وفي رواية أخرى، أن العجوز قالت: يا محمد أنظرني أسألك فلم يلتفت اليها، فقال: من هذه يا جبريل؟ قال: إنه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز. ثم سار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيئ يدعوه متنحيا عن الطريق فقال: هلم يا محمد، فقال له جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير. فقال: من هذا؟ قال: عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه. فسار ما شاء الله أن يسير، قال: فلقيه خلق من خلق الله فقالوا: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر. فقال له جبريل: أردد السلام يا محمد، فرد السلام. ثم لقيه الثانية، ثم الثالثة، فرد النبي صلى الله عليه وسلم السلام. فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام... ". ومما صادفه في رحلته، هبوب ريح طيبة. فقال: يا جبريل، ما هذه الرائحة؟ قال: هذه رائحة ماشطة (بنت) فرعون وأولادها. وهي المرأة المؤمنة التي قتلها فرعون بسبب إيمانها بالله وحده، والكفر بفرعون، وقبل قتلها سألها عن طلبها، فقالت: أن تجمع عظامي بعظام ولدي فتدفننا جميعا، فنفذ فرعون ذلك الطلب، فشم النبي رائحتها لما وافاها أثناء رحلته المباركة، وهي رائحة الشهداء الزكية.

ولما صلى بالمسجد الأقصى ركعتي تحية المسجد مع جبريل، يقول صلى الله عليه وسلم: " وأخذني من العطش ما أخذني، فَأُتيتُ بإنائين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل، ارسل الي بهما جميعا... " رواه الترمذي. وفي روايات أخرى أنها ثلاثة أواني، في أحدهما ماء، وفي الثاني لبن (وقيل عسل) وفي الثالث خمر. يقول: "... ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن، فشربت حتى عرقت به جبيني، وبين يديَّ شيخ متكئ على مثوات له، فقال: أخذ صاحبك **الفطرة** إنه ليهدى... ".

وفي رواية أخرى للبيهقي "... حتى إنتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم **اللبن،** فقال له جبريل: أصبت **الفطرة،** ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك... " فأختار الدين والصراط المستقيم. ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) ﴾ [الروم: 30]. وبعد إنتصاف الرحلة الأرضية، بدأت الرحلة السماوية (**المعراج**) ولحكمة أرادها الله، بدأت من المسجد الأقصى الشريف.

المعـراج

﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) ﴾[النجم: 7-11].

المعراج: مثل السلم ذو دُرج يرقى فيها، فصعد فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، إلى السماء الدنيا، ثم إلى السماوات العلى، فتلقاه في كل سماء مقربوها، وسلم على الأنبياء بحسب منازلهم ودرجاتهم، فلقي في السماء الدنيا آدم عليه السلام، فرأى عن يمينه سواد من الناس، إذا نظر إليهم ضحك فرحا مستبشرا لأنهم مؤمنين، وتعرض عليه أرواحهم فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين (أعلى الجنة) وعن شماله آخرون إذا نظر إليهم حزن وبكى لأنهم أهل الكفر والظلم والمعاصي، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين (موضع كتاب الفجار) ، فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فرد آدم السلام، ثم قال: " مرحبا بالإبن الصالح والنبي الصالح"، وواصل الصعود إلى السماوات، فلقي في السماء الثانية إبني الخالة يحي وعيسى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف عليه السلام، وفي الرابعة إدريس عليه السلام، وفي الخامسة هارون بن عمران عليه السلام، وفي السادسة موسى عليه السلام، فكان يسلم عليهم ويرد كل واحد منهم بقوله "مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح". وفي السماء السابعة لقي إبراهيم الخليل جالسا ومسند ظهره إلى **البيت المعمور** (وهو كعبة السماء) يدخله كل يوم سبعون الف ملك يتعبدون فيه، لا يعودون فيه إلى يوم القيامة. فسلم النبي صلى الله عليه وسلم، فرد إبراهيم" مرحبا بالإبن الصالح والنبي الصالح"، ثم قال له: **يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: "سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة الا بالله".**

وراى جنة المأوى عند سدرة المنتهى، تأوي اليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين، ورأى تجلي انوار الله سبحانه على شجرة سدرة المنتهى، فلا يستطيع أحد أن ينظر اليها، وحولها الملائكة مثل الطيور يعبدون بالتسبيح ويزورونها كما يزور الناس الكعبة المشرفة: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (18) ﴾ [النجم: 11-18]. ومن تمام الأدب النبوي في هذا المقام الجليل، ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يلتفت يمينا ولا شمالا. وتجلى له ربه، وفرض عليه خمسين صلاة في كل يوم. ولما كان راجعا قال له موسى عليه السلام: إن الصلاة ثقيلة، وأمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجع إلى ربه، وراجعه عدة مرات وهو

يخفف عليه حتى وصلت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، ومع ذلك نصحه موسى أن يسأله التخفيف مرة أخرى فقال صلى الله عليه وسلم: " **قد سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم..** ". عندئذ نادى مناد: " **قد أمضيتُ فريضتي، وخففت عن عبادي**". وندرك حينئذ لماذا فرضت الصلاة في رحلة المعراج؟ حتى تكون معراج المسلم بروحه إلى ربه، في كل صلاة، ويجد عنده الأنس والطمأنينة. (وكانت الصلاة قبل ذلك، ركعتين صباحا، وركعتين مساء، كما كان يصلي الخليل إبراهيم عليه السلام).

ـ **المرحلة الثانية من الإسراء:** ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس، فجمع الله له الأنبياء في المسجد الأقصى، وصلى بهم إماما، أول صلاة من الخمس وهي صلاة الصبح، لتكون هذه الصلاة إعلانا للدنيا أن سائر الشرائع قد نسخت وبقيت العقيدة الواحدة الموحدة " **لا إله إلا الله**" تجمع كل الأنبياء وتدعوا سائر أتباعهم إلى الدين الخالص، وهو دين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو دين الإسلام: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿85﴾ ﴾[آل عمران: 85]. ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق ورجع إلى مكة، وأخبر قومه فقالوا مستهزئين: "انظروا إلى ابن أبي كبشة (يعنون رسول الله) يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة". ولكنه وصفه لهم وهم يعلمون أنه لم يسافر إليه من قبل أبدًا. يقول صلى الله عليه وسلم: " لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس، قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه" **رواه البيهقي**. وكان أبو بكر الصديق يسأله وهو يجيب، وأبو بكر يقول: "صدقت، أشهد أنك رسول الله" ويومئذ سمي الصديق. فقالوا أما النعت فقد أصاب، وبقوا على تكذيبهم. ومما رواه **الترمذي والبيهقي** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: " إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا، وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه لهم فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان. فلما كان ذلك اليوم، أشرف الناس ينظرون حين كان قريبا من نصف النهار، حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم". ومع ذلك بقوا على تكذيبهم، بل أثر ذلك على بعض ضعاف الإيمان فارتدوا عن الدين فأنزل الله فيهم: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿60﴾ ﴾[الإسراء: 60].

وتبق حادثة الإسراء والمعراج مخلدة للحق، حامية للمقدسات الإسلامية أبد الدهر، ومعجزة نبوية تتجدد كل حين في حياة المسلمين وعبر تاريخهم المديد بكل المعاني الغالية.

بنو إسرائيل

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ﴾ [البقرة: 47].

ـ **أصل نسبهم:** إسرائيل: هو نبي الله يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، ومعناه عبد الله، أو صفوة الله، وهو اسم أعجمي مركب من كلمتين:

ـ إسرا وتعني بالعبرانية عبد وقيل صفوة، وإيل هو الله. وقال السهيلي: " سمي إسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله تعالى فسمي إسرائيل أي أسرى إلى الله ونحو هذا، فيكون بعض الاسم عبرانيا وبعضه موافقا للعرب.. " وأطلق على اليهود اسم " بنو إسرائيل" وخصوصا قوم موسى عليه السلام، واستمر تاريخهم إلى عهد عيسى كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ ٦ ﴾ [الصف: 6].

ـ **تاريخهم القديم:** ويمكن تقسيم تاريخهم إلى خمسة أقسام:

ـ **الدور الأول:** ويمتد من عهد إبراهيم الخليل ـ لارتباط نسبهم به ـ إلى زمن خروجهم من مصر: غادر الخليل إبراهيم مصر ونزل بأرض كنعان (فلسطين) ، فولد له إسحاق، وولد لإسحاق يعقوب (**إسرائيل**)، ورزق الله يعقوب عليه السلام اثني عشر ولدا، ومنهم يوسف عليه السلام الذي تولى الوزارة في مصر، ورحل إليه والده وإخوته، ونزلوا في الوجه البحري، وكان عددهم آنذاك سبعين، واخذوا في التزايد فاستغلهم الفراعنة أسوأ استغلال، في الأعمال الشاقة واضطهدوهم، ثم قتلوا الذكور منهم وانتهكوا أعراض النساء، حتى ظهر موسى عليه السلام، فأخرجوهم من مصر وكان عدد القادرين على حمل السلاح أثناء الخروج نحو ستمائة ألف نسمة.

ـ **الدور الثاني:** ويمتد من خروجهم من مصر إلى تأسيس الملكية: فقد خرجوا بقيادة موسى متجهين إلى أرض كنعان، واجتازوا البحر الأحمر ثم تاهوا في الصحراء أربعين عاما، وعاشوا حياة الشدة والبداوة وخشونة العيش في مدة التيه، وتلقى موسى الألواح في سفح جبل طور سيناء، ولما مات موسى، تولى قيادة بني إسرائيل " يوشع بن نون"، فقام باجتياز نهر الأردن، وقاتل الأعداء واحتل ارض كنعان، وقسم الأرض بين اثني عشر سبطا.

ـ **الدور الثالث:** ويمتد من تأسيس الملكية إلى أسر بابل: انزعج بنو إسرائيل من حكم القضاة، فطلبوا من نبيهم صموائيل، أن يعين لهم ملكـا، فاختار لهم طالوت (شاول) ملكا عليهم، ومن بعده داود ومات بعد حكمه لهم بنحو أربعين سنة، ووصل عددهم 15 مليون نسمة، فتولى مكانه ابنه سليمان عليه السلام، فبنى مدينة أورشليم، ووصلت شهرته إلى الآفاق، وبعد موته انقسم ملكه إلى قسمين:

- **القسم الأول**: مملكة يهوذا: وكانت خاضعة لملك سلالة سليمان بن داود، وأول ملوكهم (**رحبعام بن سليمان**) ، ويتكون هذا القسم من قبيلتي يهوذا وبنيامين.
- **القسم الثاني: مملكة إسرائيل:** وتتكون من عشرة قبائل واختارت حاكما هو (**جير حبعام بن ناباد**) وقيل جاءهم (**حربعام**) من مصر، وهو من سبط افرايم بن يوسف عليه السلام، وبايعه سائر أسباط بني إسرائيل العشرة. ووقع صراع مرير بين المملكتين المتجاورتين. وتعرضتا للأطماع الأجنبية الآشورية، واستطاعوا تخريب المملكتين، وأخذوا أهلها أسرى إلى بابل وخاصة في عهد بختنصر الذي دخل إلى أورشليم وخربها وقاد أهلها أسرى سنة 587 ق م. ولما استولى قيروش الفارسي على بابل تخلص الإسرائيليون من أسر البابليين وعادوا إلى فلسطين سنة 356 ق م.
- **الدور الرابع**: ويمتد من أسر بابل إلى خراب بيت المقدس على يد الملك أدريان: فقد استغل الإسرائيليون غارة قيروش على بابل فعادوا إلى فلسطين تحت قيادة (روزوبابل) وسموا الجهة التي عادوا إليها (يهوذا) وسموا أنفسهم اليهود ليميزهم عن سواهم من الإسرائيليين. وكانوا تحت سيادة الفرس حتى أغار عليهم الإسكندر المقدوني، ولكنه عامل اليهود بالحسنى. ثم في عهد الملك هيرود انتياس حكم على عيسى عليه السلام بالإعدام. ووقعت ثورة كبيرة في أورشليم سنة **135م**، فأمر الإمبراطور الروماني أدريان بهدم المدينة من أساسها وقتل 500 ألف يهودي وشرد الباقي في أنحاء المملكة.
- **الدور الخامس:** وتمزق فيه شمل اليهود كل ممزق، فهاجرت طائفة منهم إلى آسيا ونزلت بشواطئ نهر الفرات، وقصدت مجموعة أخرى بلاد الأفغان، وهبط بعضهم إلى الهند والصين، واستقرت طائفة منهم في أوربا وعاشوا في معاناة شديدة. ولما فتح المسلمون بلاد الرومان حسن حال اليهود فاشتغلوا بالتجارة في بغداد والقاهرة وقرطبة، واختلطوا بالعرب ودرسوا العلوم وتعلموا مختلف الصنائع ونجحوا في حياتهم.
- **بنو إسرائيل في القرآن الكريم:** تحدثت الآيات القرآنية باستفاضة في شأن بني إسرائيل، فذكرت مفاسدهم في الأرض، ونوهت بالفضائل التي خصهم الله بها ولكنهم كانوا من الجاحدين:

* **فضـائل بني إسرائيل:** منح الله بني إسرائيل نعما جليلة ودعاهم إلى شكرها والوفاء بعهد الله، والتمسك بميثاقه، فقال لهم: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿40﴾ ﴾[البقرة: 40]. ومن تلك النعم الجليلة:

1) هدايتهم إلى الصراط المستقيم: فقد أنزل الله كتاب التوراة على موسى وجعل فيه الهدى والنور، وشرف القوم بالنبوة، فأرسل لهم الأنبياء، وأعطاهم من كل الطيبات لعلهم يشكرون نعمته: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿16﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم

بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (17) ﴾[الجاثية: 16-17].

2) **تحديد التكاليف والعبادات:** فلم يتركهم الله هملا بدون ضبط، بل حدد لهم الأوامر في الكتاب المنزل، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، وأكد لهم ذلك بالعهد والميثاق:﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ (83) ﴾[البقرة: 83].

3) **نجاتهم من كيد فرعون وقومه:** وأنزلهم الله منزلا صالحا مرضيا، وأعطاهم الطيبات من الرزق: ﴿ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (93) ﴾[يونس: 93]. ومن الطيبات طعام المنَّ (وهو يشبه العسل) والسلوى (أجود أنواع الطيور) يأكلونها في أرض التيه تخفيفا من الله لعلهم يزدادون قربا من الله:

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ (80) كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ (81) ﴾[طه: 80-81].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ (30) مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (31) وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (32) وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ (33) ﴾[الدخان: 30-33].

4) **تخفيف التكاليف السابقة:** فقد أرسل الله عيسى بن مريم لبني إسرائيل بالآيات البينة والمعجزات الظاهرة، وخفف عنهم بعض المحرمات التي كانت في شريعة موسى، وكله بامر من الله: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ

ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [آل عمران: 49-50].

5) تفضيلهم على العالمين: فضل الله آباءهم في زمانهم، فأرسل لهم الرسل وأنزل لهم الكتب، وجعل منهم السادة والملوك، وهذا التفضيل فيه شرف للأبناء، ودعوة من الله للسير في طريق الحق: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[البقرة: 47]. لكنهم قابلوا تلك النعم بالجحود، وأكثروا الفساد في الأرض، فأخذهم الله بالعذاب الشديد.

* **مفاسد بني إسرائيل:** وهي مفاسد متوالية على مر الزمان، وصارت سلوكا ملازما لليهود، حتى بعد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن الذي بين هذه المفاسد بصورة جلية في آياته المحكمة:

أ) عصيان الله والعدوان على حدوده: بترويج الباطل وإشاعته، فاستحقوا لعنة الله على لسان أنبيائهم: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[المائدة: 78]. قال ابن عباس: " لعنوا بكل لسان، لعنوا على عهد موسى في التوراة، وعلى عهد داود في الزبور، وعلى عهد عيسى في الإنجيل، وعلى عهد محمد في القرآن ". وهذا جزاء من عطَّلَ فريظة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض** ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة: 78-81]. ثم قال: **كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم**) رواه أبو داود.

ب) اتباع الأهواء وتكذيب الرسل: وتطور التكذيب إلى جحود وظلم، وأفضى الظلم إلى قتل الأنبياء: ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠﴾ [المائدة: 70]. وكان افسادهم في الأرض المقدسة بقتل زكريا ويحي عليهما السلام: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤﴾ [الإسراء: 4]. قال ابن عباس: أول فساد قتل زكريا، والثاني قتل يحي عليهما السلام.

ج) مقابلة النعم بالكفر والجحود: فكم من معجزة رأوها من موسى عليه السلام، فقابلوها بالكفران، فكان عقابهم شديدا، وقال الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في سياق التوبيخ لبني إسراءيل على أفعالهم السيئة: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة: 211].

د) الإختلاف والتعلق الشديد بالدنيا: وقد أفسد حياتهم الحسد والتنافس على الحكم، واختلفوا اختلافا شديدا بعد معرفة الأحكام، فالله يحكم بينهم ويحاسبهم على أعمالهم، وجعل في سلوكهم عبرة للأمم من بعدهم، وحذرهم من مفاسدهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧﴾ [الجاثية: 17].

هـ) الكفر بالله والإعراض عن دينه: فكل المفاسد السابقة وعلى رأسها الكفر بالله وعصيانه، جعلهم في ذلة إلى يوم القيامة: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١﴾ [البقرة: 61].

إسماعيل عليه السلام: الذبيح ـ

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ [مريم: 54].

ـ ولادته ونشأته: هو نبي الله إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما السلام، ولد في حدود **(1781 ق م)** بفلسطين بعد هجرة إبراهيم إليها ـ من مصر ـ بعشرين سنة، وعمر إبراهيم يومئذ ست وثمانون سنة، وبعد الولادة اشتدت غيرة زوجته سارة، فطلبت من الخليل أن يبعدها عنها، فأخذها وولدها الرضيع إسماعيل وسافر بهم حتى وصل إلى مكان قفر خال من السكان، عند بيت الله بمكة، وأنزلها قرب شجرة عظيمة فوق زمزم في أعلى المسجد، ووضع عندها جراب (وعاء من الجلد) به التمر، وسقاء (وعاء من جلد

مخصص للماء أو اللبن) فيه ماء، ثم ولى راجعا فتبعته " **هاجر**" وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شئ يكفينا؟ فلم يجبها، فألحت عليه وكررت ذلك مرارا، وهو معرض لا يلتفت إليها، فأدركت أن في الأمر سرا ربانيا، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: فإذًا لا يضيعنا. ورجعت إلى وليدها، بينما انطلق إبراهيم راجعا حتى كان عند الثنية لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بالدعوات القرآنية التالية فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿37﴾﴾[إبراهيم: 37]. وأخذت هاجر ترضع إسماعيل وتشرب من الماء حتى لم يبق منه شيئًا، وعطش إبنها، ورأته يتلوى، فانطلقت وهي تجري وتهرول بفزع وخوف شديد على ولدها الصغير، وصعدت إلى جبل الصفا القريب وهي تنظر إلى الوادي لعلها تبصر إنسانا تجد عنده الفرج، ولكنها رأت المكان خاليا فنزلت من الصفا وهي تسعى في الوادي المحاذي للجبل كسعي الإنسان المرهق ولكنها تجاوزت الوادي وصعدت على جبل المروة المجاور للبيت، وقامت علية تتطلع في المكان ولكنها لم تبصر أحدا، ولم تستسلم وواصلت السعي بين الصفا والمروة سبع مرات متتالية، قال ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **فذلك سعي الناس بينهما** " أي بالحج أو العمرة. فلما أشرفت على المروة في الشوط السابع، سمعت صوتا فأنصتت واستطلعت مصدره فرأت ملكا ـ هو جبريل عليه السلام- عند موضع الصبي وقد بحث بجناحه الأرض فظهر الماء، وقيل إن إسماعيل كان ينبش الأرض بعفوية بقدميه أو بيديه، فنبع الماء بقدرة الله وفضله، فاسرعت الأم وقد غمرها الفرح والسرور وجعلت تحوطه بيديها، وتغرف منه وتسقي نفسها وولدها، ثم أرضعته، وصار الماء النابع يعرف بماء زمزم. وأطمأنت لما قال لها الملك: لا تخافي من الضياع فإنك قرب بيت الله الذي يبنيه هذا الغلام مع والده، وإن الله لا يضيع أهله، وكان مكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتمر عن يمينه وشماله.

وقد جلب ماء زمزم الطيور إلى موطن البيت، فاسترعى ذلك انتباه قبيلة "**جرهم**" المهاجرة يومذاك من اليمن، فارسلوا من يستطلع لهم الأمر، فاكتشفوا الماء، فطلبوا من هاجر أن تسمح لهم بالإقامة بجوارها لمؤانستها، مع احتفاظها بملكيتها على الماء، فوافقت، واستوطنت قبيلة جرهم بمكة ونشأ إسماعيل في كنفهم وتعلم منهم اللغة العربية، وتزوج إمرأة منهم. وكان الخليل في تلك الفترة يتردد على مكة يتعهد أهله بالزيارة، وقد سخر الله له "**البراق**"حتى يعود إلى أهله بفلسطين براحة وسرعة لأنه شيخ ناهز التسعين من العمر.

ـ **قصة الذبيح:** رأى الخليل إبراهيم في منامه ـ في احدى زياراته لمكة ـ أن الله يأمره بذبح ولده الوحيد إسماعيل، ورؤيا الأنبياء وحي من الله في النوم، فقرر بعزم أن ينفذ أمر الله، وكان إسماعيل يومئذ ابن

ثلاث عشرة سنة، وصار يسعي مع والده في أمور دنياه ويعينه على أعماله، ولكن أمر الله لا بد أن يطاع، فعرض إبراهيم الرؤيا على ولده الشاب الصغير، فأجاب على الفور بالقبول، وسلم أمره إلى ربه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿102﴾ ﴾[الصافات: 102]. ووجد الشيطان ضالته وبدأ يوسوس لآل إبراهيم، قال كعب وغيره: " لما أري إبراهيم ذبح ولده في منامه، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدًا. فتمثل لهم الشيطان في صورة الرجل، ثم أتى أم الغلام (أي هاجر) ـ فوسوس لها ففطنت له وقالت عن زوجها ـ فإن كان ربه قد امره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه، ثم أتى الغلام (أي إسماعيل) ــ فوسوس له فرد إسماعيل كيده بقوله ـ فليفعل ما أمره الله به، سمعا وطاعة لأمر الله. ثم جاء إبراهيم فقال: أين تريد؟ والله إني لأظن أن الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح إبنك. فعرفه إبراهيم فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي... " فرجع الشيطان في جولته الأولى مدحورا، ثم كانت المحاولة الثانية في منى عندما عزم إبراهيم على تنفيذ أمر الله، فقد روى البيهقي عن إبن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **لما أتى إبراهيم المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة(الأولى) فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض**"، ولهذا السبب شُرِع رمي الجمار في الحج. قال ابن عباس: " **الشيطان ترجمون، وملة أبيكم تتبعون**".

وورد في الخبر أن إسماعيل قال لوالده حين أراد ذبحه: " يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيئا من دمي فتراه أمي فتحزن، وأَسْرِعْ مرّ السكين على حلقي ليكون الموت أهون علي، وأقذفني للوجه؛ لئلا تنظر إلى وجهي فترحمني، ولئلا أنظر إلى الشفرة فأجزع، وإذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام". وكان لإسماعيل قميصا أبيضًا فقال له: " يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه" فسر إبراهيم به وقال: " نعم العونً أنت يا بني على أمر الله". فقام إبراهيم باضجاعه على شقه الأيمن ووجهه إلى القبلة، وأكبه على وجهه، ثم أَمَرَّ السكين بقوته على حلقه مرارًا فلم تقطع شيئا، وجاءه النداء الرباني:

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿103﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿104﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿105﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿106﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿107﴾ ﴾[الصافات: 103-107].

وفداه الله بكبش من الجنة. قال ابن عباس: " **كبش عظيم قد رعى في الجنة أربعين خريفا**". فذبحه الخليل بالمنحر بمنى وهو يُكَبّرُ.

ـ **زواج إسماعيل وذريته:** ولما بلغ إسماعيل مبلغ الرجال تزوج إمرأة من العماليق هي ـ عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي ـ ولكن أمه ماتت، وبقي إبراهيم يتعهده، ويراقب أهل بيته، وأثناء الزيارة الأولى لهذه الأسرة الفتية، وجد إبنه غائبا في رحلة الصيد، فسأل زوجته عن حالهم، فقالت نحن في شدة وضيق، وشكت له سوء الحال ـ ولم تعرف أنه والد زوجها ـ فقال لها: إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له: غير عتبة بابك. فلما عاد إسماعيل فهم رسالة والده فطلقها لأن والده وجد منها اخلاقًا سيئة كالبخل ونقص المروءة، وفقدان القناعة، وسوء استقبال ضيوف زوجها، فهي لا تصلح لهذا البيت النبوي. وزاره مرة أخرى بعد زواجه الجديد من ـ دعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ـ فوجده غائبًا، ولكنه حضي باستقبال كريم من زوجته، الراضية بما قسم الله لهم من عيش، ولمس إبراهيم منها كرم الأخلاق والثاء الحسن على الله تعالى، فأوصاها أن تسلم على زوجها عند عودته، وتقول له ثبت عتبة بابك. وعند عودة اسماعيل في المساء أخبرته بوصية الضيف فعرفه، وقال لها إنه أبي أمرني أن اتمسك بك. وعاشت معه بقية حياته وأنجب منها كل أبنائه، قيل كانوا إثنى عشر ولدا رؤساء قبائل، وبنتا واحدة، كما ورد في التوراة.

ـ **إسماعيل يساهم في بناء بيت الله الحرام:** مكث إبراهيم مدة في فلسطين، ثم زار مكة فجأةً لأن الله أمره بأمر عظيم، وعند قدومه بحث عن إبنه إسماعيل، فوجده يبري نبلاً له تحت دوحة بالقرب من زمزم، وبعد العناق وتبادل عبارات المحبة ولواعج الحنين، فاتح إبراهيم ولده قائلا: " يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني قال نعم. قال إبراهيم فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا وأشار إلى أكمة (مكان مرتفع عما حوله) قريبة منهما. ثم شرع إبراهيم في البناء وإسماعيل يناوله الحجارة، ثم أمر إبنه أن يأتيه بحجر حسن ليضعه في الركن حتى يكون علَمًا للناس، فأخبره جبريل **بالحجر الأسود** فأخذه ووضعه في مكانه، وكانا أثناء العمل يدعوان الله وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾[البقرة: 127]

فلما ارتفع البناء وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على حجر وهو الحجر الذي يعرف **بمقام إبراهيم**، وقد أشار القرآن إلى ذلك: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾[البقرة: 127]

ـ **صفـات إسماعيل وأخلاقه:** أكرم الله اسماعيل بالنبوة والرسالة، والأخلاق الفاضلة وأهمها:

***صدق الوعد:** بالتزام العبادات والقيام بها كما أمر الله، والمحافظة على كل المواعيد مع البشر، ووعْدُ والدهِ ـ عندما عزم على ذبحه ـ فصدق في وعده. ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤ ﴾ [مريم: 54].

* **أداء العبادات:** كما إتصف إسماعيل بالدعوة إلى أداءالعبادات ـ كالصلاة والزكاة وغيرها ـ وكان يأمر أمته ويحث أهله من قبيلة جرهم، وأولاده من صلبه، على التمسك بالقيم والأخلاق: ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ۝٥٥ ﴾ [مريم: 55].

***التحلي بالحلم:** فقد جبله الله على خلق كريم هو "**الحلم**"، عندما استجاب لدعاء إبراهيم: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١ ﴾[الصافات: 100-101]. ووصف إسماعيل بالحلم لأنه لما كبر إستجاب لأمر والده، عندما عزم على ذبحه؛ لأن الله أمر بذلك، ولا يصدر هذا الموقف الحكيم إلا من ذوي الحلم والنهى.

* **الصبر عند الشدائد:** عندما فاتح الخليل إبراهيم إبنه بأمر الذبح، وجده مطاوعًا، ووعده بالصبر والتجلد، ولما حان وقت التنفيذ، ثبت ثبوت الجبال الرواسي وأظهر صبرا جليًا، ووفى بما وعد، فكان مثالا يقتدى في الصبر والتحمل، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ ﴾[الصافات: 102].

ـ وقد **إتصف إسماعيل بأمور أخرى**، فهو أول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحوشا سائبة فجعلها اليفة تعيش مع الإنسان. قال صلى الله عليه وسلم: " **اتخذوا الخيل واعتقبوها [أي توارثوها]، فإنها ميراث أبيكم إسماعيل**". وهو كذلك أول من تكلم العربية الفصيحة البليغة، بعد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من قبيلة جرهم والعماليق وأهل اليمن عموما. قال صلى الله عليه وسلم " **أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة**".

ـ **وفـاة إسماعيل عليه السلام:** وبعد عمر مديد قضاه في مكة بلغ نحو **143** سنة، وقيل **137** سنة، توفي إسماعيل في حدود(**1638ق م**) ودفن بالحجر بجوار بيت الله الحرام. وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه نابت وقيذار. وعرفوا بالعرب المستعربة أو(المتعربة)، لأن إسماعيل كان يتكلم السريانية أو العبرية، وبعد إقامة قبيلة جرهم بمكة وتزوجه منهم، واختلاطه بهم تعلم هو وأبناؤه العربية، وهم عامة العرب الذين ينتسبون إلى عدنان وعرفوا بالعدنانيين، ويسكنون أواسط شبه الجزيرة العربية، وبلاد الحجاز وحتى بادية الشام، واختلط بهم لاحقا أهل اليمن بعد إنهيار سد مأرب.

أسمــاء بنت أبي بكـر: "ذات النطاقين"

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: 8].

هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وابنةُ **قُتَيلةَ،** وقيل قتلة بنت عبدالعزى بن عبد أسعد القرشية. ولدت بمكة قبل البعثة بسبعة عشر عاما، وكانت اختا لعائشة من أبيها، فاحتضنت عائشة منذ الصغر، وكانت لها بمثابة الأم، وهذا جعل عائشة تكن لها كل المحبة والإحترام، واسلمت في بداية الدعوة، ولما كبرت تزوجت الزبير بن العوام. وقد سجلت في التاريخ موقفا عظيما عندما كانت تزود رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدها بالطعام، لما كانا في غار ثور، ولمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الأخير لما جاءتهم بالصفرة المعدة لرحلة الهجرة المباركة، نسيت أن تجعل للسفرة والسقاء رباطا تشدهما به، ولكنها استدركت الأمر فنزعت نطاقها " **حزامها** " وشقته قسمين، فربطت بأحدهما السفرة، وربطت بالآخر السقاء، ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال " **قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة".** وبعد رجوعها للبيت أتى قوم من قريش يبحثون عن رسول الله وصاحبه، وفيهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت اليهم أسماء فقالوا أين أبوك؟ فقالت لا أدري، فرفع أبو جهل يده ولطمها على وجهها لطمة قوية أطارت قرطها من أذنها، وبقيت صامدة لا تتزعزع. ومكثت أسماء مع زوجها في مكة، ولما بنى النبي صلى الله عليه وسلم مسجده وحجراته بعث زيد بن حارثة ومولاه أبا رافع إلى مكة ليأتي بأهله، فبعث معه أبو بكر رسالة إلى إبنه عبد الله ليحمل آل أبي بكر إلى المدينة، فخرجت أسماء مهاجرة وهي حامل في أيامها الأخيرة ـ ولك أن تشعر بالمشقة التي تحملتها في هذه الرحلة الميمونة ـ ولما وصلت إلى " قباء" على مشارف المدينة جاءها المخاض فولدت عبد الله بن الزبير ليكون أول مولود في الاسلام للمهاجرين بيثرب. وعرفت بسخائها، وكانت تأمر بناتها بالتصدق فتقول: " يا بناتي تصدقن، ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لن تجدنه، وإن تصدقتن لم تجدن فقده". وعندما تمرض يزداد كرمها فتعتق كل مملوك لها.

وكانت صارمة في الحق، لا تخشى في الله لومة لائم ولو كان أقرب الناس إليها، ومن ذلك أن أمها قُتَيلة زارتها في بيتها بالمدينة، وقت الهدنة مع قريش ـ وكانت مشركة ـ ومعها ابنها الحارث بن مدرك المخزومي، ومعها هدايا ثمينة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها ورفضت أن تدخلها بيتها حتى تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتته قالت: " يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة [أي ليست مسلمة] أفأصلها؟ قال: " **نعم صلي أمك" رواه الشيخان واحمد.** وأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها. ونزل فيها قرآنا ليكون

حكمًا عامًا لسائر المسلمين، وهو قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿8﴾ ﴾[الممتحنة: 8]. فأدخلتها أسماء وقبلت هديتها وأكرمت ضيافتها وأحسنت صحبتها.

وعاشت أسماء عمرا طويلا - فلم يسقط لها سن ولم يذهب لها عقل - حتى فقدت بصرها، وحضرت وقت قتل الحجاج إبنها عبد الله، وماتت بعده بأيام قليلة، يوم الثلاثاء **13** جمادى الثانية **73هـ،** وعمرها **مائة** سنة.

أسماء بنت يزيد: " فكيهة الأنصارية "

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ﴿228﴾ ﴾[البقرة: 228].

وهي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الخزرجية الأنصارية، وتكنى بأم عامر، ويقال: أم سلمة الأنصارية الأشهلية، وهي بنت عم معاذ بن جبل، وقد سألته عن الاسلام فأخبرها وشرح لها أصوله، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت على يديه، وبايعته، وشهدت معه بعض المشاهد ومنها خيبر والحديبية، وهي من اللاتي بايعن رسول الله صل الله عليه وسلم يوم الحديبية . قالت: فقبض رسول الله يده وقال: " **إني لا أصافح النساء، ولكن إنما آخذ عليهن بالقول**" أخرجه **أحمد** في المسند. وروت عنه عدة أحاديث أخرى. وكانت تسأله وتنوب عن النساء في بعض الأحيان. وكان يقال لها خطيبة النساء.

كان لأسماء دور إجتماعي هام، حين تشرفت بتزيين عائشة أم المؤمنين في يوم زفافها، ولما أتمت ذلك أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس معها وشرب لبنًا ثم ناوله عائشة فاستحت فقالت لها أسماء: خذي من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاخذته وشربت.

وذات يوم أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك واتبعناك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجُمَع والجماعاتِ، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وأن الرجل إذا خرج حاجًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشاركم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة إمرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي عليه الصلاة والسلام إليها وقال: **انصرفي يا أسماء واعلمي من وراءك**

من النساء أن حسن تَبَعُّلِ احداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال.
فانصرفت أم عامر وهي تهلل وتكبر استبشارًا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وسألت يوما آخر فقالت: يا نبي الله اخبرني عن اسم الله الأعظم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: 163]. وفاتحة آل عمران: ﴿ الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران: 1-2]. وتقول عما حدث بعد طلاقها: " طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله عز وجل حين طُلِّقْتُ: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[البقرة: 228]. أخرجه أبو داوود. والذي رواه ابن عباس: أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حبلى، وليست حبلى، لكي يراجعها، وإن كانت حبلى وهي كارهة، قالت: لست بحبلى، لكي لا يقدر على مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴿١﴾ [الطلاق: 1]. ثم نزلت: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[البقرة: 228]. فصارت المرأة تعتد بثلاث حيضات أو أطهار، منذ طلاق فكيهة الأنصارية.
وكان لها في معركة اليرموك بطولة نادرة، عندما قتلت تسعة من الروم بعمود خيمتها. وعاشت بعد اليرموك دهرا، ودفنت بمقبرة باب الصغير بدمشق.

آصف بن برخيا

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل: 40].
هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا، وكان صِدِّيقًا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وإذا سُئل به أعطى. وهو رجل مؤمن من أتباع نبي الله سليمان عليه السلام، وهو من المعجزات التي أيد الله بها نبيه سليمان، فعندما أراد إحضار عرش بلقيس، طلب من حاشيته أن يحضروا عرش الملكة بلقيس قبل قدومها: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[النمل: 38]. فتولى الاجابة عفريت من الجن: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[النمل: 39]. ولكن الرجل الصالح أعطاه الله قدرة أكبر من الجني، فعرض رأيه قائلا: ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: 40].

وقام الرجل الصالح (**آصف**) بالدعاء، واختلف في صفة الدعاء، فما روي عن عائشة قالت: قال: **يا حي يا قيوم.** وروي عن الزهري قال: دعا الذي عنده علم من الكتاب: **يا إلهنا وإله كل شيء إلاهًا واحدا، لا إله إلا أنت ائتني بعرشها.** وقال مجاهد: قال: **يا ذا الجلال والإكرام.**

ولما أتم الدعاء حضر العرش في لمح البصر، وهذا جعل سليمان يشكر الله، فعندما رأى العرش مستقرا عنده، وقد حمل على جناح السرعة عبر الأثير من اليمن إلى فلسطين، وفي مدة يسيرة، قال سليمان عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠ ﴾[النمل: 40].

المؤتفكة

﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ ﴾[النجم: 53-54].

إئتفك: أي إنقلب، يقال إئتفكت بهم: إنقلبت بهم، وصار عاليها سافلها، ويقال أفكته أي قلبته وصرفته. وهي في القرآن مدائن قوم لوط عليه السلام، وهي بلدة سدوم وعامورة، وقال محمد بن كعب القرظي: خمس قرى: صبعة، وصعرة، وعمرة، ودوما، وسدوم، وهي القرية العظمى. وقيل غير ذلك في تعيين عددها وأسمائها. وقد إئتفكت بهم أي إنقلبت وخسفت وصار عاليها سافلها، بعد ان أرسل اليهم الله جبريل فرفع تلك القرى إلى السماء ثم أهوى بها إلى الأرض: ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ ﴾[الحاقة: 9-10]. وقد أهلكهم بسبب كفرهم وعتوهم وكثرة معاصيهم، فعاقبهم الله بعذاب شديد كان من جنس عملهم، فأفناهم عن آخرهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر بحالهم.

آل ياسين

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠ ﴾[الصافات: 130].

وهم قوم نبي الله " إلياس"، ويسمى أيضا "ياسين" فهو إسم أعجمي وقع فيه تحريف لمَّا عُرِّب، كما قال إبن جني: " العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبًا، فياسين وإلياس والياسين شيئ واحد". وكان قوم إلياس (آل ياسين) سبطا من بني إسرائيل، وكانوا وثنيين يعبدون صنما يدعى " بعلا "، فنزحوا إلى بلاد الشام، وعاشوا في المدينة المعروفة الآن باسم " بعلبك".

الياس عليه السلام

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿123﴾ [الصافات: 123].

ـ **نسبه:** ذكر علماء النسب عدة روايات في شأنه، فقالوا: هو إلياس النشبي، وقيل هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون، وقيل إلياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران.

وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وعاش في حدود القرن **التاسع ق م.** قال القرطبي: هو عم اليسع. وكان مستخفيا في جبل قاسيون المشرف على مدينة دمشق (وهو جبل مقدس، به مقبرة أهل الصلاح، ويحتوي عدة مغاور وكهوف، بها آثار الأنبياء.) وقد نزل إلى بعلبك (مدينة الشمس: هيليوبوليس) ، ودعا قومه إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأوثان، ولكنهم تمادوا في كفرهم، وأعرضوا عن الحق، وتمسكوا بالباطل، فكان جزاؤهم العذاب في الحياة الدنيا، ولعذاب الاخرة أشد: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿123﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿124﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿125﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿126﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿127﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿128﴾ ﴾[الصافات: 123-128].

وقد أكرم الله نبيه إلياس، فجعل له ذكرا حسنا عند المؤمنين برسالته السماوية، وهو ذكر خالد إلى يوم القيامة، وذلك خير جزاء للمحسنين من عباد الله المؤمنين الصادقين. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿129﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿130﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿131﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿132﴾ ﴾[الصافات: 129- 132]. وكان موته في بعلبك.

اليسع عليه السلام

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿86﴾ ﴾[الأنعام: 86].

وهو من أنبياء بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿48﴾ ﴾ [ص: 48]. ويقال هو إبن عم إلياس، قال ابن عساكر: هو الأسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وعاش في حدود القرن **التاسع ق م.** وكان اليسع رفيق إلياس في الغار، ونزلا إلى مدينة بعلبك وعاشا معا في رحاب الدعوة، وأقتسما محنها وتحملا تبعاتها، وبعد وفاة إلياس تحمل اليسع أمر الدعوة وفق منهاج إلياس وشريعتة، وكثرت في عهده الخطايا. وبعد موته في

مدينة بعلبك، إزدادت المعاصي والفتن والطغيان في الأرض الذي أودى بحياة الأنبياء واستمر ذلك الوضع إلى عهد ذي الكفل عليه السلام.

إمـام

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴿١٢٤﴾ ﴾[البقرة: 124].

الإمام في الإسلام: هو القدوة الحسنة للناس، يتبعونه في الأقوال والأفعال، وأنبياء الله هم قدوة البشر في الخير والصلاح، ومنهم أبوالأنبياء إبراهيم كما أشارت الآية، وكل ذريته الصالحين من بعده: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الأنبياء: 72-73]. وقد من الله على المستضعفين من بني إسرائيل، فنجاهم من مكر فرعون وجعل منهم أئمة الخير: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾[القصص: 5]. وقد نبه الله قريشا في حينها، والمسلمون من بعدها أن من مستلزمات الإمامة الصبر على تحمل المشاق في سبيل الله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة: 23-24].

وكل مسلم يستقيم على الصرط السوي يكون قدوة في الخير، وهو الدعاء الخالد الذي علمه الله لعباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان: 74]. وقد جسد الإسلام الإمامة في أهم شعيرة تعبدية وهي الصلاة، وجعل أعلى مراتبها الإمامة العظمى (الخلافة) ، وهي تجسد نظام الحكم في حياة المسلمين.

ومن معاني الامام: القدوة السيئة وتطلق على " **أئمة الكفر** "قال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[التوبة: 12]. قال قتادة وغيره: أئمة الكفر كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف وعدّدَ رجالاً. وتبقى الآية نعتا على كل القادة من أهل الكفر والضلال في كل زمان. ويوم القيامة يكون كل كافر إمام قومه في الضلال فيسوقهم معه إلى جهنم وبئس المهاد: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[القصص: 41].

النبي الأمـي

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: 158].

النبي الأمي: هو سيد المرسلين **محمد بن عبد الله** صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، أرسله ربه للناس أجمعين، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، قال ابن عباس: كان نبيكم أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ [العنكبوت: 48].

وأمية الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة في الإعجاز والتحدي لقومه، ولكن النبي الأمي جاء إلى الناس أجمعين بكلمة: **(اقرأ)** لأن هذا الدين يقوم على العلم ويجعله عبادة لله.

أمـيـون

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ [البقرة: 78].

***الأميون:** جمع أمي وهو الإنسان الذي لا يعرف الكتابة، وهم قوم من أهل الكتاب، غلب عليهم الجهل فأعمى أبصارهم، فلم يتفهموا ما في التوراة، بل تعلقوا بالأماني الكاذبة التي منَّاهُمْ بها الأحبار، ومنها أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة، وأن الله سيعفو عنهم ويرحمهم، ويشفع فيهم الأنبياء، لأنهم أبناء الله وأحباؤه، إلى غير ذلك من الأماني الفارغة التي مبعثها الجهل المركب من السفه، والغرور، والغلو، والتمادي في الباطل والإصرار عليه، والتقليد الغبي للآباء والأجداد.

***الأميين:** هم اليهود والنصارى والوثنيين، الذين بُعِثَ لهم محمد صلى الله عليه وسلم هاديا وبشيرا ونذيرا، ولكن أكثرهم أصروا على الباطل فأمرهم إلى الله. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾ [آل عمران: 20]. روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا: أسلمنا فقال عليه السلام لليهود: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله. فقالوا: معاذ الله، فقال للنصارى: أتشهدون أن يكون عيسى عبد الله ورسوله. فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا وذلك قوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾ [آل عمران: 20].

* **الأميين:** هم العرب، وسموا بهذه التسمية لأنهم لا يقرؤون ولا يكتبون، وقد اشتهرت فيهم الأمية حتى قال عليه الصلاة والسلام: (**نحن أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب**) رواه **البخاري ومسلم**. وكان من طبيعة اليهود المتأصلة فيهم ـ الخيانة ـ وهم يزعمون أن الله أباح لهم أموال الأميين، لأن اليهود أحب إلى الله، فميزهم وجعل الناس عبيدا لهم، فأباح لهم أموال كل من خالف دينهم وهو افتراء باطل، وقد فضحهم الله إلى يوم الدين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿75﴾ ﴾[آل عمران: 75].

أمية بن خلف الجمحي

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿28﴾ ﴾[الكهف: 28].

هو أمية بن خلف بن حذافة بن جمح القرشي، أخو أبي بن خلف المتقدم الذكر. وكان من سادة قريش وأشرافها، وشارك في كل المؤامرات التي دبرت للنبي وأصحابه، وعرف بشدة عداوته للإسلام والمسلمين.

وكان بلال بن رباح الحبشي أحد مواليه، فلما أسلم بلال ذاق من أمية أشد أنواع العذاب، فكان يضع في عنقه حبلا، فيطوف به الصبيان في مكة، وكان الحبل يخنقه حتى يترك في رقبته أثرًا، وكان يضربه بالعصا، ويجوعه، ويخرجه في وقت الظهيرة إلى بطحاء مكة ويلقيه فوق رمالها الملتهبة، ويضع على صدره صخرة كبيره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى فيقول بلال ـ رغم العذاب، وبكل عزة ـ **أحدُ، أحدْ**، ومر به أبو بكر الصديق، فاشتراه وأعتقه.

ودعا أمية النبي صلى الله عليه وسلم، بإبعاد الفقراء، وتقريب عظماء قريش من أهل مكة، فأمر الله نبيه برفض عرضه الفاسد، لأنه ختم على قلبه بالكفر، والمشرك لا قيمة له عند المسلم، ونزل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿28﴾ ﴾[الكهف: 28].

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل كان أمية كلما رأى رسول الله تعرض له بالهمز (وهو الطعن في عرضه، واغتيابه) ، واللمز (وهو الذي يعيب الناس بالنيل منهم سرا بالحاجب والعين). قال ابن إسحاق: " كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمَزَهُ، وَلَمَزَهُ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿1﴾ ﴾[الهمزة: 1]. السورة بأكملها. وذكر آخرون: ولعل ذلك ينطبق على جمع من المشركين، اتفق كيدهم على المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي نجاه الله، ورد مكرهم إلى نحورهم. وتلك عاقبة المفسدين.

وكان في موت أمية بن خلف، عبرة لكل ظالم: وحدث ذلك يوم بدر، عندما كان أمية واقفا مع ابنه علي بن أمية، فرأى عبد الرحمن بن عوف ـ وكان صديقه في الجاهلية بمكة ـ فدعاه إلى أخذه أسيرا حتى ينجو من القتل المحتم في المعركة، وأغراه بفدية الإبل الكثيرة، فاستجاب لهما ـ قال عبد الرحمن: فو الله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان أمية هو الذي يعذب بلالا بمكة، فقال بلال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قلت: أي بلال، أسيري قال: لا نجوت إن نجا. قلت: أتسمع يا ابن السوداء. قال: لا نجوت إن نجا. ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة، وأنا أذب عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، فقلت أنج بنفسك، ولا نجاء بك، فو الله ما أغني عنك شيئا. عندئذ ضربوهما بأسيافهم حتى قتلوهم. فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالا، ذهبت أدرعي، وفجعني بأسيري.

وكان قتله يوم بدر يوم **17** رمضان سنة **2** هـ. ولما انتهت المعركة أمر النبي صلى الله عليه وسلم برمي المشركين في القليب، وكان أمية بن خلف قد انتفخ في درعه فملأها، فلما حركوه وجدوا لحمه يتساقط، فتركوه في مكانه ودفنوه بالتراب والحجارة.

وصدق الله لما قال: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ [الأنعام: 95]. قال ابن عباس: **يخرج المؤمن من الكافر**. وهذا ما حدث لولده صفوان بن أمية بن خلف، بعد إسلامه:

ـ **صفوان بن أمية:** كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وأحد المطعمين، فكان يقال له سداد البطحاء، وكان من أفصح قريش.

وكان شديد العداوة للمسلمين في مكة، وبعد الهجرة فقد اتفق مع عمير بن وهب على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وأغرى عميرًا عندما تكفل له بقضاء دينه ورعاية أهله في غيبته، ولكن عميرا أسلم. واستمر صفوان في كيده إلى يوم الفتح، فبقي يحارب مع بعض سفهاء قريش، فلقيهم خالد بن الوليد في الخندمة ففروا هاربين، وخاف صفوان على نفسه من القتل ـ لأنه أحد زعماء قريش ـ فهرب إلى ساحل البحر، فطلب له الأمان من رسول الله صديقه عمير بن وهب، فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم، وأعطى عمامته التي دخل بها مكة لعمير حتى تكون علامة ضمان، ودخل صفوان على النبي صلى الله عليه وسلم، وطلب منه مهلة قبل إسلامه، حتى يفكر، فأعطاه أربعة أشهر، وخرج صفوان مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة حنين، وعندما كان يقسم الغنائم كان صفوان ينظر إلى الوادي المليء بالشياه والأنعام، والرسول يراقبه، ثم قال له: يعجبك هذا؟ قال نعم. قال: هو لك. فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. وبعد إسلامه أقام بمكة، فقيل له: من لم

يهاجر هلك ولا إسلام لمن لا هجرة له. فقدم صفوان المدينة مهاجرا، فنزل على العباس بن عبد المطلب، فذكر ذلك لرسول الله فقال: **لا هجرة بعد الفتح**. فقال له: على من نزلت؟ قال: على العباس، فقال: نزلت على أشد قريش لقريش حباً. ثم قال له: ارجع أبا وهب إلى أباطح مكة فقروا على سكناكم. فرجع صفوان وأقام بمكة حتى آخر حياته. وعاش صفوان في الإسلام مجاهدا حتى توفاه الله، وكان ذلك في حدود خلافة معاوية **سنة 42هـ**.

أنس بن النضر الأنصاري

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: 23].

هو أنس بن النضر بن ضمضم بن يزيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي، وهو عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم، وبه سمي أنس.

آمن أنس بن النضر في وقت مبكر، وله شرف النسب، لأنه من بني النجار أخوال النبي صلى الله عليه وسلم وقد أكرمه الله لصدق إيمانه، باستجابة الدعاء، والشهادة في سبيل الله. وهو من النفر الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: " **إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره** ". رواه **الترمذي**.

وفي يوم أحد مر أنس بن النضر على قوم وقد أذهلتهم إشاعة مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فألقوا بسلاحهم. فقال لهم: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله. فقال: يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قُتل عليه وموتوا على ما مات عليه.

وعن أنس بن مالك عن عمه أنس بن النضر، قال: غاب عمي عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: أي سعد هذه الجنة ورب أنس أجد ريحها دون أحد. قال سعد بن معاذ: فما استطعت ما صنع فقاتل. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفته إلا أخته " **الرُبيع بنت النضر**" ببنانه. قال انس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: 23]. فكان استشهاده يوم أحد وهو يوم الجمعة **15** شوال **3 هـ**.

أهل الكتاب

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾[آل عمران: 64].

وهم اليهود والنصارى عموما، فقد أنزل الله على الأنبياء الكتب السماوية المطهرة، وتحتوي العقائد والأحكام الشرعية، ومنها:

*التوراة: ومعناها الضياء والنور: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الأنبياء: 48]. ويعني التوراة، وهو كتاب اليهود الذي أنزل على موسى عليه السلام.

*الإنجيل: ومعناه البشارة، أو الإخبار بالخير، وهو الكتاب المقدس الذي أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[المائدة: 46].

وكلما ذكر أهل الكتاب فالمقصود بهم أتباع موسى من اليهود، وأتباع عيسى من النصارى. ووصفهم في مواضع أخرى بعبارات أخرى:

* ﴿ الَّذِين أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾: وهم اليهود الذين ترك أحبارهم وعلماؤهم التوراة واعرضوا عنه لأن فيه صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[البقرة: 101]. وقد يقصد به اليهود أيضا كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴿١٨٧﴾ ﴾[آل عمران: 187].

وقد يقصد به اليهود والنصارى مثل اعتقادهم في قبلة المسلمين: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[البقرة: 144].

* ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ. ﴾ وهم اليهود والنصارى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴿١٢١﴾ ﴾[البقرة: 121].

وقد يعني بهم ممن آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي وأصحابه، يفرحون بما أنزل من القرآن كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ ﴿٣٦﴾ ﴾[الرعد: 36].

* ﴿الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباًمِّنَ الْكِتَابِ﴾ ووصفهم به في ثلاث مواضع، وهم:

- اليهود والنصارى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿23﴾﴾[آل عمران: 23].

- أحبار اليهود: الذين يختارون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿44﴾﴾[النساء: 44].

- اليهود: الذين يؤمنون بالأوثان وكل ما يعبد من دون الله، ويقولون لكفار قريش أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿51﴾﴾[النساء: 51].

أوس بن ثـابت الأنصاري

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴿7﴾﴾[النساء: 7].

هو أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. وهو اخو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. شهد بيعة العقبة، وشارك مع النبي صلى الله عليه وسلم، في غزوة بدر وأستشهد في غزوة أحد. وقيل شهد المشاهد كلها مع رسول الله، وعاش بعده مدة.

وترك بعده امرأة يقال لها أمُّ كُحَّة، وثلاث بنات (وقيل ثلاث: بنتان وولد صغير) ، فقام رجلان من أبناء عمه يقال لهما: سويْد، وعرفجة، فأخذا ماله باعتبار الوصية، حسب العرف الجاهلي، ولم يعطيا لامرأته وبناته شيئا، لأنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون الأنثى، ولا الصبي الصغير وإن كان ذكرا، فيكون الإرث مقصورا على الرجال الكبار، وكانوا يقولون: " لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وحاز الغنيمة". فجاءت أم كُحَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن أوس بن ثابت مات وترك عليّ بنات، وأنا امرأة، وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالاً حسنًا، وهو عند سويد، وعرفجة، لم يعطياني، ولا بناته من المال شيئا، وهن في حجري، ولا يطعماني ولا يسقياني، ولا يرفعان لهن رأساً، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرسًا، ولا يحمل كَلاًّ، ولا ينكي عدوًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن، فانصرفوا، فأنزل الله آية كريمة أعطت الحق للمرأة والصبي وجميع أهل بيت الميت، مهما كان

مال الميت قليلاً أو كثيرًا، ولكن يقسم المال وفق أنصبة عادلة بينها في القرآن. والآية المنزلة في حقههم قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النساء: 7]. وقد توفي أوس بن ثابت ـ على القول الثاني ـ في خلافة عثمان بن عفان بالمدينة المنورة.

أوس بن الصامت

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ۝١﴾ [المجادلة: 1].

هو أوس بن الصامت بن قيس بن احرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم وهو قوقل بن عوف بن عمروبن عوف بن الخزرج الأنصاري، وهو أخو عبادة بن الصامت، وقد شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله.

وقد وقع بينه وبين زوجته (خولة بنت ثعلبة) خلاف فقال لها أنت علي كظهر أمي، وخرج إلى نادي قومه ومكث ساعة ثم رجع إلى زوجته وكأن شيئا لم يكن، وأرادها عن نفسها، فقالت زوجته: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. وقيل أن أوساً ندم وقال لامرأته: انطلقي إلى رسول الله فَسَليهِ.

فأتت خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي وتشكو إليه حالها وسوء خلق زوجها وتقول: يا رسول الله أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، وإنا إن افترقنا هلكنا.. اللهم إني أشكو إليك. فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يجادلها فيه ويقول لها: " يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه.

" فأنزل الله فيهما صدر سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة: 1-4].

ثم قال لها النبي صلى الله علي وسلم: مريه فليعتق رقبة، قالت: ما عنده ما يعتق. قال: فليصم شهرين متتابعين، قالت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا وسقاً من تمر، فقالت:

والله يارسول الله ما ذاك عنده، فقال صلى الله عليه وسلم: فإنا سنعينه بفرق من تمر، فقالت خولة: وأنا سأعينه بفرق آخر. حينئذ قال صلى الله عليه وسلم: قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا. فكفر أوس بتلك الصفة وراجع زوجته.

وعاش أوس بن الصامت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم زمنا مديدا، وسكن في آخر حياته في بيت المقدس وتوفي بالرملة من أرض فلسطين سنة**34هـ** وعمره آنذاك نحو **72 سنة،** ومات أخوه عبادة أيضا بالرملة وقيل ببيت المقدس.

أولـوا العـزم

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿35﴾ [الاحقاف: 35].

وهم على أشهر الأقوال خمس من الأنبياء، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام، وسموا كذلك لأن عزائمهم كانت قوية، وتعرضوا للإبتلاء الشديد، فصبروا على تبعات الدعوة، وجاهدوا في الله حق جهاده. وذكرهم الله في آيتين من كتابه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿7﴾ ﴾[الأحزاب: 7].

وورد في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿13﴾ ﴾[الشورى: 13].

أصحـاب الأيكـة

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿78﴾ ﴾[الحجر: 78].

الأيكة: هي الشجر الكثير الملتف، وقيل هي القرية الملتفة الشجر بالقرب من مدين. وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام، وكانوا أصحاب رياض وبساتين وشجر مثمر، وماء متدفق، وأراض خصبة، فقد بسط الله لهم الرزق الحسن (**الرخاء الإقتصادي**) ، وذلك يقتضي التواضع والشكر، ولكنهم قابلوا تلك النعم بالظلم، وكان ظلمهم الشرك بالله، وقطع الطريق، ونقص المكيال والميزان (**الفساد الإقتصادي**). وكانوا يعبدون الأيكة من دون الله، ولهذا قال سبحانه: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿176﴾ ﴾[الشعراء: 176].

ولما دعاهم شعيب إلى الحق كذبوه، وسألوه أن يدعوا ربه أن ينزل عليهم عذابا من السماء إن كان صادقا. فسلط الله عليهم الحر الشديد، فضاقت أنفسهم من ذلك الضغط، وخرجوا إلى الصحراء لعلهم يستنشقوا النسيم المنعش، فأظلتهم سحابة فاستبشروا خيرًا واجتمعوا تحتها، ولكن الله جعلها مكان هلاكهم، فأخذت السحابة بأمر الله ترميهم بالشهب والصواعق حتى هلكوا عن آخرهم، وكان يومهم عصيبا، وجعله الله عبرة للمكذبين. قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿186﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿187﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿188﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿189﴾ ﴾[الشعراء: 186-189].

أيـوب عليه السلام

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿163﴾ ﴾ [النساء: 163].

ـ **نسبه:** هو نبي الله أيوب، قال ابن عباس: سمي أيوب لأنه آب إلى الله تعالى في كل حال. وَذُكِرَ في نسبه الكثير، فقيل هو أيوب بن موص بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. وقيل هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب. وذكر القرآن أنه من ذرية إبراهيم:

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿84﴾ ﴾ [الأنعام: 84]. قال ابن كثير: فالصحيح أنه من سلالة العيص بن إسحاق. وقد عاش ما بين القرنين **16 ـ 15 ق م.**

ـ **مكانة أيوب وصفاته:** وكان أيوب رجلا ثريا، وهبه الله من كل أصناف المال، من الأنعام والمواشي والأراضي المتسعة، والعبيد، وكانت إقامته في أرض عوص، وهي جزء من جبل عسير، أو بلاد آدوم، جنوب غرب البحر الميت، شمال خليج العقبة. ويحدده ابن كثير في أرض (البَثَنِيَّة) من أرض حوران، ويحددها ياقوت الحموي بين دمشق وأذرعات. وكان أيوب عليه السلام رجلا تقيا رحيما بالمساكين، يرعى الأيتام، ويسعى على الأرامل، ويكرم الضيوف. وإذا أراد حاجة سجد لله وطلبها. وأكرمه الله بالنبوة:

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

﴿وَيَعۡقُوبَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: 163]. فكان يدعوا قومه إلى توحيد الله وعبادته وقيل لم يؤمن به إلا ثلاثة نفر.

ـ **أنواع البلاء في حياة أيوب**: ابتلى الله أيوب عليه السلام بشتى أنواع البلاء، ففقد ماله كله، وسلب نعمة الأبناء فماتوا عن آخرهم، وأصيب بمرض شديد عزله عن الحياة، ولكن الله ألهمه الصبر رغم طول الإبتلاء الذي دام نحو **18 سنة**، وهذا الإبتلاء فيه حكمة ربانية، لا يدرك كنهها إلا أهل الصلاح لأنها لهم منحة في قالب محنة. قال صلى الله عليه وسلم: (**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**) رواه **الترمذي**.

وروي أن زوجته قالت: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك، فقال لها: عشت سبعين سنة صحيحا، فهو قليل لله ان اصبر له سبعين سنة. وظل صابرا حتى ضرب به المثل في الصبر فقيل (**صبر أيوب**) وروي أنه كان كلما اصابته مصيبة، يستعين بالدعاء قائلا:) **اللهم أنت اخذت وأنت أعطيت**) ، وكانت زوجته ترعاه وتسهر على خدمته، وتسعى على الرزق بالعمل وتحمل المشاق. كما أوذي من قومه بالكلام، عندما مر به ملأ من قومه فقالوا: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، وازدادت وساوس الشيطان عليه، فمرة يأتيه من قبل مرضه، فيعظم له ما نزل من البلاء، ويقنطه من رحمة الله، ويفتح له باب الجزع، فدعا ربه قائلا: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء: 83]. وجاءه الشيطان مرة أخرى من قبل زوجته فوسوس لها ليرهق بها أيوب، فأتاها في هيئة عظيمة وأخبرها أنه إله الأرض، وهو الذي صنع بأيوب ذلك فإذا سجدت له سجدة واحدة، فإنه يخلصه ويشفيه مما هو فيه، فأعرضت عنه ولكنها أخبرت أيوب بذلك فاغتاض وأقسم ليضربنها إذا عافاه الله، وقيل أن الشيطان جاءها في صورة طبيب وصف لها دواء لأيوب، فلما أخبرته عرف أنه الشيطان فأقسم ليضربنها مائة سوط. وحينئذ دعا ربه متضرعا أن يكشف عنه البلاء، ويذهب عنه كيد الشيطان، فاستجاب له ربه، إنه سميع بصير: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ [ص: 41-42].

ـ **تفريج الله البلاء عن أيوب**: وشفى الله أيوب بقدرته، فكان أمره يسيرا، فأمره أن يضرب الأرض برجله، فامتثل للأمر، فنبعت عين ماء بارد، فأمره سبحانه أن يغتسل ويشرب منها، ففعل ذلك فشفاه الله من مرضه الظاهر والباطن. وزاده إكراما على صبره فأحيا له اهله، وجمع شمل من تشتت منهم، واصلح حالهم ومتعه، وأخلف عليه المال الوفير من الذهب والفضة، والأنعام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣﴾ [ص: 43]. وجعله آية للناس، وذكرى حسنة تجلى

فيها رحمة الله بعبده الصابر المحتسب، الذي أثنى عليه ثناء حسنا، ونوه بصبره ليكون قدوة طيبة عبر الأجيال، وقد مَثَّلَ العبودية في أصدق معانيها بالتوبة المستمرة والإنابة إلى الله والتذلل إليه. قال مجاهد: (أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء، وبيوسف عليه السلام على الأرقاء، وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء).

وتوفي أيوب عليه السلام لما بلغ (93) سنة، وقيل عاش زمنا أطول من ذلك. وأوصى إلى ولده حومل، وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب، وهو الذي يزعم بعض أهل الأخبار أنه ذو الكفل.

زوجة أيوب: (رحمة)

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: 44].

أختلف في اسمها على عدة أقوال، فقيل هي **رحمة** بنت إفرائيم، وقيل **ليا** بنت يعقوب، وقيل **منشا** بنت يوسف بن يعقوب. أو ماخير بنت منسا بن يوسف. وكانت مثالا للزوجة الصالحة، التي تعرف الوفاء وتعيش لزوجها خادمة طول حياتها، وخاصة في زمن المرض والشدة. لأنها كانت تبذل كل ما تملك من جهد لإرضائه، ولما ضعف حالها وانعدم المال، عملت عند الناس بأجر حتى توفر له الطعام. ولكن القوم رفضوا عملها، فباعت لإحدى بنات الأشراف ضفيرة شعرها بطعام طيب كثير، فأنكره أيوب، فأخبرته أنه مقابل العمل الذي قامت به، وباعت الضفيرة الثانية في اليوم الموالي، فأنكره ومازال يلح عليها حتى كشفت عن خمارها فرأى صنيعها بشعرها المحلوق ـ وكان شعرها قبل ذلك في غاية الجمال ـ عندئذ دعا ربه أن يكشف عنه الضر. فشفاه الله وعافاه، حينئذ أراد أن يبر بقسمه، لأن زوجته ـ رحمة ـ أثناء مرضه ذهبت لحاجة فأبطأت عليه، فأقسم عند شفائه أن يضربها مائة سوط. ولكنها كانت نعم الزوجة في خدمته، فألهمه الله وخفف عنهما الوزر، وأمره أن يبر بقسمه بأخذ حزمة من حشيش أو ريحان، ويضربها به ضربة واحدة، وبذلك أَبَرَّ بقسمه، وتحلل من يمينه، وأرضى ربه. وأشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: 44].

﴿ حرف البـاء ﴾

بـاب القـريـة

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿58﴾ ﴾[البقرة: 58].

الراجح أن القرية المقصودة بالدخول هي بيت المقدس، فقد أمر الله بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر أن يدخلوا إلى فلسطين مع نبيهم موسى ـ لأنها ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل (يعقوب) ـ ومقاتلة قومها العمالقة، ولكنهم خافوا وتخلوا عن الجهاد، فكتب الله عليهم التيه بعد موسى مدة أربعين سنة، وبعدها نشأ جيل جديد، بقيادة يوشع بن نون، الذي تمكن من فتح البلدة، ودخلوها من بابها الذي يدعى باب الحطة، وقيل هو باب جهة القبلة التي كان يصلي إليها موسى وبني إسرائيل. وأمرهم أن يدخلوها متواضعين ويسجدوا عند الدخول كما أمرهم المولى، ويعبروا بذلك عن الطاعة والتواضع والخشوع، وأن يقولوا حال دخولهم: " **حطة** " أي يا رب حط عنا الذنوب، واغفر لنا الخطايا، وتجاوز عن معاصينا، ولكنهم خالفوا أمر الله ودخلوا يزحفون ويقولون:

" حنطة في شعرة " سخرية واستهزاء بأوامر الله، فأرسل الله عليهم عذابا شديدا وهو " الطاعون" الذي قتل منهم (24 ألف) في ساعة واحدة، وقال سبحانه: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿162﴾ ﴾[الأعراف: 162].

أبـواب مـصر

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴿67﴾ ﴾[يوسف: 67].

كان لمصر في زمن يوسف، أربعة أبواب، ولما أرسل يعقوب أبناءه من فلسطين إلى مصر، يطلبون الطعام؛ كان عددهم (11 رجلا) ، وتوجس خيفة أن تصيبهم العين في حال دخولهم متجمعين، فأمرهم أن يدخلوا متفرقين من عدة أبواب حتى لا يتسببوا في إيذاء أنفسهم بالحسد، لأن العين حق، والاحتياط منها مشروع في الدين.

بـابــل

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ ﴿102﴾ ﴾[البقرة: 102].

بـابل: هي أكبر وأشهر مدن الشرق القديم، وهي من مدن العراق، قال ياقوت: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر. ويقال: إن أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، ونزلها بعد الطوفان، فسار إليها مع من كانوا معه في السفينة طلبا للدفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا، وملكوا عليهم ملوكا، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، إلى ما وراء الكوفة، وموضعهم الذي يقال له السواد. وقد ازدهرت فيها الدولة البابلية الأولى في حدود **الألف 2 ق م.** وحلت محل سومر وأكاد، وبلغت عصرها الذهبي مع المشرع الكبير حمورابي **1711 ـ 1669 ق م.** ثم تغلب عليها الحِثّيون والأشوريون. وظهرت فيها الدولة البابلية الثانية **626 ــ539 ق م**، وأشهر ملوكها نبوخذ نصر2. وقد دمرها سنحاريب الأشوري **689 ق م.** وأعاد بناءها أسرحدون. واحتلها ملك الفرس قورش **539 ق م.** والإسكندر **331 ق م.** وفيها توفي.

الشـانئ الأبـتـر

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿3﴾ ﴾[الكوثر: 3]

كانت قريش تقول، إذا مات ذكور الرجال: بتر فلان. فلما مـات أولاد النبي صلى الله عليه وسلم، كان السفهـاء من قريش: من أمثال العاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، وأبي لهب، وأبي جهـل، وغيـرهم، يسخرون ويستهزئون ويقولون عن النبي صلى الله عليه وسلم: إنه أبـتر. وقال أحدهم: دعـوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهي أمره، فأنزل الله فيهم جميعا سورة الكوثر، تبين أن الأبتر الحقيقي هو كل مستهزئ شانئ، وإن كان له أولاد، لأن ذكره سوف ينقطع وإذا ذكر تتبعه لعنات المؤمنين. أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ذكره خالد أبد الدهر، مرفوع في كل حين على المآذن والمنابر، مقرون بذكر الله، وممجدُ في القرآن الكريم الذي يتعبد بتلاوته، وتعتبر الصلاة عليه كلما ذكر طاعة وقربة لله تعالى. بل إن ذكره مرفوع حتى يرث الله الأرض وما عليها، قال سبحانه: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿4﴾ ﴾[الضحى: 4]. وقالَ قَتَادَة رَفَعَ اللَّه ذِكْره فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَلَيْسَ خَطِيب وَلَا مُتَشَهِّد وَلَا صَاحِب صَلَاة إِلَّا يُنَادِي بِهَا أَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّه، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدحه صلى الله عليه وسلـم:

وَضَمَّ الْإِلَهِ اِسْمِ النَّبِيِّ إِلَى اِسْمِه * إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّن أَشْهَد
وَشَـــقّ لَـهُ مِـــنْ اِسْمِه لِيُجِلَّهُ * فَـذُو الْعَرْشِ مَحْمُود وَهَذَا مُحَمَّد

البحـــر

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿12﴾ ﴾[الجاثية: 12].

سخر الله البحار لعباده، وجعل لهم فيها منافع كثيرة، ندركها في محلها، ومنها:

ـ فهي طريق ممهد للسفن التي تحمل الإنسان ومتاعه، وتوفر له منافع جمة: ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴿164﴾ ﴾[البقرة: 164]. وقال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴿32﴾ ﴾ [إبراهيم: 32]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿70﴾ ﴾[الإسراء: 70].

ـ وجعل الله في البحر رزقا حسنا لعباده، ولحما طريا من الأسماك وسائر الكائنات البحرية: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴿14﴾ ﴾[النحل: 14]. وقال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴿96﴾ [المائدة: 96].

ـ كما جعل في البحر كنوزا كثيرة، وأهمها اللؤلؤ والمرجان: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿22﴾ ﴾[الرحمن: 22]. وهذه الجواهر من الزينة والحلي التي يرتديها الإنسان: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴿12﴾ ﴾[فاطر: 12].

وتكون هذه البحار يوم القيامة آية وعلامة دالة على تغير في الكون الفسيح، فتتفجر مياهها، ويختلط الماء العذب بالمالح، وتصير بحرا واحدًا: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿3﴾ ﴾[الانفطار: 3]. ثم تتحول مياهها إلى نيران ملتهبة: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿6﴾ ﴾[التكوير: 6].

أما البحار المحددة في القرآن في سياق القصص القرآني، وعند ذكر الحوادث العابرة، هي:

ــ **المحيط الهادي:** وعبر عنه بالبحر اللجي (أي العميق): ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴿40﴾ ﴾[النور: 40].

ــ **البحر الأحمر:** وذكر كثيرا في قصة موسى وبني إسرائيل: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴿138﴾ ﴾[الأعراف: 138]. فعندما وصل موسى إلى حافة البحر الأحمر، وكان مطاردًا من فرعون

وجنوده، أمره الله بضرب البحر بالعصا: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ (63) ﴾[الشعراء: 63]. وتحول البحر إلى طريق يابس في عمق البحر، فعبر بنو إسرائيل بسلام، وأغرق الله فرعون وجنوده، لأن الله أمر البحر أن يعود كما كان في الأصل: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (90) ﴾[يونس: 90]. كما يظهر في سياق قصة موسى مع فتاه يوشع بن نون، ذُكِرَ البحر الذي فقدا فيه الحوت، عندما كانا يبحثان عن الخضر عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا (61) ﴾[الكهف: 61]. والراجح أن موسى توقف عند البحر الأحمر، وبعد اجتماعه بالخضر بدأت الرحلة شمالا في البحر المتوسط وأطرافه في بلاد الشام.

كما ذكر البحر الأحمر في قصة أصحاب السبت (أهل أيلة) الواقعة على شاطىء البحر الأحمر: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ (163) ﴾[الأعراف: 163].

ـ **البحر الأبيض المتوسط:** تدل الأحداث الجارية في قصة موسى مع الخضر أن أصحاب السفينة كانوا يعملون في البحر المتوسط لأنه هو البحر الذي يربط بين مصر وسيناء وبلاد الشام وبلاد الشمال الإفريقي، قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ (79) ﴾[الكهف: 79]. وقال الثعلبي: وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس إلى بحر الروم.

البحر الأحمر: (بحر القلزم)

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا (90) ﴾[يونس: 90].

وهو بحر مستطيل ضيق متفرع من المحيط الهندي، ويمتد بين قارتي أفريقيا وآسيا، وتقع شبه الجزيرة العربية غربه ومصر والسودان إلى الشرق منه، ويتفرع منه شمالا خليجا العقبة والسويس.

ولما خرج موسي عليه السلام ببني إسرائيل، من مصر، لحق بهم فرعون وجنوده، فأدركوهم عند ساحل البحر الأحمر على خليج السويس، ولكن الله نصر نبيه موسى فأمره أن يضرب البحر بالعصا، فانفلق الماء كأنه جبل عالي الطرفين وتحول عمق البحر إلى ارض يابسة ممهدة للسير، وكان عبور موسى وأصحابه من شمال خليج السويس (**عيون موسى**) ، وقيل كان العبور من البحيرات المرة إلى الشمال من خليج السويس.

البحران

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾[الرحمن: 19-20].

البحران: ورد ذكرها في عدة آيات من القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ ١٢﴾[فاطر: 12]. وفي قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾[الرحمن: 19-20]. وهي ظاهرة طبيعية تدعى " ظاهرة التوتر السطحي " وتحدث عند اختلاط مياه مختلفة مثل ماء النهر العذب الذي يصب في البحر المالح، أو اختلاط ماء البحر بماء المحيط، ولكنهما لا يمتزجان بسبب اختلاف كثافة كل منهما، بل يحدث توترا في سطح كل منهما، فتتكون غلالة شفافة تفصل بين الكتلتين لا يمكن رؤيتها، وعبر عنها القرآن بالبرزخ والحاجز: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ ٦١﴾[النمل: 61].

وهو غشاء قوي لدرجة أنك لو وضعت عليه إبرة من الحديد فإنها لا تغوص في الماء، بل تطفو؛ ولذلك أوحى الله إلى عناكب البحر ومخلوقات مائية أخرى إلى استغلال ذلك في السير فوق سطح الماء دون أن تغرق بل دون أن تتبلل أرجلها، وأطلق العلماء على هذه الظاهرة مصطلح " المط السطحي" الذي يحول دون اختلاط الماء العذب بالماء المالح والزيت.

ويوجد في باكستان الشرقية نهران يسيران من" تشانغام " إلى مدينة " اركان " في بورما، وهما يسيران في نهر واحد ويوجد بينهما شريط من الماء الملحي، فيسير كل من الماء العذب والمالح في جانب دون اختلاط أو ذوبان. وفي الخليج العربي تندفع الأنهار الجوفية العذبة قرب قطر والبحرين في مياه الخليج المالحة دون أن يختلط أحدهما بالآخر. وعند التقاء نهر الكانج والجامونا في مدينة " الله أباد" يتحد النهرين مع بقاء غشاء التمدد السطحي فاصلا بينهما طوال مسيرتهما. وعند التقاء مياه نهر النيل بمياه البحر المتوسط المالح يندفع خط من الماء الحلو ويشق طريقه وسط مياه البحر المالحة دون أن يختلط بها، وتوجد أمثلة أخرى كثيرة على سطح الأرض.

والجدير بالذكر أن الظاهرة نشاهدها في التيارات البحرية الحارة مثل (تيار خليج المكسيك الدافئ) والباردة مثل (تيار لبرادور البارد) فهما يتجاوران في المحيط الأطلسي ولا يمتزجان.

مجمع البحرين

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿60﴾ ﴾ [الكهف: 60].

وهو الموقع الذي التقى فيه موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون، بالعبد الصالح (**الخضر عليه السلام**)، فقال قتادة وغيره: " هما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب"، وقال محمد بن كعب القرظي: " مجمع البحرين عند طنجة " ويعني بذلك بحر الزقاق (**مضيق جبل طارق**) ، ولكن الراجح من خلال أحداث القصة والأماكن القريبة من إقامة موسي عليه السلام، يكون الموضع في الشمال من البحر الأحمر، وإلى الجنوب من البحر المتوسط، فيتحدد موضع التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح، أو ما بين خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر، وهو الاحتمال الأقرب، والله أعلم.

بـــدر

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿123﴾ ﴾[آل عمران: 123].

بدر: هي قرية تقع جنوب غربي المدينة المنورة وتبعد عنها بنحو **160 كلم**، وهي ماء مشهور وبئر تاريخية، قال ياقوت: ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل ينسب لمن حفر البئر وهو بدر بن قريش.

وفي بدر وقعت أول معركة فاصلة في تاريخ المسلمين بقيادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وكانت غزوة بدر الكبرى صبيحة يوم الجمعة **17** رمضان السنة **2هـ** (**13** مارس **624 م**) وكان خروج المسلمين لمطاردة قافلة قريش، ولكنها أفلتت، وقدمت قريش إلى موضع بدر بجيش قوامه نحو (**950**) رجلا أكثرهم من قريش، ومعهم **مائتا** فرس وعدد كبير من الإبل، وكان عدد المسلمين نحو (**315**) رجلا من المهاجرين والأنصار، ومعهم **فرسان** فقط وسبعون بعيرا، ومع ذلك كان النصر حليف المؤمنين وعبر القرآن عن ذلك بقوله (أذلة) ومعناها قلة العدد والسلاح، أي ضعف الإمكانيات المادية والاستعدادات. ولكن الله عوضهم قوة الإيمان، ونصرهم على أعدائهم، واستشهد **14** مسلمُا فقط، بينما كانت الخسائر جسيمة عند قريش، حيث قتل منهم **70** رجلاً وأسر **70** رجلاً.

وقد ذكرت الغزوة في ثنايا سورة الأنفال، وأكدت الآيات على أمور هامة منها:

1) فُرض القتال لدحر الباطل ونصرة الحق: ولكن النفوس تمنت الحصول على القافلة والرجوع إلى المدينة، وذلك عرض زائل، ولكن القتال من أجل دحر الظالمين المعتدين أولى الأوامر: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ

ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾[الأنفال: 7].

2) **النصر من عند الله:** أما إنزال الملائكة يوم بدر، وسقوط المطر، والربط على القلوب، وتثبيت الأقدام، فكلها نعم من الله يعطيها للمؤمنين جزاء على صبرهم وصدقهم، ويحقق لهم ما تبتغيه نفوسهم وهو النصر المبين، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال: 9-11].

3) **تحويل الضعف إلى قوة بتوفيق الله وقدرته:** دعا الله المؤمنين أن يتذكروا كيف كانت حالتهم في مكة، فآواهم الله في المدينة ونصرهم على الأعداء (قريش) في بدر، ومكنهم من غنائمهم حلالا طيبا، ودعاهم إلى شكر تلك النعم الجليلة: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأنفال: 26].

4) **علاج الإختلاف في تقسيم الغنائم:** وبدأ بالدعوة إلى تمتين رابطة الأخوة، وإصلاح ذات البين: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[الأنفال: 1]. ثم حدد أحكام التقسيم، ومصارف الغنائم بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾[الأنفال: 41].

5) **تعليم المؤمنين سبل النصر:** ويتم بثبات المقاتلين في المعارك، والتآلف وترك النزاع، والصبر على القتال وتكاليفه، والتواضع لله تعالى، واخذ العبرة من قريش التي خرجت تفتخر متكبرة فهزمت شر هزيمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنفال: 45-47].

البـدو

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ١٠٠﴾ [يوسف: 100].

وهم أهل يوسف عليه السلام، كانوا أصحاب ماشية ويسكنون البادية، بموضع العربات من أرض فلسطين من غور الشام، وقيل كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حسمي، ويروى أن مسكن يعقوب كان بأرض كنعان، ثم تحول إلى البادية وسكنها. وإن الله لم يبعث نبيا من أهل البادية، وقال آخرون أنه كان خرج إلى بَدَا، واد ببلاد الشام، كما قال الشاعر:

وأنتِ التي حببتِ شغْبًا إلى بدَا * إليَّ وأوطاني بلاد سواهما

وليعقوب مسجد تحت جبل بهذا الموضع. وعلى هذا الرأي يكون المعنى مثلما يقال: بدَا القوم بدوًا إذا أتو بدًا. كما يقال غاروا غورًا ، أي أتوا الغور. والمعنى جاء بكم من سكان بدًا. قال ياقوت: بدَا واد قرب أيلة من ساحل البحر، وقيل: بوادي القرى، وقيل: بوادي عذرة قرب الشام.

وقيل أن يعقوب بقي مع يوسف في مصر بعد قدومه عليه **17** سنة ثم قبضه الله إليه. وقيل دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانا وخرجوا منها وهم ستمائة ألف.

وقد بين القرآن في موضع آخر ـ في أحداث غزوة الخندق ـ كيف تمنى المنافقون في المدينة الهروب إلى البادية خوفا من الموت إذا نشب القتال وهم لا يريدون الدفاع ولا البذل، لأنهم يتصفون بالخبث والخور والجبن فقال فيهم: ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠﴾ [الأحزاب: 20].

برصيـصا العابـد

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر: 16].

ومن ذلك الصنف **برصيصا العابد**، وهو راهب من بني إسرائيل عاش في زمن الفترة، وتعبد في صومعته سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت واحدة، وكانت بكرًا، وخرج البعث (البعثة الحربية للقتال) على ثلاثتهم، فاحتاروا عند من يأمنون على أختهم وقت غيابهم، فاجتمع رأيهم أن يتركوها عند عابد بني إسرائيل (برصيصا) ، وكان ثقة في أنفسهم، فلما طلبوا منه ذلك رفض تلبية رغبتهم، فلما ألحوا كثيرا وافق على تركها في بيت بالقرب من صومعته، ففعلوا ما أمرهم،

فمكثت الفتاة زمنا في جواره ينزل إليها بالطعام من صومعته، فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يناديها فتخرج من بيتها فتأخذ نصيبها من الطعام. فأتاه الشيطان متلطفًا، وزين له فعل الخير، وحذره من الخطر الذي يمكن أن يلحق بالفتاة عند خروجها نهارا لأخذ الطعام، فربما أبصرها أحد من الناس فيتعلق بها، فتقع الكارثة، فاقنعه بذلك، وبعد زمن جاءه مرة أخرى من مدخل الخير، وقال له لو تحمل التعب وتضع لها الطعام في بيتها يكون أجرك عظيما، ففعل الراهب ذلك مدة من الزمن حتى تعوَّد على تلك الحال، ثم جاءه الشيطان من باب الناصح الأمين، والمشفق على الفتاة الوحيدة في بيتها، فقال له: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، فأقنعه فكان يحدثها في بادئ الأمر من فوق صومعته، ثم عند باب صومعته وهي جالسة عند باب بيتها، وما زال يستدرجه ويزين له فعل الخير حتى صار يجلس قريبا من باب بيتها فيحدثها فتأنس لحديثه، وبطول الوقت نشأت علاقة بينهما، ثم أقنعه أخيرا أن يدخل إلى بيتها ويحدثها عن قرب لأن ذلك فيه الأنس والطمأنينة لنفسها، فلما إقترب منها أكثر زينها له الشيطان، فلم يتمالك العابد نفسه، ولم يتحكم في شهوته المثارة فلمس نخذها وقبلها، ثم أفضى الأمر إلى مواقعتها، فحملت منه، وولدت غلاما.

فجاءه الشيطان ونصحه بقتل الغلام حتى لا يفتضح أمره عند مجيئ إخوتها، فاستجاب لأمره فقتل الغلام، وبقي الشيطان يتلاعب به لأن برصيصا غفل عن العبادة، واستجاب لوساوس إبليس فلما ورطه لم يتفطن للمخرج من تلك المحنه وصار طوع أوامر الشيطان الذي نصحه في آخر الأمر بقتلها حتى لا تخبر إخوتها عند عودتهم فيفتضح أمره ويقتلوه، فنفذ ما أمره به، فقتلها ودفنها في حفرة إبنها وسوى عليها التراب، وصعد يتعبد في صومعته.

فلما رجع إخوتها من الغزو سألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكى لهم، وأثنى عليها خيرا وأرشدهم إلى قبرها، فزاروه عدة مرات ثم رجعوا إلى بيتهم، فلما جن الليل وأخذوا مضاجعهم وناموا أتى الشيطان إلى أكبرهم وسأله عن أخته فحكى له أمرها كما أخبرهم به العابد، فكذبه الشيطان وأخبره بالحقيقة وأرشده إلى مكان دفنها مع ولدها، ثم أتى إلى الأوسط، وأخبره، وإلى الصغير كذلك. فاستيقضوا متعجبين من الحلم المشترك، فتحاوروا طويلا ثم مضوا إلى البيت الذي كانت تقيم فيه وحفروا في نفس المكان الذي وصفه لهم ابليس فوجدوها مذبوحة مع إبنها في الحفرة، فأخبروا العابد فاعترف لهم بما فعل بهما إبليس.

وقد حكم على العابد المذنب بالصلب، فلما أنزل من صومعته، وسيق إلى خشبة الصلب أتاه الشيطان وقال له: قد علمت أني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وذبحت إبنها، فإن أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك مما أنت فيه ـ فانظر كيف يصر الشيطان على إغواء بني آدم ولا يسأم أبدا، ويستغل كل الطرق ـ وعندئذ إستسلم له برصيصا، ونفذ له آخر مطالبه، فكفر بالله، فلما

كفر تخلى عنه الشيطان، وتبرأ منه، وخلى بينه وبين أصحابه فصلبوه، فمات كافرا وكانت قصته عبرة لمن يعتبر وخلدها القرآن، بقوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿16﴾ ﴾ [الحشر: 16].

وهذا مثل ضربه الله في القرآن عن الخذلان المبين الذي صدر من المنافقين في المدينة، فقد وعدوا يهود المدينة (يهود بني قريظة، وبني النضير) بالوقوف معهم ونصرهم في كل الأحوال ضد المسلمين، ولكن المنافقين لا عهد لهم، فلما حانت ساعة الجد، تبرأوا منهم مثلما تبرأ الشيطان من الإنسان (برصيصا) الذي وافق الشيطان، فكفرا بالحق فكان مصيرهما معا إلى النار وبئس القرار.

البقعة المباركة

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿30﴾ ﴾ [القصص: 30].

لما قضى موسى عليه السلام الأجل الذي تم مع شعيب، رجع بأهله من مدين إلى مصر، وفي طريقه توقف بجزيرة سيناء، وكان الوقت شتاء، والليل شديد الظلام، فلم يتبين طريق سيره، ولكن إرادة الله كانت ترعاه وترشده إلى الطريق السوي، فرأى نارًا، فترك أهله في مكانهم وتوجه نحو النار ليأتي لهم بشعلة منها للدفئ والإضاءة، ولما وصل بالقرب من جبل الطور من شاطئ الوادي الأيمن، والذي سمي بالبقعة المباركة، لأن المكان كله مبارك بأمر الله وجلاله، وقد أفاض الله على نبيه موسى نعمته، فكلمه وأمره أن يبلغ رسالة ربه إلى فرعون وقومه، وبارك تلك البقعة وما حولها وخاصة تلك الشجرة إلى يوم الدين. وكان هذا هو الخطاب الأول لموسي عليه السلام عند جبل الطور.

البكائين

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿92﴾ ﴾ [التوبة: 92].

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته بالخروج إلى غزوة تبوك، فتجهز الكثير منهم وعجز آخرون ومنهم سبعة، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا نبي الله، إن الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرقوعة، والنعال المخصوفة نغزو معك، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فرجعوا إلى

أهلهم، وهم يبكون، وحز ذلك في نفوسهم، أن يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله لعجزهم عن النفقة، وعرفوا منذ ذلك اليوم بالبكائين، ونزلت فيهم الآية السابقة، وتعددت الروايات واختلفت في ذكرهم:

ـ قيل هم: معقل بن يسار، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن معقل، وآخر.

ـ وقال محمد بن كعب: هم سبعة نفرمن بني عمرو بن عوف سالم بن عوف، ومن بني واقف حرمي بن عمرو، ومن بني مازن بن النجارعبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى، ومن بني المعلى فضل الله، ومن بني سلمة عمرو بن عتبة وعبد الله بن عمرو، والمزني.

ـ وقيل هم سبعة إخوة من بني مقرن المزنيون، كلهم صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم، وليس في الصحابة سبعة إخوة غيرهم، وهم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وسابع لم يسم.

قال ابن إسحاق: فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضري لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل (من البكائين) وهما يبكيان فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه. فأعطاهما ناضحا له (أي جملا يستقي عليه الماء) فارتحلاه. وزودهما شيئا من تمر، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وزاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وأما علبة بن زيد (أحد البكائين) فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى وقال: "اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغَّبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض.. " ثم أصبح في الناس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أين المتصدق هذه الليلة؟ " فلم يقم أحد. ثم قال: " أين المتصدق؟ فليقم " فقام إليه فأخبره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أبشر، فوالذي نفسي بيده، لقد كتبت لك في الزكاة المتقبلة ".**

بـكــة

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿96﴾ ﴾[آل عمران: 96].

بكة عموما هي مكة المكرمة، وأحد أسمائها الكثيرة، ومنها البيت العتيق والبيت الحرام، والبلد الأمين والمأمون وأم رحم وأم القرى وصلاح والعرش والقادس (لأنها تطهر من الذنوب) والمقدسة والناسة والباسة والحاطمة والرأس وكوثاء والبلدة والبنية والكعبة. وسبب تسميتها بهذا الإسم لأنها تَبكُّ أعناق الظلمة والجبابرة من الناس، فيصيبهم الذل والهوان والخضوع في رحابها، كما أن الناس يتباكون عندها

أي يزدحمون، وقال ابن الكلبي: سميت بكة لأنها بين جبلين بمنزلة المكُّوك. ولكن التفريق بين بكة ومكة، وتحديد كل واحدة في المكان حدث فيه إختلاف:

* فمنهم ابن عباس قال: مكة (تمتد) من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء.

* وقال آخرون ومنهم مقاتل وميمون بن مهران ومحمد بن شهاب: أن بكة هي موضع البيت والمسجد وما حوله، وأما مكة فهي ما كان وراء المسجد وهي سائر البلد وهو الحرم كله وتدخل فيه البيوت والبساتين، وقال زيد بن أسلم: بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طُوَى، وهو بطن مكة الذي ذكره الله تعالى في القرآن في سورة الفتح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿24﴾﴾[الفتح: 24].

* ومنهم من اعتبر مكة هي بكة، قال ياقوت الحموي: بكة هي مكة بيت الله الحرام، أبدلت الميم بَاءً. وقال مجـاهد: بكـة هي مكة.

ومجمل القول أن بكة هي القلب النابض في مدينة مكة المباركة، والآية الكريمة خصت بالذكر أول بيت وضع للناس (الكعبة المشرفة وما حولها) التي بناها خليل الرحمن لتكون موطن عبادة لله وهدى للناس إلى يوم الدين.

بـلال بن ربـاح

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾﴾[الحجرات: 13].

بلال: هو مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأختلف في كنيته فقيل: أبو عبد الكريم، أو أبو عبد الله، أو أبو عمرو. ولد في" السراة " قبل الهجرة بنحو (**43** سنة) ، لأب كان يدعى **رباحًا** وأمه أمة تدعى "**حمامة** "، وهو من مولدي مكة لبني جمح، فقد كان مملوكا لأيتام من بني "عبد الدار " فأوصى بهم أبوهم إلى أمية بن خلف الجمحي، فعاش بلال خادما عند أمية، وكان طوع أوامره، فلما بزغ فجر الإسلام كان بلال من السابقين الأولين، وكلفه ذلك عذابا اليما من سيده أمية لأنه لا يجوز في عرفهم أن يكون للعبد رأي يخالف رأي سيده، ولكن الإسلام حطم الحواجز عند بلال، فلم يعر ذلك أي أهمية، وتحدى سيده وأتعبه كثيرا، فكان يخرجه في عز النهار عندما تلتهب رمال مكة كأنها النار المتأججة، ويجرد من لباسه وتوضع فوقه الحجارة الضخمة، ويلهب الجلاد ظهره بالسياط، وهو ثابت كالجبل، ويردد في عزة المؤمن عبارة واحدة " **أحد.. أحد** " ولما عجزوا توسلوا إليه أن يذكر " آلهتهم اللات والعزى. "فقط ويكفوا عنه، ولكنه يجيبهم قائلا: " **إن لساني لا يحسنه**"، ويمر به ورقة بن نوفل وهو يردد " **أحد.. أحد**

" فيقول له ورقة مثبتًا: " يا بلال أحد أحد، والله لئن مت على هذا لأتخذن قبرك حنانًا ". (أي موضعا للتبرك).

ـ **عتق بلال:** وعرض أبو بكر الصديق على أمية أن يشتريه منه فيرتاح من اعراضه، فأغلى أمية في ثمنه، فاشتراه أبو بكر منه بتسع أواق من الذهب. وبعد تمام الصفقة قال أمية لأبي بكر: لو أبيت أخذه إلا بأوقية لبعته لك. فقال الصديق: وأنت لو أبيت بيعه إلا بمائة لاشتريته، وكان عمر يقول: **أبو بكر سيّدُنا وأعتق سيّدَنًا.** (يعني بلالا). وحينئذ قال المشركون عن صنيع أبي بكر: ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده، فقال الله رادا عليهم: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (19) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (20) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (21)﴾ [الليل: 19-21].

ـ **شرف الأذان:** وبعدالهجرة إلى المدينة، كلفه النبي صلى الله عليه وسلم بالآذان في مسجده، فصار مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال حياته سفرا وحضرا. وكان خازنه وحامل رمحه بين يديه، في العيدين، وفي صلوات الإستسقاء، ويركزه أمامه إذا أقيمت الصلاة خارج المسجد. وقد شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولما فتحت مكة، أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يرقى على ظهر الكعبة ويؤذن، فلما أذن، كان اربعة من أشراف قريش جلوسا بفناء الكعبة فقال الأول، وهو عتاب بن أسيد بن أبي العيص ـ وكان مشركا ـ الحمد لله الذي قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام ـ وكان مشركا ـ أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا. وقال سهيل بن عمرو ـ وقد أسلم يومئذ ـ إن يرد الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان ـ وقد أسلم ـ إني لا أقول شيئا، فلو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى. فأتى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا، فدعاهم، وسألهم عما قالوا، فأقروا، فزجرهم ونهاهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والإزدراء بالفقراء، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ (13)﴾ [الحجرات: 13]. وبعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، بقي مؤذنا لمدة ثلاثة أيام فقط، لأنه في كل أذان عندما يصل إلى عبارة " **أشهد أن محمدا رسول الله** " يبكي بلال ويختنق صوته، ويبكي معه الصحابة الكرام، حينئذ طلب من أبي بكر أن يعفيه من الأذان لأنه أصبح لا يحتمله، واستأذنه في الخروج إلى الجهاد في سبيل الله والمرابطة في بلاد الشام. أقام بلال في " داريا " بالقرب من دمشق، وظل ممسكا عن الأذان حتى قدم عمر بن الخطاب إلى الشام، فطلب منه الصحابة أن يؤذن لهم بلالا، فلما ارتفع صوته بالأذان بكى عمر، وبكى الصحابة حتى ابتلت لحاهم بالدموع،لأنه ذكرهم بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقد عاش بلال نحو ستين سنة،

وكانت آخر أيامه في دمشق التي توفي بها في حدود سنة **18** هـ، وقيل سنة **20** هـ، ودفن بمقبرة باب الصغير.

البلد الأمين

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾[التين: 3]

هو مكة المكرمة، البلد الآمن الذي بنى به خليل الرحمن إبراهيم بيتا لله، ودعا لهذا البلد بالأمن فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ۝١٢٦ ﴾[البقرة: 126]. فاستجاب الله دعاءه وجعله أمنًا وأمانًا إلى يوم الدين. وأقسم الله به في كتابه في عدة مواضع ومنها قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ ﴾[البلد: 1-2]. وهو يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم، فيقول له إني أقسم بالبلد الحرام الذي أنت مقيم فيه، لكرامتك عليَّ، وحبي لك. وتكرر القسم في سورة التين، بالبلد الأمين الذي يأمن فيه كل مقيم على نفسه وماله، ويعيش في طمأنينة بال، وسكينة نفس، وعذوبة عبادة.

بلعام بن باعوراء

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ ﴾ [الأعراف: 175]

وهو بلعم أو بلعام بن باعوراء بن شهتوم بن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران (أو حاران) بن آزر، وكان يسكن قرية من قرى البلقاء، أو مدينة الجبارين، وكان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب. وكان رجلا صالحا مجاب الدعوة، فإذا سأل الله شيئا أعطاه إياه، وعالمًا تقيًا إذا نظر، رأى عرش الرحمن. ولما قدم موسى خاف قوم بلعم إن دخل موسى بلادهم يستحوذ عليها، ويهلك قومها ـ في زعمهم ـ فأتى بنو عمه وقومه وطلبوا من بلعم العابد، أن يدعو الله أن يرد موسى ومن معه، فقال لهم: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي، فألحوا عليه كثيرا وحاولوا معه طويلا حتى وافقهم فوقع في الفتنة، فركب حماره واتجه إلى جبل حسبان الذي يطلعه على جيش بني إسرائيل، ولكن الحمار توقف فضربه بلعام، فأنطق الله الحمار فقال: ويحك يا بلعام أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم؟ ولكنه أصر على المضي لشأنه، فلما وصل إلى قمة الجبل، وأشرف على جيش بني إسرائيل، أخذ يدعوا عليهم بالشر، والله يحول ذلك إلى قومه، وإذا دعا لقومه بالخير وجه الله ذلك لبني إسرائيل، فقال له قومه: أتدري ما

صنعت يا بلعم؟ فقال هذا ما لا أملك، هذا شيئ قد غلب الله عليه، ثم اندلع لسانه فوق صدره فشبّهه الله بالكلب في لهثه، فقال لقومه: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة. ثم أمرهم أن يُجملوا النساء ويعطوهم السلع، ويرسلوهم إلى معسكر موسى وأصحابه ليبعنها للجند، وأي امرأة دعاها إسرائيلي للزنا فلا تمتنع منه، فإنه إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم، ففعلوا ما امرهم به، فوقع الزنا فيهم، وعاقبهم الله بالطاعون الذي قتل منهم سبعين الفا.

وهو مثل ضربه الله للعلماء الذين خصهم بالكرامات، وأنعم عليهم بإجابة الدعاء بسبب خوفهم وتذللهم لله، فإن زاغوا عن الصراط السوي، يستحوذ عليهم الشيطان ويغلبهم الهوى ويكون مآلهم الضلال، ويصير حالهم في الحياة الدنيا مثل الكلب، ويوم القيامة الهلاك والعذاب الشديد. وقد صورت هذا المشهد المأساوي، الآيات القرآنية: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) ﴾[الأعراف: 175-176].

البيت العتيق (بيت الله)

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (3) ﴾ [قريش: 3].

البيت المقصود في الآيات هو الكعبة المشرفة، أو بيت الله الحرام، وذكر في السياق القرآني، معرفًا أو مضافًا إلى صفة مهمة:

1) البيت: الذي جعله الله مثابة للناس، يأتونه من كل فج عميق، حجاجًا وعمارًا، واتخذه الناس موطنًا لعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا (125) ﴾ [البقرة: 125]. وجعله آمنا يرتاح المؤمنون فيه من هموم الدنيا: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (3) ﴾ [قريش: 3].

2) البيت الحرام: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ (97) ﴾ [المائدة: 97]. جعل الله لبيته حرمة، فأصبح منطقة أمان، يلوذ به الخائف، ويأمن فيه الإنسان الضعيف، والحيوان والطير والشجر فلا يناله أي أذى، فيأنس به الحاج والمعتمر والزائر، ويعيش لحظات السلام التام، ويربح فيه التجار. وبدأ الأمن يسود فيه منذ زمن الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل، حينما أقامَا البيت على الطهر والأمان.

ورد في الصحيحين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: " **إن هذا البلد حرام، لا يعضد شجره (أي لا يقطع) ، ولا يختلى خلاه (أي لا يحش نباته الرطب)، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمعرف** ". ولكن اجاز قتل خمس حيوانات ضارة ولو كانت في الحرم. فقد ورد حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الصحيحين: "**أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقتل خمس فواسق في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور** ". وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ زيادة **الحية**.

3) البيت العتيق: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿29﴾ ﴾ [الحج: 29]. وهو البيت القديم، لأنه أول بيت وضع للناس في الأرض لعبادة الله وتوحيده وتمجيده. فقد أوحى الله إلى آدم: إذا هبطت تَبْنِ لي بيتا تحف به الملائكة كما رأيت الملائكة تحف بعرشي الذي في السماء. وقال عكرمة: سمي البيت العتيق لأنه أعتق يوم الغرق زمان نوح عليه السلام. وقيل أعتق البيت من الجبابرة، فلم يتسلط عليه جبار قط.

أهل البيت (آل البيت)

﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿73﴾ ﴾ [هود: 73].

ذكر آل البيت في القرآن عند الحديث عن إبراهيم عليه السلام، وعن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

1) آل إبراهيم: لما تعجبت سارة من إنجاب الولد وهي كبيرة السن، وزوجها إبراهيم بلغ سن الشيخوخة، أخبرها الله أنه أنزل الرحمة وبارك في آل إبراهيم: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿72﴾ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿73﴾ ﴾ [هود: 73]. وقيل أن الله اصطفى آل إبراهيم واختارهم، وميزهم عن الخلق: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿33﴾ ﴾[آل عمران: 33]. وآل إبراهيم هم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم من آل إبراهيم، فهوأحق الناس به، لأنه سلك طريقه ومنهاجه، فوحد الله، وأخلص في الدين، وكان حنيفا مسلما، ومعه أتباعه من المؤمنين: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿68﴾ ﴾[آل عمران: 68]. وجعل الله في ذرية إبراهيم وآله النبوة وأنزل عليهم الكتاب والحكمة، ووهبهم الملك، فمنهم من آمن ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من صد عن السبيل وادعى الانتساب زورا وبهتانا إلى إبراهيم وهم اليهود: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ

ـاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿54﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿55﴾ ﴾[النساء: 54-55].

2) آل محمد: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿33﴾ ﴾ [الأحزاب: 33]. وهم أهل بيت النبوة، ومنهم نساء محمد صلى الله عليه وسلم وذريته، ورحمه من المؤمنين، وبعض الصحابة الذين أكرمهم الله بهذا الشرف. روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة وعلي رضي الله عنه ستة اشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: " **الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** " رواه **الترمذي**. وعن واثلة بن الأصقع أن رسول الله قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: "**اللهم هؤلاء من أهل بيتي وأهل بيتي أحق**". فقال واثلة: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "**وأنت من أهلي**". فقال واثلة: فوالله إنها لأوثق عمل عندي. وكان يقرب بعض أصحابه ويخصهم بمنزلة متميزة مثلما فعل مع سلمان الفارسي، ففي يوم الخندق، وقف الأنصار يقولون: سلمان منا.. ووقف المهاجرون يقولون: سلمان منا... فقال صلى الله عليه وسلم: " **سلمان منا آل البيت**". وسئل عنه علي ـ رضي الله عنه ــ بعد موته فقال: " ذاك امرؤ منا وإلينا أهل البيت... من لكم بمثل لقمان الحكيم.. ".
وأهل بيته كل من حُرم الصدقة بعده وهم: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.
وقد حصر القرآن، أهل البيت في آل إبراهيم، وآل محمد، وجمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة الإبراهيمية، فقد ثبت في الصحيحين أن الصحابة قالوا: " قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: قولوا " **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**".

البِيع

﴿ وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ ﴿40﴾ ﴾[الحج: 40].
أختلف في تحديد معنى " البيع " على ثلاثة آراء:
ـ الرأي الأول يقول: البيع جمع بيعة، هي كنائس النصارى، وهي واسعة وكثيرة العباد.
ـ الرأي الثاني يقول: هي كنائس اليهود، وهذا هو القول الراجح. قال الطبري: البيع هي كنائس اليهود.
ـ الرأي الثالث وجمع بين الرأيين السابقين فاعتبرها، معبدا لليهود والنصارى.

﴿ حرف التــاء ﴾

التـابوت

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿248﴾ ﴾[البقرة: 248].

التـابوت: هو الصندوق المصنوع من الخشب، ومنه تابوت الميت، وأطلق في القرآن في قصة موسى وبني إسرائيل، وذكر في موضعين هما:

ـ **تـابوت الرضيع موسى:** وهو الصندوق الذي وضعت فيه أم موسى رضيعها، وهو محكم الصنع ومطلي بالقار، وجعلت بداخله قطنا محلجًا، وألقت به في نهر النيل بأمر من الله: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿37﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿38﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴿39﴾ ﴾[طـه: 37-39].

ـ **تـابوت العهد:** أو صندوق الميثاق، قال الزمخشري: هو (صندوق التوراة الذي كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه، فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون، ففيه السكينة والطمأنينة والوقار). وذكره في سياق قصة طالوت: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴿248﴾ ﴾[البقرة: 248].

ويحتوي التابوت على آثار آل موسى وآل هارون، وهي عصا موسى وثيابه، ونعلا موسى، وعمامة هارون وعصاه ويحتوي كذلك على بعض الألواح التي كتبت فيها التوراة.

ولكن هذا التابوت الذي يمثل رمزا عند بني إسرائيل، أُخذ منهم عنوة في أواسط المائة الرابعة ـ في أيام عالي الكاهن ـ عندما حدثت حرب بين بني إسرائيل وأعدائهم الفلسطينيين الوثنيين (العمالقة) ، سكان اشدود بالقرب من غزة، وحمل بنو إسرائيل التابوت وفيه التوراة، واستنصروا به، ولكنهم غُلبوا، وأخذ منهم التابوت، وبقي عند أعدائهم في بيت داجون، ودام غياب التابوت مدة أكثر من **20 سنة.**

ثم جعله الله آية على ملك طالوت، فأرجعته الملائكة إليهم. قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون. وقال القرآن: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ

ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ [البقرة: 248].

قوم تبع

﴿ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الدخان: 37].

وهم ملوك اليمن، وكان أهل اليمن يسمون ملوكهم بالتبابعة، والواحد تُبَّع (ملك) مثل لقب الخليفة عند المسلمين. فكانت حمير كلما حكم فيهم رجل سموه تبعًا، فهم ملوك الدولة الحميرية اليمنية. وقيل عن تبع الأكبر هو حسان بن أسعد بن أبي كرب الذي عاش في القرن **10** م، ووصلت فتوحاته شمالا حتى بلاد الشام، ومشرقا إلى بلاد تركستان، ووصل إلى سمرقند. بينما ذكر المسعودي أن تبع الأول قُتل من طرف الملكة بلقيس بنت الهدهاد. كما ينسب إليه أنه أول من كسَا الكعبة.

وقال اصحاب التاريخ: التبابعة، اسم دولة نشأت في اليمن بعد الدولة الحميرية، وكان أول ملوكها الحارث الرائش، وهو آخر ملوك سبأ الحميريين، وآخر ملوكها ذو نواس صاحب نجران، الذي اضطهد المسيحيين فغزا الأحباش بلاده في القرن **6م**، وأقاموا بها حتى جاء الإسلام. وذكر القرطبي عددا من ملوكهم ورجح واحدا قال هو المقصود في الآية الكريمة، وهو أبو كرب الذي كسا البيت بعدما أراد غزوه، ثم غزا المدينة وأراد خرابها، ولكنه انصرف عنها لما أُخبرَ أنها تكون مهاجر نبي اسمه أحمد. وقال شعرا أودعه عند أهلها، فكانوا يتوارثونه كابرًا عن كابر إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فأدوه إليه. ويقال: كان الكِّتَاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد ومنه:

شهدت على أحمد انه * رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وعموما فإن قوم تبع من أهل اليمن الذين جعلهم الله عبرة للناس، لأنهم كانوا مجرمين بكفر النعم والطغيان في الأرض: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق: 14].

تبـوك

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: 117].

تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وتقع في أقصى الشمال وتبعد عن المدينة المنورة بنحو **778 كلم.** وشهدت"تبوك" أحداث غزوة العسرة في شهر رجب سنة **9 هـ،** وهي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لحرب الروم الذين تجمعوا ببلاد الشام وشكلوا خطرا على المسلمين، فسار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في وقت الحر (الصيف) بعد تجهيز الجيش الذي بلغ عدده نحو ثلاثين ألف مجاهد، وعشرة آلاف فارس. ولكن جموع الروم تفرقت، وفضلوا ترك الإشتباك بالجيش الإسلامي، فأقام النبي وأصحابه في تبوك حوالي عشرين يوما واتصل بالقبائل وصالحها، وهي قبائل الحدود بين الحجاز وبلاد الشام، وحينئذ أمَّن تلك المواقع للمسلمين.

ونزلت آيات قرآنية عديدة في سورة التوبة من الآية **41** إلى آخر السورة، وتحدثت الآيات عن هذه الغزوة بداية من حالة العسر التي واجهها النبي صلى الله عليه وسلم أثناء تجهيز الجيش، إلى ذكر أحوال المتخلفين عن الجهاد من أصحاب الأعذار وغيرهم من العصاة أو المنافقين، ثم فصلت في أمر التوبة على المؤمنين:

* **المخلفون:** وهم المؤمنون الذين تخلفوا عن الغزوة وهم صنفان:

ـ **المخلفون المعذورون:** الذين عجزوا عن توفير الرواحل التي تحملهم إلى مكان المعركة بتبوك، وقالوا للرسول مستعطفين: يا رسول الله احملنا، فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه، فرجعوا وهم يبكون، فعرفوا **بالبكائين:** ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: 92]. فصاروا من **الخوالف،** وهم أصحاب الأعذار الشرعية التي تجيز لهم التخلف بدون حرج، وهم النساء والمرضى والعجزة: ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ [التوبة: 93].

ـ **المخلفون بدون عذر:** وهم الثلاثة الذين تخلفوا تهاونًا، ولكنهم ثبتوا على إيمانهم، وتابوا فتاب الله عليهم: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 118].

*المنـافقون: ومنهم عبد الله بن أبي سلول، وجمع من الأعراب من بني غفار، بلغوا اثنان وثمانون رجلا، كانت أعذارهم واهية، ومقاصدهم المنافع الدنيوية السهلة، وذكر الله ذلك عنهم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿42﴾﴾[التوبة: 42]. ثم بين الله لنبيه أن هذا الفريق في حالة شهوده الغزوة لا ينفعون في شيء، لأن طبيعتهم تدعوهم إلى التخذيل وبث الفرقة وإشعال الفتن: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿47﴾﴾[التوبة: 47]. وقد تخلفوا عن الغزوة وأحبوا القعود، واعتذروا بالحر الشديد، ولكن حقيقة أمرهم هي كرههم الجهاد مع رسول الله: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿81﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿82﴾﴾[التوبة: 81-82]. وجعلهم الله في صف الكفار، فلا ينفعهم اسغفار النبي لهم، لأن قبول التوبة يقوم على أساس متين هو الإيمان الصادق: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿80﴾﴾[التوبة: 80].

تسعة رهط

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿48﴾﴾[النمل: 48].
كان في مدينة نبي الله صالح (وهي الحجر) ، تسعة من الرجال من أبناء الأشراف والعظماء في المدينة، وكانوا كفاراً يسعون في الأرض فسادا، يحاربون الحق وأهله، ويشجعون المنكرات، وكذبوا نبي الله صالح وحاولوا قتله، ثم عقروا الناقة. وكان للمراة دوراً خطيرا، بمساومة الرجال وإغرائهم:
ذكر ابن جرير وغيره من علماء التفسير، أن امرأتين من ثمود اسم إحداهما: صدوق بنت المحيا ابن زهير بن المختار، وكانت ذات حسب ومال، وكانت تحت رجل من أسلم، ففارقته فدعت ابن عم لها يقال له: مصرع بن مهرج بن المحيا، وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة. واسم الأخرى: عُنَيْزَة بنت غُنَيْم بن مِجْلَزٍ، وتكنى أم عثمان، وكانت عجوزًا كافرة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو أحد الرؤساء، فعرضت

بناتها الأربع على قدار بن سالف إن هو عقر الناقة، فله أي بناتها شاء، فانْتُدبَ هذان الشابان لعقرها، وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون، فصاروا تسعة، كما ذكرت الآية الكريمة.

أما أشقاهم ورأس الكفر عندهم، وزعيم عصابة الضلال، فهو (**قدار بن سالف**) عاقر الناقة، وسماه القرآن أشقى القوم: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢ ﴾ [الشمس: 12]. فعندما دعاه قومه لنحر الناقة، نفذ الأمر بسرعة، فقتلها بسيفه: ﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩ ﴾ [القمر: 29]. واختلف في اسمائهم على عدة أقوال:

ـ قال ابن عباس: هم دعمى ودعيم، وهرمى وهريم، وداب وصواب، ورياب ومسطح، وقدار بن سالف.

ـ وقال الغزنوي: هم قدار بن سالف ومصدع وأسلم ودسما، وذهيم وذعما، وذعيم وقتال وصداق.

ـ وقال ابن اسحاق: هم قدار بن سالف، ومصدع بن مهرع، وبلع بن ميلع، ودعير بن غنم، وذؤاب بن مهرج، وأربعة لم تعرف أسماؤهم.

ـ وقال وهب بن منبه: هم الهذيل بن عبد رب، غنم بن غنم، رياب بن مهرج، مصدع بن مهرج، عمير بن كردبة، عاصم بن مخرمة، سبيط بن صدقة، سمعان بن صفي، قدار بن سالف.

التنـور

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۝٤٠ ﴾ [هـود: 40]

أعطى الله لنبيه نوح عليه السلام، علامة واضحة تحدد موعد الطوفان، وهو الوقت الذي يخرج فيه الماء ويفور من التنور، واختلف فيه على عدة أقوال يمكن حصرها فيما يلي:

ـ التنور هو الموقد الذي يصنع فيه الخبز والذي يعبر عنه حديثا" **بالفرن** "، وينبع الماء من الفرن على طريق الإعجاز، وحينئذ يحل بقومه الهلاك، ويغمرهم الماء. ويعتبر هذا القول من ارجح ما قاله العلماء.

ـ التنور فُسّرَ بأنه سطح الأرض، قال ابن عباس: التنور وجهُ الأرض. وقال الطبري: والعرب تسمي وجه الأرض تنور الأرض.

ـ التنور كما ذكر ابن كثير محاولا التوفيق بين الرأيين، أن الماء يفور من الأرض على شكل عيون، حتى تصير التنانير، وهي مواطن المواقد، هي الأخرى تفور بالماء، وحينئذ تتأكد علامة الطوفان الذي يهلك الله به القوم الظالمين.

أما أهل الإيمان فينجيهم الله في السفينة التي صنعوها إستجابة لأمر الله تعالى فيجازيهم على صنيعهم الطيب بالسلامة في النفس والدين والفوز يوم القيامة بجنات النعيم: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿27﴾ ﴾[المؤمنون: 27].

التين والزيتون

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿1﴾ ﴾[التين: 1].

كثر الكلام في معنى كلمتي التين والزيتون، والمعنى الظاهر المباشر، معروف ولا لبس فيه، والمولى سبحانه يُقْسِم بما خلق، والسورة تحكي قصة الفطرة والسياق يتلاءم معها.

ولكن الوجه الآخر للآية يبين معاني أخرى جديرة بالتنويه لأنها تكشف عن القيم النبيلة في الإسلام:

ـ **التين**: هو بلاد الشام وخصوصا (دمشق) لكونها منبت التين الكثير.

ـ **الزيتون**: وهو الرمز الحقيقي لبيت المقدس، لأن أرض فلسطين تشهد المزارع الكثيفة للزيتون الذي هو رمز السلام والبركة والأمان.

ويؤكد المعاني السابقة، الشطر الآخر للآية الكريمة، ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴿2﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿3﴾ ﴾[التين: 2-3]. فالطور والبلد الأمين اللذين الحقا بهما في القَسَم الرباني، وفي الآية تمجيد لبلاد الشام، ورفع لقدرها، وتنبيه لمكانتها، وفيه تحميل المسلمين أمر حمايتها من كل الشرور، وجعلها بلاد السلام والبركة.

أرض التيـه

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿26﴾ ﴾[المائدة: 26].

أمر موسى عليه السلام قومه بالدخول إلى الأرض المقدسة (فلسطين) ، لكنهم رفضوا الدخول ونكصوا عن الجهاد وتخلوا عن نبيهم، فعاقبهم الله بالتيه في أرض سيناء لمدة أربعين سنة، كانت يومئذ فلسطين ممنوعة عنهم، لا يمكنهم دخولها عقابًا من الله على سوء أعمالهم. قيل كانوا يسيرون الليل كله فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه. قيل: لبثوا أربعين سنة يترددون في برية سيناء وبرية فاران (صحراء الحجاز) ، ويترددون حوالي جبال السراة وأرض ساعير والشوبك.

ثم ظلل الله عليهم الغمام ـ في زمن التيه ـ وانزل عليهم المن والسلوى، ثم توفي هارون عليه السلام، ولحق به موسى بعد ثلاث سنين، فأقام فيهم يوشع بن نون خليفة عن موسى، وفي تلك الأثناء مات اكثر بني إسرائيل، ولم يبق منهم سوى يوشع بن نون وكالب. ولما انقضت المدة خرج يوشع بمن بقي وفيهم الجيل الثاني الجديد، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها ثم فتحها يوم الجمعة وبذلك إنتهت فترة العقوبة، ورفع عنهم التيه.

﴿ حرف الـــثـاء ﴾

ثـابت بن رفـاعة الأنصاري

﴿ وَابْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴿6﴾ ﴾[النساء: 6].

عندما توفي رفاعة الأنصاري، ترك ولدا يدعى " **ثابتا** "، تحت كفالة عمه. فاتى العم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إن ثابتًا، إبن اخي في حجري، فما يحل لي من ماله؟ ومتى أدفع إليه ماله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم معلماً له ولغيره من المسلمين: " **أن تأكل بالمعروف من غير أن تقي مالك بماله**". ونزل فيه قول الله تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿6﴾ ﴾[النساء: 6].

وقد بين الله كيفية المحافظة على مال اليتيم ورعايته ما دام صغيرا، فإذا كبر ببلوغ سن الرشد فلا بد من دفع أمواله إليه. وأثناء الرعاية للمال ينبغي للكافل أن لا يتهاون أو يسرف في الإنفاق، وإذا كان من أهل الغنى فلا يطمع في الأجرة، إلا في حالة فقره فاليأخذ أجرته كما يستحق، ولا بد من إحضار الشهود وتوثيق ذلك دفعا لكل شبهة، ورعاية لحقوق البشر من الضياع.

ثـابـت بن قيس بن شماس

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿3﴾ ﴾[الحجرات: 6].

هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك وهو الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، وأمه امرأة من طي. يكنى " أبا محمد "بابنه محمد، وقيل أبو عبد الرحمن. وهو أخو عبد الله بن رواحة لأمه، وزوجته جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول.

جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب الفراق. وقد روى البخاري، عن ابن عباس: أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ودين (تعني أنها لا تطلب الفراق بهذا السبب، وإنما كانت تكرهه لدمامته، فقد رفعت الخباء فوجدته في عدة رجال فرأته أشدهم سوءاً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها) ، ولكني

أخاف الكفر في الإسلام (الكفر معناه كفران العشير والتفريط في أمره). قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتردين عليه حديقته؟ (وكانت مهرها) فقالت: نعم. وفي رواية أخرى قال له: أقبل الحديقة، وطلقها تطليقة. فردت عليه الحديقة، وفارقها بالحسنى.

وكان ثابت خطيب الأنصار، وخطيب النبي صلى الله عليه و سلم، كما كان حسان بن ثابت شاعره. ولذلك خطب ثابت بن قيس يوم قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا؟ قال: **الجنة**. قالوا: رضينا.

وتظهر مقدرته في الخطابة في المواقف الجليلة، ومنها موقفه أمام وفد تميم لما قدم إلى المدينة، وكان مع القوم خطيبهم، عطارد بن حاجب، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله من وراء حجراته أن أخرج إلينا يامحمد، فآذى رسول الله صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: جئناك نفاخرك، فأْذن لخطيبنا وشاعرنا، قال: قد أذنت لخطيبكم، فليقل. فقام عطارد بن حاجب، فقال: " الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنُّ، وهو أهله الذي جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالا عظاما، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أَعزَّ أهل المشرق، وأكثره عدد، وأيسره عُدة، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس، وأُلي فضلهم، فمن فاخرنا، فليعدد مثل ما عَدَدنا، وإنا نعرف بذلك، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمرٍ أفضل من أمرنا ثم جلس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ـــ رضي الله عنه ـ قُم فأجب الرجل في خطبته، فقام ثابت، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، قَضَى فيهن أمره، وَوَسع كُرسيه عِلْمه، ولم يكن شيء قط إلاَّ من فضله. ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكًا، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهُ نسباً، وأصدقه حديثاُ، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه وأئتمنه على خلقه، فكان خيرة الله على العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه، وذوي رحمه، أكرم الناس حسبًا، وأحسن الناس وجوهًا، وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق إجابةً، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحْنُ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيرًا. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي وللمؤمنين وللمؤمنات والسلام عليكم. ويكفيه شرفا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه"**نعم الرجل ثابت بن قيس** ". أخرجه **الترمذي.**

وكان في أذن ثابت وقـــر (ضعف) ، ولكنه جهوري الصوت، فإذا كلم شخصا إرتفع صوته بشكل ملفت للإنتباه، فربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم بما تعوده مع الناس، فنزل القرآن يأمر جميع الناس ـ ومنهم ثابت ـ أن يغضوا أصواتهم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه، وهي قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن

﴿ تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[الحجرات: 2]. حينئذ قعد ثابت بن قيس في بيته حزينا، وهو يقول أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنا من أهل النار، حبط عملي، وقعد يبكي في الطريق، فمر به عاصم بن عدي بن العجلان، فقال: ما يبكيك؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيَّ، وأنا صيت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا ثابت، وقال له: أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟ قال: رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله، ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله تعالى فيه قرآنا، تتلألأ آياته بالرحمة والمغفرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[الحجرات: 3].

وكان ثابت يغشى مجالس النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أتى إليها أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول؛ فجاء يوما، وقد أخذ الناس مجالسهم، فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فقال له رجل: قد أصبت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت مغضباً، فغمز الرجل الجالس إلى جنبه، فسأله: من هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال ثابت: بن فلانة، وذكر أمًّا كانت له يعيَّر بها في الجاهلية؛ فنكس الرجل رأسه استحياءً، فنزل القرآن فيه، وهي آية الحجرات التي تنهى عن السخرية بالناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[الحجرات: 11].

وقد ظهر خلق الإيثار عند ثابت بن قيس في أسمى معانيه، عندما أتى رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد؛ فأرْسَلَ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله. فقام ثابت الأنصاري فقال: أنا يا رسول الله؛ فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئًا. قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فاطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي: لقد عجب الله، أو ضحك الله من فلان، وفلانة؛ فأنزل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9].

وشهد ثابت بن قيس غزوة احد وما تلاها من معارك وغزوات، وكان آخرها معركة اليمامة التي تحققت فيها البشرى، واكرم بالشهادة التي تمناها. قال أنس بن مالك: لما انكشف الناس يوم اليمامة، قلت لثابت بن قيس: ألا ترى يا عم، ووجدته يتحنط، فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،

بئس ما عودتم أقرانكم، وبئس ما عودتم أنفسكم. اللهم إني ابرأ اليك مما جاء به هؤلاء، يعني الكفار، وأبرأ اليك مما يصنع هؤلاء يعني المسلمين. ثم قاتل حتى قتل، بعد أن ثبت هو وسالم مولى أبي حذيفة، فقتلا. وأثناء المعركة أخذ منه رجل من المسلمين درعه النفيسة، ولكن الله أظهر الحقيقة ونصر الشهيد بعد موته.

فعندما كان أحد المسلمين نائما، جاءه ثابت بن قيس في المنام وقال له: أوصيك بوصية وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه: إني لما قُتلتُ أمس مرَّ بي رجل من المسلمين أخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ (أي غطى) على الدرع بُرْمَة وفوق البرمة رحْل، فأْتِ خالد بن الوليد فمره فليبعث فليأخذها، فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعني أبا بكر ـ فقل له إنَّ عَلَيَّ من الدَّين كذا وكذا، وفلان من رقيقي (أي عبيده) عتيق وفلان. فاستيقظ الرجل فأتى خالداً فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها على ما وصف، وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته. يقول ابن الأثير في أسد الغابة" ولا نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته سواه".

ثــابت بن يسار الأنصاري

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ (231) ﴾[البقرة: 231].

قال علماء السلف: كان الرجل في الجاهلية ـ واستمر ذلك إلى العهد الإسلامي الأول ـ يطلق زوجته وينتظر، فإذا قاربت العدة على النهاية راجعها ضرارا (أي بقصد الإضرار بها) فتطول عدتها ويظلمها وينتقم منها، ويفعل ذلك حتى لا تذهب إلى غيره، ثم يطلقها مرة أخرى لتوسيع مدة الانتظار ضرارًا. وحدث ذلك من الصحابي " ثابت بن يسار" الذي طلق زوجته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين، أو ثلاثة راجعها ثم طلقها، مضارةً، فأنزل الله النهي عن هذا الفعل بقوله: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ (231) ﴾[البقرة: 231].

وأخرج ابن ماجة وابن جرير والبيهقي، عن أبي موسى قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ما بال أقوام يلعبون بحدود الله، يقول قد طلقتك قد راجعتك، ليس هذا طلاق المسلمين طلقوا المرأة في قبل عدتها.**

ثعلبة بن حاطب الأنصاري

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿75﴾ ﴾ [التوبة: 75].

هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، وقد شهد غزوة بدر.

أخرج الطبراني، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف، من حديث معان ـ بإسناده ـ عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ادع الله أن يرزقني مالا. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه " قال: ثم قال مرة أخرى. فقال: " أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت " قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"اللهم ارزق ثعلبة مالا"**. فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الـدود، فضاقت (عليه أزقة) المدينة، فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما فعل ثعلبة؟ " فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة، فأخبروه بأمره، فقال: "يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة" وأنزل الله جل ثناؤه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿103﴾ ﴾ [التوبة: 103].

ونزلت فرائض الصدقة (أي الزكاة) ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجلين على الصدقة من المسلمين. رجلا من جهينة ورجلا من سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين. وقال لهما: " مرا بثعلبة وبفلان ـ رجل من بني سليم ـ فخذا صدقاتهما. فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذه إلا جزية ـ ما هذه إلا أخت الجزية ـ ما أدري ما هذا؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي. وسمع بهما السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك. فقال: بل فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له، فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات. ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى

رأيي. فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال: " يا ويح ثعلبة " قبل أن يكلمهما، ودعا للسلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿75﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿76﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿77﴾﴾ [التوبة: 75-77].

وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع بذلك، فخرج حتى أتاه، فقال: ويحك يا ثعلبة، أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: " إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك " فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني". فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض صدقته رجع إلى منزله، فَقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقبل منه شيئا. ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه، حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبى أن يقبلها، فقبض أبو بكر ولم يقبلها. فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه ثعلبة فقال: يا أمير المؤمنين أقبل صدقتي. فقال عمر: لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر، وأنا أقبلها منك؟ فقبض عمر ولم يقبلها منه. فلما ولي عثمان رضي الله عنه، أتاه ثعلبة فقال: اقبل صدقتي، فقال عثمان: لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه عثمان. فهلك (مات) ثعلبة في خلافة عثمان.

وخاض العلماء في أمره كثيرا، ومدى انطباق ما ذُكِرَ على ثعلبة المذكور، وأن الروايات الواردة فيه لا تصح؛ ومما يجدر ذكره في هذا المجال، قول ابن حجر في الإصابة: إن صح الخبر ولا أظنه يصح ـ هو الرأي المذكور قبله ـ فيه نظر. ثم يورد قولا للكلبي: أن البدري استشهد يوم أحد، ويقوي ذلك أيضا، يقال: أن رجلا يقال له ثعلبة ابن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلسا فأشهدهم فقال: (لئن أتانا الله من فضله لنصدقن ـ الآية) فقال: أنه ثعلبة بن أبي حاطب، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: **(لا يدخل النار أحد شهد بدرا أو الحديبية)** وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: **(اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)** فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه وينزل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره. وثعلبة بن أبي حاطب ذكره ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار، فربما يكون هو المقصود بالآية، والله أعلم بالصواب.

ثقيف

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿48﴾ ﴾[المرسلات: 48].

ثقيف: قبيلة عربية موطنها مدينة الطائف، وكانت تعبد (اللات) وهو صنم كان في الطائف، وقد هدمه خالد بن الوليد بعد فتح مكة في السنة **8هـ.**

وعندما أمر الله الناس بالصلاة والخشوع لعظمته وجلاله، استكبر أهل " ثقيف "وأصروا على الشرك والضلال، وامتنعوا عن الصلاة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: حط عنا الصلاة فإنا لا نحني، إنها مسبة علينا، فأبى وقال: " لا خير في دين لا صلاة فيه. فنزلت فيهم الاية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿48﴾ ﴾[المرسلات: 48].

وبعدفتح مكة قامت ثقيف بحرب المسلمين بالتعاون مع قبيلة هوازن، والتقوا بهم في حنين، وكان زعيم ثقيف وقائدها " **كنانة بن عبد ياليل** " ووقعت المعركة في شهر شوال سنة **8 هـ / شباط/ فبراير 630م.** وبعد انهزامهم انسحبوا وتحصنوا في الطائف، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة. ثم استشار النبي صلى الله عليه وسلم فيهم نوفل بن معاوية الديلي: يا نوفل، ما ترى في المقام عليهم؟ فقال نوفل مجيباً: يا رسول الله: هم ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك. فقال صلى الله عليه وسلم: إنا قافلون غدًا إن شاء الله. فارتحلوا ورسول الله يضحك، وقال للصحابة قولوا: (**آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون**) فقيل له: يا رسول الله ادع على ثقيف، فقال: " **اللهم اهد ثقيفًا وآت بهم**".

وادركت ثقيف خطورة الأمر من حولها فأغلب العرب أسلموا، وبدأوا يشنون عليها حصارا اقتصاديًا، فأرسلوا وفدا إلى المدينة في شهر رمضان سنة **9هـ،** فصالحهم النبي صلى الله عليه وسلم، واسلموا وأمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفي. وبعد إسلامهم استوطنت قبيلة ثقيف في أنحاء عديدة منها اليمن ونجران وجنوب العراق، وكان لهم دور معتبر في بناء مدينة البصرة.

الثلاثة (المخلفون)

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴿118﴾ ﴾[التوبة: 118].

وهم ثلاثة من الصحابة قعدوا عن الجهاد في غزوة تبوك، وتخلفوا في المدينة، وكان سبب تخلفهم الكسل والرغبة في ظلال المدينة، ولم يكن عندهم شك ولا ارتياب في الجهاد، ولما أفاقوا من غفلتهم

تابوا وانابوا، فاستحقوا العقاب اللطيف، وتمثل في مقاطعة المسلمين لهم خمسون يوما، وتم ذلك من أقرب الناس اليهم، فلما نجحوا في الإمتحان تاب الله عليهم وأنزل توبتهم في القرآن. وهؤلاء الثلاثة هم: **هلال بن أمية**، أخو بني واقف، **ومرارة بن الربيع**، أخو بني عمرو بن عوف، **وكعب بن مالك**، أخو بني سلمة.

ثمود

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴿73﴾ ﴾[الأعراف: 73].

ثمود: كلمة مشتقة من الثمد وهو الماء القليل، فسميت ثمود القبيلة ثمودا لقلة مائها. وهي قبيلة عربية مشهورة عاشت في شمال الحجاز بمدائن الحجر، قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، وبعد قوم عاد، وهم من العرب البائدة. وينتسبون إلى جدهم الأول ثمود أخي جديس، وهما ابنَا عـابر (أو عامر أو عاثر) بن إرم بن سـام بن نوح. وقيل هو ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح. وكانوا في سعة من العيش، نخالفوا أمر ربهم واتجهوا إلى عبادة الأصنام، وهي عندهم كثيرة ومنها: الصنم (**ود**) و (**جد ـ هد**) و (**شمس**) و (**مناف**) و (**مناة**) و(**اللات**) وغيرها. وأفسدوا في الأرض، فبعث الله إليهم النبي: صالح عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يتركوا عبادة الأوثان، ولكنهم أصروا على الكفر وظلموا كثيرا فأخذهم الله بذنوبهم وأهلكهم بسبب كفرهم وطغيانهم. ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿17﴾ ﴾[فصلت: 17].

ثوبان بن جحدر

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿69﴾ ﴾[النساء: 69].

هو ثوبان بن جحدر، وقيل ثوبان بن بجدد، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنيته أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن والأول أصح. وهو من العرب من حمير اليمنية، وقيل أصله من السراة (مكان بين مكة واليمن) ، وقيل هو من سعد العشيرة من مذحج أخذ في السبي.. ، فاشتراه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه، وَخيَّره قائلا: " إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون من أهل البيت " . فاختار البقاء في كنف النبي صلى الله عليه وسلم، وثبت على الولاء له، وظل يخدمه طول حياته حضرا وسفرا. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم **128** حديثا شريفا.

روى ابن السكن قال: لقيت ثوبان فحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأهله فقلت: أنا من أهل البيت. فقال في الثالثة: ما لم تقم على باب أو تات اميرًا تسأله. وقد تعفف طول حياته، حتى يُبقي على انتسابه للبيت الكريم. فقد روى ابو داود عن ثوبان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يتكفل لي أن لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة. فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا. فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه، حتى ينزل بنفسه فيتناوله وحده.

وكان شديد التعلق برسول الله، وشديد الحب له قليل الصبر عنه، لا يريد فراقه أبدًا، فأتاه ذات يوم، وقد تغير لونه، ونحل جسمه، ويظهر على وجهه الحزن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا ثوبان، ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله، ما بي من ضر، ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، وأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وإني، وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة، فذلك أحرى أن لا أراك أبدًا، فلم يقل له النبي شيئًا، فأنزل الله قرآنا يطمئن ثوبان، ويضمن لكل مؤمن طائع أن يكون رفيقا للنبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿69﴾﴾[النساء: 69].

وبعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، خرج ثوبان إلى بلاد الشام ونزل بالرملة، وشهد فتح مصر، ثم أقام بحمص، وبها توفي سنة **54 هجرية.**

﴿ حرف الجيم ﴾

الجب

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿10﴾ ﴾ [يوسف: 10].

الجب: هي بئر بأرض بيت المقدس، تقع على طريق القوافل السيارة. وتشرفت هذه البئر بإقامة نبي الله يوسف بداخلها عندما أراد إخوته قتله، ثم تحركت العاطفة في نفس أخيهم الأكبر " **يهوذا**" وأشار عليهم أن يلقوه في قعر البئر، فيأخذه بعض المارة من المسافرين، فيسافروا به إلى مكان بعيد فتتحقق رغبتهم في التخلص منه. فلما عزموا على القائه في البئر، أنزل الله عليه سكينته، وأوحي إليه أنه سوف ينجو من هذه المحنة، ويواجه اخوته بهذا الصنيع، وهو في مقام كريم، وهم محتاجون له، ولا يخطر على بالهم أنه أخوهم يوسف: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿15﴾ ﴾ [يوسف: 15].

وكانت البئر قليلة الماء، فلما ألقوه في قعرها على (راعوفته) وهي الصخرة التي تكون في وسط الجب يقف عليها (المائح) وهو الذي ينزل إلى البئر ليملي الدلاء إذا قل الماء. والذي يرفعها بالحبل يسمى الماتح). وقد جردوه من قميصه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، ثم أخذ يستعطف إخوته، فأمره جبريل أن يشتغل بالدعاء، وقال له: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن عجل الله خروجك من هذا الجب؟ فقال نعم. فقال جبريل قل: " **اللهم يا مؤنس كل غريب، ويا صاحب كل وحيد، ويا ملجأ كل خائف، ويا كاشف كل كربة، ويا عالم كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا حاضر سر كل ملإ، يا حي ياقيوم أسألك أن تقذف رجاءك في قلبي، حتى لا يكون لي هم ولا شغل غيرك، وأن تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا، إنك على كل شيئ قدير**". فقالت الملائكة: إلاَهنَا نسمع صوتا ودعاء، الصوت صوت صبي، والدعاء دعاء نبي. فردد يوسف الدعاء مرارًا في ليلته التي قضاها في الجب، فلما أصبح أخرجه الله منه، عندما مرت بالقرب من الجب سيارة (قافلة من التجار كانت وجهتهم بلاد مصر) ، فأرسوا رجلا منهم يدعى: " **مالك بن دعر**"، ليجلب لهم الماء من البئر، فلما أدلى الدلو في البئر تعلق يوسف بالحبل فخرج، فلما رأى الرجل حسنه وجماله صاح منبها أصحابه قائلا: " **يا بشرى هذا غلام**" وهو تعبير عن فرحه وسروره به. فأخفوه في بضاعتهم، وقرروا بيعه في مصر، وكانوا من الزاهدين في ثمنه خوفا من ظهور سيده إن كان عبدا آبقا، فينتزعه من أيديهم. قال ابن عباس: كان الثمن عشرين درهما.

فاشتراه منهم وزير الملك وهو عزيز مصر، وأوصى امرأته به خيرا: ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿19﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿20﴾ ﴾[يوسف: 19-20].

جابر بن عبد الله الأنصاري

﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ ﴿176﴾ ﴾[النساء: 176].

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، واسم أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي بن سنان. وكنيته: أبو عبد الله، وقد شهد العقبة الثانية مع والده، وكان صبيا صغيرا، بل أصغر القوم يومئذ، وكان والده من النقباء البدريين، واستشهد والده عمرو بن حرام يوم أحد. وبعد الهجرة كان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم، فتتلمذ عليه وحفظ أحاديث كثيرة بلغ عدد ما رواه منها (**1540 حديث شريف**). ولم يشهد مع رسول الله غزوتي"**بدر**" و" **أحد**" لأنه كان صغيرا من جهة، وكان والده يكلفه أثناء غيبته في الجهاد، برعاية أخواته التِّسْع.

قال جابر: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، ولم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قط.

قال جابر: لما كانت الليلة التي سبقت " أحد" دعاني أبي وقال: إني لا أراني إلا مقتولا مع أول من يقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني ـ والله ـــ ما أدع أحدًا أعز عليَّ منك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن عليَّ دينًا، فاقض ديني... وارحم أخواتك... واستوص بهن خيرًا. فلما أصبحنا كان أبي أول قتيل في " أحد ". فلما دفنته أتيت النبي عليه الصلاة والسلام، فقلت: يا رسول الله إن أبي ترك دينا عليه... وليس عندي ما أفيه به إلا ما يخرجه ثمر نخيله، ولو عمدتُ إلى وفاء دينه من ذلك الثمر لما أديته في سنين... ولا مال لأخواتي أنفق عليهن غير هذا. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معي إلى بيدر ثمرنا وقال لي: (أدع غرماء أبيك) فدعوتهم. فما زال يكيل لهم منه حتى أدى الله عن أبي دينه كله من ثمر تلك السنة. ثم إني نظرت إلى البيدر فوجدته كما هو... كأنه لم تنقص منه تمرة واحدة.

عن جابر بن عبد الله قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي، قتل يوم أحد، وترك عيالاً وديناً. قال: أفلا أبشرك بما لقي الله أباك؟ قال: قلت بلى يا رسول الله. قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه

كفاحاً (مواجهة) فقال: **يا عبدي تمَنَّ عليَّ أُعْطِكَ. قال: يا رب تحيني فأُقتل فيك ثانية. قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني (أنهم إليها لا يرجعون).** قال يارب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿170﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿171﴾ ﴾[آل عمران: 169-171].

ويقول جابر: مرضت فأتاني رسول الله وأبو بكر يعوداني ماشيين، وعندي سبع أخوات، فأغمي علي؛ فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت، فقلت: يا رسول الله، أوصي لأخواتي بالثلثين، قال: أجلس، فقلت الشطر. قال: أجلس، ثم خرج فتركني. قال: ثم دخل علي، وقال: يا جابر، إني لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله قد أنزل فبين الذي لأخواتك. وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿176﴾ ﴾[النساء: 176].

وقد صنع جابر طعاما للنبي صلى الله عليه وسلم في يوم الخندق، فدعا النبي كل الصحابة إلى الطعام، فنزلت فيه البركة، فأكل الجيش كله، وبقي الطعام زائدًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزوجة جابر: **كلي هذا، وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة. رواه البخاري.**

وعن جابر رضي الله عنه قال: أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفتل الناس فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الإ إثنا عشر رجلا أنا فيهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ ﴿11﴾ ﴾[الجمعة: 11].

وخرج جابر في جيش مالك بن عبد الله الخثعمي، للغزو في بلاد الروم، وكان معه بغل يمسك بزمامه ويقوده. فقال له مالك: ما بك يا أبا عبد الله؟ لِمَ لا تركب؟ وقد يسر الله لك ظهراً يحملك عليه. فقال جابر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من اغْبَرَّتْ قدماه في سبيل الله حَرَّمَهُ الله على النار).** فمشى الناس على أرجلهم ليفوزوا بالأجر، قيل: فما رُئِيَ جيش أكثر مشاة من ذلك الجيش. وفي آخر عمره أصيب بالعمى، وكان آخر من مات بالمدينة ممن شهد بيعة العقبة، وكانت وفاته سنة **74** هـ، وقيل 77 هـ، وصلى عليه أمير المدينة ابان بن عثمان، وكان عمره نحو **94 سنة.**

قوما جبارين

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ ﴾[المائدة: 22].

الجبار من الناس هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد، فأصله من الإجبار والإكراه. والجبارون كما ورد في الآية هم قوم من العمالقة، من بقايا عاد، كانوا عظام الأجسام، طوال القامة، وقيل هم من ولد العيص بن إسحاق وكانوا من الروم، وكان معهم عوج الأعنق وهو أطول القوم. ولما أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل، أن يدخلوا الأرض المقدسة (فلسطين) ، خافوا من العمالقة الجبارين، الذين كانوا في فلسطين، وقالوا لموسي لا ندخلها إلا بعد خروج العمالقة منها. حينئذ عاقبهم الله بالتيه أربعين سنة في أرض سيناء.

الجبال

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣ ﴾[النازعات: 32-33].

الجبال: هي أحد المظاهر الطبيعية التي أرساها الله في الأرض وجعلها بمثابة الأوتاد التي تشد الأرض وتثبتها: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ ﴾[النبأ: 6]. وجعل من خصائصها المتاع، وجلب المنافع للإنسان والحيوان على حد سواء. وهي بمثابة المساكن، كما ذكر الله عن قوم ثمود: ﴿ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢ ﴾[الحجر: 82]. وقال أيضا: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤ ﴾[الأعراف: 74]. كما هي مأوى آمن للحيوان بإلهام رباني: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ﴾[النحل: 68].

والجبال الجامدة الصماء، تتجاوب مع أمر الله تعالى، فتسجد وتسبح، ولكن الإنسان لا يفقه ذلك: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ ١٨ ﴾[الحج: 18]. وقد سبحت مع نبي الله داود، ورددت التسبيح: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ ﴾[سبأ: 10].وقال أيضا:﴿ سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ ﴾[ص: 18].

وتكون الجبال يوم القيامة آية وعلامة على تغير الكون الفسيح فتدك مع الأرض دكًا، وتنسف نسفًا: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿14﴾﴾[الحاقة: 14]. وقال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿105﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿106﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿107﴾﴾[طه: 105-107].

أما الجبا المحددة في القرآن تصريحا أو تلميحا، فقد وردت في سياق القصص القرآني وهي:

ـ **جبل الجودي:** وهو جبل أرست عليه سفينة نوح بعد انتهاء الطوفان، وذكر الله الجبل باسمه الصريح بقوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴿44﴾﴾[هود: 44].

ـ **جبال إبراهيم: أو (جبال الطيور):** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿260﴾﴾[البقرة: 260]. فعندما سأل إبراهيم ربه أن يريه كيف يحي الموتى، أمره أن يذبح أربعة من الطيور (قال مجاهد: كانت طاووسا وغرابا وحمامة وديكا...) ثم يخلطهن ويوزع اللحم على رؤوس الجبال (قيل كانت أربعة جبال، وقيل سبعة) ، ثم يدعهن فيأتينه مسرعات، وتم الأمر كما أراد الله.

ـ **جبل الطور:** وهو جبل في صحراء سيناء، وذكر في قصة موسى عندما كلمه ربه وكلفه بالرسالة : ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿52﴾﴾[مريم: 52]. كما ذكر في حادث المناجاة: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿80﴾﴾[طه: 80]. وعاقب الله بني إسرائيل برفع جبل الطور، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿171﴾﴾[الأعراف: 171].

الجد بن قيس

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴿49﴾﴾ [التوبة: 49].

هو جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، وكنيته أبو عبد الله، وهو ابن عم البراء بن معرور. وكان في الجاهلية سيدًا لجميع قومه، بنو سلمة، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم نزع منه سؤدده وجعل مكانه في النقابة عمرو بن الجموح، وقيل بشر بن البراء بن معرور، وحضر يوم الحديبية، فبايع الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الجد بن قيس، فإنه استتر تحت بطن ناقته، وعندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتجهز لغزوة تبوك عرض على الجد الجهاد، ولكنه اختلق عذرًا تافهًا ينم عن غفلة ونفاق.

قال ابن اسحاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس أخي بني سلمة لما أراد الخروج إلى تبوك: (**يا جد، هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء**) فقال الجد: قد عرف قومي أني مغرم بالنساء، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن فلا تفتني وأذن لي في القعود وأعينك بمالي، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (**قد أذنت لك**). فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿49﴾﴾ [التوبة: 49].

ولما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني سلمة: " من سيدكم يا بني سلمة؟ " قالوا: جد بن قيس، غير أنه بخيل جبان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " وأي داء أدوى من البخل، بل سيدكم الفتى الأبيض بشر بن البراء بن معرور". فقال حسان بن ثابت الأنصاري فيه:

وسود بشر بن البراء لجوده *وحق لبشر بن البرا أن يسودا

إذا ما أتاه الوفد أذهب ماله * وقال خذوه إنني عائد غدا

وقيل إن الجد بن قيس تاب وحسنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، أي بعد عام **23 هـ (644 م)**.

جدر اليهود

﴿ يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ ﴿١٤﴾ ﴾[الحشر: 14].

يقرر القرآن الكريم في شأن اليهود، العجز المستمر في القتال المكشوف مع المجاهدين المسلمين، لأن طبيعتهم الجبانة، تفرض عليهم التخفي، ويدفعهم الخوف إلى التحصن وراء الأسوار، والحرص على تشييد الجدران، وتمتين البنيان في سائر العصور لمواجهة أصحاب الحق. وجسدوا ذلك في أمرين متكاملين:

1) تشييد القرى المحصنة: وهي المباني المتجمعة داخل الأسوار العالية، والقلاع المحمية، مثل حصونهم في المدينة، ومنها حصون يهود بني قينقاع، التي كانت ملجأً لهم أثناء حصار المسلمين لمدة 15 يوما. ويهود بني النضير حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم، فالتجأوا إلى حصونهم، وأخذوا يرمون من ورائها بالنبال والحجارة، ودام حصاره لهم لمدة 15 ليلة. كذلك تحصن يهود بني قريظة بعد غدرهم يوم الأحزاب، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم لمدة 25 يومًا. وحدث نفس الأمر ليهود خيبر حينما دخلوا الحصون المنيعة، وقسموا الأدوار عليها فجعلوا العيال والأموال في حصن (الوطيح والسلالم) ، وأدخلوا الذخائر إلى حصن (ناعم) ، ودخلت قواتهم العسكرية إلى حصن (نطاة) ودام الحصار والقتال عدة أيام وانتهى بانتصار المسلمين، ولم تغن عن اليهود حصونهم المنيعة: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴿٢﴾ ﴾[الحشر: 2]. واستمر اليهود على مدار تاريخهم في تشييد القرى وإحكام الحصون حولها لتكون الدرع الواقي لهم في وقت الحاجة، وهذا السلوك اليهودي جعل آيات القرآن تشاهد في مختلف العصور لتكشف طبيعة الصراع بين الحق والباطل. وأثناء المعارك التي حدثت في أرض فلسطين بين اليهود والمجاهدين في القرن العشرين، ظهر جليا أنهم لا يقاتلون إلا في المستعمرات المحصنة (المستوطنات)، فإذا أحسُّوا بالخطر ولوا مدبرين إلى حصونهم. وبعد إقامة دولة إسرائيل بنوا المستوطنات لتحميهم من هجمات الفدائيين، ومواجهات المجاهدين.

2) بنـاء الجدران العازلة: وهي جدران متينة الصنع، مرتفعة البناء، يحتمي بها اليهود من أعدائهم، في كل الأوقات، وخصوصا زمن الحروب، مثل إقامة خط بارليف الحصين في سيناء لمواجهة الجيش المصري، وبناء الجدار العازل سنة **2004** لمواجهة الإنتفاظة الفلسطينية المباركة. والجدار الفولاذي الذي حوصر به قطاع غزة سنة **2010.**

جـالوت

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: 250].

جالوت: أو (**جُليات**) عند أهل الكتاب، هو أمير الفلسطينيين العمالقة وملكهم، كان يقود جيشًا جرارًا قوامه نحو **300 الف** فارس. قال عكرمة: قوام الجيش **90 ألف** فارس. بينما كان جيش المؤمنين من بني إسرائيل بقيادة ملكهم طالوت **80 ألفا**، فلما عبروا النهر خالف أمرطالوت **76 ألفا** فشربوا من النهر، ولم يبق ثابتا معه سوى **4 آلاف** مقاتل من المؤمنين الصادقين، الذين يستمدون العون من ربهم، ويبذلون أقصى ما عندهم من قوة، ويرجون النصر والتأييد من الله ولسان حالهم يقول: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: 249]. ولما صاروا ـ في فضاء المعركة ـ في مواجهة جيش جالوت المدرب على الحروب أخذتهم الرهبة وتمالكهم الخوف، ولكنهم فوضوا أمرهم إلى الله، ودعوه متضرعين بثلاث دعوات، فسألوه أن يمنحهم الصبر على القتال، والثبات على الجهاد، والنصر على الأعداء الكافرين: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: 250].

وكان جالوت رجلا عملاقا، خرج في ساحة الوغى، مدججا بالسلاح، يحمل بين يديه رمحا ضخما، ونادى في صفوف بني إسرائيل أن ينتدبوا رجلا منهم لمبارزته وقال: إن استطاع رجلكم أن يغلبني صرنا لكم عبيدا، وإن ظفرت أنا به وقتلته تصيرون لنا عبيدا. نخاف بنو إسرئيل من وعده ووعيده، فأحجموا عن مبارزته، وظل يتوعدهم عدة أيام. ولكن ملك بني إسرائيل (طالوت) وعد أن يهب المال الكثير لقاتل جالوت ويزوجه ابنته ويجعل له مكانة عنده. وحضر المعركة (**داود بن يسي**) وكان صغيرا يرعى الغنم، لا شأن له بالحرب ولكن والده أرسله ليطمئن على إخوته الثلاثة، وكانوا جنودا في جيش طالوت، فلما أبصر جالوت وهو يتوعد قومه أخذته العزة، واقترب من طالوت، وطلب منه الإذن لمبارزة الطاغية المتجبر، فأذن له وألبسه درعا، ولكنه نزعها، واكتفى بالحجارة والمقلاع، فقذفه بحجر من مقلاعه على جبهته، نخر جالوت على الأرض يتلوى، فعاجله داود بالسيف فقطع رأسه، لحلت الهزيمة في جيش العمالقة، وولوا هاربين لما قتل قائدهم، فتعقبهم طالوت ورجاله وقتلوا منهم عددا كبيرا. وتحقق النصر المؤزر بقتل الطاغية جالوت: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ

ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿251﴾ ﴾[البقرة: 251].

الجـــلاء

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿3﴾ ﴾[الحشر: 3].

الجلاء: هو النفي أو الإخراج بعد الهزيمة إلى أرض أخرى. ووقع ذلك ليهود المدينة بعد حصارهم داخل الحصون، طلبوا الجلاء وفضلوا الخروج، ولكنه خروج المضطر، وحدث ذلك ليهود بني النضير بعد ظهور الخذلان من منافقي المدينة، فقد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويحقن دماءهم، كما سبق جلاء يهود بني قينقاع، فأذن لهم بالخروج بشرط أن يخرجوا من المدينة ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من مال أو طعام أو شراب، ومنعهم من حمل السلاح. فكان الرجل منهم يهدم البيت ويحمل الباب على ظهر بعيره، ويتلف الباقي حتى لا يقع في أيدي المسلمين. فخرج بعضهم إلى خيبر، ومنهم من قصد ضواحي الشام، وتركوا للمسلمين مغانم كثيرة من السلاح بلغت: **50** درعا، **340** سيفا، وغلالاً كثيرة، وأصبحت أرضهم ملكا للمسلين. وفي هذا الجلاء نزل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿2﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿3﴾ ﴾[الحشر: 2-3].

الجلاس بن سويد الأنصاري

﴿ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿74﴾ ﴾[التوبة: 74].

هو الجلاس بن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي. كانت له صحبة وصار من المنافقين وتخلف عن قصد في غزوة تبوك مع المتخلفين من المنافقين. وكان عمير بن سعد ابن زوجة الجلاس (أي ربيبه) ويعيش معه في كنفه، فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن في المنافقين المتخلفين، وفضحهم الله، قال الجلاس: " **والله لئن كان هذا الرجل صادقا فيما يقول لنحن شر من الحمير**". فسمعها عمير بن سعد، فقال: والله يا جلاس

إنك لأحب الناس إلي وأحسنهم عندي بلاء وأعزهم علي من الأخرى، ولكن سأخبر رسول الله، فلما رفع الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أنكر الجلاس ذلك، وحلف بالله أن عميراً كذب عليه، ولكن القرآن نزل مصدقا قول عمير بن سعد: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74) ﴾[التوبة: 74]. فلما نزل فيه القرآن، تاب الجلاس من ذنبه، إستجابة لأمر الله، وحسنت توبته، واستمر في صلته الطيبة مع عمير، فكان ذلك مما عرفت به توبته.

الجمعان

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) ﴾[الشعراء: 61].

الجمعان في القرآن الكريم هما: جمع المؤمنين المجاهدين الذين يواجهون جمع الكفار والمشركين، وورد ذكر ذلك في القرآن في عدة مواضع، وحدث ذلك في عدة أيام من تاريخ الجهاد الإسلامي:

1) الجمعان في عهد موسى: وهو جمع المؤمنين بقيادة موسى عليه السلام، في مواجهة جمع الكفار بقيادة فرعون، فقد رأى جمع المؤمنين أن قوات فرعون أدركتهم، وتكاد تفتك بهم، والبحر يعرقل سيرهم. ولكن نبي الله موسى طمأنهم وأكد لهم، أن الله معه وسينصره على القوم الكافرين، وفعلا تحقق النصر لأن وعد الله حق: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) ﴾[الشعراء: 61-67].

2) الجمعان في يوم بدر: وهو جمع المسلمين بقيادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، في مواجهة جمع المشركين بزعامة إبي جهل، وكان النصرلجمع المؤمنين، في يوم الفرقان الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل. ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) ﴾[الأنفال: 41].

3) **الجمعان في يوم أحد:** وهو جمع المسلمين بقيادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، في مواجهة جمع المشركين بزعامة أبي سفيان، وذكر الله أمر المنهزمين، الذين تولوا، لأن الشيطان وسوس لهم وأوقعهم في الخطيئة ببعض ما عملوا من الذنوب، وهو مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ ﴾[آل عمران: 155].

وبين الله لجمع الإيمان أن ما وقع لهم يوم الغزوة، قضاء وقدر من الله ليميز الله به الخبيث من الطيب، ويظهر للناس أهل الإيمان بثباتهم وصبرهم، والدفاع المستميت على قائدهم عليه الصلاة والسلام. ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[آل عمران: 166].

جميل بن معمر الفهري

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴿٤﴾ ﴾[الأحزاب: 4].

هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، شهد مع والده في الجاهلية حرب الفجار، وهو أخو سفيان بن معمر، وعم حاطب وحطاب ابني الحارث بن معمر.

كان جميل يسمى في قريش (ذا القلبين) ، وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع، فقالت قريش ما حفظ هذه الأشياء إلاَّ وله قلبان، وكان يقول عن نفسه مفتخرا: إنَّ لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما كان يوم بدر، وهزم المشركون، وفيهم يومئذ جميل بن معمر، رآه أبو سفيان في العير، وهومعلق إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله ، فقال له أبو سفيان: ما حال الناس؟ قال: انهزموا. قال: فما إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي؛ فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴿٤﴾ ﴾[الأحزاب: 4].

وأسلم يوم الفتح وكان مسناً. وشهد مع رسول الله غزوة حنين، فقتل زهير بن الأبجر مأسوراً، فقال أبوخراش الهذلي يخاطب جميل بن معمر:

فأقسم لو لاقيته غير موثق * لابك بالجزع الضباع النواهل
وكنت جميل أسوأ الناس صرعة * ولكن أقران الظهور مقاتل
وليس كعهد الدار يا أم مالك * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وكان جميل لا يكتم الأسرار، وخبره في ذلك مع عمر بن الخطاب مشهور. قال الزبير بن بكار: جاء عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، فسمعه قبل أن يدخل يتغنى بالنصب (نوع من أغاني العرب يشبه الحدا) فيقول:

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

فدخل عمرإلى البيت وقال: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال عبد الرحمن: إذا خلونا في منازلنا قلنا ما يقول الناس. وشهد جميل بن معمر فتح مصر، ومات في أيام عمر بن الخطاب فحزن عليه حزنا شديدا، يقول ابن حجر: وأظنه لما مات قارب المائة فإنه شهد حرب الفجار وهو رجل.

أم جميل

﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[المسد 4-5].

وهي زوجة أبي لهب ـ عم النبي صلى الله عليه وسلم ـ وتكنى بأم جميل، وهي أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت شديدة العداء للنبي صلى الله عليه وسلم، وبلغ بها العداء إلى رمي الأشواك في طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى بابه ليلا، وكانت سليطة اللسان، تثير حربا على النبي صلى الله عليه وسلم، فوصفها القرآن بحمالة الحطب، لما تضعه في الطريق من حطب، إضافة إلى إيقاد نار العداوة والبغضاء، والسعي بالنميمة بين الناس لتفسد الود بينهم، وجعل الله في عنقها يوم القيامة حبلاً تعذب به لأنها كانت تملك قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزى لأنفقها في عداوة محمد، فكان الجزاء من جنس العمل. قال سعيد بن المسيب: " كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنَّها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار، والمسد الليف. وقال ابن كثير: أي في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها، ثم ترمى إلى أسفلها، ثم لا تزال كذلك دائمًا.

ولما سمعت ما نزل فيها من قرآن، وما نزل في زوجها من آيات، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر (أي حجر بمقدار ملء الكف) فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة. ثم قالت هذا البيت:

مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني.

أصحاب الجنة

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿17﴾ ﴾[القلم: 17].

إن الله اختبر أهل مكة بالقحط والجوع لما كذبوا رسول الله، وضرب المثل للناس لعلهم يأخذوا العبرة، فأخبرهم بقصة مماثلة لحالهم وقعت في زمن متقدم، بالقرب من بلادهم، شهدتها أرض اليمن.

قال علماء التفسير: كان لرجل مسلم بالقرب من صنعاء جنة (أي بستان) يحتوي على أنواع عديدة من النخيل والزروع والثمار، وكان الرجل يؤدي حق الله ويزكي الغلة في موسم الجني، فيعطي للفقراء نصيباً معتبراً، ويكرمهم غاية الإكرام؛ ولما مات ورثه أبناؤه الثلاثة، وقد تمكن البخل من قلوبهم فقالوا: إن المال قليل والعيال كثير فلا يمكننا أن نعطي الفقير والمسكين كما كان يفعل أبونا، فقلبوا الأمر كثيرا فيما بينهم، وكان أعدلهم يذكرهم بالله، ويخوفهم من العذاب، ولكنهم غلبوه على أمره، واتفقوا على جني الثمار في الصباح الباكر حينما يكون المساكين في نومهم يغطون، وأكدوا ذلك بالقسم، ولكن عين الله لا تنام، فأرسل على البستان نارًا بالليل وهم نيام، فأحرقت الشجر، وأتلفت الثمر، وتحولت الحديقة إلى خراب وصريم، وهو الرماد الأسود كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿17﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿18﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿19﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿20﴾ ﴾[القلم: 17-20].

ولما استيقضوا في الصباح الباكر، خرجوا بهدوء، فلما وصلوا إلى البستان وجدوا شكلاً آخر، فظنوا أنهم أخطأوا الطريق إليها بسبب الظلام، ولكن سرعان ما ظهرت لهم الحقيقة، فعرفوا أن الله عاقبهم على ظلمهم، ومنعهم حق المساكين: ﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿21﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿22﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿23﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿24﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿25﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿26﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿27﴾ ﴾[القلم: 21-27].

والمشهد الأخير في قصتهم كان ندمًا عما صدر منهم، وذكَّرهم الأعقل فيهم، أنه نصحهم باتباع الصراط السوي، وتسبيح الله تعالى وخوفه، وإرجاع الأمور إلى مشيئته بقول " **إن شاء الله** "، فلم يمتثلوا، فكان الجزاء من جنس العمل. ثم انتقل الكلام إلى اللوم لبعضهم، وبعد برهة تفطنوا لأنفسهم وأحسوا بفداحة جرمهم، وخافوا من عاقبة ذنبهم، فلجأوا إلى الله متذللين نادمين، ورجعوا إليه تائبين:

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿28﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿29﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿30﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿31﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿32﴾ ﴾[القلم: 28-32].

صاحبي الجنتين

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴿32﴾ ﴾[الكهف: 32].

هو مثل ضربه الله لكل كافر بأنعم الله، متعلق بالدنيا الفانية، وهو المتعالي على البشر، الذي يكون مصير ماله الفناء في الدنيا والآخرة، وجزاؤه العذاب الأليم.

وكان للمثل قصة قديمة حدثت في زمن بني إسرائيل، هي قصة أخوين، أحدهما مؤمن يدعى (**يهوذا**)، والآخر كافر يدعى (**قرطوش**) ، وكانا شريكين ثم اقتسما المال، فصار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، فاشترى المؤمن منها عبيدًا بألف فأعتقهم، وبالألف الثانية ثيابا فكسى العراة، وبالألف الثالثة طعاما فأطعم الجياع، وبنى مسجدا وفعل الخير الذي قدرعليه. بينما تزوج الثاني نساء من طبقة الأغنياء، واشترى البقر والدواب ونماها، فربح مالا كثيراً واتسعت تجارته، فصار من أثرياء البلاد، واشترى جنتين (حديقين) فيهما مختلف الزروع والثمار.

ولما أصابت المؤمن الحاجة، قصد صاحبه لعله يستخدمه في إحدى جنتيه، فلما قابله وعرف منه أنه تصدق بكل ماله، قال له متهكما: أإنك لمن المصدقين، ما أظن الساعة قائمة، وما أراك إلا فيها، وما جزاؤك عندي على سفاهتك، إلا الحرمان، أنظر ماذا صنعت أنا بمالي، حتى صرت من الأغنياء. وبدأ يفتخر عليه ونسي فضل الله وكرمه:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿32﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿33﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿36﴾ ﴾[الكهف: 32-36].

ووقع حوار طويل بين الأخوين، وكان دور المؤمن التذكير بنعم الله، ولا بد أن يقابلها الإنسان بالشكر، وقال لأخيه: كان الأولى بك بعد هذا الغنى والنعيم، عندما تدخل إلى جنتك أن تتواضع لله، وأن تقول: **هذا فضل الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا قوة إلا بالله، فهو الموفق لكل خير.** وقال له: لا تغتر عليَّ بمالك وجناتك، فهي ظل زائل، والله سبحانه الذي أعطاك هذا الخير قادر في لحظة من الزمن أن يحرمك منها، وأنت تنظر إليها، فتصيبها الصواعق فتحرقها، أو يغور الماء في باطن الأرض وتعجز عن جلبه فتموت من العطش، ويذهب مالك وجاهك الذي تفتخر به، وفي مقابل ذلك فالله يرزق من يشاء من عباده، وهو قادر على أن يرزقني جنة خير من جنتك، ويبارك لي فيها: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)﴾ [الكهف: 37-41].

وتحقق في الدنيا ما حذر منه المؤمن، وفجأة زال كل شيئ ، فأصاب الجنة الخراب، وأصبح الكافر بانعم الله يقلب كفيه نادمًا، ولكن لا ينفعه الندم، ولا ينجيه من العذاب صاحب ولا عشيرة، فالناصر الوحيد الذي عليه يتوكل المتوكلون هو الله ولي المؤمنين. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)﴾ [الكهف: 42-44].

الجنود

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (7)﴾ [الفتح: 7].

الجنود: هم أفراد العسكر، وأساس الجيش، ومهمتهم مقاتلة الأعداء، ويمكن تقسيمهم في القرآن إلى فئتين، جنود الحق، وجنود الباطل:

1ـ جنود الحق: وهم جند الله، وذكروا في القرآن بصفة مجملة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (7)﴾ [الفتح: 7]. وهم: الملائكة، والجن والإنس، والحيوانات، والصواعق المدمرة، والزلازل والخسف، والغرق، والريح الصرصر، وجنود أخرى لا يحصيها إلا الله تعالى:

* **الملائكة:** وهم جند الله الذي ينزله لتثبيت المؤمنين، ولا يعلم عددهم وقوتهم إلا الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (31)﴾ [المدثر: 31]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة بدر ـ يستغيث ويتضرع إلى الله، فأنزل الله ألفاً من الملائكة مردفين دعمًا للمسلمين في قتالهم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9)﴾ [الأنفال: 9]. وقاتلت الملائكة في بدر قتالاً فعليا. قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12)﴾ [الأنفال:

12]. وأيدت ذلك السنة الشريفة: عن ابن عباس قال: " بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه خر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة. " رواه مسلم. قال المفسرون: ان جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يمين الجيش، ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل.

وقد أنزل الله الملائكة أثناء هجرة النبي صلى الله عليه وسلم لتحرسه في غار ثور، ولكن أحدًا من الناس لم يراها: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)﴾[التوبة: 40].

كما أنزل الله ألفاً من الملائكة في غزوة الأحزاب، فتزلزل المشركون، لأن الملائكة ألقت في قلوبهم الرعب: ﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) ﴾[الأحزاب: 9].

وأنزل الله الملائكة في يوم حنين لتثبيت المؤمنين: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ﴾[التوبة: 26].

* **مظاهر الطبيعة:** فقد عاقب الله أقواما وأهلكهم بجنود من الطبيعة، فأهلك قوم نوح بالطوفان، وقوم عاد بالريح الصرصر العاتية، وأرسل الريح الشديدة على جيش الأحزاب فقلعت خيامهم، وقلبت قدورهم، فاضطروا إلى الرحيل عن المدينة مهزومين: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40) ﴾[العنكبوت: 40].

* **الحيوانات:** وهي من جند الله الذي يرسله للمكذبين، ويعاقب به المفسدين، وقد أرسل بعضا منها إلى قوم موسى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا

﴿قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (133)﴾[الأعراف: 133]. وأرسل الله بعوضة، إلى النمرود بن كنعان فقهرته وذهبت بكبريائه، إلى أن مات.

وقد صان الله جسد الصحابي عاصم بن ثابت بن قيس في يوم الرجيع، فلما قُتلَ، وأرادت قريش أن تجتز رأسه (أي تقطعه) بعث الله عليه مثل الظلة من الدبـر (أي الزنابير) فحمته منهم، ولما كان الليل بعث الله إليه سيلا فجرفه وأبعده عن القوم الظالمين؛ وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك، ولما أحس بدنو أجله شهيدا دعا الله قائلا: اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لحمي آخره. ولما سمع عمر بخبره كان يقول: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته.

* **جنود الرحمن:** وهم عدة المسلمين في قتال الأعداء، وهم أساس الجيوش، ومهمتهم عبادة الله بإقامة فريضة الجهاد، فالواجب عليهم بذل أقصى ما عندهم من جهد في قتال العدو، ولكن عندما يقل عددهم وعدتهم، ويستفرغون كل ما عندهم، تتدخل العناية الربانية ويمدهم الله بالملائكة، أو مظاهر الطبيعة، أو غيرها من جند الله، وقد ذكر الله هذا الجند المقاتل بسواعده في عدة مواضع هي:

ـ **جنود طالوت:** وهم جند الحق الذين تصدوا لقوات جالوت الظالم: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ (249)﴾[البقرة: 249]. وكان عدد جيش طالوت ثمانون ألف مقاتل.

ـ **جنود سليمان:** ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17)﴾[النمل: 17]. فكان جيش سليمان يضم جماعات من الجن والإنس والطير، وكانوا في تقدم ونظام. هدد بذلك الجيش قوم سبأ عندما أرجع لهم هديتهم، فقال لرسول بلقيس: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)﴾[النمل: 37].

وجند الرحمن هو الجند المنتصر في آخر المطاف، وهذا عهد الله لعباده المجاهدين الصادقين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾[الصافات: 171-173].

2 ـ **جنود الباطل:** وهم جنود الضلال والطغيان، يقود مسيرتهم إبليس وذريته من الشياطين، والكفار والمنافقين. ويكون مصيرهم جهنم، قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95)﴾[الشعراء: 94-95]. وجنود الباطل الذين ذكروا في القرآن هم:

ــ **جنود فرعون وثمود:** ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (17) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (18)﴾[البروج: 17-18]. وتجندوا لحرب الرسل والأنبياء؛ واستكبر فرعون وجنوده على موسى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿39﴾ ﴾[القصص: 39]. وكان مصيرهم الغرق في البحر الأحمر، وقال الله لموسى عليه السلام: ﴿ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿23﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿24﴾ ﴾[الدخان: 23-24]. وانطبق البحر عليهم فلم يبق منهم أحدًا على قيد الحياة: ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿40﴾ ﴾[القصص: 40].

ـ **جنود جالوت:** وكانوا مصدر خوف عند أصحاب طالوت، فقالوا لقائدهم قبل المعركة: ﴿ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ ﴿249﴾ ﴾[البقرة: 249]. ولكن فئة من جنود طالوت ثبّتهم الله على طريق الجهاد، فواجهوا جيش جالوت المدرب، وتوكلوا على الله وصبروا على الشدائد، فنصرهم الله على عدوهم: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿249﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿250﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴿251﴾ ﴾[البقرة: 249 - 251].

ـ **جنود الأحزاب:** وهم الكفار الذين اجتمعوا لحرب المسلمين في عزوة الخندق؛ وهم قريش وغطفان ويهود بني قريظة وبني النضير، وكانوا اثني عشر ألفا، وقال الله فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿9﴾ ﴾[الأحزاب: 9].

جندب بن زهير

﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿110﴾ ﴾[الكهف: 110].

هو جندب بن زهير بن الحارث بن كثير بن جشم بن سبيع بن مالك بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة الازدي العامدي. قيل هو الذي قتل الساحر بين يدي الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقيل جندب بن كعب هو الصحيح. وجندب بن زهير هو أحد جنادب الأزد الأربعة وهم: جندب الخير بن عبد الله، وجندب بن كعب قاتل الساحر، وجندب بن عفيف، وجندب بن زهير.

فعن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذُكِرَ بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس؛ وجاء جندب إلى رسول الله وقال: إني أعمل العمل لله، فإذا أُطلع عليه سرني، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يقبل ما روئي فيه** " ؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿110﴾ ﴾[الكهف: 110].

والآية الكريمة تحث كل مسلم بعد جندب بن زهير إلى الإخلاص في العمل، وعدم النظر إلى رضى الناس لأنهم لا يملكون نفعًا ولا ضرًا، ولا جزاءً ولا شكوراً، والجزاء الأوفى مدخر عند الله للمخلصين في أعمالهم.

وجندب بن زهير كان فيمن سيره عثمان من الكوفة إلى الشام، وقتل في معركة صفين سنة**37 هـ/ 657** م، وكان في صف علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأضاه.

جنيد بن سبيع

﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿25﴾ ﴾[الفتح: 25].

هو جنيد (أو جنيذ) بن سبيع (أو سباع) الجهني، ويكنى بأبي جمعة، وقال الطبراني في رواية أخرى هو أبو جعفر حبيب بن سباع. وكان من المقاتلين المخضرمين في يوم الحديبية. قال جنيد: قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً.

ولعل من الأسباب القوية لحصول الهدنة، وتتويج المعركة بالصلح، من أجل حقن دماء المؤمنين المستضعفين من أهل مكة ، كسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، أو الذين أسلموا أثناء الغزوة كأبي جمعة.

قال جنيد بن سبيع: " قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم أول النهار كافرا، وقاتلت معه آخر النهار مسلما، وكنا ثلاثة رجال، وسبع نسوة (وفي رواية أخرى كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين) وفينا نزلت: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿25﴾ ﴾[الفتح: 25].

المجاهدون

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: 95].

المجاهدون: هم أبطال الإسلام من الرجال والنساء الذين يقيمون فريضة الجهاد في سبيل الله، وينشرون الاسلام ويدافعون عن القيم، ويواجهون الأعداء المتربصين. ولا يتخلف عن فرض الجهاد إلا صاحب عذر شرعي كالأعمى والأعرج والمريض، فإذا قعدوا في بيوتهم كتب الله لهم أجر المجاهدين، ولكن الله فضل عليهم المجاهدين في الميدان بأموالهم وأنفسهم بدرجة، لاستوائهم في النية، لقوله صلى الله عليه وسلم: (**إن بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه** قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ **قال: نعم حبسهم العذر)** رواه **البخاري.**

وعن زيد بن ثابت قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: 95]. ولم يذكر أولي الضرر، فقال ابن أم مكتوم، كيف وأنا أعمى لا أبصر. قال زيد: فتغشى النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحيُ، فاتكأ على فخذي، فوالذي نفسي بيده، لقد ثقل عليَّ فخذي حتى خشيت أن يرضها، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: أكتب: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: 95]. فكتبتها. رواه **البخاري.**

وجعل الله الجهاد تكليفا يختبر به عباده، ليميز الخبيث من الطيب، ويميز الصادق عن المنافق، فقال عز من قائل: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: 31]. وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللهم لا تبتلنا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

والمجاهدون ينضم إليهم كل الذين يشتغلون بنشر الدعوة الاسلامية في الناس، بالقول، والقلم، والمال، والتعليم وغيره من الأعمال النافعة. فقال الله لنبيه، أن جهاد الكفار والمنافقين يكون بالقرآن، وهذا يقتضي أن يكون أصحابه من المجاهدين: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: 52].

أبو جهل

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ (43) طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ (44) كَٱلْمُهْلِ تَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ (45) ﴾[الدخان: 45].

هوعمرو بن هشام المخزومي القرشي، وكنيته عند قومه، **أبو الحكم**، فسماه المسلمون **أبو جهل** لشدة جهله وعناده ومحاربته للنبي صلى الله عليه وسلم. وهو زعيم بني مخزوم من قريش.

وكان يسمع أحيانا إلى القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يذهب عنه، أو يؤذيه بالقول، ويفتخر بافعاله الخسيسة، ويتمطى في مشيتة متبخترا نخوراً بين قومه بني مخزوم، وفيه نزل: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (31) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (33) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (34) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (35) ﴾[القيامة: 31 - 35].

وروي أن النبي صلى الله عليه وسل أخذ بيد أبي جهل ثم قال له: **(أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى).** فقال أبو جهل: أتتوعدني يا محمد وتهددني؟ والله لا تستطيع أنت وربك أن تفعلا بي شيئاً، والله إني لأعز أهل الوادي. وكان يمنع النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة منذ أول يوم رآه يصلي في الحرم، ومر به يوما وهو يصلي عند المقام فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا، وتوعده فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره. فقال: يا محمد بأي شيئٍ تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا. فأنزل الله فيه: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ (10) أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ (11) أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ (12) أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ (13) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ (14) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ (17) سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب (19) ﴾[العلق: 9 - 19].

وزادت حدته بعد نزول هذه الآيات، ولكن الله أخزاه ورده خائبا، أمام قومه، فقد روى الإمام **مسلم** في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته لأطأَنَّ على رقبته ولأُعفرنَّ وجهه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ رقبته، فما فاجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً.)**

وكان أبو جهل يتعرض لكل من أسلم من قريش، فإن كان من أشراف القوم يلومه ويعيره، وإن كان من الضعفاء والعبيد شارك في تعذيبه، كما فعل بأسرة **عمار بن ياسر** الذي كان مولى لبني مخزوم، فقد عُذِّبُوا بالرمضاء في بطحاء مكة، فمات **ياسر** في العذاب، وطَعنَ أبو جهل **سمية** في قُبُلِهَا بحرْبة فماتت، وهي

أول شهيد في الإسلام. ورغم ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب في هدايته إلى الحق ليكون عوناً للمسلين، فيدعوا ربه، كما روى ابن سعد بسند حسن عن سعيد بن المسيب، (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عمر بن الخطاب أو أبا جهل قال: اللهم أشدد دينك بأحبهما إليك**). فاستجاب الله فأسلم عمر، وبقي أبو جهل على ضلاله، ونبه القرآن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يتحسر عنه، فإن الله يهد من يشاء وهو على كل شيء قدير، وكذلك في قوله سبحانه: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ ﴾[فاطر: 8].

وأشار القرآن إلى أبي جهل وأهل بيته الذين أصروا على الكفر، فلا تنفع معهم موعظة، لأنه ختم على قلوبهم، فهم لا يبصرون الحق أبداً، ونزل في أبي جهل وخمسة من أهل بيته قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾[البقرة: 6-7].

واشتدت عداوة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، وبدأوا يفكرون في قتله، وكان أبو جهل أول المبادرين. روى ابن إسحاق، فقال: قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسنَّ له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله لا نسلمك لشيئ أبداً، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو، فقام يصلي، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم، ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه، مرعوباً قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا انيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه.

وكان أبو جهل يقول: لئن رأيت محمدا لأفعلنَّ، ولأفعلنَّ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا

يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ ﴾[يس: 8-10]. فكانوا يقولون هذا محمد، فيقول: أين هو، أين هو؟ ولا يبصر.

وكان مدار الحديث في مجالسه مع قومه، حول النبي صلى الله عليه وسلم، وما نزل من القرآن الكريم، ويمر النبي صلى الله عليه وسلم بهم، فيجد أبو جهل سبباً للتهكم أو السخرية، أو الإيذاء، أو الإستخفاف بنبوته، مثلما حدث ذات يوم لما مرالنبي على أبي جهل، وأبي سفيان، وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبيُّ بَني عبد مناف، فغضب أبو سفيان، وقال: أتنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي؟ فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فرجع إلى أبي جهل فوقع به، وخوفه. وقال: ما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب من غَيَّرَ عَهْدَهُ، فنزلت الآية: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ ﴾[الأنبياء: 36].

ومما خاض فيه أبو جهل في تلك المجالس، التشكيك في شجرة الزقوم، لأن الله خوفهم منها بعد ذكر طعام الجنة ونعيمه في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ ﴾[الصافات: 62 -63].

فقال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله، ما نعلم الزقوم إلا التمر، والزبد، فأنزل الله آيات أخرى حتى ينبه الغافلين، فلا يغتروا بقول الأفاكين: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ [الصافات: 64 -66]. وبقي أبو جهل مستهترا بالقرآن، فيقول: يا معشر قريش: أتدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا.. قال ـ متهكما ـ إنها عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمها تزقمًا، وكان يأتي بالتمر، والزبد بعد ذلك فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد فنزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ ﴾[الدخان: 43 -49]. وكان يقول: أيتوعدني محمد، والله، لأنا أعزّ من بين جبليها (يعني مكة) ، فأنزل الله: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ ﴾[الدخان: 49]. فقتله الله يوم بدر وأذله، وعيره بكلمته التي قالها.

ولما عزمت قريش على المضي إلى قتال المسلين في بدر، تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين. ولما كان يوم بدر قال أبو جهل: اللهم أيُّنا كان أفجر، وأقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فافتح له الغداة وكان ذلك إستفتاحه، فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۖ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿19﴾ ﴾[الأنفال: 19].

وتطوى حياة أبي جهل في غزوة بدر، في السنة 2 هـ **(623م)** ، وكانت نهايته مأساوية، فقتل شر قتلة، وذلك جزاء الظالمين. وكان موته على مراحل ليزداد عذاباً في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

* فأول من ضربه بالسيف كان معاذ بن عمرو بن الجموح (أخو بني سلمة) ، فقطع قدمه بنصف ساقه.

* ثم مر به وهو عقير (أي مقطوع الساق) ، معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، ولكن بقي به رمق من حياة.

* ثم جاءه عبد الله بن مسعود فوجده بآخر رمق، فوضع رجله على عنقه (وكان ذات يوم بمكة قبض على ابن مسعود، فأذاه ولكزه) ، فقال له ابن مسعود: " هل أخزاك الله ياعدو الله؟ " فقال أبو جهل: وبما أخزاني، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ فقال عبد الله: " لله ورسوله". فقال أبو جهل: " لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رويعي الغنم" فقطع ابن مسعود رأسه، وألقاه بين يدي رسول الله وقال: هذا رأس عدو الله أبي جهل، فحمد النبي صلى الله عليه وسلم ربه على ذلك، فهل من معتبر؟ .

وصدق الله لما قال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴿95﴾ ﴾[الأنعام: 95]. قال ابن عباس: **يخرج المؤمن من الكافر.** وهذا ماحدث بعد اسلام ابنه **"عكرمة"**، وعرف بجهاده في سبيل الله وبلائه الحسن:

ـ **عكرمة بن أبي جهل:** حارب الإسلام بشدة مع والده، واستمر يؤذي النبي والمسلمين ويتآمر عليهم، ويشن عليهم الحروب، وبعد فتح مكة أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، فهرب خارج مكة نحو ساحل البحر، ولكن زوجته أم حكيم اسلمت، وطلبت له الأمان من النبي صلى الله عليه وسلم، فأمنه وعفا عنه، فلحقت به وأرجعته إلى مكة. وأخبر النبي أصحابه فقال: سيأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا اباه. وبعد فترة وصل مع زوجته إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه النبي قال له: مرحبا بالراكب المهاجر. فأسلم، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها. ثم قال: والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا أنفقت مثلها في سبيل الله. وكان عكرمة يضع المصحف على وجهه ويقول: **(كتاب ربي، كتاب ربي.)**

وأخذ عكرمة يجاهد في سبيل الله، وينصر الإسلام في ساحات الوغى، فقاتل بشدة في حروب الردة ضد مسيلمة الكذاب، وقاتل أهل عمان والمهرة، كما قاتل الروم في معركة اليرموك، وكان يقول: **من يبايع على الموت؟** فبايعه المسلمون، وقاتلوا حتى كان نصيبه الإستشهاد مع ابنه عمرو بن عكرمة، فوجدوا فيه بضعًا وسبعين من بين ضربة وطعنة ورمية. وكان تاريخ استشهاده **سنة 13 هـ / 634م.**

الجودي

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿44﴾﴾ [هـود: 44].

الجودي: ويسمى في التوراة (أراراط) ، وهو الجبل الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام، بعد إنتهاء الطوفان، وهو جبل ينتمي إلى سلسلة جبال كردستان بإقليم بوتان شمال شرقي جزيرة ابن عمر (الواقعة في ديار ربيعة القديمة) ، ويطل عليها عند ملتقى الحدود السورية التركية الحالية، ويقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، ويمكن رؤية هذا الجبل بوضوح من بلدة (عين ديوار) السورية.

وورد في بعض الأخبار أن هذا الجبل تواضع لله، وتطاولت سائر الجبال، ففاز بالشرف، وفيه قال زيد بن عمرو بن نفيل:

سبحانه ثم سبحانًا يعود له * وقبلنا سبَّحَ الجودي والجمد

وقيل: أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر: الجودي بنوح، وطور سيناء بموسى، وحراء بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكان النزول من السفينة على الجودي يوم الجمعة في العاشر من شهر المحرم (يوم عاشوراء) ، فصام نوح عليه السلام ومن معه، ذلك اليوم شكرا لله تعالى.

﴿ حـرف الـحـاء ﴾

الحـارث بن سويد

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩ ﴾[آل عمران: 89].

هو الحارث بن سويد بن الصامت، أخو الجلاس، أحد بني عمرو بن عوف. شارك في غزوة أحد، وقتل فيها رجلا يدعى المجذربن زياد، لأن المجذر قتل أباه" سويد بن الصامت" في الجاهلية، في حروب أهل يثرب، فلما رأى الحارث المجذر، تذكر وقعة بعاث، فقتله بأبيه.

قال ابن عباس: إن الحارث بن سويد بن الصامت رجع عن الاسلام في عشرة رهط، فلحقوا بمكة، فندم الحارث فرجع حتى كان قريبا من المدينة، ارسل إلى أخيه الجلاس، إني قد ندمت على ما صنعت فَسَلْ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فهل لي من توبة ان رجعت، وإلا ذهبت في الأرض. فأتى الجلاس النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبر الحارث وندامته وشهادته، فتاب الله عليه وأنزل فيه قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩ ﴾[آل عمران: 86-89].

فحمل إليه الآية رجل من قومه، فقرأها عليه، فقال له الحارث: " إنك والله لصدوق، وإن رسول الله لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة". فرجع إلى المدينة واعتذر إلى رسول الله وتاب إلى الله من عمله، فقبل النبي عذره، فأسلم وحسن إسلامه. والمتفق عليه بين أهل الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل الحارث بن سويد قصاصًا للمجذر بن زياد.

الحارث بن ضرار الخزاعي

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: 6].

هو الحاث بن ضرار، وقيل ابن أبي ضرار بن خبيب بن الحارث بن عائذ بن مالك الخزاعي المصطلقي، ويكنى أبا مالك، ويعد من أهل الحجاز. وهو سيد بني المصطلق، ووالد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين. وكان قد جمع الناس لحرب رسول الله، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة **6هـ،** والتقى الجمعان عند ماء المريسيع، وكان النصر حليف المسلمين فتفرق جيش الحارث، وقتل من قومه عشرة وأسر النساء والأبناء، وغنم المسلمون الفي بعير وخمسة آلاف شاة، وكان في الأسرى **برة بنت الحارث،** فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وسماها **جويرية،** فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا، فأعتق المسلمون بسبب هذا الزواج مائة أهل بيت من قومها قد أسلموا، فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها كما ذكرت عائشة رضي الله عنها.

ذكر ابن اسحاق: أنه جاء إلى المدينة ومعه فداء ابنته بعد أن أسرت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل فرغب في بعيرين منها فغيبها في شعب ثم جاء فقال: يا محمد هذا فداء ابنتي فقال رسول الله: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والله ما اطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه.

أخرج **أحمد** وغيره بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي ـ رضي الله عنه ـ قال: " قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني إلى الاسلام، ودخلت فيه، وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الاسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل لأَبَّان (يعني وقت) كذا وكذا لآتيك بما جمعت من الزكاة ـ فلماَّ جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الأبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه حدث فيه سخطة من الله تعالى، ورسوله ـ فدعا سروات قومه فقال لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَقَّتَ لي وقتا يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلاَّ من سخطة، فانطلقوا فنأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث، ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِقَ (خَافَ) فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي،فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث (أي أرسل لهم خالد بن الوليد بالجيش) ، فأقبل الحارث بأصحابه

حتى إذا استقبل البعث ـ وقد فصل من المدينة ـ فلقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث. فلما غشيهم قال لهم: إلى من بُعثتم؟

قالوا: إليك. قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله. قال: لا. والذي بعث محمداً بالحق، ما رأيته بتَّةً، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنعتَ الزكاة، وأردت قتل رسولي؟ قال: لا. والذي بعثك بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني، وما أقبلت إلاَّ حين احتبس عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، خشيت أن تكون سخطة من الله تعالى، ورسوله. قال: فنزلت الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[الحجرات: 6].

والآية تدعوا المسلمين أن يتبينوا من الأخبار ولا يبنُوا أمورهم على الظن، لأن ذلك يفضي إلى المعارك ولا ينفع الندم بعد فوات الأوان.

الحارث بن عثمان

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ ٥٧ ﴾[القصص: 57].

هو الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي. قال الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لنعلم أن قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك، ونؤمن بك، مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا ـ يعني مكة ـ لاجتماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم. وكانت هذه أعذارهم الواهية. فأجاب الله في القرآن، فكيف تقولون هذا، وأهل الجاهلية من حولكم كانوا يقتتلون، وجعل الله بلادكم تعيش في الأمن، بحرمة البيت الحرام، وتجبى إليها الخيرات من كل مكان بأمر الله.

قال يحيى بن سلام، يقول (الله تعالى): " **كنتم آمنين في حرمي، تأكلون رزقي، وتعبدون غيري، أفتخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي؟** "فأنزل الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾[القصص: 57].

الحارث بن قيس السهمي

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿23﴾ ﴾ [الجاثية: 23].

هو الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي. كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وإليه كانت الحكومة والأموال التي يسمونها لآلهتهم. وكان أحد المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأحد المجادلين المعاندين، الذين جحدوا آيات الله الواضحة، واتبعوا الباطل وأصروا عليه، فأنزل الله على رسوله يخبره أن أمرهم إلى الله وهو عليهم قدير: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿4﴾ ﴾ [غافر: 4].

ومن شدة جهله وتعلقه بالأوثان، كان يأخذ الحجر ويعبده فإذا رأى غيره أحسن منه تركه وعبد الحجر الجديد، وكان يقول: قد غرَّ محمدُ أصحابَه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿23﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿24﴾ ﴾ [الجاثية: 23-24].

وهلك الحارث بن قيس الملحد، بالذبحة، فقد أكل حوتًا مملوحاً، فلم يزل يشرب حتى مات، وقد امتلأ رأسه قيحًا، فكانت موتته أفضع موتة لمن أنكر البعث والنشور، وعبد الأوثان الباطلة فأوردته إلى أسوأ الأمور.

بنو حارثة

﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿13﴾ ﴾ [الأحزاب: 13].

بنو حارثة: بطن مشهور من الأوس، وهم بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. وكان بنو حارثة في الجاهلية وبنو عبد الأشهل في دار واحدة، ثم وقعت بينهم الحرب فانهزم بنو حارثة إلى خيبر فسكنوها ثم اصطلحوا فرجع بنو حارثة ونزلوا في دارهم الجديدة وهي غربي مشهد حمزة، وهي في سند الحرة في شمال المدينة.

قال ابن هشام: وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يومها. ثم عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها أبداً. وقد روي أنهم يوم الأحزاب بعثوا بأوس بن قيظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقولون: " **إن بيوتنا عورة** "، وليس دار من دور الأنصار مثل دورنا، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنا، فأْذَنْ لنا فلنرجع إلى دورنا، فنمنع ذرارينا ونساءنا. فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ سعد بن معاذ ذلك فقال: يارسول الله لا تأذن لهم: إنا والله ما أصابنا وإياهم شدة إلا صنعوا هكذا.. فردهم.. ولكن القرآن بين أن أخلاق المنافقين هي الغدر والتولي يوم الزحف، بل لو وجدوا فرصة للتفريط في الدين وخذلان المسلمين لفعلوا بدون وجل: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿14﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿15﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿16﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿17﴾ ﴾[الأحزاب: 14-17].

حاطب بن أبي بلتعة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴿1﴾ ﴾[الممتحنة: 1].

هو حاطب بن أبي بلتعة، واسم أبي بلتعة عمرو، وابن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل بن العتيك بن سعاد بن راشدة بن جزيلة بن لخم، من بني خالفة بطن من لخم. وكنيته أبوعبد الله وقيل أبو محمد، وقيل انه من مذحج، وهو حليف لبني أسد بن عبد العزى ثم للزبير بن العوام بن خويلد بن اسد. وهو من أهل بدر.

سمع حاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو آيات من القرآن في صلاته قرب الكعبة، فانشرح صدره للإسلام، فذهب مع أهله وقابلوا رسول الله، فسألهم: من أنتم؟ قالوا: بنوخالفة. فقال النبي: **أنتم بنو راشدة**، ومد حاطب يده مبايعا ونطق بالشهادتين. فلما علمت بنو أسد باسلامه عذب عذابا شديدا فصبر واحتسب. وهاجر حاطب مع الرعيل الأول إلى المدينة، وترك في مكة أولاده وماله، وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عويم بن ساعدة. وقد أبلى بلاء حسنا في غزوة بدر، وثبت بجانب النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد، وشهد غزوة الخندق وصلح الحديبية. وبعدها أرسله النبي برسالة إلى المقوقس (جريج بن ميناء) حاكم مصر من قبل هرقل الروم فقدم حاطب بالكتاب إلى مصر، فقرأ المقوقس الكتاب وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى.. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن

توليت فإنما عليك إثم القبط: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿64﴾﴾[آل عمران: 64]. فالتفت المقوقس إلى حاطب وسأله: ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجوه من بلده إلى غيرها؟ فسكت حاطب، ثم كرر عليه السؤال، فقال حاطب: ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله؟ قال المقوقس: بلى. فراح حاطب يحدثه عن بني إسرائيل وما حدث لفرعون مع موسى، وبشارة موسى بعيسى، وبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم. فأفحمه حاطب، وأقام عنده في قصره خمسة أيام، ثم رجع بكتاب وهدايا.

وعندما قرر النبي صلى الله عليه وسلم، الخروج إلى فتح مكة، أمر اصحابه أن يتهيأوا للجهاد، وأرسل للقبائل خارج مكة أن تستعد، وأمر أهله أن يجهزوه، ولكنه لم يخبر أحدا بنواياه، ولا بوجهته الحقيقية، وأخفى ذلك عن أقرب الناس إليه. فقد دخل أبو بكر على ابنته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي تهيئ جهاز النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها: " أي بنية، أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهز. قال: فأين ترينه يريد؟ قالت والله لا ادري".. ولما تجهز الناس واكتمل التحضير، وحان الموعد، أخبرهم بأنه سائر إلى مكة، وبث العيون في المسالك المؤدية اليها حتى يمنع وصول خبر الجيش إلى قريش.

ولكن في أيام التحضير وصلت امرأة إلى المدينة، تدعى " **سارة** " مولاة أبي عمر بن صهيب بن شهاب بن عبد مناف، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا.

قال: فما جاء بك؟ قالت: أنتم الأهل، والعشيرة، والموالي، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني، وتكسوني، قال لها: فأين أنت من شباب مكة؟ وكانت مغنية ـ قالت: ما طلب مني شيئ بعد وقعة بدر، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب فكسوها، وحملوها، وأعطوها، فلما عزمت على الرجوع أتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها كتاباً (أي رسالة) لتوصلها إلى أهل مكة، مقابل عشرة دنانير، وكان محتوى الرسالة هو: (**من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم، فخذوا حذركم**).

فخرجت سارة، ونزل جبريل عليه السلام، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل حاطب، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد بن الأسود، وأبا مرثد، وكانوا كلهم فرساناً، وقال لهم: " انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن فيها ظعينة (امرأة) معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم، فاضربوا عنقها، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان، فقالوا لها:

أين الكتاب؟ فحلفت بالله، ما معها كتاب، ففتشوا متاعها، فلم يجدوا معها كتابًا، فهموا بالرجوع، فقال لها علي: أحلف بالله، ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا، والله لتخرجِنَّ الكتاب أو لنلقيَنَّ الثياب، وسل سيفه، وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأضربنَّ عنقك؛ فلما رأت الجدَّ، قالت: أعرض. فأعرض علي، فحلت قرون رأسها، فأخرجت الكتاب من عقاصها، فقد خبأته في شعرها. فخلوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى حاطب، فأتاه، فقال: يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟ فقال حاطب: (يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم؛ ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلاَّ وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريبا فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدًا، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئا؛ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره. وقال: " **صدق لا تقولوا إلا خيرا**".

ولكن عمر بن الخطاب قال: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، وقد نافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **إنه قد شهد بدرا، وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو قال ـ اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** ". فذرفت عينا عمر بالدموع، وقال: الله ورسوله أعلم. فنزلت الآيات من سورة الممتحنة، تربي الصحابة، ومن بعدهم عامة المؤمنين عبر الأجيال المتعاقبة في تاريخ الاسلام، وكان سبب نزولها قصة حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ وهي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ⑴ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ⑵ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ⑶ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ⑷﴾ [الممتحنة: 1-4].

مات حاطب بن أبي بلتعة في سنة **30هـ**، في خلافة عثمان بن عفان، وكان عمره **65سنة.**

الأحبـار

﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المائدة: 63].

الأحبـار: جمع حبر، وهو العالم مأخوذ من التحبير وهو التحسين والتزيين. والحبر هو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه، ومنه قولهم ثوب محبر، أي جَمَعَ الزينة. وكانوا قديما يقولون: مداد حبر يقصدون مداد عالم، ثم بكثرة الاستعمال صار المداد هو الحبر.

والحبر: هو العالم الصالح الذي استودع كتاب الله، وأُمِرَ أن يبلغه للناس، ويعلمه للمؤمنين بالله، فالأحبار من العلماء والفقهاء يحبرون العلم المحبر في صدورهم بتعليمه للخلق. والقرآن يقصد بهم علماء اليهود وقد اتصفوا بالأخلاق السيئة التي توجب لهم العذاب الشديد. ومما ظهر من أخلاقهم الفاسدة، السكوت عن معاصي قومهم، وهم يتعاطون الحرام: ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المائدة: 63].

والسبب أن الأحبار، انحرفوا وصاروا يخالفون التوراة ويتعاطون بالحرام، فيستحلون أموال الناس بالباطل، فيأخذوا الأموال باسم الدين، فيوهموا أتباعهم أن تلك الأموال هي حق الله لخدمة دينه، وصيانة المعابد والبيع، وفي نهاية المطاف يتنعموا بها دون اهتمام بالدين الذي اتخذوه ذريعة لسلب الأموال فقط، وقد فضح القرآن أعمالهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة: 34].

والقرآن ينبه إلى أمر خطير يهلك الأمم والشعوب، عندما يستشري فيها الفساد، ويدعمه العلماء (**الأحبار**) مثلما وقع عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ويقع أيضا عند المسلمين، عندما يسكت العلماء عن الإنحرافات والشرور. كما قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

والله يحذر المؤمنين من علماء السوء وعبَّـاد الضلال، كما قال سفيان بن عيينة: " **من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى** ".

الحِجْرِ

﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[الحجر: 80].

الحِجْرِ: هي ديـار ثمود أو (مدائن صـالح) ، وعاش بها قوم صالح عليه السلام، وتقع بين بلاد الحجاز والشام، أي جنوب شرق أرض مدين الواقعة إلى الشرق من خليج العقبة، ومساكنهم حجرية منحوتة في الصخر. وقال قتادة: وهي ما بين مكة وتبوك، وهو الوادي الذي فيه ثمود.

روى البخاري عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألاَّ يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها. فقالوا: قد عجنا واستقينا. فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا الماء وأن يطرحوا ذلك العجين، ويعلفوه الإبل، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي تردها ناقة صالح عليه السلام، وفيه إشارة إلى التبرك بآثار الأنبياء، وإن تباعدت الأزمان، لأنها آثار تربط وتقرب من المحبوب في الله، وليس المقصود ذلك الجماد أو الأمر الملموس بل هو رمز فقط، كما قال الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما تلك الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديـار

وروي أيضا عن ابن عمرقال: مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا: (**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم**) ثم زجر فأسرع.

الحـجرات

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الحجرات: 4].

هي جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، وتسمى حضيرة الابل حجرة، وهي الغرفة التي تمنع النائم. وهي بيوت أو غرف نساء النبي صلى الله عليه وسلم.

عندما بنى النبي صلى الله عليه وسلم مسجده الشريف، بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة، على صفة بناء المسجد من لبن وجريد النخل. ولما تزوج نساءه بنى لهن حجراً، وهي تسعة ابيات، وهي ما بين بيت عائشة رضي الله عنها إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم في الجهة المقابلة، وكانت أبوابها مشرعة في المسجد. وكانت الحجرات من جريد، وعلى أبوابها المسوح من شعر أسود، وهدمت في عهد الوليد بن عبد الملك عند توسيع المسجد. قال عمران بن أبي انس: " كان فيها أربعة ابيات بلبن لها حجر من جريد، وكانت خمسة ابيات من جريد مطينة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر، ذَرعْت الساتر فوجدته ثلاثة أذرع ".

وقد ذم الله تعالى الأعراب لسوء أخلاقهم، فكانوا ينادون النبي صلى الله عليه وسلم وهو مع زوجاته في الحجرات، وذمهم الله للطريقة الجافة الغليظة في النداء، وعدم تحريهم الوقت المناسب في اللقاء، وهو ينبه بقية المؤمنين، إلى عدم إزعاج النبي صلى الله عليه وسلم، والانتظار، وهو خير للجميع. وفي الآية معنىً تربويًا عظيمًا للمؤمنين ـ في أدب الاستئذان ـ وفي الأعراب نزلت الآية الخالدة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[الحجرات: 4 – 5].

ونزلت الاية في وفد بني تميم، حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام التاسع الذي سُميَ "**عام الوفود**"لمجيئ وفود العرب من كل مكان بعد فتح مكة. قيل كان عددهم سبعين، ونادوه من حجرته: يا محمد، يا محمد، وقيل كانوا ستة عشر منهم قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن وغيرهم، ووفدوا وقت الظهيرة ورسول الله راقد، فجعلوا ينادونه، يا محمد أخرج إلينا، وكل واحد منهم ينادي خلف حجرة، لأنهم لم يعلموه في أي حجرة، وكانت مناداة الأعراب غليظة، فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وخرج إليهم.

الحـديبية

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾ ﴾[الفتح: 1 – 2].

الحديبية: اسم قرية قرب مكة، وسميت الحديبية نسبة إلى بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها، ويقال أن بعض ارضها من الحرم، وبعضها الآخر يقع في الحل، بينما يعتبر مالك بن أنس جميع الحديبية من الحرم. وشهدت غزوة في شهر ذي القعدة الحرام من السنة **السادسة للهجرة.** عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجًا لا غازياً، ومعه **1400** مسلم، معهم **سبعون** بدنة من القرابين، وسلاحهم السيوف في أغمادها. وأحرم بالعمرة ليطمئن الناس، وليعلموا إنَّما قدم لزيارة البيت وتعظيمه، ولكن قريشًا منعته، وتفاوض معهم المسلمون، وأسفر التفاوض عن صلح الحديبية لمدة **عشر سنوات**، تضع الحرب فيها أوزارها، ويسمح للمسلمين بالحج في العام القادم.

ونزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في طريق رجوعه إلى المدينة سورة **الفتح**، ففصلت بعض أحداث الصلح، والوقائع التي شهدتها الغزوة المباركة، فكانت فتحا مؤزرًا. وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بالسورة الكريمة لأنها بشرت بالنصر المبين. وفيما أخرج الإمام أحمد، قال صلى الله عليه وسلم: (**لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة هي أحبُّ إلي من الدنيا وما فيها)**: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾[الفتح: 1].

وفي السورة آية أثرت في الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فعن أنس قال: " أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾ [الفتح: 2]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لقد نزلت عليَّ آية أحبَّ إليَّ مما على الأرض، ثم قرأها عليهم، فقالوا هنيئًا مريئًا لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزل بعدها: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[الفتح: 5].

والجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قبل الغزوة رؤيا في منامه انه دخل مكة هو وأصحابه وطاف بالبيت، ثم حلق بعضهم وقصَّر بعضهم، فحدَّث بها أصحابه ففرحوا واستبشروا، فلما خرج إلى الحديبية مع الصحابه، وصدَّه المشركون عن دخول مكة، ووقع ما وقع من قضية الصلح، ارتاب المنافقون وقالوا: والله ما حلقنا ولا قصَّرنا ولا رأينا البيت، فأين هي الرؤيا؟ ووقع في نفوس بعض المسلمين شيئ، فلما نحر الهدي بالحديبية، قال أصحابه متسائلين: أين رؤياك يا رسول الله، فنزل الجواب قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الفتح: 27].

روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " **تعدون أنتم الفتح ـ فتح مكة ـ وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح ـ بيعة الرضوان ـ يوم الحديبية..** " وفعلا كان فتحًا مبينًا فأمن الناس في زمن الصلح ودخلوا في دين الله أفواجا، فقد كان عدد أصحابه يوم الحديبية **1400** مسلم، وبعد عامين تحقق الفتح الأعظم ومعه **10000** مسلم.

حذيفة بن اليمان

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأحزاب: 9].

هو حذيفة بن اليمان (واسم اليمان حِسْل) أو حُسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جزوة العبسي، وقيل جزوة هو: اليمان. أصله مكيٌّ من بني عبس، فقد أصاب والده دمًا (أي قتل قتيلا في قومه) ، فاضطر إلى مغادرة قومه بالخروج إلى يثرب، وصار حليفًا للأوس (بني عبد الأشهل) ، فلقبه القوم باليمان، لأن الأوس والخزرج يمانيون. ولكنه ظل مقيما بالمدينة، ويتردد على مكة.

ولد حذيفة بالمدينة، وبعد ظهور الاسلام، أسلم والده قبل الهجرة، فتربى في بيت مسلم، ولما شب الغلام حمله والده إلى مكة، فالتقى لأول مرة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وسأله: أمهاجرُ أنا أم أنصاريٌّ يا رسول الله؟ فقال له: " إن شئت كنت من المهاجرين، وإن شئت كنت من الأنصار، فاختر لنفسك ما تحب " فقال: بَلْ أنا أنصاري يا رسول الله.

وبعد الهجرة لازم النبي صلى الله عليه وسلم كملازمة العين لأختها، وجعله صاحب سره، لأنه أخبره وحده دون بقية الصحابة، بأسماء المنافقين، وعهد إليه بتتبع حركاتهم لمنع خطرهم عن الاسلام والمسلمين.

وكان عمر عندما يموت الرجل يسأل هل حضر حذيفة للصلاة عليه؟ فإن قالوا: نعم، صلى عليه، وإن قالو: لا، شك فيه، وأمسك عن الصلاة عليه. وشهد حذيفة مع النبي صلى الله عليه وسلم كل المواقع إلا بدرًا، وقُتل والده في غزوة أحدُ بسيوف الصحابة خطأً، وهو ينظر إليهم، وينادي: أبي... أبي... فلم يسمعه أحد، فقال لهم وهو صابر محتسب: يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين. وتصدق بديته على المسلمين، فازداد بموقفه هذا منزلة عند الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وبلغ المسلمون في غزوة الخندق إلى حالة من الخوف الشديد، وعبر عنها القرآن ببلوغ القلوب الحناجر: ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: 10].

وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق في مهمة صعبة، أحجم عنها صناديد الصحابة، فقام بالأمر خير قيام. روى ابن إسحاق: عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: (قال حذيفة بن اليمان يجيب رجلا من أهل الكوفة، عن سيرة الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم): قال حذيفة: يا ابن أخي. والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالخندق، وصلى رسول الله ـ هويًّا من الليل ـ ثم التفت إلينا فقال: " من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع ـ يشرط (أي يضمن)

له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة ـ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ " فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بُدُ من القيام حين دعاني. فقال: " يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدث شيئا حتى تأتينا " قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، ولا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه. قال حذيفة: فأخذت الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام. لقد هلك الكراع والخف (يعني الخيل والجمال) وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون. ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء.. فارتحلوا فإني مرتحل.. ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث. فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليَّ، ألا تحدث شيئًا حتى تأتيني، ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط (أي كساء) لبعض نسائه مرجل (من وشْيٍ اليمن) فلما رآني أدخلني إلى رجليه، وطرح عليَّ طرف المرط؛ ثم ركع وسجد وإني لفيه. فلما سلم أخبرته الخبر، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأحزاب: 9].

وعاش حذيفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم مجاهدًا في سبيل الله وفتح على يديه، بلاد "نهاوند" و "الدينور" و " همَذَان " و" الرَّيَّ "... وكان سببًا في جمع المسلمين على مصحف واحد. فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيا وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: **"يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى "** رواه **البخاري.** فقام عثمان بجمع القرآن في مصحف واحد وأحرق بقية المصاحف. وهكذا مات حذيفة مطمئن البال لأن القرآن في دفتي مصحف موحد. وأثناء مرض موته قال: لولا أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلم به: **اللهم إنك تعلم أني أحب الفقر على الغنى، وأحب التواضع، حبيب جاء على شوق ما أفلح من ندم..** ثم أسلم الروح وكانت وفاته سنة **36هـ (656م).**

المحراب

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾[آل عمران: 39].

المحراب في اللغة: هو أكرم موضع في المجلس، وصار نعتاً على موضع العبادة الذي يتخذ مصلى. واختلف في اشتقاق الكلمة: فقيل هو مأخوذ من الحرب، لأن ملازمه يحارب الشيطان والشهوات. وقيل مأخوذ من الحرَب (بفتح الراء) وهي الشدة، فكأن ملازمه يلقى حربا وتعبا ونصبا. وللمحراب عدة معاني:

* **الحجرة ومكان العبادة:** وهي أشرف المجالس، مثلما قيل عن مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[آل عمران: 37]. وجاء في الخبر أنها كانت في غرفة يصعد إليها زكريا بسلم. قال وضاح اليمن:

ربة محراب إذا جئتها لم * ألقها حتى أرتقي سلمَا

* **المسجد:** وهو موضع الصلاة، ولحق به المكان الذي يصلى فيه، وكان نبي الله زكريا في مسجده قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته وصلاته، فناداه جبريل وبشره بيحي عليه السلام: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[آل عمران: 39]. ثم خرج لقومه من مقام صلاته، وأشار إليهم أن يسبحوا الله في أوائل الليل وأواخره: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: 11].

* **محراب داود عليه السلام:** وهو مكان عبادته الذي يختلي فيه، وهو مسجده أو حجرته المخصصة للعبادة، ولذلك تسوروا الجدران، لأن الأبواب مغلقة، وقد منعوا من الدخول إليها: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾[ص: 21].

* **محاريب سليمان:** وهي التي تكفلت الجن بتشييدها، فهي الموضع المرتفع، الذي يصلي فيه سواء كان مسجدا، أو أشرف مكان في القصر، وكلها تصلح أن تتخذ موضعا لعبادة الله: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: 13].

وقد جُعلَ المحراب في صدر المجلس بالمساجد، من جهة قبلة الصلاة، ليكون مقاماً شريفًا للإمام، فيميزه عن بقية المصلين، وفيه تعظيم للمقام الذي صلى فيه أولا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حرقوص بن زهير

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ۝٥٨ ﴾[التوبة: 58].

هو حرقوص بن زهير البجلي التميمي، وهو ذي الخويصرة، وهو أصل الخوارج. وقد اعترض يوم حنين على تقسيم الغنائم، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: اعدل فينا يا رسول الله، فإنك لم تعدل، فقال عليه الصلاة والسلام: **ويلك، لقد خبت وخسرت ومن يعدِل إذا لم أعدل؟** فنزل قول الله: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ۝٥٨ ﴾[التوبة: 58].

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية.

ولما رآه النبي صلى الله عليه وسلم مقفياً قال: إنه يخرج من ضئضئي هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنهم شر قتلى تحت أديم السماء.

قال الطبري: إن الهرمزان الفارسي صاحب خوزستان كفر ومنع ما قبله واستعان بالأكراد، ولما بلغ الأمر القائد عتبة بن غزوان راسل عمر، فأمده عمر بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة مع رسول الله وأمره على القتال على ماغلب عليه، فاقتتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها وله أثر كبير في قتال الهرمزان.

وبقي حرقوص إلى أيام علي بن أبي طالب وشهد معه صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي فقتل حرقوص سنة **37 هـ**.

وقد ذكر بعض من جمع المعجزات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" لا يدخل النار أحد شهد الحديبية إلا واحد "** فكان حرقوص بن زهير.

الحَـرَم

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ۝٦٧ ﴾[العنكبوت: 67].

لقد ميز الله الأراضي المقدسة بشبه الجزيرة العربية (وهي مكة المكرمة، والمدينة المنورة) عن البلدان الأخرى، بنعمة الأمن من الحروب والعداوات التي تكون في الأطراف، بينما تلك البقاع المطهرة لها حرمتها وشرفها، لأنها مأوى العبَّاد الذين يشدون اليها الرحال من مختلف أنحاء المعمورة، فلا بد من ضمان الأمن لهم، والضامن هو المولى سبحانه. والحرم المكي حرمه الله عز وجل، والحرم المدني حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1) **الحرم المكي:** وسمي الحرم، لأنه يَحْرُمُ انتهاك حُرْمَته بالظلم والإعتداء، ولا يحل صيد حيوانه، ولا يجوز قطع شجره. وكان للتحريم سبباً قديماً، يرجع إلى زمن آدم عليه السلام، فعندما خاف آدم على نفسه من الشيطان، إستعاذ بالله سبحانه، فأرسل الله عز وجل ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ووقفوا حواليها، فحرم الله تعالى الحرم من المكان الذي وقفت عنده الملائكة عليهم السلام. وعندما كان إبراهيم عليه السلام يبني البيت قال لإسماعيل: أبغني حجراً اجعله للناس آية، فذهب إسماعيل ثم رجع ولم يأته بشيئ، ووجد الركن (الحجر الأسود) عنده، فلما رآه قال إسماعيل: من أين لك هذا؟ قال إبراهيم: جاء به من لم يَكِلْنِ إلى حَجَرِكَ، جاء به جبريل عليه السلام. ثم وضعه إبراهيم في مكانه فأنار شرقا وغربا ويمناً وشاماً، فحرم الله تعالى الحرم من حيث انتهى نور الركن واشراقه من كل جانب، ولما قال إبراهيم ربنا أرنا مناسكنا، نزل جبريل فذهب به فأراه المناسك ووقفه على حدود الحرم. قال ابن عباس: أول من نصب أنصاب الحرم إبراهيم عليه السلام، يريه ذلك جبريل عليه السلام. والأنصاب كانت علامات من الحجارة ؛ فلما كان يوم فتح مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم بن أسد الخزاعي فجدد ما رث منها. وبلغ عدد الأعلام المحيطة بالحرم **943عَلَمًا** فوق الجبال والثنايا والأماكن المرتفعة، والرقعة الأرضية التي يتربع عليها الحرم، ذات شكل شبه منحرف له ستة أضلاع بارزة، وتبلغ مساحته نحو **550 كم مربع.**

وأقرب مكان من حدود الحرم لمكة هو التنعيم عند مسجد عائشة رضي الله عنها، ويبعد نحو **7,5 كم**، ثم موضع نخلة بين مكة والطائف نحو **13 كم**، وبعده موضع في اتجاه اليمن ويدعى أضاءة لبن (العكيشية) ويبعد نحو **16 كم**، بينما تبعد مواضع أخرى بمسافات متقاربة بنحو **22 كم**، وهي الجعرانة (المستوفرة)،

والحديبية (موقع الشميسي) ، وجبل عرفات (ذات السليم). ونسب للحرم ما كان منه تبعُا له، فقيل البيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والمشعر الحرام، والمُحْرم بالحج أو العمرة.

أما الأراضي الواقعة في مكة خارج حدود الحرم فتدعى **(الحِل):** أي يحل فيه ما حرم في الحرم، فيجوز فيه الصيد وقطع الشجر، ولكن المُحرم بالحج أو العمرة يحرم عليه قرب النساء وينهى عن التطيب ولبس الثوب المخيط، وعن صيد الحيوان ولو كان في الحل، لأن المواقيت المكانية للحج والعمرة واقعة كلها خارج حدود الحرم بمسافات بعيدة، وهي خمسة مواقيت:

1) قرن المنازل: وهو ميقات أهل الكويت ونجد وما جاورهما، وهو جبل شرقي مكة ويبعد عنها بنحو**80 كم.**

2) ذات عرق: وهو ميقات أهل العراق وإيران والشرق، وهو جبل يدعى عِرَق يشرف على وادي العقيق، ويبعد عن مكة بنحو **90 كم.**

3) يـلملم: وهو ميقات أهل اليمن والهند، وهو جبل جنوبي مكة، ويبعد عنها بنحو **100 كم.**

4) الجحفة: وهو ميقات مصر والشام والمغرب واوروبا، وأصلها قرية تقع شمال غربي مكة على بعد حوالي **187 كم.** ثم صار الميقات قرية رابغ بعد ذهاب معالم الجحفة.

5) ذو الحليفة: وتسمى (أبيار علي) وهي موضع ماء لبني جشم، وتقع في شمال مكة وتبعد عنها بحوالي **410 كم.** وقد نظمها أحدهم فقال:

عــرق العــراق يلـملم اليــمن * وبذي الحليفة يُحرم المدني
الشـام جـحفة إن مررت بها * ولأهـل نجـد قرْنُ فاستبن

2) الحرم المدني: وهوحرم المدينة المنورة، ويقع ما بين لابتيـها (حَرَّتَيْها) ، وهي حرَّة واقم شرقا، وحرَّة الوبرة غربا، وجبل عَيْر جنوبا، وجبل أُحد شمالا.

وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كما حرم إبراهيم الخليل مكة، وقد ورد في دعائه عليه الصلاة والسلام: **(اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ورسولك دعاك لأهل مكة، وإن محمدًا عبدك ونبيك ورسولك دعاك لأهل المدينة بمثل ما دعاك إبراهيم، أن تبارك في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة واجعل ما بها من وباء بخُمّ، اللهم إني قد حَرَّمْتُ ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك.)** وقال أيضا:

(المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرف ولا عدل، لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا ان يعلف رجل بعيره) رواه مسلم.

الحـزب

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿53﴾﴾ [المؤمنون: 53].

الحزب: هو الجماعة من الناس، وأطلق في القرآن على الأمم التي تفرقت في أمر الدين، إلى فرق متباينة وأديان مختلفة، وكل طائفة مستقلة عن غيرها، فمنهم اليهودي والمجوسي والنصراني والبوذي، وكل فريق منهم متمسك بدينه وجماعته ويرى أنها على صواب. وقد نهى الإسلام عن السير في طريق المشركين، وسائر الشيع، والملل المنحرفة عن الحق، وأمر أن يثبت المسلم على إسلامه، ويلتزم بإقامة الصلاة والإنابة إلى الله وحده لا شريك له: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿31﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿32﴾﴾ [الروم: 31-32].

وقد صَنَّفَ المولى طوائف الناس إلى حزبين متميزين لا ثالث لهما، أهل الحق، وأصحاب الضلال وهم:

1) حزب الله: وهم اهل الاسلام بقيادة سيدنا محمد خير الأنام صلى الله عليه وسلم، ويضم جماعة المسلمين وأولياء الله الصالحين، وجعل الله لهم النصر والتوفيق: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿56﴾﴾ [المائدة: 56]. كما جعل الله لهم الفوز بجنات النعيم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿22﴾﴾ [المجادلة: 22].

2) حزب الشيطان: وهم أتباع الشيطان وأعوانه من المشركين والكفار والمنافقين، وأصحاب المعاصي، فالشيطان يوسوس لهم بالباطل ويقودهم إلى جهنم وبئس المصير: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿6﴾﴾ [فاطر: 6]. وعمَل الشيطان هو الإستحواذ على النفوس الضالة، وصرفها عن أوامر الله، إلى أوامره الباطلة، فتتبع منهج إبليس، وعندئذ ترتكس في حمأة الضلال يكون مصيرها الخسران في الدنيا والآخرة: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿19﴾﴾ [المجادلة: 19].

الحزبين

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ⑫ ﴾[الكهف: 12].

لما استيقظ أصحاب الكهف (**الفتية**) وقع خلاف بينهم وبين الناس، في تحديد المدة التي قضوها في الكهف، وانقسموا إلى فريقين:

الرأي الأول: ذكره مجاهد بن جبرفقال: الحزبان من أهل الكهف لما استيقظوا اختلفوا في المدة التى لبثوها في الكهف، فقدرها بعضهم بيوم أو أكثر، وفوض الآخرون الأمر إلى الله.

الرأي الثاني: ذكره ابن عباس: أن المراد بالحزبين أصحاب الكهف، والذين بعثهم الله اليهم في بلدتهم.

والرأيان يتكاملان في إعطاء إطار للحوار حول هذه المعجزة الربانية، التي أثارت جدلا منطقيا، ولكن الأمر حسم في الآيات الموالية، وأزيل الخلاف السابق لأن الله حدد المدة بقوله: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ㉕ ﴾[الكهف: 25]. وفي الآية إعجاز في تحديد وقت المكوث بالحساب الشمسي بثلاثمائة سنة، ولما كان الإخبار للنبي صلى الله عليه وسلم فيكون الحساب بالتقويم القمري بإضافة تسع سنين عدداً.

الأحـزاب

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ㊲ ﴾[مـريم: 37].

أطلقت كلمة الأحزاب في القرآن الكريم على الطوائف والملل الدينية، وكذلك على قريش وحلفائها، والأمم السابقة في عهود الأنبياء والرسل الكرام.

* **الأحزاب الذين يكفرون بالقرآن الكريم:** وهم أهل الأديان مثل اليهود والنصارى والمجوس، وأهل الشرك وهم العرب الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وسلم، ودفعتهم المحاربة والعناد إلى إنكار القرآن: ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ㊱ ﴾[الرعد: 36]. ومصير هؤلاء الأحزاب الذين كفروا بالرسالة هو النار، وبئس القرار: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ⑰ ﴾[هود: 17].

* **الأحزاب هم كفار قريش ومن تحزب معهم ضد المسلمين:** وحدث ذلك في غزوة الخندق: ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ⑳ ﴾[الأحزاب: 20]. ولكن الصحابة الكرام ثبتوا في غزوة الخندق

واستبشروا خيرا بما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم من نصر الله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿22﴾ ﴾ [الأحزاب: 22]. وقد هُزم كفار مكة ومن والاهم، هزيمة نكراء: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿11﴾ ﴾ [ص: 11].

* **الأحزاب هم من الأقوام الذين تحزبوا على الأنبياء والمرسلين**: مثل ثمود وقوم لوط وقوم نوح وأصحاب الأيكة، ومن جاء بعدهم من بني إسرائيل: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿12﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿13﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿14﴾ ﴾ [ص: 12-14]. وقال فيهم في موضع آخر: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿5﴾ ﴾ [غافر: 5]. وكان العقاب مرة بالريح الصرصر العاتية، وهو ما أصاب قوم عاد، أو الصيحة لقوم ثمود، والخسف لقارون، والغرق لفرعون وأشياعه: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿40﴾ ﴾ [العنكبوت: 40]. ولما كان مصيرهم أليماً، جعله المؤمن الصادق من آل فرعون مثالا للموعظة فقال لقومه ناصحًا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿30﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿31﴾ ﴾ [غافر: 30-31].

* **الأحزاب هم أهل الكتاب الذين اختلفوا في عيسى عليه السلام**: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿37﴾ ﴾ [مريم: 37]. وكان اختلاف النصارى في عيسى إلى ثلاث فرق (**أحزاب**)، ومنهم فرقة (**النسطورية**) وقالوا هو ابن الله، وفرقة (**اليعاقبة**) وقالوا هو الله، وفرقة (**الملكية**) وقالوا هو ثالث ثلاثة احدهم الله، فجعل الله لهؤلاء الأحزاب يوم القيامة، العذاب الأليم وما لهم من ناصر يومئذ ولا معين: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿65﴾ ﴾ [الزخرف: 65].

حزقيل بن بوذي

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿243﴾ ﴾[البقرة: 243].

وهم أهل قرية (**داوردان**) الواقعة قرب واسط ببلاد العراق، وقع بها وباء الطاعون في زمن بني إسرائيل، فهربوا حتى وصلوا إلى وادي أفيح بالبرية ـ واختلف في عددهم ما بين **4آلاف إلى 30 ألفا** ـ فلما وصلوا ذلك المكان أرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي، والآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد، فحيزوا إلى حظائر وبني عليهم الجدران، وبقيت أجسادهم. وبعد زمن مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له **حزقيل بن بوذي**: وقيل (**بوزي**) وهو الذي ولي أمر بني إسرائيل بعد **كالب بن يوفنا** ـ والجدير بالذكر أن الأمر بعد موسى عليه السلام كان ليوشع بن نون، وبعده كالب بن يوفنا ـ وحينئذ سأل حزقيل ربه أن يحي أهل داوردان، فاستجاب الله، وأمره الله أن ينادي فيهم، فنادى حزقيل عليه السلام:

أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمعت عظام كل جسد بعظها إلى بعض، ثم أمره فنادى: أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما وعصبا وجلداً، فتم ذلك وهو يشاهد، ثم أمره فنادى: أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فقاموا أحياء ينظرون، فكبروا تكبيرة رجل واحد وقالوا جميعا: " سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت " وكان في إحيائهم عبرة للناس، ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة، وبقوا مدة حتى توفاهم الله في آجالهم المكتوبة.

ومكث حزقيل زمنا في رعاية قومه، ولما قبض نبي القوم عهد الله إليهم، وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الأوثان، ومنها صنم يدعى "**بَعْل** "، ثم بعث الله إليهم **إلياس** عليه السلام.

حصين بن الحارث

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿29﴾ ﴾[فاطر: 29].

هو حصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي. أخو عبيدة بن الحارث، وممن شهد بدرا مع أخويه عبيدة والطفيل، فقتل عبيدة ببدر شهيدا. ومات الحصين والطفيل جميعا سنة **30هـ.**

قال ابن عباس: وفي حصين بن الحارث نزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾[فاطر: 29]. وقيل شهد صفين مع علي بن أبي طالب. وقيل مات سنة **33هـ**. وقيل قبل ذلك.

حفصة بنت عمر- أم المؤمنين رضي الله عنهما -

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[التحريم: 1].

وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب، ولدت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم **بخمس سنين**. وحفص في اللغة من أسماء الأسد، وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم ينادي عمر: **يا أبا حفص**.

كانت متزوجة من رجل يدعى " **حصن بن حذافة** "، شهد غزوة بدر ثم مرض بالمدينة وتوفي بها. وقيل كانت زوجة " **خنيس بن حذافة السهمي**" الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وهاجرت معه حفصة إلى المدينة، وشهد بدرا، ثم قاتل في أحد قتال الأبطال فأصيب ومات شهيدا.

فعرضها عمر على أبي بكر، ثم عثمان فلم يستجيبا، فتأثر عمر ولكن النبي صلى الله عليه وسلم طمأنه ووعده خيرا منهما، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرةبسنتين وأشهر. وكانت رضي الله عنها من العابدات، وهي أقرب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة، ولكن كان في طبعها بعض الحدة، وكان ذلك سببا في تطليقها.

فعن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها، فقالت: لِمَ تُدْخِلُها بيتي؟ ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلاَّ من هواني عليك. فقال لها: لا تذكري هذا لعائشة، وهي حرام إن قربتها (يعني مارية القبطية) قالت حفصة: وكيف تَحْرُمُ عليك، وهي جاريتك؟ فحلف لها لايقربها، وقال لها: لا تذكريه لأحد، فذكرته لعائشة، فأبى رسول الله أن يدخل على نسائه شهرا، واعتزلهن تسعا وعشرين ليلة، فأنزل الله أوائل سورة **التحريم**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[التحريم: 1]. وذكر ابن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة ثم ارتجعها، وذلك أن جبريل عليه السلام قال له: **أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة**.

وحرصت حفصة - رضي الله عنها - بعد ذلك على إرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم إغضابه أبدًا، حتى التحق بالرفيق الأعلى. وأعظم ميزة كانت لها أنها كانت قارئة كاتبة، وهذا أهلها للمحافظة على كتاب الله الذي كُتبَ على سعف النخيل والألواح، وبقي في بيتها من عهد النبي صلى الله عليه وسلم

إلى عهد عثمان، حين جُمع في نسخة واحدة. وفي سنة **41هـ** توفيت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها. فصلى عليها والي المدينة آنذاك مروان بن الحكم، ودفنت في البقيع مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

الأحقاف

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِالْأَحْقَافِ ﴿21﴾ ﴾[الاحقاف: 21].

الأحقاف: هي تلال عظيمة من الرمل (أي كثبان رملية ضخمة) في بلاد اليمن، وتقع في شمال حضرموت، وفي شمالها يقع الربع الخالي، وفي شرقها عمان. وهي موطن قبيلة عاد، وقد أرسل الله إليهم أخاهم هودًا عليه السلام فكذبوه، فأهلكهم الله بريح صرصر.

أحمد (محمد) صلى الله عليه وسلم

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴿6﴾ ﴾[الصف: 6].

ـ **النسب الشريف:** هو نسب شريف يمتد إلى خليل الرحمن عليه السلام، ويمكن تقسيمه إلى قسمين:

* **نسبه من جهة والده:** هو سيد الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وينتهي نسبه إلى سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

* **نسبه من جهة والدته:** هو سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي بن كلاب، فيجتمع النسب في الجد قصي.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم أزل خيارًا من خيار، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم**) رواه الطبري.

ـ **اسمـاؤه الشريفة:** للنبي صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة غير **محمـد**، فقد روى مالك بن أنس في الموطأ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب.**) ومعنى العاقب (الذي ليس بعده

نبي) وتوجد أسماء أخرى منها: **المقفى**(المتبع للأنبياء) **ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، والفاتح، وطه، ويس، والمصطفى.** فضلا عن الأسماء القرآنية ومنها:

* **الرسول:** فقد صرحت الآيات القرآنية باسمه مع نعته بصاحب الرسالة الخالدة: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ (144) ﴾[آل عمران: 44]. وقال في سياق آخر عند أمره المؤمنين بطاعة الله، وأن طاعة الرسول من طاعته: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدَ اَطَاعَ اللَّهَ (80) ﴾[النساء: 80]. ويناديه الله بلفظ الرسول عندما يأمره بتبليغ الرسالة بحزم وثبات: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ (67) ﴾[المائدة: 67]. وعندما يريد الله أن يَسْكُبَ في قلبه الطمأنينة، يقول له: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يُحْزِنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ (41) ﴾[المائدة: 41].

* **رسول الله:** وقد أكدت الآية على الرسالة بعد ذكر اسمه المشهور: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ (29) ﴾[الفتح: 29]. وذُكر أيضا بهذا النعت في سياق الحديث عن تخلف المنافقين عن الجهاد معه: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (81) ﴾[التوبة: 81].

***النبي:** وتعددت الآيات التي أشارت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنبوة ومنها بعد غزوة تبوك: ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ (117) ﴾[التوبة: 117]. ويناديه الله بالنبوة في معرض التكليف بالأوامر، أو عند النهي مثل قوله تعالى في أمره بفريضة الحجاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (59) ﴾[الأحزاب: 59]. أوعند الحث على الجهاد في سبيل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (9) ﴾[التحريم: 9]. أما في موطن التنبيه إلى التقوى وعدم طاعة أهل الباطل من الكفار والمنافقين، ورد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) ﴾[الأحزاب: 1]. وقوله تعالى فيما وقع له مع زوجاته: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (1) ﴾[التحريم: 1].

* **النبي الأمي:** ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴿157﴾ ﴾[الأعراف: 157]. والآية جمعت بين الرسالة والنبوة، قال البيضاوي: إنما سماه رسولاً بالإضافة إلى الله تعالى، ونبياً بالإضافة إلى العباد.

ـ **مراحل حياته:** إن حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها عبر لكل من ألقى السمع وهو شهيد:

* **المرحلة الأولى: الولادة والنشأة (عشرون عاما):**

ولد سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر بشعب بني هاشم بمكة المكرمة يوم **الإثنين 12 ربيع الأول عام الفيل**، الموافق **22 أفريل 571م**. ولما ولدته آمنة أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره، فسماه محمداً، وقال: **إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم.**

أرضعته بعد آمنة ـ ثويبة ـ وهي مولاة لأبي لهب، ثم أرضعته لمدة تصل إلى خمس سنوات حليمة بنت ذؤيب السعدية، وكانت حاضنته أم أيمن وهي بركة الحبشية. فعاش حياته يتيمًا، فقد توفي والده عبد الله بالمدينة قبل ولادته (كانت الوفاة بعد حمل حليمة **بشهرين**) ، ولم يترك له من حطام الدنيا سوى خمسة جمال، وقطعة غنم، وحاضنته أم أيمن. وتوفيت أمه آمنة في الأبواء وهي عائدة من زيارة قبر زوجها، وقد بلغ **السادسة** من العمر، فكفله جده عبد المطلب وبعد **سنتين** توفي، فآلت الكفالة إلى عمه أبو طالب، ورغم فقره الشديد، فقد آوى ابن أخيه وأكرمه ورعاه أحسن رعاية. وقد ذكَّره القرآن بنعمة الله عليه في تلك الرعاية من أهله وذويه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿6﴾ ﴾[الضحى: 6]. وكانت حياته منذ طفولته الأولى تتسم بالأخلاق الحميدة، والبعد عن الفحش، والتحلي بالصدق وكره الأوثان فلم يعرف عنه أن حضر لها عيدًا من أعيادها.

وكان في مرحلة الشباب يشارك أعمامه في شؤون الحياة العامة، فقد رافق عمه أبو طالب في تجارته إلى بلاد الشام وعمره **12سنة**، والتقى بالراهب بحيرا بمدينة بصرى وعرف صفة النبوة، فأوصى عمه به خيرًا وحذره من كيد اليهود. كما شارك في حرب الفجار وعمره **20 سنة**، وكان النبي يجهز النبال لأعمامه فقط. كما حضر مع أعمامه حلف الفضول وظل يذكره في الإسلام بقوله: **(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت.)**

* **المرحلة الثانية: حياته من الشباب إلى الكهولة (عشرون عاما):**

امتازت هذه الفترة من حياته صلى الله عليه وسلم بنشاط الشباب، والسعي في الأرض لبناء حياة إجتماعية مستقرة، مع تأصيل الأخلاق في واقع الناس، ويمكن تتبع تلك المعاني:

أ) عمله وسعيه في الأرض: عرف النبي صلى الله عليه وسلم بالسعي في الأرض وبالعمل الطيب، وبدأه برعي الغنم عند أهله، ورعاها لأهل مكة تكسباً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: (**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، قال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**) رواه **البخاري**. وفي رعي الغنم تأهيل له من ربه لرعاية البشر في مستقبل الأيام.

واشتغل بالتجارة في فترة الشباب وكان شريكه السائب بن أبي السائب. كما خرج في تجارة الطاهرة خديجة بنت خويلد، ورجع منها بأرباح طائلة، وعرفت عنه الأخلاق الكريمة، ومَهَّدَ ذلك لحياته الزوجية المستقرة.

ب) الزواج الكريم: رغبت خديجة في الزواج من النبي صلى الله عليه وسلم، فعرضت عليه الأمر فقبل به، ودخل بها ولها من العمر **أربعون سنة**، وهو ابن **خمس وعشرون فقط**. ووجد عندها كل الرعاية والكرم، وعاش معها حياة سعيدة، وأنجب منها كل أبنائه ما عدا ابراهيم، وأمه مارية القبطية.

ج) حكمته في معالجة الأمور: ولما بلغ المصطفى من العمر **35 سنة**، تصدعت جدران الكعبة، فأعادت قريش بناءها، ولكن حدثت خصومة عند وضع الحجرالأسود في مكانه، فكل قبيلة تريد أن تحوز الشرف في وضعه، وتطور الخلاف حتى كاد يفضي إلى قيام الحرب، ثم اتفقوا على تحكيم أول داخل للبيت، فكان الداخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضيناه حكمًا، فقام وبسط رداءه ودعا رؤساء العشائر فأخذ كل واحد منهم بطرف الرداء، وأخذ النبي الحجر الأسود ووضعه وسط الرداء وأمرهم برفع الرداء قرب مكان الحجر، وأخذه بيده الشريفة ووضعه في مكانه، فكان له وحده شرف وضعه في مكانه، وشرف الصلح وحقن دماء قومه.

*** المرحلة الثالثة: من البعثة إلى الهجرة (ثلاثة عشر عاما):**

قبل حلول سن الأربعين بدأت ارهاصات النبوة تظهر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها:

التحنث في غار حراء: فقد حبب الله إليه العزلة والخلوة، فكان يجاور الأيام ذات العدد في الغار، ويتعبد على دين الخليل إبراهيم، وهو الحنيفية السمحة، ويكثر من التأمل في الكون، والتدبر في نفسه، ودام ذلك لمدة ثلاث سنوات، فيقيم في الغار في شهر رمضان.

الرؤية الصادقة: وهي أول مابُدِىءَ به من الوحي، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت واضحة جلية مثل فلق الصبح. فلما كان رمضان الأخير شاءت إرادة الله أن ترتبط الأرض بهدي السماء فنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم.

بَلَغَ النبي صلى الله عليه وسلم من العمر تمام **الأربعين سنة**، وكانت الأيام العشر الأواخر من شهر رمضان من يوم الإثنين، نزل جبريل عليه السلام في غار حراء في ليلة مباركة عرفت **بليلة القدر**:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ ﴾ [القدر: 1-2].

قالت عائشة رضي الله عنها: (... فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، ثم أخذني فغطني الثالثة، ثم ارسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾[العلق: 1-5]. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: **زملوني زملوني،** فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: مالي، واخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: **كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق...**) رواه **البخاري.**

وكان أساس هذه المرحلة، هو الدعوة إلى الله تعالى، وتتلخص في الدعوة إلى التوحيد ونبذ عبادة الأصنام، والإيمان باليوم الآخر، وتطهير النفس من أخلاق الجاهلية، والتحلي بأخلاق الإسلام. ثم نزلت عليه آيات تدعوه إلى العمل للدين، وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) ﴾[المدثر: 1-7]. وحينئذ بدأ دعوته ومرت بثلاثة أدوار رئيسية:

الدور الأول: الدعوة إلى الله سرًا (ثلاث سنوات): بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يعرض الإسلام على أقرب الناس إليه فأسلم كل أهل بيته وهم: زوجته خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب وكان صبيا يتربى في بيته، وزيد بن حارثة وهو مولى النبي ومتبناه، وأسلم صديقه الحميم أبو بكر الصديق. وأخذ أبوبكر يدعو مع النبي صلى الله عليه وسلم، فاستجاب له عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فكان الذين اسلموا ثمانية، هم الرعيل الأول وطليعة السابقين الذين قامت على كاهلهم الدعوة المحمدية. ثم أخذ العدد في الزيادة وزاد عن الأربعين كما ذكر ابن هشام.

وكانوا يستخفون بدينهم، ويصلون خفية، ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، وقد أمرهم الله بذلك: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (55) ﴾[غافر: 55]. واستمر ذلك مدة ثلاث سنوات.

الدور الثاني: الجهر بالدعوة (سبع سنوات): وبدأت بنزول الوحي بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) ﴾[الشعراء: 214]. فجمع النبي صلى الله عليه وسلم عشيرته من بني هاشم، ونفرًا من بني المطلب بن عبد مناف (**45 رجلا**) وبلغهم دعوة الله، ثم أمره الله أن يبلغ قريشا بأسرها فنزل قوله

تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ ﴾ [الحجر: 94]. وبين النبي لهم حقيقة الأصنام، ودعا القوم إلى ترك الشرك والخرافة، وعبادة الله وحده لا شريك له.

وكان رد فعل المشركين كبيرًا، فحاربوه بألسنتهم، واضطهدوا أصحابه وعذبوهم، وآذوا رسول الله بشتى الطرق، فكانت محنة وابتلاء عظيمًا، وتنزلت الآيات المثبتة للمؤمنين: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ [العنكبوت: 2-3].

وأمر الله نبيه بالتزام أخلاق الدعوة، وأنزل فيها آيات عديدة ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: 125]. وبين له سبيل الدعوة مع المؤمنين: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف: 108]. وقد واجه النبي وأتباعه اضطهاد قريش ـ بداية من السنة الخامسةللبعثة ـ بأمرين:

ـ أتخاذ **دار الأرقم** بن أبي الأرقم المخزومي مركزاً لأصحابه، يجتمع بهم سرًا ويعلمهم ويربيهم على مبادىء الإسلام وقيمه.

ـ إرسال وفد من الصحابة إلى **أرض الحبشة** حتى يعبدوا الله في أمان، ويجنبهم العذاب الشديد من قومه.

ولكن قريشًا تمادت في غيها، وخاصة بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، وفشلت كل المحاولات مع عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم في محاربته أو التخلي عنه، حينئذ تعاهد القوم على مقاطعة المسلمين ومن يوفر لهم الحماية وهم عشيرة النبي من بني هاشم وبني المطلب، وكتبوا صحيفة المقاطعة وعلقوها في جوف الكعبة، وحاصروا الجميع في شعب أبي طالب منذ **شهر المحرم من السنة السابعة من البعثة** وأستمر الحصار الإقتصادي الظالم لمدة **ثلاث سنوات** ذاق المسلمون فيها من الجوع أنواعًا، فأكلوا الجلود وأوراق الشجر وربطوا الحجارة على بطونهم. وفشل الحصار في تحقيق أهدافه، وفك في **المحرم سنة عشر من البعثة**.

وكانت المرحلة المكية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم شديدة البلاء، لأن الصحابة كانوا يأتون إلى رسول الله ما بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم اومر بقتالهم. وكان

التكليف يومئذ هو التأكيد على التوحيد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿77﴾ ﴾[النساء: 77].

الدور الثالث: الدعوة خارج مكة: (ثلاث سنوات): وبدأ هذا الدور **بعام الحزن** الذي فقد فيه النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب الذي آواه ونصره وقدم له الحماية لمدة **عشر سنوات** سابقة من الدعوة، وقد توفي بعد الخروج من الحصار في **شهر رجب سنة عشر من البعثة**، ومما زاد في حزن النبي موت عمه على الشرك، وقد أنزل الله مواسياً النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿56﴾ ﴾[القصص: 56]. ثم توفيت خديجة بعد أبي طالب بنحو **شهرين**، وحينئذ نالت قريش من رسول الله، فازداد حزنًا، وبدأ يبحث عن مكان آخر للدعوة خارج مكة:

هجرته إلى الطائف: وكانت في **شوال سنة 10 من البعثة**، والتي عرض فيها الإسلام على أهل الطائف، ولكنهم ناصبوه العداء ورفضوا دعوته وأغروا به سفهاءهم وأدْمَوا قدميه الشريفة بالحجارة، ومكث بينهم مدة **عشرة أيام** ثم عاد إلى مكة مثقلا بالأحزان، فساق الله إليه نفراً من جن نصيبين، وكان قائما يصلي بالليل في موضع نخلة، فاستمعوا للقرآن وآمنوا بالدين ثم رجعوا إلى قومهم دعاة: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿29﴾ ﴾[الأحقاف: 29]. كما أكرمه الله برحلة الإسراء والمعراج، وفرض عليه الصلوات الخمس، فازداد ثباتًا، وواصل تبليغ دعوته للناس.

عرض الإسلام على الوفود في مكة: سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، بداية من السنة **العاشرة**، فكان يغتنم فرصة تجمع الناس من الآفاق في موسم الحج ويحدثهم عن الإسلام، وقد لقيت دعوته قبولاً عند شباب يثرب في موسم الحج سنة **11 من البعثة (جويلية 620م)** ، حينما عرض الدعوة على **سِتَّةٍ**من شباب الخزرج في عقبة مِنًى، فآمنوا به وصدقوه، ورجعوا إلى قومهم دعاة إلى الإسلام الذي بدأ ينتشر، وعاد منهم **خمسة** في موسم الحج لسنة **12 من البعثة** ومعهم **خمسة** آخرون من الخزرج **وإثنان** من الأوس، وبايع **الإثنا عشر** رجلا رسول الله بيعة العقبة الأولى. ثم رجعوا وأرسل معهم النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، سفيرًا للمسلمين، ومعلمًا وداعيًا بالحسنى، وأثمرت دعوته خيرًا كثيرًا حينما أستقبل النبي صلى الله عليه وسلم في موسم الحج في السنة **13 من البعثة، ثلاثة وسبعين أنصاريا**، منهم **62** من الخزرج، و **11** من الأوس، ومعهم **امرأتان** وهما: نسيبة بنت كعب (أم عمارة) من بني النجار، وأسماء بنت عمرو (أم منيع) من بني سَلِمة، وبايعوا بيعة العقبة الثانية، وقد روى الإمام **أحمد** ذلك مفصلاً عن

جابر قلنا: يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال: على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة. فبايع الجميع، ثم رجعوا إلى بلادهم راشدين.

أما رسول الله فقد ازداد أذى قريش، فأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكانوا يتسللون خفية، حتى لم يبق في مكة إلا المستضعفون. ولما قررت قريش أن تتخلص من النبي بالقتل، واتفقوا على ذلك في دار الندوة، حينئذ أخبره الله بمكرهم، وقد نزلت الآية فيما بعد تذكره بالمكر الفاشل بإذن الله:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿30﴾﴾ [الأنفال: 30]. ثم أمره الله بالهجرة، فخرج ليلا من بيته، والمشركون يطوِّقُونَ البيت، ولكن الله أيده فأعمى أبصارهم فلم يروه عندما خرج عليهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿9﴾﴾ [يس: 9].

والتقى مع صاحبه الصديق أبو بكر، واتجها نحو غار ثور ومكثا به **ثلاثة أيام**، وايده الله نخرج إلى المدينة سالماً ورعاية الله تحفظه من كل مكروه، وذلك نصرالله، فهو نعم المولى ونعم النصير: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿40﴾﴾ [التوبة: 40].

* **المرحلة الرابعة: بناء المجتمع وتأسيس الدولة: (10 سنوات):** وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة **في ربيع الأول سنة 14 من البعثة الموافق لشهر سبتمبر 622م**، وأول عمل قام به هو وضع القواعد الأساسية للمجتمع الفاضل وهي:

أولا: بناء المسجد النبوي الذي كان معبداً للمؤمنين، ومدرسة لتعليم المسلمين، ومنتدى للتآلف والتلاقي المستمر على المحبة والتقوى، ومجلساً للشورى، وقاعدةً عسكرية لتنظيم ألوية الجهاد في سبيل الله.

ثانيا: عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، لتمتين أواصر المحبة، وتحقيق وحدة المسلمين، والقضاء على العادات الجاهلية في الإفتخار بالآباء والأجداد، ورفع شعار القرآن: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾﴾ [الحجرات: 13].

ثالثا: إعداد ميثاق تنظيم العلاقات بين عناصر المجتمع المختلفة:

(المسلمون، والمشركون، واليهود) حتى يكون بين الجميع، التعاون والنصرة.

كما حدد النبي صلى الله عليه وسلم أسس الدولة والمنظومات التي تنظم سير شؤونها، وتمثلت في المنظومات التالية:

1) المنظومة السياسية والإدارية: تعتبر الوثيقة التي نظمت العلاقات بين مختلف عناصر المجتمع الجديد هي البذرة الأولى للمنظومة السياسية، والمراسيم الإدارية، وتلتها مراسيم وأوامر ذات طابع قانوني أو إداري.

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قواعد الحكم الأساسية وأهمها العدل والشورى، واوجد عامل الثقة بين الحاكم والرعية. وتنزلت الآيات تحث على العدل بين الناس: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۝58﴾[النساء: 58]. ولم يعرف التاريخ حاكماً عادلاً مثل محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قال لذلك الرجل المعترض عليه: (**ويحك فمن يعدل إن لم أعدل**) ، كما جسد مبدأ الشورى في مختلف الأحداث الهامة، امتثالاً لأمر الله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۝159﴾[آل عمران: 159]. فقد شاورهم في شأن القتال يوم بدر، وفي غزوة أحد، ويوم الخندق وفي غيرها من الحوادث، كما أخذ بنصائح واقتراحات أصحابه، ومنها ما أشار به الحباب بن المنذر يوم بدرفي أمر الآبار، وما نصح به سلمان الفارسي في حفر الخندق.

واهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالأمور الإدارية، فكان أبو بكر الصديق بمثابة وزير الدولة والمستشار الرئيسي فيها، كما حدد مهام بعض أصحابه المتميزين، فكان أبو عبيدة مسؤولاً على المال، وعمر بن الخطاب على القضاء، وعلي بن أبي طالب على الفتوى في النوازل والمشكلات، وكلف بعض أصحابه بكتابة الوحي، والرسائل التي بعث بها إلى الملوك والقبائل، وبلغ عددهم نحو **أربعين كاتبًا**، وأرسى قواعد الدبلوماسية، فأرسل السفراء الذين قابلوا الملوك والأمراء، وكان عددهم **ثمانية**، ويعتبر مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام أرسل إلى المدينة لتثبيت قواعد الدعوة إلى الله.

كما اهتم بالأمصار، فأرسل لها الدعاة والعمال الذين يُعلمون الناس أحكام الدين والقرآن الكريم، ويؤُمُّونَهُمْ في الصلاة ويجمعون الزكاة، وكانوا بمثابة الأمراء، مثل تعيين معاذ بن جبل في اليمن قاضياً، وعتاب بن أسيد نائباً على مكة، وجعل له أجرة، وكانت درهمًا واحداً على كل يوم، وهو أول راتب مالي وضع للولاة والأمراء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يوجه النصائح لكل من يتولى المسؤولية في الإسلام فيقول: (**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) متفق عليه.** ويحدد علاقة الحاكم

بالرعية، وحدود الطاعة فيقول: **(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)** متفق عليه.

2) المنظومة العسكرية: وتظمنت رفع لواء الجهاد في سبيل الله، ورد هجمات الكفر، ونشر الإسلام في الآفاق، وتعبيد طريق الدعوة إلى الله، وإزاحة كل الحواجز والعراقيل، وتوطيد أركان الإسلام في الأرض.

وبدأ الجهاد بأمر الله وإذنه بالقتال، ونزلت أول آية في ذلك بعد الهجرة إلى المدينة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿39﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿40﴾﴾[الحج: 39-40]. وأمر الله نبيه بقيادة المسلمين في حرب الكفار والمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿73﴾﴾[التوبة: 73]. وشرع النبي صلى الله عليه وسلم في عقد ألوية السرايا والغزوات، وسيرها لقتال الكفار، وبلغ عدد السرايا والبعوث نحو **56 سرية،** وعدد الغزوات **27غزوة،** وقد نشب القتال في تسعة منها فقط، بينما فرَّ الأعداء في بقية الغزوات بدون قتال. ومرت أحداث الجهاد بثلاث فترات هي:

الفترة الأولى: ما بين (1 ـ 6 هـ): تجمع الأعداء لحرب المسلمين في المدينة في بدر، وأُحُدْ، والخندق، وهي محاولة منهم لإستئصال المسلمين والقضاء عليهم، ولكن خططهم باءت بالفشل الذريع، فنصر الله دينه ومكن له في الأرض.

الفترة الثانية: ما بين (6 ـ 8 هـ): وهي المدة التي وضعت فيها الحرب أوزارها، وعقدت الهدنة، وانتهت بفتح مكة سنة **8 هـ** وظهرت قوة المسلمين، وبدأ الرسول في مكاتبة الملوك والأمراء.

الفترة الثالثة: مابين (8 ـ 11 هـ): وحينئذ انتشر الإسلام فى كامل الجزيرة العربية، وتوافدت القبائل على المدينة، وواجه المسلمون اعداءهم في أطراف الدولة في غزوة مؤتة، وتبوك، كما جهز النبي جيشاً كبيرًا في **صفر سنة 11 هـ** وأمر عليه أسامة بن زيد لتأديب الروم. ويومئذ دخل الناس في دين الله أفواجا.

3) المنظومة الإقتصادية: جعل النبي صلى الله عليه وسلم أساس المنظومة الإقتصادية الإسلامية هو العمل، والكسب الحلال، والسعي في مناكب الأرض لعمارتها، فقال: **(إن الله يحب العبد المحترف، ومن كد على عياله كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل)** رواه أحمد. وقد حث في كثير من الأوامر

النبوية على ممارسة الحرف، ومزاولة الأعمال، ومنها الزراعة والغرس فقال: **(ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)** رواه البخاري ومسلم . وهذا دفع الناس إلى الإشتغال بالزراعة، وتوفير القوت للناس، كما دعا المسلمين إلى التجارة الرابحة المبرأة من الربا والغش، والتي ترتكز على المعاملة السمحة فقال: **(رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)** رواه **البخاري.** ونهى أصحابه عن سؤال الناس ووجههم إلى العمل المتقن، ووضع لهم الأساس الأول للممارسة الصناعية، فقال: **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)** رواه **البيهقي.** وعندما سأله أحد الصحابة مالا، نصحه أن يبيع بعض أثاث بيته ويشتري بها فأسًا ويحتطب، ففعل الرجل ووفر مالاً واشترى به طعاماً وثوبًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم معلقًا على عمل الرجل: **(هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة)** رواه **ابن ماجة.**

ووضع قاعدة عامة فقال: **(لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكُفَّ بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه).** واشتهر بعض الصحابة بصناعة الأسلحة في العهد الأول لضرورة الجهاد.

واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم المال الصالح هو أساس المعاملة النظيفة، وأوجب على المسلم أن يكون سلوكه مستقيمًا، وأن يعمل العمل الذي يرضي الله ورسوله، لأن الله قال: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿105﴾ ﴾[التوبة: 105].

وقال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص: **(يا عمرو: نعم المال الصالح للمرء الصالح).**

وحرَّمَ النبي في مقابل ما سبق كل معاملة إقتصادية فيها كسب خبيث، ورتَّبَ القرآن على ذلك عقابًا شديدًا في الدنيا والآخرة، فحَرَّمَ الربا والقمار والغش والسرقة والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل.

4) **المنظومة الاجتماعية:** وأرسى قواعدها النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وظهرت في معاشرته لزوجاته، ومعالجته لكل المشاكل الاجتماعية، كالطلاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ ﴿1﴾ ﴾[الطلاق: 1]. أو إبطال العادات والتقاليد الجاهلية مثل عادة التبني: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ... رَّحِيمًا ﴿5﴾ ﴾[الأحزاب: 5]. كما عالج القرآن ما وقع في حادثة الإفك، ونزلت الآيات ببراءة أم المؤمنين عائشة من كل سوء اتهمها به المنافقون، ونزلت أحكام القذف لتحمي أعراض المسلم المحصن. وحُدِّدَتْ أحكام الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنفقة والإرث وغيرها من الأحكام المفصلة في القرآن والسنة، التي نظمت الأسرة المسلمة النموذجية، فضلا عن بر الوالدين وصلة الأرحام، وتمتين

الروابط الأخوية، ورعايه الأيتام، والسعي على الأرامل والمساكين، واغلب أحكام الأسرة برزت بشكل جلي في سورة البقرة والنساء، وسورة النور والأحزاب، وسورة الطلاق والتحريم، وغيرها من الآيات المبثوثة في الكتاب الكريم، وكلها تركز على المنظومة الإجتماعية المتوازنة.

5) **المنظومة التربوية:** وقامت على تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه أحكام الإسلام وتعاليمه السمحة، وإظهار زيف الجاهلية وباطلها، وبدأت التربية المركزة - للنواة الأولى من الأصحاب - في دار الأرقم بمكة، وكان البرنامج التربوي يعتمد على إقامة الصلاة، وقيام الليل، والتحلي بالصبر على أذى المشركين، والتمسك بمكارم الأخلاق، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** رواه مالك. فانطلق الصحابة يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم في سلوكه، وخالفوا بذلك أهل الجاهلية وتميزوا عنهم بالبر والتقوى. وركيزة ذلك، التربية على العقيدة السليمة، والعبادة الصادقة، والخلق السوي، والخشية والخوف من الله تعالى، وتجلت في حياة الصحابة فَيُفَضِّلُ أحدهم الموت في سبيل الله على الكفر، مثلما فعلت سمية وياسر، ويتحمل بلال بن رباح العذاب الشديد في رمضاء مكة وهو يردد " **أحد.. أحد** " لأنهم تربوا على مائدة القرآن، الذي حثهم على الصبر والثبات على الإبتلاء، لأن الأجر عند الله عظيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿31﴾﴾ [محمد: 31]. كما كان النبي يربي كل غافل بالحسنى، مثلما فعل مع الشاب الذي استأذنه في الزنا، فخاطبه: أن الزنا لا ترضاه لأهل بيتك فكيف يرضاه الناس لبناتهم، فاقتنع الشاب، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على صدره ودعَا له قائلا: **(اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وأحصن فرجه)** رواه **أحمد**. وبعدها لم يلتفت الشاب إلى شيء مما كان يشتهيه.

كما ربى فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وازع الخشية والخوف الإيجابي، الذي يجعل صاحبه يخشى الله، ويخاف أن يكون مقصرًا في العمل، وقد سألت عائشة رسول الله عن الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿60﴾﴾ [المؤمنون: 60]. قالت عائشة: الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: **لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات.** رواه **الترمذي.**

6) **المنظومة الأخلاقية:** وأساسها خلق النبي صلى الله عليه وسلم، فقد خاطبه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾﴾ [القلم: 4]. وتجسد هذا الخلق في التطبيق العملي للقرآن، ولما سئلت عائشة عن خلقه قالت: (**كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن)** رواه مسلم وأبو داود.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " خدمت رسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أُفٍ قط، ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم **أحسن الناس خلقًا**، وما مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عَرَقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ". أخرجه البخاري ومسلم.

وتمثلُ أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم التوازن في كل شيء، وأهم أخلاقه:

* **الكرم والجود:** فعن ابن عباس، وقد سئل عن جود الرسول وكرمه فقال: (**كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن، فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة**) رواه **البخاري**. فقدحملت إليه يوما تسعون ألف درهم فوضعت على حصير فقام إليها وقسمها، ولم يرد سائلاً حتى وزعها كلها.

***الزهد والعفاف:** كان صلى الله عليه وسلم زاهدًا في الدنيا، فقد عرض عليه ربه أن يحول له جبال مكة ذهبًا وفضةً، بعد عودته من الطائف فقال: **لا يا رب اشبع يومًا فأحمدك واثني عليك، وأجوع يومًا آخر، فأدعوك وأتضرع إليك.** وكان يكثر من الدعاء: **اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً.**

* **الصبر والتحمل:** فقد أمره الله بالصبر في القرآن في عدة مواضع، وأن يكون في صبره متأسياً بالأنبياء: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحقاف: 35]. فكان سيد الصابرين، فصبر على أذى قريش، وصبرفي عام الحزن، وصبر في الحروب والغزوات، وصبر على آلام الجوع، فقد مات ولم يشبع من خبز الشعير مرتين في يوم واحد قط.

* **العفو والتسامح:** كان عفُوًا متسامحًا مع الناس لأن الله قال له: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف: 199]. فقد عفا عن غورث بن الحارث الذي أراد قتله، وعفا عن قريش يوم الفتح فقال لهم: **اذهبوا فأنتم الطلقاء.**

***الرحمة واللين:** قال له ربه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران: 159]. وقد بعثه الله بالرحمة للناس كافة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 107]. وقد أوذي كثيرًا من قومه، واستأذنه ملك الجبال أن يطبق عليهم الجبلين، فقال: (**لا بل أرجوا أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا.** ودعا لهم بقوله: **اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون.** وقيل له يا رسول الله اُدْعُ على المشركين فقال: (**إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة**) رواه **البخاري ومسلم.** أما رحمته بالمؤمنين فكانت عظيمة، ويكفي في ذلك قوله تعالى:

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: 128].

***الحيـاء:** وتجلى في أبهى صوره في يوم زواجه بزينب بنت جحش، فتحرج من مكوث الصحابة، ولكنه استحى من صرفهم، فنزل القرآن يعلمهم آداب الزيارة، وفي الآية تنويه بخلق الحياء المحمدي: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ٥٣﴾ [الأحزاب: 53].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (**كان رسول الله أشد حياء من البكر في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه.**) رواه **البخاري ومسلم.**

***التواضع وخفض الجناح:** كان متواضعًا للخلق، حدث أبو لبابة فقال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئًا على عصا، فقمنا له فقال: (**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضًا**) ومما قال صلى الله عليه وسلم في وصف حاله: (**إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**). ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد.**)

***الأمـانة:** كان سيد الأمناء حتى عرف بين قومه **بالأمين،** وقد قال الله فيه: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير: 21]. وأكثر المفسرين قالوا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت قريش على شركها تضع عنده الودائع والأمانات، وفي يوم الهجرة نام علي بن أبي طالب في فراشه، وقام في اليوم الموالي فرد كل الأمانات إلى أصحابها.

المرحلة الخامسة: من حجة الوداع إلى مرض الوفاة: (شهران ونصف تقريبا): وتم في هذه الفترة أمران هما:

* **حجة الوداع:** وتمت في شهر **ذي الحجة سنة 10هـ،** وسميت بهذا الإسم لأن النبي صلى الله عليه وسلم وَدَّعَ فيها الناس بقوله: (**لَعَلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا...**) ، وسميت أيضا بحجة " **البلاغ** " لأن النبي صلى الله عليه وسلم بَلَّغَ فيها الكثير من الأحكام في خطبته في يوم عرفة، وأدى المناسك كاملةً، وكان يعلم الناس عند كل موقف ومنسك، فيقول عند عرفة: (**وقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف**) وقال عند مزدلفة: (**ووقفت ها هنا ومزدلفة كلها موقف**) وبعد النحر في منى قال: (**نحرت هاهنا، ومنى كلها منحر**) وبيَّنَ باقي المناسك عمليا، وكان يقول: (**خذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا..**).

وقد اجتمع في الحجة **مائة ألف واربعة وعشرون ألفًا** من المسلمين، ومِمَّا قاله النبي في خطبته يوم عرفة:

(أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف..) واشتملت الخطبة على عدة أوامر منها: أحكام الدماء والأموال والأعراض وحرمتها، وتحريم الربا، وأوصى الناس بالنساء خيرًا، وحثهم على التمسك بكتاب الله وسنته المطهرة، وكان يتخلل الخطبة قوله: **(اللهم هل بلغت... اللهم فاشهد...).**

ونزلت عليه سورة النصر في أيام التشريق: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ① وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ③﴾ [النصر: 1-3]. فقال لعائشة: " **ما أراه إلا حضور أجلي** ". وتسمى أيضا سورة "**التوديع** " قال ابن عمر: نزلت هذه السورة بِمِنًى في حجة الوداع، ثم نزلت: " **اليوم أكملت لكم دينكم** " الآية. فعاش بعدهما النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما.

وقيل بل نزلت عليه آية المائدة وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ③﴾ [المائدة: 3]. وعندما سمعها عمر بكى، فقيل له ما يبكيك؟ قال: **إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان.** وبعد أداء النبي لكل مناسك الحج عاد أدراجه إلى المدينة ليواصل جهاده وعمله في سبيل الله.

* **تجهيز بعث أسامة:** جهز النبي بعد عودته من الحج جيشًا كبيرًا وأمر عليه أسامة بن زيد، وكان ذلك في حدود شهر **صفر سنة 11هـ** وأمره أن يوطئَ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض الروم بفلسطين، لصد هجمات الروم، وإبعاد خطرهم، والانتقام لشهداء مؤتة. وخرج الجيش إلى الجرف وهو موضع قريب من المدينة، ويبعد عنها فرسخا فقط، ولكن الأخبار أتتهم بمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبقي الجيش ينتظر ما تخلي عنه الأيام.

المرحلة السادسة: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته: (ما بين 13-14 يوما):

* **الأسبوع الأول:** بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يشعر بمقدمات المرض في أواخر شهر **صفر** وبداية شهر **ربيع الأول سنة 11 هـ،** وأول عمل قام به في جوف الليل، أنه أيقظ مولاه أبو مويهبة فقال: " **يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي،** فلما وقف بين أظهرهم قال: **السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه. أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى.** ثم أقبل على أبي موهبة فقال: **يا أبا مويهبة، إني أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة نخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة.** فقال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة، فقال: **لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي**

والجنة. ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف. وكان أول وجعه صداعًا شديداً في رأسه الشريف، فقد دخل على عائشة بعد رجوعه من البقيع فوجدها تشكو صداعًا وتقول: وارأساه. فقال: **بل أنا والله يا عائشة وارأساه.** ثم قال لها: **وما ضرك لو مِتِّ قبلي فقمت إليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك.** فقالت عائشة: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت عائشة: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتامَّ به وجعه، وهو يدور على نسائه حتى استعزَّ به ـ وهو في بيت ميمونة ـ فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي، فأذِنَّ له.

ونزلت عليه في تلك الأيام آخر آية من كتاب الله تعالى، قبل وفاته بتسع ليالٍ كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه: وهي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281) ﴾ [البقرة: 281].

* **الأسبوع الأخير:** خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت ميمونة يمشي بين رجلين من أهله، وهما: العباس وعليّ، وهو عاصب رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها، فقضى عندها آخر أسبوع في حياته، وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات والأدعية، وتنفثُ على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة.

وكانت أحداث المرض التقريبية حسب الأيام:

ـــ **الأربعاء 7 ربيع الأول:** قبل خمسة أيام من الوفاة، اشتدت عليه الحمى، وازداد الوجع، وأغمي عليه، فقال:

" **هريقوا عليَّ سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج، فأعهد إليهم** " تقول عائشة: فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صب عليه الماء حتى طفق يقول: " **حسبكم، حسبكم** " عندئذ وجد في نفسه خفة، فدخل المسجد، وكان معصوب الرأس، فجلس على المنبر وخطب الناس، ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فصعد المنبر، وخطب الناس، ثم قال: " **إن عبدًا خيره الله أن يوتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده** "فبكى أبو بكر رضي الله عنه.

ـــ **الخميس 8 ربيع الأول:** وقد اشتد عليه المرض وأراد أن يعهد للناس ويكتب لهم كتابًا، ولكن أمورًا من القوم والمرض حال دون ذلك، فأوصاهم عدة وصايا، وصلى بالناس صلاة المغرب، وقرأ فيها بسورة والمرسلات عرفا ـ وحتى هذا اليوم لم يتخلف عن صلاة واحدة رغم شدة مرضه؛ فلما حان وقت صلاة العشاء ازداد المرض، ومنعه الإغماء من الخروج إلى المسجد، فسأل عائشة: أصلَّى الناس؟ فقيل لا يا رسول الله، هم ينتظرونك، فطلب الماء، واغتسل، ولكن أغمي عليه، فلما أفاق سأل هل صلَّى الناس، ووقع منه السؤال عدة مرات، حينئذ أرسل إلى أبي بكر وأمره أن يصلي بالناس، فصلى بهم أبوبكر قبل وفاة النبي نحو **17 صلاة.**

ــ **السبت 10 ربيع الأول:** وجد النبي من نفسه خفة في هذا اليوم، فخرج بين رجلين: لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، قال: **أجلساني إلى جنبه**، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع الناس التكبير.

ــ **الأحد 11 ربيع الأول:** أعتق النبي صلى الله عليه وسلم غلمانه، وتصدق بسبعة دنانير كانت معه، ووهب أسلحته للمسلمين، واستعارت عائشة بالليل زيتًا للمصباح من جارتها. وكانت درعه صلى الله عليه وسلم مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من الشعير.

ـ **الاثنين 12ربيع الأول: (يوم الوفـاة):** عندما كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يصلي بالمسلمين صلاة الصبح، كشف الرسول ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، فأراد أبو بكر أن يتأخر ليقوم في الصف، ظنًا منه أن النبي يريد الصلاة بهم، وكاد المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحاً برسول الله، فأشار إليهم بيده صلى الله عليه وسلم، أن أتموا صلاتكم، ثم دخل إلى الحجرة وأرخى الستر. وكانت تلك آخر نظرة من الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وانصرف الناس من الصلاة، وهم يظنون أن النبي بدأ يُشفَى من وجعه، وخرج أبو بكر مطمئنا إلى أهله بالسُّنْح وهي في عوالي المدينة.

فلما دخل رسول الله، وارتفع وقت الضحى، فدعا فاطمة فبكت لما أخبرها بقرب رحيله، ثم ضحكت لما علمت أنها أول أهل بيته لحوقاً به، وبشرها بأنها سيدة نساء العالمين، ولما رأت ألم الوجع قالت: وَاكَرْبَ أباه، فقال لها: **ليس على أبيك كرب بعد اليوم.** ثم دعا الحسن والحسين، فقبلهما، وأوصى بهما خيرًا، ثم وعظ نساءه وذكرهن، وكان يقول لعائشة في هذا المرض: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع ابهري من ذلك السم. كما أوصى المسلمين عامة بقوله مرارا: **الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.**

وبدأ النبي يحتضر، فأسندته عائشة إلى صدرها، وتقول عائشة: إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته. دخل عبد الرحمن ـ بن أبي بكر ـ وبيده سواك، وأنا مسندة رسول الله، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته. فأمَرَّهُ ـ وفي رواية أنه استن بها كأحسن ما كان مستنًا ـ وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه، يقول: **لا إله إلا الله، إن للموت سكرات.** رواه **البخاري.** وصدق الله الذي أخبره في حال صحته بهذه اللحظات: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿30﴾ ﴾ [الزمر: 30]. ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من السواك رفع يده أو أصبعه، ثم شخص ببصره نحو السقف

(السماء) وتحركت شفتاه، فبلغ صوته إلى مسامع عائشة وهو يقول: "**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، والحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى".** وكانت آخر كلمة نطق بها، وكانت الوفاة في **ضحى يوم الاثنين 12 ربيع الأول سنة 11 هـ وعمره63سنة.** وهو يوم ولادته، ويوم هجرته، وكان كثير الصيام فيه، وقال هو يوم ترفع فيه الأعمال لرب العالمين، ويحب أن يرفع عمله وهو صائم.

وكان الخبر شديدًا على المسلمين، ووقف عمر يحلف أن رسول الله لم يمت، فلما رجع أبو بكر، دخل إلى المسجد، فلم يكلم الناس، ثم دخل إلى بيت عائشة، فكشف عن وجه رسول الله، ثم أَكَبَّ عليه، فقبله وبكى، ثم قال: **بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها.**

ثم خرج أبو بكر وأمر عمر أن يجلس، ثم أخذ يكلم الناس قائلا: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم، فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله، فإن الله حي لا يموت. قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: 144].

حينئذ تأكد الناس بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذوا يبكون. وقال عمر بعد ذلك: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات.

وانشغل المسلمون عن رسول الله بأمر الخلافة، ولم تشرق شمس يوم الثلاثاء حتى كان أبو بكر خليفة للمسلمين، وتم تجهيز النبي في خلافته.

* **الثلاثاء 13 ربيع الأول: (يوم التجهيز والدفن):** غسّل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالُ من أهل بيته ـ دون تجريده من الثياب ـ وهم: العباس، وعلي، والفضل وقثم ابني العباس، وشقران مولى رسول الله. وأسامة بن زيد، وأوس بن خولي. فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره. وكفن في ثلاثة أثواب، ليس فيها قميص ولا عمامة، أدرجوه فيها إدراجًا. ثم سجي قرب لحده ببيت عائشة، ودخل عليه الناس إلى الحجرة للصلاة عليه فرادى لا يؤُمهم أحد، ودخلوا عشرة فعشرة بالترتيب، أولا أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم النساء، والصبيان ثم العبيد. واستغرق ذلك اليوم كله إلى الليل، ودفن رسول الله في ليلة الاربعاء، ونزل في قبره علي بن أبي طالب، والفضل وقثم، وشقران، وأوس بن خولي، وسووا عليه التراب ورفعوا قبره قدر شبر عن الأرض، **صلى الله على محمد صلى الله عليه وسلم.**

ـ واجبنا نحو رسول الله صلى الله عليـه وسلم:

إن واجب المسلم نحو رسول الله عظيم، فهو النور المبين في حياة المسلمين، وكل مؤمن أولى بالحنين إليه في كل موقف من حياته: فقد قال عمر رضي الله عنه، مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان جذعٌ تخطب الناس عليه فلما كثر الناس، اتخذت منبراً لتسمعهم، فحن الجذع لفراقك، حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم..)**

وهذا الحنين يتجسد في الآداب التالية، وهي حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم:

1) **التأدب مع سنته الشريفة:** فقد أمرنا الله بهذا الأدب في مطلع سورة الحجرات، ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴿٢﴾ ﴾[الحجرات: 2]. ويقول أبو بكر بن العربي في " أحكام القرآن": (لحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قُرِئَ كلامه وجب على كل حاضر الا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف: 204]. وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة..). فينبغي على كل مستمع لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، أن يتأدب، وينصت له، محبة لصاحبه عليه الصلاة والسلام.

2) **طاعة رسول الله:** فقد فرض الله على المؤمنين طاعته بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴿٣٣﴾ ﴾[محمد: 33]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: 7]. وورد في الصحيحين أمره صلى الله عليه وسلم بالطاعة فقال: **(إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه).**

3) **محبة النبي صلى الله عليه وسلم:** ينبغي أن تكون محبته بعد محبةِ المؤمن لله تعالى، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، لأن الرسول قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)** ومن مظاهر المحبة أن يطيعه ويتبع سنته ويتخذه قدوة في كل شيء. ويكثر من ذكره، ويشتاق إليه، كما ذكر عمر فيما سبق. قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: 31].

4) الإقتداء به صلى الله عليه وسلم: وقد أمرنا الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: 21]. مثلما كان الصحابة يتتبعون آثار النبي في كل شيء، فبينما كان النبي ذات يوم يصلي بأصحابه اذ خلع نعليه في الصلاة فوضعهما عن يساره، فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال: (**ما حملكم على إلقاء نعالكم؟**) قالوا رأيناك ألقيت نعليك، فقال: (**إن جبريل أخبرني أن فيهما قذراً**). وكان ابن عمر يدور بناقته في المكان الذي دارت فيه ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، فيسأل فيقول لعل خف ناقتي يقع على مكان خف ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، فهكذا في الأمور العامة، أما العبادات فقد بلغت عندهم شأواً عظيماً.

5) إحيـاء سنته الشريفة: وفيها دليل عملي على محبته صلى الله عليه وسلم، فقد ورد في حديث العرباض بن سارية قوله صلى الله عليه وسلم: (**... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ.. **) رواه **أبو داود والترمذي**. والتمسك بهديه هو إحياء عملي لسنته الشريفة، والتشبه بأخلاقه دليل على محبته، وهوعمل يرجوا منه المسلم مرافقة النبي في الجنة. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يا بني ان قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل.** ثم قال لي: **يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة**) رواه **الترمذي بسند حسن.**

6) الإكثار من الصلاة والسلام عليه: فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أصول الأذكار وأعظمها في الإسلام، وفيها شرف كبير للمؤمن، وقد أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب: 56]. وأجرها عند الله كبير، لقوله صلى الله عليه وسلم: (**من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً**) رواه **مسلم**. ويكون رفيق النبي يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم: (**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة**) رواه **الترمذي وقال: حديث حسن.**

وشرعت الصلاة عليه في عدة مواطن منها، بعد الآذان، وفي كل مجلس، وبين يدي الدعاء، وليلة الجمعة ويومها، وكلما ذكر المصطفى، وعند دخول المسجد، وتستحب في كل مكان طاهر، وهي تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرة لأنه قال: (**حيثما كنتم فصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني**) أخرجه **الطبراني باسناد جيد**. وأما السلام، فقال عنه: (**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**) رواه **النسائي وابن حبان.**

وللصلاة صيغ كثيرة، ومن الصيغ المأثورة، قال قولوا: (**اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم**) رواه مسلم.

ـ **هذا أفضل خلق الله: الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم:** هو أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأول الناس خروجا إذا بعثوا يوم القيامة، وهو سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وهو أكرم الأولين والآخرين ولا فخر، وبيده لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، ويعطيه الله **المقام المحمود** الذي وعده: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[الإسراء: 79]. فيقوم عن يمين العرش مقامًا لا يقومه غيره، ويشفع لأمته، فهو أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وهو أول من يحرك حلق الجنة فيفتح له، وهو اول من يدخل الجنة ومعه فقراء المؤمنين ولا فخر، وهو حبيب الله ولا فخر، فاللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين إلى يوم الدين.

حمراء الأسد

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾[آل عمران: 172].

حمراء الأسد: موضع على ثمانية اميال إلى الجنوب من المدينة، وقد وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عند مطاردة المشركين في اليوم الموالي لغزوة أحد (**الأحد 8 شوال سنة 3 هـ**). ولم يأذن النبي بالخروج إلا لمن شهد القتال بأحد. ولما وصل المسلمون إلى حمراء الأسد واستقروا بها، أقبل عليهم معبد بن أبي معبد الخزاعي فأسلم، فأمره النبي أن يلحق بأبي سفيان ويخذِّلَهُ، فلحق به بالروحاء على بعد **36 ميلا** من المدينة، فسأله أبو سفيان عن الأخبار، فقال معبد: محمد، قد خرج في أصحابه، يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً.. فقرر أبو سفيان الإنسحاب، ولكنه قام بحرب دعائية. فلما مر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة قال لهم أبو سفيان: هل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة، وأوقر لكم راحلتكم هذه زبيبا بعكاظ إذا أتيتم إلى مكة؟ قالوا: نعم. قال: فابلغوا محمداً أنا قد اجمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه. فمر الركب بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ـ وهم بحمراء الأسد ـ فأخبرهم بمقالة أبي سفيان وقال: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزاد قوله المؤمنين إيمانا وتوكلا على الله. ونزلت الآيات على النبي صلى الله عليه وسلم تثني على المؤمنين، وتثبتهم على الحق، وتذكر صدق توكلهم على الله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ

قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ (173) فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ (174) ﴾[آل عمران: 172-174].

وكان المسلمون يوقدون بالليل في حمراء الأسد خمسمائة نار، حتى تُرى من المكان البعيد، وأظهرت أن المسلمين عددهم كبير جدًا. ومكث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أيام من الأحد إلى الاربعاء، ورجع إلى المدينة يوم **11 شوال سنة 3 هـ.**

حمزة بن عبد المطلب

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ (122) ﴾ [الأنعام: 122].

هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة؛ ويكنى بأبي عمارة. وكان شديد التعلق بالصيد، فلما رجع ذات يوم من رحلة الصيد ذهب كعادته إلى الكعبة ليطوف بها قبل رجوعه إلى بيته، فلقيته خادم لعبد الله بن جدعان، فقالت له: "يا أبا عمارة.. لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفًا، من أبي الحكم بن هشام.. وَجَده هناك جالسًا، فآذاه، وسَبَّه، وَبَلغ منه ما يَكْرَه ". فاسرع في خفة يبحث عن أبي جهل ليفتك به، فلما أبصره في نادي قريش ضربه بالقوس على رأسه فَشَجَّه، وأدْماه، وصاح في وجه أبي جهل: " **أَتَشْتِم محمداً، وأنا على دينه أقولُ ما يقول..؟ ألاَ فَرُدَّ ذلك عَلَيَّ إن استطعت** ".. فكان إسلامه حميةً وغضباً لإبن أخيه، ولكن الإيمان ثبت في قلبه، وأحياه بعد غفلة؛ قال ابن عباس: ونزلت في حمزة، وأبي جهل الآية: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (122) ﴾ [الأنعام: 122].

وهاجر حمزة إلى المدينة، وقد ترك في مكة ماله وملكه، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن ثابت، ولكن حمزة آثر عيش الكفاف والتقشف. ولما أذن الله بالقتال وأنزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ (39) ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ (40) ﴾ [الحج: 39 - 40]. حينها أعز الله به الإسلام، فأطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم لقبا عظيما فقال: " **أسد الله، وأسد رسوله**". وقاد أول سرية في الإسلام، حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى سيف البحر من ناحية العيص، وأَمَّرَهُ على ثلاثين فارساً من المهاجرين، ليعترضوا عيراً

لقريش بقيادة أبي جهل، وعقد له النبي لواءً أبيض، وهو أول لواء (راية) عقد في الإسلام. وكان عدد المشركين ثلاثمائة، ورغم قلة عدد المسلمين قاتل حمزة بشجاعة، ولكن حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني، وكان صديقاً للفريقين، وحدث ذلك في رمضان من السنة الأولى للهجرة، ويومها قال حمزة معتزاً بشرف الإسلام

بأمـــر رسول الله أول خافــق * عليه لواء لم يكن لاح من قبلي

لواء لديه النصرمن ذي كرامـة * إلَه عزيز فعله أفضل الفـــعل

فقـــلنا لهم حـبل الإله نصيـرنا * وما لكم إلا الضلالة من حبل

وأبلى حمزة البلاء الحسن في غزوة بدر، ولما حانت غزوة " **أحد** " كانت الأحقاد تملأ قلوب كفار قريش عن حمزة لأنهم سمعوا أنه قتل بعض أقاربهم في بدر، ومنهم جُبير بن مُطْعم، الذي قتل عمه، فقال لعبده " وحشي": اخرج مع الناس، وإن أنت قتلت حمزة فأنت عتيـق.. ثم كلفـت " **هند بنت عتبة** " زوجة أبي سفيان به، فزادته رغبة لأن حمزة شارك في قتل أهل بيتها في بدر، فأغرته بالحرية والذهب. فترصد له وحشي من وراء شجرة وصوب الحربة نحوه، فأصابه بغتة فأرتفعت روحه إلى بارئها مع الشهداء الأبرار. ولكن مثَّل به المشركون شر تمثيل فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلّم قال: " **والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك**" فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿126﴾﴾ [النحل: 126]. فصبر النبي صلى الله عليه وسلم، وصلى على عمه سبعين صلاة بعدد شهداء أحد.

وقد رثته أخته صفية رضي الله عنها بأبيات خالدة:

دعـاهُ إلهُ الحق ذو العرش دعوة * إلى جنة يحيا بها، وســرور

فـذلك ما كنَّـا نرَجِّي ونرتـجي * لحمـزة يوم الحشر خير مصـير

فوالله لا أنساك ما هبَّتِ الصَّـبا * بكاءً وحزناً، مَحْضري ومَسيري

على أسد الله الذي كان مِـدْرها * يذود عن الإسلام كـلَّ كفورِ

أقول وقد أعْلَى النَّـعِيُّ عشيرتي * جزى الله خيرًا من أخ ونصيـر

ولكن أبلغ رثاء، قاله النبي صلى الله عليه وسلم في عمه وهو بين الشهداء " **رحْمَةُ الله عليك، فإنك كنت ـ ماعَلِمْتُ ـ وَصُولاً للرَّحِمِ، فعولاً للخيراتِ "..**

الحُمْس

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: 199].

كانت قريش متشددة في أمر الدين، وتسمى في الجاهلية " **الحمس**"ومعنى ذلك التميز عن الناس لأنهم أهل الحرم، فكانوا يقولون: نحن بنوا إبراهيم، وأهل الحُرْمَةِ، وولاة البيت، فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا، فلا بد من التميز عن أهل الحل. فكانوا لا يستظلون وهم حرم في بيوت الشعر، بل في بيوت الأدم، وقالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحل، ولا يطوفوا بالبيت إلا في ثياب الحمس، فإذا لم يتمكنوا من ذلك فعليهم أن يطوفوا عراةً. ومن طاف في ثيابه يحتم عليه أن يرميها بعد الطواف ولا ينتفع بها أبداً وتسمى (ثياب اللقى). وكان العرب لا يطوفون في ثيابهم التي لبسوها لأنهم عصوا الله فيها، ومن أعاره أحمسي ثوباً طاف فيه، أو يطوف في ثوب جديد، ثم يلقيه بعد الطواف فلا ينتفع به أحد، ومن لم يتمكن من ذلك يطوف عرياناً رجالاً ونساءً، وتطوف المرأة بالليل فتستر فرجها بعض الستر فتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

وقد ابتدعوا ذلك من أنفسهم، وأسندوا ذلك لآبائهم الذين يتبعون أمر الله، فأنكر الله ذلك لأن الله لا يأمر بالفحشاء: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: 28].

ودخلت مع قريش في أمر الحمس قبيلة كنانة وخزاعة. قال ياقوت الحموي: " إن أشراف العرب الذين يتحمسون كان إذا حج أحدهم لم يأكل إلا من طعام رجل من الحرم ولم يطف إلا في ثيابه، فكان لكل شريف من أشراف العرب رجل من قريش، فكل واحد منهما حرمي صاحبه.. وكانوا يطوفون بالبيت وهم يصفقون ويصفرون: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنفال: 35].

وكانوا لا يقفون على عرفات وتركوا الإفاضة منها ـ وهم يؤمنون أنها من الشعائر ـ ولكن الشيطان زين لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل. قالت عائشة، رضي الله عنها: " كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وسائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه

وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض، وذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ ﴾ [البقرة: 199].

حنيـن

﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا ٢٥ ﴾ [التوبة: 25].

حنين: وادٍ بين الطائف ومكة المكرمة، وهو يبعد عن مكة **26 كلم** في شرقها، ويبعد **11 كلم** عن حدود الحرم من علمي طريق نجد. قال ياقوت: " يجوز أن يكون تصغير الحنان، وهو الرحمة، تصغير ترخيم، ويجوز أن يكون تصغير الجن، وهو حي من الجن". وقال السهيلي: سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل، قال: وأظنه من العماليق.

وقعت في هذا الوادي غزوة عظيمة، في شوال سنة **8 هـ (فيفري 630 م)**، وسبب الغزوة هو خوف قبيلتي هوازن وثقيف بعد فتح مكة، فسارعتا إلى حرب المسلمين، فجمع أمير هوازن **مالك بن عوف النصري** الجموع من قومه والقبائل المجاورة، وتولى أمر القيادة العامة، وكان عدد جيشه كبيراً يضم أكثر من **20 ألف** مقاتل، ومعهم الأموال والنساء والأبناء ونزل بهم في وادي أوطاس في ديار هوازن (ولذلك سميت بغزوة أوطاس). بينما غادر النبي صلى الله عليه وسلم مكة في يوم **6 شوال سنة 8 هـ** وعدد جيشه **12 ألفاً**، منهم **10 آلاف** من الذين خرجوا معه لفتح مكة، **وألفان** من أهل مكة الطلقاء.

ولما تحرك جيش المسلمين رأى بعضهم كثرة الجيش فقال: **لن نغلب اليوم.** فشق ذلك على رسول الله، ووصل الجيش إلى حنين ليلاً، ولكن مالك بن عوف سبقهم إلى المكان فنصب الكمائن في الطرق والمداخل، ولما أصبح المسلمون وتحركوا في الوادي هاجمهم المشركون، ورموهم بالنبال فخارت معنوياتهم ورجعوا مدبرين، وكانت هزيمةً كبيرةً، حتى قال أبو سفيان ـ وهو حديث عهد بالإسلام ـ لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ـ أي البحر الأحمر ـ وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة اليمين وهو يقول: إليَّ أيها الناس، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، ولم يبق معه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته، فأخذ ينادي:

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وأمر عمه العباس أن ينادي في الناس ـ وكان جهوري الصوت ـ فأخذ ينادي: أين أصحاب السمرة (أي الشجرة) يا معشر الأنصار.. يا أصحاب الشجرة.. يا أصحاب سورة البقرة..

ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم من بغلته وسأل ربه النصر وهو يقول: **اللهم أنزل نصرك.** ثم تجمع شمل المسلمين مرة أخرى، واحتدم الوطيس وانتصر المسلمون عليهم في ساعات قليلة، وغنموا منهم غنائم عظيمة، وفي هذا الموطن نزلت الآيات تحث المسلمين على التواضع، وتذكرهم بالأخطاء التي وقعت، وتدعوهم ـ في توجيه تربوي يبقى مستمرا إلى الأجيال من بعدهم ـ إلى عدم الإغترار بالقوة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿25﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿26﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿27﴾﴾ [التوبة: 25 -27].

حـواء: أم البشر عليها السلام.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴿35﴾﴾ [البقرة: 35].

لما أسكن الله آدم في الجنة، بقي يمشي فيها وحيداً، ليس له جليس ولا أنيس، فألقى تعالى عليه النوم، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ووضع مكانه لحماً وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدة، في زينة ولباس جميل من الجنة فسألها: من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلَيَّ. وقيل أن السائل هم الملائكة، امتحنوا علم آدم فقالوا له: ما هذه يا آدم؟ قال: امرأة، قالوا: وما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: صدقت، ولم سميت حواء بذلك؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي، قالوا: ولماذا خلقها الله تعالى؟ قال: لتسكن إليَّ وأسكن إليها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴿189﴾﴾ [الأعراف: 189]. ومكث آدم زمنا مع زوجته "**حواء** " يأكلان من الجنة رغداً، وكان لباسهما من النور يستر عوراتهما، فلما أكلا من الشجرة الممنوعة، بدت عوراتهما ومن فرط الحياء أخذا من ورق التين في الجنة وعملاَ منها مآزر، فسترا بها ما انكشف من العورة. وكانت العقوبة الربانية الإنزال إلى الأرض كل واحد في مكان ـ واختلفت الأقوال في ذلك ـ فأنزل آدم بالهند وحواء بجدة، فطلبها آدم عند مكان يدعى" **جمعا** " ـ فازدلفت إليه حواء ـ فصار يعرف باسم مزدلفة. وورد في الأثر " هبط آدم وحواء عريانين جميعاً عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها: يا حواء قد آذاني الحر، فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلمها، وأمر آدم بالحيا كة

وعلمه أن ينسج. " رواه **السيوطي**. فجعل لنفسه جبة من الصوف، وجعل لزوجته درعاً وخماراً، فكانت حواء أول من غزلت وآدم أول من نسج.

وانجب آدم نسلاً كان أصل البشر، فأنجبت له حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، أولهم قابيل وتوأمته اقليمياء، وآخرهم عبد المغيث. وبعد مقتل هابيل بخمس سنين ولدت له ولداً سماه " شيث " ومعناه (هبة الله) أي خلفاً من هابيل. قال ابن عباس: لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين الفاً. وتوفيت حواء بعد زوجها آدم بسنة واحدة ودفنت معه.

الحواريون

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿52﴾ ﴾ [آل عمران: 52].

الحواريون: جمع مفرده " **حواري** "وهو الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لكل نبي حواري وحواري الزبير)**. فالحواريون بهذا المعنى هم طائفة من بني إسرائيل انتدبهم عيسى عليه السلام فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي جاء به.

وكانوا اثنى عشر رجلا هم: (شمعون الصفا أو سمعان) المسمى بطرس، وأخوه (أندراوس) ، و(يعقوب) بن زبدى، و (يحي أو يوحنا) أخو يعقوب، و (فيلبس) ، و (برتولوماوس أو برثولماوس) ، و (توما)، و (متى العشار) ، و (يعقوب) بن حلفا، و (لبَّا أو لباوس) الذي يدعى تداوس، و (شمعون أو سمعان) القانوني، و (يهوذا) الإسخريوطيّ. واختلف العلماء في سبب تسميتهم بلفظ "**الحواريين** ":

* قال ابن أرطأة: كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يحوّرُون الثياب، أي يبيضونها. وقيل: لأن ثيابهم كانت بيضاء.

* قال ابن عباس: كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى، فقال لهم: ما تصنعون؟ فقالوا نصطاد السمك، فقال لهم: ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس؟ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: ندعوا إلى الله، قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، قالوا: فهل يكون أحد من الأنبياء فوقك؟ قال: نعم النبي العربي، فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه.

وهؤلاء الذين استجابوا للمسيح عليه السلام، هم الحواريون الذين بثهم في القرى اليهودية، لنشر الدعوة. قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف: 14].

صاحب الحوت

﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم: 48].

هو نبي الله يونس عليه السلام الذي خرج من بلده غاضبا، دون أن يتلقى الإذن من الله، فلما ركب السفينة ألقاه أهلها في البحر عندما وقعت القرعة عليه، فأرسل الله إليه حوتا فالتقمه في جوفه: ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات: 142]. دون أن يهشم له لحماً أو يكسر له عظماً، ولما استقر في بطنه ظن نفسه ميتاً، فلما حرك رأسه ورجليه وأطرافه، علم أنه مازال حياً، فقام يصلي في بطن الحوت، ومن دعائه: يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس. وقد اجتمعت عليه في بطن الحوت ظلمات البحر، وظلمات البطن، فنادى ربه" **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** "فكان دعاء مكروب، فخرجت الكلمة تحن حول العرش فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس. قالوا: يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة. قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء. فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء.

واختلف العلماء في الوقت الذي مكثه في بطنه على عدة أقوال؛ أقلها قول مجاهد عن الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية. وقال قتادة: ثلاثة أيام. وعند جعفر الصادق: سبعة أيام؛ وأطولها في قول أبي مالك: أربعون يوماً. والله وحده يعلم ذلك، وقد قال أمية بن أبي الصلت:

وأنت بفضل منك نجيت يونسًا * وقد بات في أضعاف حوت لياليا

يحي بن زكـرياء ـ عليه السلام

﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ ﴾ [مريم: 7].

ـ **نسبه:** هو يحي بن زكرياء بن برخيا (أو ابن دان، أو ابن لدن) ابن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن إينامن بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام. وأمه تدعى **إيشاع** بنت فاقوذ، وحملت بيحي في الزمن الذي حملت فيه مريم بعيسى عليه السلام. ويسمى عند علماء النصارى " **يوحنا** " ولقبه عندهم "**المعمدان** " أي يوحنا المعمدان؛ وسبب هذه التسمية، لأنه تولى التعميد المعروف عند النصارى، وهو التبريك بالغسل بالماء للتوبة من الخطايا. فكان يحي في ناحية الأردن وخرج إلى أهل أورشليم، والمناطق القريبة من الأردن، فكان يعمدهم في النهر، وقيل أنه عمد عيسى في نهر الأردن وهو ابن ثلاثين سنة.

ـ **مولده ونشأته:** وبدأت قصة يحي عليه السلام بدعاء والده زكرياء، لما رأى أن الله يرزق مريم الفاكهة في غير فصلها، قال في نفسه: إن الله قادر على جعل زوجتي تلد لي مولوداً عند الكبر ـ وكان أهل بيته قد انقرضوا وقد صار شيخا كبيرا ــ فدعا ربه بدعاء الخاشع المتذلل، وتضرع لله قائلا: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ ﴾ [آل عمران: 38]. فأتاه جبريل عليه السلام، وهو قائم يصلي في المحراب، فبشره بيحي: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ٣٩ ﴾ [آل عمران: 39].

وولد يحي عليه السلام في السنة **الأولى الميلادية** وجُعل له اسماً جديداً مميزًا، وقد اختلفوا في معناه؛ فمنهم من قال: سمي يحي لأن الله أحيا به عُقْر أمه، وقيل لأن الله أحيا قلبه بالإيمان والنبوة والطاعة، واستشهد في سبيل الله، والشهيد حي عند ربه يرزق.

ـ **أعمـاله وصفاته:** وكان فقيها عالما، ونبيا متعففاً عن الدنايا والشهوات، وقد بلغ تلك المنزلة منذ صباه، واهم أعماله الجليلة، وصفاته النبيلة، وأخلاقه الكريمة:

* **الحكمة والنبوة:** فقد أتاه الله الحكمة ورجاحة العقل، وأكرمه بالنبوة قبل بلوغه سن الثلاثين من العمر، وأقبل على الكتاب(التوراة) يتفهم معانيه: ﴿ يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ ﴾ [مريم: 2]. وقد قال له أقرانه من الصبيان: يا يحي اذهب بنا نلعب، فقال لهم: ما للَّعِبِ خُلِقْت؟ فاقبل على معرفة الشريعة وتعلم أحكام الكتاب (التوراة) ، حتى صار عالماً في صباه.

* **تحليه بالتقوى:** فقد جعله الله عبدا صالحا تقياً، فلم يقترف في حياته أي معصية قط قال سبحانه: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿13﴾﴾ [مريم: 13]. قال ابن عباس: طاهراً لم يعمل بذنب. ومنذ صغره جاور في بيت المقدس يعبد الله تعالى، وهو يرتدي أخشن الثياب من الشعر والصوف، مثلما يفعل الأحبار والرهبان يومئذ، حتى نحل جسمه من الاجتهاد في العبادة. وكان كثير البكاء، حتى تركت الدموع أثراً في خديه. وكان كثير الإنفراد، يحبذ الوحدة، ويخرج إلى البراري فيأكل من ورق الأشجار، ويشرب من ماء الأنهار، ويخالط الحيوان، ويأكل الجراد في بعض الأحيان ويقول: **من أَنْعَمُ منك يا يحي؟**

وعن ابن المبارك قال: فقد زكريا عليه السلام ابنه يحي ثلاثة أيام نخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه يبكي على نفسه فقال: يا بني أنا أطلبك منذ ثلاثة أيام وأنت في قبر قد احتفرته تبكي فيه فقال: يا أبت ألست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكائين؟ فقال له: ابك يا بني فبكيا جميعا.

العفة والترفع عن الشهوات: فقد كان يحي سيداً في قومه، منقطعًا للعبادة، فارتقت نفسه وتألقت إلى الملأ الأعلى، فترك شهوات الدنيا وزهد في الحلال، فلم يقرب النساء، وفعل ذلك تبتلاً لله تعالى، وقد وصفه القرآن بالحصور، وهو الذي يتعفف عن مباشرة النساء مع قدرته على ذلك، قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿39﴾﴾ [آل عمران: 39].

***بره بوالديه:** وكان شديد البر بالوالدين، حتى عُرف بالطاعة والإحسان إليهما، فيمتثل الأوامر ويجتنب النواهي، ويبذل ما في وسعه من الكرم ويدخل السرور عليهما: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿14﴾﴾ [مريم: 14].

* **دعوته إلى الله:** وعرف يحي بدعوته إلى الحق، وربط الناس بربهم، فكان يتعهدهم بالموعظة الحسنة، ويقف لهم في أعيادهم ويدعوهم إلى التوبة من الذنوب، ويغسلهم في نهر الأردن من الخطايا. ولما بعثه الله إلى بني إسرائيل، أمرهم بخمس خصال هي أوامر من الله، ولكن يحي عليه السلام ضرب لكل خصلة منها مثلاً، وهو أسلوب مؤثر في الدعوة إلى الله.

فعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "... قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن. وأَوَّلهن **أن تعبدوا الله لا تشركوا به**

شيئاً، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبدًا من خالص ماله بورق، أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلَّته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وآمركم **بالصلاة** فإن الله ينصِبُ وجهه قبل عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم **بالصيام** فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وآمركم **بالصدقة** فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه. وآمركم **بذكر الله عز وجل كثيرا،** فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سِرَاعًا في أَثَرِهِ فأَتَى حصنًا حصيناً فتحصَّنَ فيه، وأن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل". رواه **أحمد.**

- **قتل يحي عليه السلام:** وكان قتله بكيد النساء، وتعددت الروايات التي تذكر ذلك، ولكنها تتفق أن السبب، أن يحي عليه السلام نهى عن الزنا، أو نهي عن نكاح المحارم، ومجمل الخبر أن ملكاً في زمان يحي أراد أن يتزوج بإحدى محارمه فنهاه يحي عليه السلام، فحملت المرأة له الحقد، ولكن الملك تزوجها، فطلبت منه أن يهب لها دم يحي، فوهبه لها، فأغرت به المرأة رجلاً شاركها في كيدها فَقُتلَ في حدود سنة **30 م.** وقيل ذبح على صخرة في بيت المقدس، وحمل رأسه إلى دمشق. وقيل قتل في دمشق، وله مقام في المسجد الأموي بسوريا إلى اليوم.

ولكن الله أكرمه وجعل له تحية طيبة في يوم ولادته، وعند استشهاده، ويوم القيامة عندما يبعثه موحدا، معتزا بطاعته لربه سبحانه: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾﴾[مريم: 12-15]. وجاء تلاميذ يحي وأخذوا جثته ودفنوها، ثم قدموا على عيسى عليه السلام وأخبروه بمقتل يحي عليه السلام.

﴿ حرف الخاء ﴾

أصحاب الأخدود

﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿4﴾ ﴾[البروج: 4].

الأخدود: هو الشق العظيم، أو الحفرة المستطيلة الشكل التي تشبه الخندق، وجمعه أخاديد. وأصحاب الأخدود هم قوم من المؤمنين (من النصارى) عاشوا بنجران في عهد الفترة، ما بين زمن عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، وكان عددهم **عشرين الفًا**. وأمر بإحراقهم ملك أحد ملوك حمير، ويقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل، وكان متعصباً لليهودية، وعاش قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة كما قال النيسابوري في عرائس المجالس.

وقيل حدث الإحراق سنة **523**م، لأن الملك ذو نواس اليهودي توفي سنة **524**م، وكان مصيرقومه الإحراق بالنار في أخدود حفر لهم، لما ثبتوا على دينهم ورفضوا الكفر. وترتبط قصتهم بما وقع للغلام مع الساحر، ويدعى الغلام **عبد الله بن ثامر**، وقيل اسمه عبد الله بن السامري.

ورد في صحيح **مسلم** عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلاماً اعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه اذا سلك، راهب فقعد إليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال الراهب: أي بني؟ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، إنك ستبتلى فإن أبتليت فلا تدل عليَّ. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما هَاهُنَا لَكَ إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك؟ فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك من رد عليك بصرك؟ قال: ربي؛ قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ قال: أنا لا أشفي أحدًا إنما يشفي

الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل ارجع عن دينك فأبى فدعي بالمنشار، فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شِقَّاه. ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور (أي سفينة) ، فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرغوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: **باسم الله رب الغلام** ثم أرمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدقه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام. آمنا برب الغلام. آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدث، واضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها - أو قيل له اقتحم - ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: " يا أمة اصبري فإنك على الحق".)

وقد أشارت سورة البروج إلى ملامح من قصتهم وما لاقوه من عذاب: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) ﴾ [البروج: 4-7]. وكان سبب تعذيبهم أنهم آمنوا بالله وحده: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) ﴾ [البروج: 8-9]. وجعل الله مصير المعذبين الحرق بالنار جزاء على صنيعهم السيئ، وعوَّض المؤمنين الذين ثبتوا بجنات النعيم ونعم أجرالعاملين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11) ﴾ [البروج: 10-11].

خديجة بنت خويلد ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿8﴾ ﴾ [الضحى: 8].

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، كان والدها من أصحاب الشرف في قريش، فورثت الشرف والمكانة، ورزقها الله بالخلق الكريم، والعفة والنقاء، وعرفت بين قومها باسم " **الطاهرة**"، وقد تزوجت قبل النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هالة هند بن زرارة التميمي، وانجبت منه هند وهالة، ثم تزوجت بعده عتيق بن عائذ المخزومي، وانجبت منه جارية تدعى هند.

ولما بلغت الأربعين من العمر، كان السادة يترددون عليها، يريدون الزواج منها فرفضتهم جميعا، لأنها سمعت عن شاب كريم يدعى" **الأمين** "، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فاقترحت عليه الخروج في تجارتها فوافق، وجلب لها من الشام مالا كثيرا فضلا عن الأخبار السارة التي نقلها إليها الغلام ميسرة، وهو ما لاحظه من أخلاق ومعاملات طيبة. فأرسلت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صديقتها، "**نفيسة بنت منية** " تعرض عليه الزواج، وأن يخطبها من عمها عمرو بن أسد ـ فوالدها خويلد مات في حرب الفجار ـ فوافق النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها تتوفر على كل الصفات الحسنة التي جاء الإسلام بعد ذلك يحث عليها، فكانت غنية من بيت شريف، وذات نسب كريم، فضلا عن أخلاقها العالية. وقَدِمَ المصطفى مع أعمامه حمزة وأبو طالب إلى بيت عمرو بن أسد، وخطبها، فزوجها له بصداق بلغ عشرين بكرة. وكان عمره **خمسا وعشرين سنة**، وعمرها **أربعون سنة**.

فانجبت له كل أبنائه (ما عدا إبراهيم عليه السلام من مارية). وهم **القاسم** وبه كان يكنى، ثم **عبد الله** ويعرف بالطيب والطاهر، وتوفوا جميعا في سن مبكرة قبل البعثة، وانجبت له من البنات **زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة** ـ رضي الله عنهن ـ وعاش النبي صلى الله عليه وسلم معها قبل البعثة خمسة عشر سنة، وكان معه في البيت زيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب، وبناته؛ وكانت أيامًا سعيدة، فيها الطمأنينة والهناء.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حبب إليه التحنث في غار حراء، فكان يخرج إليه في شهر رمضان ـ ولمدة ثلاث سنوات ـ وينقطع للعبادة، وخديجة رضي الله عنها تعينه على ذلك فتعد له الطعام والشراب، ولما بلغ الأربعين سنة جاءه جبريل في الغار، وأمره بالقراءة قائلا "**اقـرأ** " فرد " ما أنا بقارىء "، وغطه عدة مرات ثم أنزل عليه الوحي، وهو قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾ [العلق: 1-5]. فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو يرتجف ويقول: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة مالي،

وأخيرا أخبرها بما حدث له ـ فكانت أول من سمع القرآن بعد النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقال لها: **لقد خشيت على نفسي.** فقالت خديجة: " **كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق** ". ولم تكتف بهذا، بل انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد ـ وكان شيخا كبيرا على دين النصارى، ويكتب الإنجيل، وقد عمي ـ فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى.

وخديجة ـ رضي الله عنها ـ أول من آمن، وعاشت أشواق الوحي، وتفاعلت مع الآيات وهي تتنزل في بيتها أو خارجه، وكانت مشدودة باستمرار إلى القرآن الكريم، وعندما انقطع الوحي عن النبي عدة أيام، تحدث المشركون ومنهم أم جميل، قالت: ما أرى صاحبك قد ودعك، وقلاك. وقالت ذلك تشفياً وشماتةً، وقالت خديجة كلاماً يشبهه ولكنها قالته توجعاً وألماً، وهي ترى زوجها في جزع شديد. ومما قالته خديجة: " **إني أرى ربك قد قلاك، مما يرى من جزعك** " فنزلت في كل ذلك سورة " **الضحى**":

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: 1-3].

وعاشت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم، بعد البعثة عشر سنوات، وهي تبذل المال وتؤازر الدعوة، وتواسي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكانت نعم السبب لغنى النبيَّ في كل شيء، وقد ذكَّرهُ الله بفضل خديجة فقال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: 8]. وكانت تنفق من مالها على الفقراء والمحتاجين، فهي بحق أمًا للمؤمنين؛ ورافقتهم في زمن المحنة، أثناء سنوات الحصار في شعب أبي طالب، ولمدة ثلاث سنوات، وكان حكيم بن حزام يحمل القمح لعمته خديجة، وقد اعترض طريقه ذات يوم أبو جهل، فتدخل أبو البختري وتمكن من حمله إليها. ولما خرجت من الشعب، كانت منهكة القوى، فقد وهن عظمها، وتعب بدنها، ومرضت وعجز الطب عن دوائها، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع بناته يواسونها، ولكن أجل الله حضرها في شهر رمضان سنة **10 للبعثة النبوية**، ولها من العمر **65سنة**، وعاشت مع النبي صلى الله عليه وسلم ربع قرن فكانت نعم الزوجة الكريمة الفاضلة.

ودفنها النبي بنفسه ونزل إلى قبرها، وكان في الحجون عند جبل بأعلى مكة، وظل النبي يتذكرها، وعندما دخل مكة فاتحًا ركز رايته عند قبرها بالحجون. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها.. فذكرها يوماً من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها، فغضب ثم قال: " **لا والله، ما أبدلني خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء.** قالت عائشة: فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسبة أبدًا.

وفراقها أحزن النبي صلى الله عليه وسلم، وأوجد فراغاً في البيت، وتقول خولة بنت حكيم: يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد " خديجة " قال: **أجل، كانت أم العيال وربة البيت.**

الخضر عليه السلام

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿65﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿66﴾ ﴾[الكهف: 65-66].

ـ **نسب الخضر عليه السلام:** هو العبد الصالح الذي صحبه موسى عليه السلام فتعلم منه آداب التعلم. واختلف العلماء في نسبه على عدة أقوال: فقيل هو **إيليا بن ملكان** بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرنخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل هو **المعمر بن مالك** بن عبدان بن نصر بن لازد. وقيل هو **خضرون بن عمايبل** بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. وكنيته **أبو العباس**، وأما **الخضر** فهو لقب غلب عليه وذكر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وورد في سبب تسميته بالخضر أنه أينما صلى إخضرَّ ما حوله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنما سمي الخَضِر لأنه جلس على فَرْوَة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء " رواه **البخاري.** واكتفى القرآن بذكر صفات الصلاح فقط، عن هذا العبد الصالح، وهي صفات الأنبياء والأولياء. والغرض من قصته مع موسى عليه السلام هو إبراز أخلاق التواضع مع المعارف والعلوم، حتى يشعر المسلم في كل زمان أن فوق كل ذي علم من الناس من هو أعلم منه، والعلم كله لله سبحانه، ومن كان تقيا وهبه بعض العلم لينفع به الخلق: ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿282﴾ ﴾[البقرة: 282].

ـ **اللقاء بين الخضر والنبي موسى عليه السلام:** روى البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

(إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فَسُئِلَ أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل " سلة صغيرة " فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، فأخذ حوتا فجعله بمكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه **يوشع بن نون** حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا، وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق " فجمد الماء حوله " فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد: ﴿ قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿62﴾

[الكهف: 62]. ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال له فتاه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿63﴾ ﴾ [الكهف: 63]. قال فكان للحوت سرباً (مسلكا في البحر) ، ولموسى ولفتاه عجبا: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿64﴾ ﴾ [الكهف: 64]. قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مُسجًّى بثوب فسلَّم عليه موسى فقال **الخضر:** وأنَّى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدًا، قال الخضر: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿67﴾ ﴾ [الكهف: 67]. يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿69﴾ ﴾ [الكهف: 69]. قال له الخضر: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿70﴾ ﴾ [الكهف: 70]. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة...) .

وبدأت قصة الخضر مع موسى، وقد اظهر الله على يدي الخضر ثلاث كرامات هي من الأمور الغيبية التي وهبها الله له، وهو من " **العلم اللدني** " الذي يورثه الله لمن أخلص له العبودية، وظهور هذه الكرامات في القرآن الكريم، هو تعليم للخلق فضل العبودية.

ـ **رحلة موسى العلمية برفقة الخضر عليه السلام:** وتضمنت الرحلة ثلاثة أحداث هامة هي:

* **خرق السفينة:** بينما موسى يمشي مع الخضر بساحل البحر مرت بالقرب منهم سفينة فطلبوا منهم أن يحملوهم، فعرف أصحاب السفينة الخضر عليه السلام، فحملوهم بغير أجرة تقديراً لمكانته عندهم، وبعد ركوبهم فوجئ موسى بالخضر وقد أمسك بالفأس وقلع لوحاً من السفينة ـ فكان موقف موسى ما ورد في حديث البخاري السابق ـ (... فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول" أي أجرة " عمدت إلى سفينتهم فخرقتها: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿72﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿73﴾ ﴾ [الكهف: 71-73]. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر. فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة...) . وعندما فسر الخضر لموسى أمر السفية في الجزء الثاني من القصة قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ

غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهف: 79]. وسبب خرق السفينة الذي لا يعلمه موسى يدخل في علم الغيب الذي بينه الخضر، بأن السفينة كانت لعشرة إخوة ضعفاء لم يكن لهم معيشة غيرها، وقد ورثوها عن والدهم، وكان منهم خمسة يعملون في السفينة في البحر، والآخرون لا يطيقون العمل بسبب العجز، فأخبره الله بحالهم وجعله سبباً لدفع الخطر الذي يهددهم من ملك تلك البلاد (قيل كان اسمه: جلندي، أو هدد بن بدد) ، وعرف بظلمه الشديد، فكان يأخذ كل سفينة صالحة غصباً.

* **قتل الغلام:** وبعد نزولهم من السفينة في بلدة " **أيلة** " أو " **أنطاكية**"، وجدا بالقرب من الساحل عشرة من الغلمان يلعبون في فرح وحبور، ومن بينهم غلام وضيئ الوجه ظريف في مظهره، ولكن الغيب يخفي حقيقته التي أظهرها الله للخضر فاقترب منه وقتله: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ ٧٤﴾ [الكهف: 74]. فلم يتمالك موسى نفسه واعترض على ذلك: ﴿ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤﴾ [الكهف: 74]. فذكره الخضر بما اتفقا عليه في هذا السفر، فاعتذر موسى: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦﴾ [الكهف: 75-76]. وقد فسر الخضر لموسى أمر الغلام في الجزء الثاني من القصة فقال: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠﴾ [الكهف: 80]. وكان غلاما كافرا يدعى " **حسنود أو الحسين** " بل طُبِعَ على الكفر، فعن أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كان الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ كافراً). ووالده " **ملاس** " وأمه "**رحمة** "، وكانا مومنين فبعث الله الخضر سببا حتى يخلصهما من خطره، لأن في حياته خطر على إيمانهما، والله قدر لهما ولدا آخر يعينهما على إقامة الدين، ويكون بهما بارا رحيما: ﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١﴾ [الكهف: 81]. وفي هذا المشهد من القصة عبرة للناس الذين يعتريهم الذهول ـ في كثير من الأحيان ـ عند مشاهدتهم بعض جرائم القتل ترتكب، فالقاتل له حكمه عند الله، ولكن الله جعل فيه حكمة بالغة يظهر نفعها للناس ولو بعد حين كما قال سبحانه:

﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: 19].

* **إقـامة الجدار:** ولما دخلوا إلى أنطاكية بحثوا عن طعام أو ضيافة من أهلها ولكنهم امتنعوا عن تقديم أي فضل لهم: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ٧٧﴾ [الكهف: 77]. ومع ذلك قام الخضر بإصلاح جدار يكاد أن يسقط على الناس، فناقشه موسى في هذا الأمر الذي يقتضي منه أن لا يقدم لهم هذا الخير بدون مقابل، لأنهم لا يستحقونه، فهم أهل بخل وشح:

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾ ﴾[الكهف: 77]. وقد فسر الخضر لموسى أمر الجدار في الجزء الثاني من القصة فقال: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴿82﴾ ﴾[الكهف: 82]. واسمهما **أصرم وصريم**، مات والدهما وترك لهما إرثاً عظيماً، وهوكنز من ذهب وفضة أُخْفِيَ تحت الجدار ليكون معلمًا واضحاً، وقيل كان لوحًا من ذهب مكتوب فيه: (**بسم الله الرحمن الرحيم، عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب، وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح، وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع، وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.**) وكان أبوهما " **كاشح** " رجلا صالحا تقيا أميناً، فحفظ الله لهما الكنز بسبب صلاحه. قال أصحاب التفسير: " **إن صلاح الآباء ينفع الأبناء، وتقوى الأصول تنفع الفروع** ".

ولكن الخضر قال لموسى بعد حصول تلك الأحداث، هذا هو وقت الفراق بيننا، وفسر له كل المشاهد، كما قدمناه في سياق الأحداث بقصد الربط بين أجزاء الموضوع: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿78﴾ ﴾[الكهف: 78]. وفي حديث البخاري قال صلى الله عليه وسلم: (**وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما**).

وقد بين الخضر ـ عليه السلام ـ لموسى صلى الله عليه وسلم، أن كل ما فعله من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، ليس من رأيه واجتهاده، وإنما كان بأمر الله وإلهامه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿82﴾ ﴾[الكهف: 82].

وذكر النيسابوري: أن موسى لما عاب على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام وإقامة الجدار محتسبا مجانا، قال له: يا موسى أتلومني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها، ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله؟ وتلومني على قتل الغلام الكافر بلاأمر، ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر؟ وتلومني على ترك أخذ الأجرة في إقامة الجدار، ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لأجل الملك الجبار؟ ويروى عن علي بن أبي طالب وغيره أن موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر: استودعتك الله، ثم قال له موسى: أوصني، فقال له الخضر: لا تكن مشاء في غير حاجة، وإياك واللجاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تُعير الخاطئين بخطاياهم، وابك على خطيئتك، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد.

ولما فارق موسى الخضر رجع إلى قومه مع غلامه يوشع وكانوا في أرض التيه بسيناء.

ـ **نهاية قصة الخضر:** واختلف السلف في أمر الخضر، فقال بعضهم أنه من أولياء الله الصالحين وهو على قيد الحياة، لأنه شرب من عين الحياة، فهو حي إلى أن يخرج الدجال، وأنه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالى ـ وحضر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم التعازي للصحابة، وهو يحج كل عام ويجتمع في عرفات مع جبريل وميكائيل وإسرافيل ـ وقالوا كذلك أن الخضر يلتقي مع النبي إلياس كل عام ويصوما شهر رمضان ببيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل، وأشار إلى هذه الأخبار ابن عساكر. وفي مقابل ذلك وردت أخبار أخرى تدلل على موت الخضر كغيره من البشر والأنبياء والأولياء. قال القرطبي: " وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث منهم شيخنا أبو بكر بن العربي، أنه مات قبل انقضاء المائة.. " . وقد رأيت "بنفسي" **سنة 2005** في قلعة حلب بسوريا ضريحا مسجى بالأخضر وكتب عليه عبارة " هذا مقام الخضر أبو العباس عليه السلام. " والله أعلم بالصواب.

المخلفون

﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴿81﴾ ﴾[التوبة: 81].

المخلف: هو المتروك الذي تخلف عن الجهاد بدون سبب، والمخلفون الذين كان تخلفهم تثاقلاً ونفاقا. وذكروا في عدة مواضع من القرآن، وكان تخلفهم في الغزوات التالية:

* **المخلفون عن غزوة الحديبية:** استنفر النبي صلى الله عليه وسلم الأعراب الذين كانوا حول المدينة من قبائل غفار ومزينة وأشجع وأسلم وغيرهم، في السنة **السادسة للهجرة**، وأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، ولكن الأعراب تثاقلوا وتخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقدموا كثيرا من الأعذار الواهية، وهي الإنشغال بالأموال والأولاد. فنزل القرآن يكشف للنبي صلى الله عليه وسلم أمر نفاقهم: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿11﴾ ﴾[الفتح: 11]. واظهر الله ما يخفون في نفوسهم من نفاق، فعندما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للخروج ظنوا أن قريشا سوف تتغلب على المسلمين فيقتلوا جميعا ولا يعود منهم أحد أبداً: ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿12﴾ ﴾[الفتح: 12]. ولما حدث الصلح وتأخر فتح مكة جعل الله تعالى للصحابة الذين شهدوا الحديبية ـ وهم أصحاب الشجرة وكان عددهم ألف وأربعمائة ـ كل الغنائم التي تحصلوا

عليها بعد فتح خيبر لا ينازعهم فيها أحد، وحَرَمَ المخلفين من الأعراب من الغنائم ولكن سمح لهم بالمشاركة، فقال صلى الله عليه وسلم (**إن خرجتم لم أمنعكم إلا أنه لا سهم لكم**) ، ولكنهم أرادوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخالف أمر الله ويسمح لهم بالمشاركة مع أخذهم الغنائم، فرفض طلبهم وأمر الرسول جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة، وزيد بن ثابت من بني النجار، بالحساب والقسمة، فتم الأمر كما أراد الله، ولما منع المخلفون من الغنائم، أطلقوا السنتهم وقالوا هذا حسد، وقالوا ذلك بسبب جهلهم وتعلقهم بالدنيا: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿15﴾ ﴾[الفتح: 15].

وقد فتح الله للمخلفين باب التوبة، وفسح لهم فرصة الجهاد ليقاتلوا قومًا أشداء، هم بنو حنيفة ـ قوم مسيلمة الكذاب ـ أصحاب الردة، ويكون قتالهم صادقاً حتى ينقذوهم من الكفر الذي وقعوا فيه، وبين لهم أن هذا الجهاد إمتحان لهم فإن نجحوا فيه يكون لهم الثواب في الدنيا والآخرة، وإذا استمروا على التخلف والنفاق فعذابهم عند الله شديد: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿16﴾ ﴾[الفتح: 16].

* **المخلفون عن غزوة تبوك:** وهم المنافقون من أهل المدينة وما حولها من الأعراب الذين رضوا بالقعود عن الجهاد، وآثروا الراحة والإستمتاع بالشهوات، واعتذروا بحجة الحر الشديد، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فضلا عن الأعراب من قبائل أسد وغطفان. ولكن الله بين لهم أن نار جهنم أشد حراً وهي مصير المخلفين عن الجهاد: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿81﴾ ﴾[التوبة: 81].

وفضح القرآن أمر المنافقين المخلفين، فأظهر الله حالهم مع الآيات المنزلة على رسوله، والتي تحث على الجهاد ونشر الدين، ولكن اصحاب الأموال من الأغنياء الذين نافقوا يتعذرون كثيرا ويطلبون القعود، ويتشبهون بالخوالف من النساء والمرضى والعجزة من الناس الذين تخلفوا في بيوتهم بسبب العجز، وأعطاهم الإسلام عذرا شرعيا، بينما طبع الله على قلوب المنافقين فصاروا من الأشقياء في الدنيا والآخرة: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿86﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ [التوبة: 86-87]. وجعل لهم الإثم الكبير والعذاب الأليم: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ [التوبة: 93].

الخندق

﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ [الأحزاب: 10].

الخندق: هو اسم لغزوة الأحزاب التي وقعت في المدينة المنورة، في شوال سنة **5هـ**، وسبب الغزوة هو تحريض يهود خيبر ومن نفي إليهم من يهود بني النضير؛ الذين خرجوا إلى قريش وأغروهم بغزو المدينة، فقامت قريش بتحزيب القبائل لحرب المسلمين، وتحركت قريش ومعها من القبائل: غطفان، وبني مرة، وكنانة، وسُليم، وأشجع، وفزارة، وبني أسد، وهاجموا المدينة من الشمال، وكان عدد جيش الأحزاب عشرة آلاف مقاتل، ولا طاقة للمسلمين به؛ فجمع النبي صلى الله عليه وسلم كبار الصحابة وشاورهم في الأمر، فأشار سلمان الفارسي بحفر خندق في شمال المدينة، لأن الجبال والبساتين تحميها من بقية الجهات الأخرى، ونفذت الخطة في عدة أيام قبل وصول جيش الأحزاب إلى المدينة.

ويمتد هذا الخندق من حرة المدينة (حرة واقم) أو اللابة الشرقية، ويصل إلى غرب المدينة عند (حرة الوبرة) أو اللابة الغربية، ويبلغ طوله **5544**م، ومتوسط عرضه **4، 62**م، ومتوسط عمقه **3، 234**م.

وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم منطقة الحفر بين أصحابه لكل عشرة منهم أربعون ذراعا، واشتغل الجميع بالحفر، ومعهم النبي عليه الصلاة والسلام الذي كان يرفع معنوياتهم ويشاركهم في كل شيء.

فعن أنس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم؛ فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة * فأغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبـدا

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: رأيته صلى الله عليه وسلم ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنه الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل التراب ويقول:

اللهم لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنـزلــن سكينة علــينـا * وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغــوا علينـا * وإن أرادوا فتـــنة أبيـنا

وقد صور القرآن حالة الهول والفزع الذي أصاب المؤمنين عندما جاءتهم الأحزاب من كل مكان، من فوق الوادي، من الشرق أقبلت أسد وغطفان، ومن أسفل الوادي، من جهة الغرب جاءت قريش وكنانة وغيرهم، وأعانهم يهود بني قريضة في مساكنهم بجنوب المدينة، فأحاط الأحزاب بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم، فاشتد الخوف، وعظم البلاء، وكادت القلوب أن تترك الصدور، وحدَّثت النفوس الوساوس، وتزلزل الصحابة ولكن الله ثبتهم وشد على قلوبهم، وعبرت الآيات عن هذا المشهد التاريخي: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾[الأحزاب: 10]. وكان المسلمون يدعون الله بتضرع: **(اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا).** ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب، فقال: **(اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، إهزم الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم).** رواه **البخاري.**

وخضعت المدينة لحصار شديد دام شهرا، ولكن المؤمنين سلموا أمرهم لله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الأحزاب: 22]. وانتهى الحصار بتفرق الأحزاب وانهزامهم بالريح الشديد الذي أرسله الله جندًا من عنده، وتأييدا ونصرا للمؤمنين الصادقين، فأحدث هلعاً في نفوس الأحزاب، فقلبت قدورهم وقلعت أوتاد بيوتهم وأطفأت نيرانهم، فولوا مدبرين، وأنعم الله على المسلمين بالنصر المبين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الأحزاب: 9].

الأخنس بن شريق الثقفي

﴿ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ﴿٥﴾ ﴾[هـود: 5].

هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، ويكنى بأبي ثعلبة، وإسمه الأصلي" أُبَي"، وكان حليفا لبني زهرة ومقدما فيهم، فلما خرجت قريش إلى بدر وأتاهم الخبر.

عن أبي سفيان بن حرب أنه قد نجا من النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمعت قريش على إتيان بدر، أشار على بني زهرة بالرجوع إلى مكة، وقال لهم قد نجى الله عيركم التي مع أبي سفيان فلا حاجة لكم في

غيرها، فقبلوا نصيحته وعادوا فلم يقتل منهم أحد ببدر، فقيل خنس بهم فسمي الأخنس. وكان الأخنس رجلا حلو الكلام، حسن المنظر والهيئة، يلقى رسول الله ويجالسه ويظهر له ما يسره في الظاهر، ولكنه يبطن في قلبه خلاف ذلك، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿5﴾﴾ [هـود: 5]. ورغم ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامله بلطف وأعطاه مع المؤلفة قلوبهم. وتوفي في أول خلافة عمر بن الخطاب.

خولـة بنت ثعلـبة

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿1﴾﴾ [المجادلة: 1].

هي خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف. وقيل خولة بنت ثعلبة، وقيل خولة بنت حكيم، وقيل خويلة. وتكنى بأم عامر، وهي زوجة الصحابي أوس بن الصامت وأبنة عمه، وهو الذي اختلف مع البراء بن عازب يوم هجرة النبي، أيهما ينزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: أنزل على بني النجار أخوالي عبد المطلب أكرمهم بذلك.

واستأذنت خولة زوجها في الخروج إلى المسجد لتصلي خلف رسول الله، وفي ذلك راحة لها مما تلاقيه من قسوة زوجها، وشعرت بالطمأنينة وهي تسمع رسول الله يقرأ قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴿45﴾﴾ [البقرة: 45].

وحرصت على صلاة الجماعة في المسجد النبوي، ولكن زوجها ساء خلقه معها كثيراً، فكان يضربها، وذات يوم طلب منها إناء الوضوء فعثرت قدمها فوقع الإناء، فتضجر منها وسبها، ثم طلب منها طعاما، فأحضرت له خبزا وزيتا، فنظر إلى الطعام وقال ما هذا؟ فذكرته بالحمد والشكر، فغضب عليها واتهمها بأكل الطعام وحدها، ثم ظاهر منها، فقال لها " **أنت عليَّ كظهر أمي؟** ".

قالت خويلة بنت ثعلبة: " فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة. قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب، فقال: أنت علي كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي، فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلدة بيده، لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت: فواثبني، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني. قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابًا، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه. وقلت: " إن أوسًا ظاهر مني بعد أن كبرت سني، ورقَّ عظمي، وإن لي منه صبية صغارا، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا فما ترى؟ فقال لها:

" ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت يا رسول الله: والله ما ذكر طلاقا وهو أبو ولدي وأحب الناس إليَّ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد قوله: ما أراك إلا قد حرمت عليه، وهي تكرر قولها، فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزل القرأن، وفي رواية أخرى، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه ". قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ قرآن ؛ فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي: " يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا ".. ثم قرأ علي: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ① إلى قوله تعالى: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ④ ﴾ [المجادلة: 1-4].

فقال لي رسول الله عليه وسلم: " مريه فليعتق رقبة ". قالت: فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق. قال: " فليصم شهرين متتابعين" قالت: فقلت: " والله إنه لشيخ ما له من صيام. قال: " فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر " قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فإنا سنعينه بعرق من تمر". قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر. قال: " قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا، ففعلت.

وروى **البخاري** عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعهُ الأصواتَ، لقد جاءت المجادلة ـ خولة بنت ثعلبة ـ فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب البيت أسمع كلامها ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول يا رسول الله: أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بالآيات.

وكان هذا المشهد مؤثراً في الصحابة ومنهم عمر رضي الله عنه، عندما استوقفته خولة بنت ثعلبة وهو يسيرمع الناس في الطريق، فقالت: " هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمرا ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي عليه الفوت. فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يده على منكبيها، حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز، قال: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى

الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها، إلا أن تحضر صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها.

خيبر

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿51﴾ ﴾[النساء: 51].

خيبر: هي بلد أقام بها اليهود سبعة حصون (جمع خيابر) ، والحصن عند اليهود يسمى خيبر، فأخذت المنطقة هذا الإسم؛ وقيل نسبة إلى خيبر بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل، وعبيل أخو عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. وخيبر تقع في شمال المدينة المنورة على بعد (**170 كم**) ، في إتجاه الشام، وكان بها يهود خيبر وانضم اليهم بعض يهود بني النضير بعد الجلاء الذي أصابهم، ومن ساداتهم: حُيَي بن أخطب النضري، وسلام بن أبي الحُقَيق، وأخوه كنانة، وهوذة بن قيس الوائلي؛ ونفر من بني وائل من اليهود، قدموا جميعا إلى مكة وحرضوا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبوا معهم الأحزاب، وقال اليهود لقريش: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال لهم أبو سفيان: مرحبا وأهلا، وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، وقال: لا نأمنكم إلاَّ إن سجدتم لآلهتنا حتَّى نطمئنَّ إليكم، فسجدوا، فقالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأوَّل والعلم، أخبرونا عمَّا أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أمْ دين محمد؟ أنحن أهدى سبيلا أم محمد؟ فقال اليهود: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى سبيلا، لأنكم أهل البيت، وتؤدون الشعائر، وتتقربون بالذبائح، وتتمسكون بدين آبائكم، وما ورثتموه، فأنتم أولى من محمد، فنزل القرآن يفضح اليهود ويكشف عن بغضهم الدائم للمسلمين، فاستحقوا لعنة الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿51﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿52﴾ ﴾[النساء: 51-52].

وقد غزاها النبي صلى الله عليه وسلم، وحاصرها ثم فتحت في السنة **السابعة الهجرية** صلحا على حقن دمائهم، وأبقاهم على أرضهم بشرط أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم فيها، لأن المسلمين في حاجة إلى القوت، واليهود يتقنون الزراعة، فسخرت تلك الجهود لصالح المسلمين. ولما كانت خلافة عمر بن الخطاب ظهر فيهم الزنا وشكل خطراً على المسلمين، فأجلاهم عمر من خيبر إلى الشام، وقسمها بين من كان له فيها سهم من المسلمين، وجعل لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فيها نصيبا، وإنما فعل عمر ذلك، لأنه سمع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب.

﴿ حرف الـدال ﴾

المـدثــر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② ﴾ [المدثر: 1- 2].

المدثر: هو الإنسان المتغطي بثيابه، وتقول العرب، تدثر: أي لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار الثوب الذي يلي الجسد، ومنه حديث (**الأنصار شعار، والناس دثار**). وصار في القرآن وصفًا للنبي صلى الله عليه وسلم، خاطبه به الله لينهض بتكاليف الدعوة التي حُمِّلها. وقال القرطبي: " قوله تعالى 'يا أيها المدثر' ملاطفة في الخطاب، من الكريم إلى الحبيب، إذ ناداه بوصفه ولم يقل" يا محمد " ليستشعر اللين والملاطفة من ربه... ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي إذ نام في المسجد: [قم أبا تراب] وكان خرج مغاضبًا لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه وأصابه ترابه " اخرجه **مسلم**.

وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا بعد " فترة الوحي " وانقطاعه لعدة أيام، فأثر ذلك على المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى انزوى في بيته وتدثر؛ وقد روى **مسلم** في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجثيت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي فقلت: زملوني، فدثروني، فأنزل الله'**يا أيها المدثر**' ". وفي رواية للبخاري قال صلى الله عليه وسلم: "... فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبّوا عليَّ ماء باردًا، قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا. قال: فنزلت '**يا أيها المدثر**'". وورد في حديث الطبراني سببًا آخر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يتدثر في بيته، وهو أحاديث قريش في شأنه، فترك أثرًافي نفسه. روى **الطبراني**، عن ابن عباس قال: " إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر. وقال بعضهم: ليس بساحر. وقال بعضهم: كاهن. وقال بعضهم ليس بكاهن. وقال بعضهم شاعر. وقال بعضهم: ليس بشاعر. وقال بعضهم: بل سحر يوثر. فأجمع رأيهم على أنه سحر يوثر. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فحزن، وقنع رأسه، وتدثر. فأنزل الله تعالى: '**يا أيها المدثر، قم فأنذر**'". والآيات تدعوا النبي صلى الله عليه وسلم؛بترك الفراش، ونزع الغطاء، والقيام بأمر الدعوة إلى الله، ووضع له برنامجا متكاملا يدله على المنهج القويم، ومن عناصرهذا البرنامج الدعوي الخالد:

1) **الإنذار:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾[المدثر: 1- 2]. وهو تبليغ الناس ـ وخاصة المشركين المستهزئين بالدعوة الجديدة ـ أمر هذا الدين، وتحذيرهم من عذاب الله الشديد الذي يحيق بالمعرضين عن الحق المبين.

2) **تكبير الله:** ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾[المدثر: 3]. وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكل داعية من بعده أن يوحد الله ويعظمه، ويلتجئ إليه ويتخذه وليًا مرشدًا، ولا يكترث بأمر الكفار والمناوئين لأنهم لا يقدرون على شيئ، لأن الله هو القوي العزيز.

3) **تطهير الثياب:** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾[المدثر: 4]. وهو أمر للنبي أن يتميز عن حياة المشركين الذين لايتطهرون، فيعلم البشرية من أول يوم في تاريخ الرسالة أن الطهارة أحد الركائز الأساسية في حياة المسلم، والمطلوب فيها الجانب الحسي بتطهير الثياب، والجسد، والمكان، والجانب المعنوي بنفي الأمراض القلبية، وتطهير النفس من المعاصي، لأن الطهارة عنصر ضروري لصاحب الدعوة.

4) **هجر الرجز:** ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾[المدثر: 5]. وهو توجيه لترك الشرك، وكل قبيح من القول أو الفعل، لأن الدين مبني على التوحيد، والطاعة، والطهارة.

5) **الترفع عن المنِّ:** ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦﴾[المدثر: 6]. ويأمره أن يكون سخياً كريمًا دون منٍّ على الناس، لأن سبيل الدعوة يتطلب البذل والعطاء في صمت، ويبتغي الأجر والثواب من الله.

6) **الصبر لله:** ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾[المدثر: 7]. ويختم هذا المقطع، بتوجيه " **المدثر**" صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على تكاليف طريق الدعوة وتحمل تبعاته، والصبر على أذى القوم، وابتغاء الأجر من الله، الذي جعل فيه الثواب الجزيل.

إدريس ـ عليه السلام

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾[مريم: 56].

ـ **نسبه ومولده:** هونبي الله إدريس بن برد، وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، واسمه في التوراة "**أخنوخ**". واسم أمه أشوت. وسمي إدريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث. قال القرطبي: وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى؛ وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر.

وقيل ولد بمدينة منفيس بمصر، وسموه هِرْمِسَ الهرامسة، وهو اسم علم سُرْياني، والهِرْمُوس: هو الصلبُ الرَّأْيِ المجرب. وقيل ولد ببابل؛ وهاجر إلى مصر، فلما رأى النيل قال: (بابليون) ، أي: نهر كنهركم، نهر

كبير، نهر مبارك. وقيل أنشئت في زمانه **188 مدينة**، أصغرها الرها.

- **نبوته ودعوته:** وهو أول نبي بعد آدم وشيث عليهما السلام، أرسله الله لهداية نسل (قابيل) ليرجعوا عن غيهم وكفرهم، ويتوبوا إلى الله، ويأخذوا بشرعه الذي أرسل به إدريس عليه السلام؛ويذكر أن الصابئة أخذوا دينهم عن شيث وإدريس؛ ومما أمر به قومه:

أمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بيَّنَها، وصيام أيام معروفة من كل شهر، وإخراج زكاة أموالهم، وحثهم على الجهاد، وحرم عليهم المسكر أعظم تحريم، وحضهم على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل. وجعل لهم أعيادًا كثيرة في أوقات معروفة، وتقدم أثناءها القرابين. وترك حكما ومواعظ جليلة القدر منها قوله: **1**) لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمة بمثل الإنعام على خلقه. **2**) خير الدنيا حسرة وشرها ندم. **3**) تجنبوا المكاسب الدنيئة.

4) حياة النفس في الحكمة. **5**) من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء.

وكتب على فص خاتمه: الإيمان بالله يورث الظفر. وكتب على المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: السعيد من نظر لنفسه، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة.

- **صفاته وأعماله:** ووصفه القرآن بثلاث صفات تمثل الأخلاق الفاضلة والمنزلة العظيمة عند الله تعالى:

1) الصبر: على الأوامر الإلهية، واجتناب المعاصي، والطاعة المستمرة، وعلى تبعات الدعوة إلى الله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿85﴾ ﴾[الأنبياء: 85].

2) الصدق: كان ملازما للصدق في جميع أحواله، لأن الصدق يهدي إلى البر، والبر هو أسمى عمل لدى الصالحين، يتقربون به إلى المولى الكريم: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿56﴾ ﴾[مريم: 56].

3) **علو المنزلة:** ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿57﴾ ﴾[مريم: 57]. فقد رفع الله ذكره، وأعلى قدره، وشرفه بالنبوة فكان قريبا من ربه، وقيل رفعه الله إليه وهو في السماء الرابعة، كما ورد في حديث الإسراء: أنه لما مر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو في السماء الرابعة قال له: " **مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح**" رواه **البخاري**.

أما أهم أعماله وإنجازاته العظيمة التي كان أول البشر ممارساً لها كما ذكرت كتب التفسير؛ قيل: كان أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب.

- **وفاته:** وقيل عاش مدة (**82**) سنة، ثم قبض، وذكرت عدة أخبار في مكان قبضه وهل كان في الأرض أم في السماء، والذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن إدريس في السماء الرابعة، وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿57﴾ [مريم: 57]. قال: **إلى الجنة**.

الدعـاة إلى الله

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: 104]

الدعوة إلى الله: هي الأسلوب القرآني لتبليغ الدين للعالمين، وكلف الله بها الأنبياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وذكر القرآن ذلك في معظم آياته، وجماعة الدعاة إلى الله هم:

ـ **الأنبياء المرسلون:** وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه، وكلفهم بتبليغ رسالاته لعباده، فيبشرون المؤمن الطائع بنعيم الجنة، وينذرون الكافربعذاب جهنم: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٤٩ ﴾[الأنعام: 48-49]ومن أول الدعاة نبي الله نوح عليه السلام الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، إلى عبادة الله وطاعته: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ ﴾ [نوح: 1-3]. وبين نوح أساليب الدعوة، وكيف قوبلت بالإعراض من قومه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ ﴾[نوح: 5-9]. ولكن لم يؤمن بدعوته إلا القليل. ويذكر الله منهجا موحدا للدعوة عند سائر الأنبياء، وتجمع بينهم الدعوة إلى توحيد الله وعبادته.

وإن سيد المرسلين وقدوة الدعاة أجمعين، هو **محمد بن عبد الله** الذي بعث رحمة للعالمين، فاستجاب لأمر الله، وعلم البشر جميعا أصول الدعوة الناجحة، وقواعد التبليغ النافعة، حين قال له سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف: 108]. وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل: 125].

ـ **أتبـاع الأنبياء:** ويتولى الدعوة على نهج الأنبياء والمرسلين، من تبعهم بإحسان من الأنصار والحواريين، وسائر المؤمنين، وقد قص علينا الكتاب الكريم قصة مؤمن آل فرعون الذي ذكر قومه ودعاهم إلى العزيز الغفار، وبين لهم سبيل النجاة من النار، وهو سبيل الرشاد: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ

﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢﴾[غافر: 41-42]. وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم مأمورون بالدعوة إلى الإسلام على بصيرة، بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾[يوسف: 108]. وقال صلى الله عليه وسلم «**بلغوا عني ولو آية**».

داود عليه السلام

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ۝٢٦﴾[ص: 26].

ـ **نسبه:** هو نبي الله داود بن إيشا بن عوفيذ (أوعوبيد) بن يوعز (أوباعز أوعابر) بن سلمون بن يحشون (أونحشون) بن عمينوذب (أو عويناذب) بن رم (أو إرم أو رام) بن حصرون بن بارص (أو فارص أو فارض) بن يهوذا بن **يعقوب** بن **إسحاق** بن **إبراهيم** خليل الرحمان صلوات الله عليهم أجمعين.

ـ **شجاعة داود وبطولته:** كان قد عبر النهر مع طالوت فيمن عبر، "إيشا" والد داود ومعه ثلاثة عشر ابنا، وكان داود أصغرهم سنا، ويشتغل برعي الغنم، ولكنه ذو مهارة فائقة في القذف بالمقلاع، وأخبر والده بذلك فقال له: أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله، وسيكون لك شأن عظيم. ولما وصل جيش بني إسرائيل مع قائدهم طالوت إلى معسكر جالوت، برز جالوت في قلب المعركة وطلب المبارزة، فارتعدت فرائص الجند وخافوا من قوته، فنادى طالوت في عسكره قائلا: من قتل جالوت زوجته إبنتي وناصفته مملكتي. وكان قاتل الجبار جالوت، راعي الغنم داود الذي صوب نحوه حجرا من مقلاعه، فأرداه قتيلا، وفاز بالقيادة والريادة. يقول تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ۝٢٥١﴾[البقرة: 251].

ولما قتل داود الطاغية جالوت حسنت حاله عند شاول (**طالوت**) وصار مقدما بين رجال الحرب في بني إسرائيل، وزوجه إبنته **ميكال** وجعله رئيس الجند، ولكن طالوت رأى في داود الرجل المنافس له في حكمه، لأنه يتمتع بمحبة بني إسرائيل، فحسده طالوت وحاول التخلص منه، ولكنه فشل ثم قتل طالوت في معركة مع الفلسطينيين.

ـ **تولي داود الملك:** وحينئذ توجه داود إلى بلدة (حبرون) ـ وهي مدينة الخليل اليوم ـ فجاءه رجال يهوذا وأقاموا داود ملكا على بيت يهوذا، بينما حكم بقية بني إسرائيل" اشبوشت " بن طالوت، وقامت حروب بين الطرفين إنتهت بموت " اشبوشت " بعد سنتين، فصار داود ملكا على جميع بني إسرائيل في

حبرون لمدة سبع سنوات، ثم انتقل إلى صهيون وهو حصن سماه مدينة داود، وكان المقيمون في جبل الموريا من اليبوسيين؛ فأقام داود بجانبهم في صهيون ثم أصبح ملكا على أسباط إسرائيل كلها. وكان داود ابن **ثلاثين سنة** يوم صار ملكاً على جميع إسرائيل، ومدة ملكه **أربعون سنة**. ملك بحبرون على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وملك بأورشليم ثلاثا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا.

وقام داودأثناء حكمه بحروب كثيرة، فكان النصر حليفه وامتد ملكه من أيلة (خليج العقبة) ووصل إلى الفرات، وافتتح بلاد الفلسطينيين، وضم دمشق عاصمة الأراميين. وقد أعطاه الله الملك بعد موت الملك طالوت (شاول) ، وجعله نبياً بعد موت النبي صمويل **(شمويل)** ولم يجتمعا لأحد قبله: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿٢٥١﴾﴾[البقرة: 251]. وهذا الملك العريض الذي حكمه داود بشرع الله، سماه القرآن " **الخلافة في الأرض**" وهي غاية هذا الدين الذي يحكم الأرض بقاعدة الصلاح: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 105].

وأيده الله تعالى بالزبور: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[النساء: 163].

قال القرطبي: "كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هي حكم ومواعظ ". ويسمى عند أهل الكتاب **(المزامير)** وهي قصائد من الشعر الديني الوجداني، ومنها الترانيم والأناشيد التي تمجد الله، والصلوات والتعاليم والوصايا، وأكثرها ترجع لداود، وبعضها وضعت بعده. قال داود: " كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع تحصد ". وقال أيضا: " لا تعدَنَّ أخاك بما لا تنجزه له، فإن ذلك عداوة ما بينك وبينه ". ومن حكمه: " مثل الخطيب الأحمق في نادي القوم كمثل المغنّي عند رأس الميت".

ـ معـالم أساسية في حياة داود: وبرزت في حياته عدة جوانب أهمها:

1) حسن السياسة، والحزم في الحكم: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[ص: 20]. فقد أيده الله بالنبوة والكتاب المنزل، ووفقه إلى تثبيت الملك بما حباه من هيبة، وكثرة في الجند، ووهبه الرأي الحسن، والحزم في الأمور بروية وحكمة، وهو المطلوب في شؤون الحكم، وإدارة السلطان، وأساسه إقامة العدل، الذي أدركه في الإختبار، عندما دخل عليه الخصمان في محراب عبادته: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾[ص: 21-23]. فتسرع في الحكم عندما استمع لخصم واحد

فقط فقال: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴿24﴾ [ص: 24]. ولكنه تدارك الموقف لما علم أن ذلك اختبار من الله، فاستغفره وخر له ساجداً، وتاب وندم عما فرط منه: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿24﴾ ﴾ [ص: 24]. فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في " ص "، وقال: (**سجدها داود توبة، ونسجدها شكرا ". رواه النسائي.**

وكان سلوك داود درسا عمليا لكل حاكم، وتوجيهًا تربويًا لكل قاض عادل، يبتغي العفو والغفران، والنجاة عند الرحمان، وقد حصل عليها داود: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿25﴾ ﴾ [ص: 25].

وحينئذ حذره الله من الهوى عند الحكم بين الناس، وسياسة أمورهم، وأكد لكل مسلم أن يكون العدل هو أساس الملك، وركيزة الخلافة في الأرض: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿26﴾ ﴾ [ص: 26].

2) **السعي لعمارة الأرض بالعمل المتقن:** فقد أنعم الله علية باتقان صناعة الحديد وتشكيله باليد: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿10﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿11﴾ ﴾ [سبأ: 10-11].

فكان يصنع منه ما يشاء من أسلحة، كالدروع الخاضعة لمقاييس مضبوطة تساعد الجنود على الحركة أثناء القتال براحة؛ وكان ازدهار تلك الصناعة مواكبًا لحاجة الدولة إلى السلاح في زمن الحروب التي خاضها لوراثة الأرض، والتمكين للدين: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿80﴾ ﴾ [الأنبياء: 80].

وروي في الأخبار أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكرا، فإذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم إليه فيسأله عن داود فيقول له: ما تقول في داود؟ فيثني الرجل خيرًا، فبينما هو كذلك يوما إذ قيض الله له مَلَكًا في صورة آدمي، فسأله داود على عادته، فقال له المَلَك: نعم الرجل هو، لولا خصلة فيه، فراع داود ذلك فقال: ما هي يا عبد الله؟ قال: إن داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال. قال: فتنبه لذلك، وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال

فينفق منه ويطعم عياله، فألان له الحديد، فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول، وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد، وعلمه الله صنعة الدروع، فكان يتخذ الدروع، وهو أول من عملها، وكانت قبل ذلك صفائح، فيقال: إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم، فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين. وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى عمل داود ليكون قدوة لهم في عفة النفس فقال: " **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده**". رواه **البخاري**.

3) **العبادة الخاشعة، والإنابة المتصلة بالله:** أمر الله النبي محمد صلى الله عليه وسلم ـ وأمته من بعده ـ أن يكون داود عليه السلام، لهم الأسوة الحسنة في العبادة، وقد وصفه بأجل الصفات ومنها:

ـ **صاحب الأيد:** وهو ذو القوة في الدين، فلا يتسرب إلى نفسه الوهن عند الشدائد، ولا يضعف عند احتدام الخطوب، بل هو الصابر المثابر على كل حال.

ـ **الأواب:** بكثرة اللجوء لربه في السراء والضراء، وفي وقت السر الخفي عن الناس، أو وقت العلانية الظاهرة للخلق: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) ﴾ [ص: 17].

ـ **المسبح:** وقد منحه الله صوتاً عظيمًا إذا سبح به، يتجاوب معه ما حوله من جبال وطيور، فتسبح معه الجبال الرواسي، وتقف الطيور وتجاوبه بأنواع اللغات: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) ﴾ [ص: 18-19].

وصار مثالا لكل مسلم يحسن ترتيل القرآن الكريم، وضرب به النبي صلى الله عليه وسلم المثل عندما استمع لتلاوة أبي موسى الأشعري، فقال له: " **لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود**" فرد أبو موسى قائلا: " **أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا** ". وقد يسر الله لداود قراءة القرآن الذي أنزله عليه وهو (الزبور) قال صلى الله عليه وسلم: " **خُفِّفَ على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه** ". رواه **البخاري**.

ـ **الشاكر لأنعم الله:** وقد وصف الله آل داود بالشكر، لأنه لا تمر ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلي، ولا يوم من الأيام إلا وفيه منهم صائم. فعن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم هذه الآية: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) ﴾ [سبأ: 13]. وحينئذ قال داود: **يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟** قال له الله: **الآن شكرتني حين قلت إن النعمة مني**.

ـ **المجتهد في عبادة الله:** كان داود عليه السلام كثير الصيام بالنهار، فيصوم يومًا ويفطريومًا، وكثير القيام في الليل. قال صلى الله عليه وسلم: " **أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما، ويفطر يوما" متفق عليه.**
ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن عمرو بن العاص حرصاً وتشددًا في العبادة، بصيام الدهر كله، وقيام الليل باكمله، أرشده إلى عبادة داود. يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: " قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل، فقلت نعم، قال إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونقهت له النفس، لا صام من صام الدهر، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله. قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك، قال: فصم صوم داود عليه السلام: كان يصوم يوما ويفطر يوما، ولا يفر إذا لاقى ". رواه **البخاري.** وكان آل داود يتواصون بقيام الليل. قال صلى الله عليه وسلم: قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان: يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة" رواه **ابن ماجة.**

وكان داود قد قسم وقته ونظمه، فجعل بعض الوقت للقيام بشئون الملك، والقضاء بين الناس، وخصص بقية الوقت للخلوة والعبادة وترتيل الزبور والتسبيح في المحراب، وكان إذا دخل خلوته لا يتجرأ أحد من الناس أن يقطعها عليه. وقيل أنه جزأ الدهر (الوقت) إلى أربعة أجزاء: يوما لنسائه، ويوما لعبادة ربه، ويوما لقضاء حوائج المسلمين، ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويسألهم ويسألونه.
ـ **وفـاته:** ولما حان وقت موته دخل عليه ملك الموت في محراب عبادته في يوم العبادة، فقال داود: أجئت داعيًا أم ناعيًا؟ قال: بل ناعيا، فقال داود: فهلا أرسلت إلي قبل ذلك وآذنتني لأستعد للموت؟ فقال: كم أرسلت إليك فلم تنتبه. قال: ومن كانت رسلك التي أرسلت إلي؟ قال: يا داود: أين أبوك **إيشا،** وأين أمك، وأين أخوك، وأين جارك،... وأين فلان وفلان؟ فقال: ماتوا كلهم، فقال: أما علمت أنهم رسلي إليك وأن النوبة تبلغك. ثم قبض روحه وقد بلغ عمره قرناً من الزمان. وكانت وفاته في حدود سنة **963 ق. م.** وقيل **973ق. م.** وعاش ما بين (**1043 ـ 973 ق. م**) ؛ وقبره فوق جبل بفلسطين على يمين المتجه نحو بيت المقدس إلى الرملة، بعد أبي غوش.

أدنى الأرض

﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ③ ﴾[سبأ: 1 - 3].
وهو المكان الذي شهد المعركة بين الروم والفرس في بلاد الشام من أرض فلسطين، وهي أدنى منطقة في الأرض، أي أخفضها عن مستوى سطح البحر حول مناطق غور فلسطين، بالبحر الميت (بحيرة

لوط) الذي يخفض (**392**م) تحت مستوى البحر، وهي أقرب منطقة إلى بلاد الروم وأرض فارس وشبه الجزيرة العربية.

الـديـار

﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ﴾[الإسراء: 5].

وهي ديار بني إسرائيل في أرض فلسطين، فلما أسكنهم الله فيها أفسدوا في الأرض، فبعث لهم قوما أصحاب قوة وبطش يقودهم بختنصر ملك بابل فقتل منهم سبعين ألفًا، وكان جنده يطوف وسط البيوت، يبحثون عنهم لقتلهم وسلب ما عندهم، وذلك قضاء الله وسوط إنتقامه من القوم الظالمين.

﴿ حرف الذال ﴾

ذريـــة

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً (38) ﴾[الرعد: 38].

الذرية: هم أعقاب الإنسان ونسله من أولاده وأحفاده، ذكورا وإناثا، وذكروا في القرآن عند الحديث عن الأنبياء، وأنهم من نسل متسلسل منذ فجر الإنسانية.

* **ذرية الأنبياء:** وكل الأنبياء من ذرية آدم عليه السلام، وبعد الطوفان هم من ذرية نوح، وبعده إبراهيم الذي عرف بأبي الأنبياء، وكذلك حفيده يعقوب عليه السلام: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (58) ﴾[مريم: 58]. قال السدي وابن جرير: " فالذي عني به من ذرية آدم: إدريس... ومن حملنا مع نوح إبراهيم... ومن ذرية إبراهيم: إسحاق ويعقوب وإسماعيل... ومن ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا ويحي وعيسى ابن مريم. " وقد حصل لهم الشرف بقربهم من النسل الطيب. فكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم، ولإبراهيم شرف القرب من نوح، ولإسماعيل وإسحاق ويعقوب شرف القرب من إبراهيم.

* **ذرية قوم نوح:** ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) ﴾[الإسراء: 3]. قال القرطبي: والذرية في هذا الموضع، هم كل من احتج عليه بالقرآن، وهم جميع من على الأرض. وهو تذكير لبني إسرائيل بجدهم الأكبر نوح عليه السلام، وكان عبدا شكورا، وكذلك الذين حُملُوا معه في السفينة وهم أجدادهم الأوائل وكانوا من أهل الإيمان. والخطاب موجه لبني إسرائيل أولا، وللمؤمنين من بعدهم حتى يلتزموا بالحق ويكونوا من الشاكرين على نهج جدهم نوح عليه السلام. ورد في الأثر عن السلف: أن نوحًا عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهذا سمي عبدا شكورا.

* **ذرية إبراهيم:** ومن ذريته الأنبياءالمرسلون: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (86) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (87)﴾[الأنعام: 84-87]. ودعا الخليل ربه أن يوفقه لإقامة الصلاة، وأن يجعل ذريته من بعده على نفس سيرته: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ (40)﴾[إبراهيم: 40].

ولما قام إبراهيم بأوامر الله جعله قدوة للناس وإماما للهدى، فسأل ربه أن يجعل ذريته من بعده أئمة، فذكره الله أن تلك المنزلة لا ينالها الكفار من ذريته: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ (124)﴾[البقرة: 124].

* **ذرية قوم موسى:** ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (83)﴾[يونس: 83]. وهم الشباب الذين آمنوا مع موسى عليه السلام، واختلف في نسبهم:

- فقيل هم مؤمني بني إسرائيل، وكانوا **600 ألف** كما ذكر ابن عباس، لأن يعقوب دخل لمصر في إثنين وسبعين إنساناً فتوالدوا بمصر حتى بلغوا في عهد موسى ستمائة ألف.
- وقيل هم من قوم فرعون، قال ابن عباس: فإن الذرية التى آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير، منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطة ابنته.
- وقيل هم أقوام آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل فسموا ذرية. قال الفراء: " وعلى هذا فالكناية في (قومه) ترجع إلى موسى للقرابة من جهة الأمهات وإلى فرعون إن كانوا من القبط ".

والراجح أنهم طائفة من الشباب من عمق المجتمع المصري الذين شع نور الإيمان في قلوبهم من بني إسرائيل قوم موسى، أو الأقباط قوم فرعون، ولكن الخوف يعم الجميع لأن فرعون يحارب الإيمان بالله من أي طرف.

***ذرية زكريا:** ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (38)﴾ [آل عمران: 38]. فقد دعا ربه أن يعطيه ولدا صالحا، ونسلاً طيباً، فاستجاب الله دعاءه ومنحه الذرية، وكان ولداً واحداً هو نبي الله يحي عليه السلام.

ذو القرنين

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (83) ﴾[الكهف: 83].

ـ **نسبه:** أختلف في نسبه كثيرا، فقيل هو الإسكندر المقدوني اليونـاني (الإسكندر الكبير) الذي عاش ما بين(**356 ـ 323 ق. م**) ، وهو ابن فيليبس ملك مقدونيا، وخلف والده سنة **336 ق. م.** وقد اجتاح عدة بلدان وأحتلها ومنها بلاد فارس وصور ومصر وأسس الأسكندرية **331 ق. م.** ومات في بابل. والتحقيق العلمي يجعل هذا الزعم أمرا مستبعدًا لأن الإسكندر الإغريقي كان وثنيًا بينما يتحدث القرآن عن رجل مسلم. قال ابن هشام: هو الصعب بن ذي يزن الحميري من ولد وائل بن حمير. وقال أبو الريحان البيروني: إن ذا القرنين المذكور في القرآن كان من حمير مستندا باسمه، فلوك اليمن كانوا يلقبون بذي. كذي نواس وذي يزن؛ وكان اسمه أبو بكر بن افريقش. وأنه رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، فمر بتونس ومراكش وغيرهما؛ وبنى مدينة إفريقية فسميت القارة كلها باسمه؛ وسمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس.

وقيل بل هو ملك مسلم صالح من ملوك اليمن، أعطي العلم والحكمة، وسمي بذي القرنين لأنه ملك مشارق الأرض ومغاربها وكان عادلاً، كما قال الشاعر تبع اليماني:

قد كان ذو الـقرنين قبلي مسلماً * ملـكا علا في الأرض غيـر مفنَّد

بلـغ المشارق والمغارب يبتغي * أسبـاب مُلك مـن كـريم سـيد

ـ **زمنه ومزايـاه:** عاش ذو القرنين في زمن بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، قال سفيان الثوري: " بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، أما المؤمنان فسليمان النبي وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبختنصر".

والقرآن الكريم يبسط قصة رجل مسلم صالح يدعى " ذو القرنين" دون ذكر تفاصيل عن حياته وإنما أفاض في الحديث عن أعماله الصالحة، وملكه الواسع، ورحلاته في الأرض، ووهبه ربه نعمتين:

* **التمكين في الأرض:** ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ (84) ﴾[الكهف: 84]. فقد يسر الله له كل أسباب الملك والسلطان، ومنحه أسباب القوة ففتح البلدان ودعا الناس إلى الإسلام، وشيد العمران.

* **العلم الواسع:** ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا (84) ﴾[الكهف: 84]. فأعطاه الله علما ممدوداً مكنه من حسن التصرف في شئون الحياة؛ وقد تجول في البلدان: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) ﴾[الكهف: 85]. وشد الرحال ومضى قُدماً إلى آفاق بعيدة من الأرض، وكانت غايته تعبيد الناس لربهم.

ـ **رحلات ذي القرنين:** قام بثلاث رحلات هامة، سجلتها الآيات البينات وهي:

1) **الرحلة إلى المغرب:** فإذا كان إنطلاقه في رحلته من بلاد مصر أو اليمن أو غيرها من البلدان الشرقية، فإن وجهته نحو الغرب قد أوصلته إلى مكان في شاطئ المحيط الأطلسي، فرأى الشمس في الأفق وهي تغرب عند مصب أحد الأنهار، وحول المصب تكثر البرك المائية التي يختلط فيها الطين ويتحول إلى الحمأة وهو (الطين الأسود) ، وقد قال تبع اليماني:

فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خُلُب وثأْط حرْمَدِ

قال معاوية: يا ابن عباس فما الخلب والثأط والحرمد؟ قال: الخلب: الحمأة، والثأط: ما تحتها من الطين، والحرمد: ما تحته من الحصى والحجر"قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿86﴾ ﴾[الكهف: 86]. وقد علمه ربه أصول الدعوة، وقواعد التعامل مع البشر الذين وجدهم عند أقصى المحيط، فكان تعامله معهم عادلا فدعاهم إلى الله، وبلغهم أوامره، فالذين استجابوا كان لهم حق الإسلام في الدنيا، ويجازيهم الله يوم القيامة بالجنة، وأما من أعرض فمصيره القتل بسبب كفره، ويكون مآله النار يوم الجزاء: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿88﴾ ﴾[الكهف: 87-88].

2) **الرحلة إلى المشرق:** وتواصلت رحلته نحو المشرق وقد هيأ الله له كل الأسباب المساعدة: ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿89﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ ﴿90﴾ ﴾[الكهف: 89-90]. فوجد قوما في أرض مستوية مكشوفة ليس بها حواجز طبيعية يمكنها أن تحجب الشمس، وقد ينطبق ذلك على شاطئ إفريقية الشرقي، فأرضهم صحراء واسعة ممتدة، وهم قوم من الزنج عراة الأجسام ليس لهم بناء يسترهم من حر الشمس، فإذا طلعت عليهم دخلوا إلى أسراب تحت الأرض، وإذا غربت خرجوا إلى مكاسب معاشهم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿90﴾ ﴾[الكهف: 90]. وكانت المهمة واضحة عند ذي القرنين وهي دعوة القوم مثلما فعل مع أهل المغرب، لأنه ينطلق من التكليف الرباني: ﴿ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿91﴾ ﴾[الكهف: 91].

3) **الرحلة إلى الشمال:** وواصل رحلته شمالا حتى بلغ منطقة بين جبلين يعتقد وقوعها بين أرمينية وأذربيجان، فوجد قوما متخلفين من الترك، فتوسموا فيه الصلاح والقدرة على رد العدوان، ويمكنه دفع خطر قوم **"ياجوج وماجوج"** عن بلادهم، لأنهم يغيرون عليهم باستمرار ويعيثون في الأرض فسادا،

وعرضوا عليه مقابل بناء السد خراجا أو ضريبة من المال تجمع من الناس: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿94﴾ ﴾ [الكهف: 94]. ولكنه كان حاكما صالحا مهمته خدمة الناس وتعبيدهم إلى الله وتخفيف معاناتهم، وإقامة العدل بينهم، فرفض ما عرضوه من مال، وبين لهم أنه صاحب رسالة يحتاج منهم فقط أن يمدوه باليد العاملة والمواد الأولية (قطع الحديد)، وتجميع ذلك في المنفذ الواقع بين الجبلين، وهو الممر الذي يدخل منه العدو إلى بلادهم: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴿96﴾ ﴾ [الكهف: 95-96].

وقد جمع ذو القرنين بين العلم بالدين، وإتقان الصناعة المتطورة الخاضعة للقواعد التقنية المبنية على رصيد علمي نافع، فلما حدث التوافق بين القيم الدينية والتطبيق العملي للتقنية العلمية، وسخر ذلك في خدمة البشرية، كانت الفائدة المرجوة كبيرة، فنفذ القوم تلك الأوامر بدقة متناهية، فوضعت قطع الحديد وأوقدت فيها النار حتى احمرت، ثم صب فوقها النحاس المذاب فلحم الحديد وشكل جبلا صلبا لا يمكن اختراقه بسهولة، وتعذر ذلك على قبيلتي ياجوج وماجوج فعجزوا عن تسوره أو إحداث فتحة فيه بسبب صلابته ومتانة صنعه. ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿97﴾ ﴾ [الكهف: 96-97].
وأرجع أمر بناء ذلك السد إلى نعمة الله عليه بالعلم والفكر وحسن التقدير، وازداد بهذا العمل تواضعا لربه، وتوج عمله بالشكر: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿98﴾ ﴾ [الكهف: 98]. ولكنه أخبرهم بموعد انهيار السد عند قيام الساعة، ولن يخلف الله وعده.
وانتهت قصة هذا الحاكم العالم، والعامل العادل، والصانع النافع، والقدوة الخالد، الذي أقام الله به الحجة على كل أمير قوم حتى يحسن تسيير شئون مملكته، ويقود سفينة الحياة في بلاده إلى شاطئ الأمان، وخلال سلوكه يسعى لإرضاء الرحمن.

ذو الكفل

﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿48﴾ ﴾[ص: 48].

ـ **تحقيق صفته:** والقول المشهور أنه أحد الأنبياء، لأن اسمه قرن مع أسماء ثلة من الأنبياء عليهم السلام. وقال الحسن: هو نبي قبل إلياس. وقال القرطبي: وقول الجمهور أنه ليس بنبي. وذكر آخرون أنه كان رجلا صالحًا، وحكما مقسطا عادلا، وتوقف الطبري في ذلك. وقيل هو ابن أيوب عليه السلام لأنه ذكر في القرآن بعد قصة أيوب، واسمه الأصلي "**بشر**" وقد بعثه الله بعد أيوب وسماه الله (**ذا الكفل**) لأنه تكفل ببعض الطاعات فوفى بها؛ وقيل سمي بذلك لأن الله تكفل له في سعيه وعمله بضعف عمل غيره من الأنبياء الذين كانوا في زمانه.

ـ **رسالته في الأرض:** والأرجح أنه نبي من بني إسرائيل، تكفل لأحد الأنبياء قبل موته أن يكون خليفته في بني إسرائيل، وتكفل بفعل ثلاثة أمور: أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يغضب في القضاء، وقد وَفَّى بذلك وكان نبياً. قال مجاهد: لما كبر اليسع عليه السلام قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل؟ فجمع الناس ثم قال: من يتكفل لي بثلاث استخلفته: يصوم النهار، ويقوم الليل ولا يغضب، فقام إليه رجل شاب تزدريه العيون، فقال أنا، فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس، فقام ذلك الرجل وقال: أنا أعمل ذلك، فاستخلفه... وجاءه الشيطان في صورة رجل مظلوم وأستفزه عدة أيام فلم يغضب، وتفطن له، وعصمه الله منه.

ولم يذكر القرآن أي شيئ عن رسالته وقومه، بل اكتفت الآيات بذكره في زمرة الأخيار من الأنبياء، ووصفه ربه بالصبر والصلاح: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿85﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿86﴾ ﴾[الأنبياء: 85-86].

ـــ **وفـاته:** عاش ذو الكفل ما بين القرنين **16 ـــ 15 ق م** تقريبا. وقد توفي وله من العمرنحو **75 سنة.** أما قبره فلا يعرف بالتحديد، ولكن يذكر أنه يوجد في جبل قاسيون المطل على دمشق من الشمال، مقام يسمى ذا الكفل.

ذو النـون

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا ﴾ [الأنبياء: 87].

وهو لقب لنبي الله **يونس عليه السلام**، لأنه ابتلعه في البحر حوت يدعى **النون**. وعرف في موضع آخر بصاحب الحوت. قال ابن مسعود: "... وقد أرسل الله من البحر الأخضر حوتا يشق البحار، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما، ولا تهشم له عظما، فإن يونس ليس لك رزقًا، وإنما بطنك تكون له سجنًا.. "

ذو الأوتـاد

﴿ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴾ [ص: 12].

الأوتـاد: هي أعواد فيها شيء من الغلظة مفلطحة الرأس تدق في الأرض لتشد اوتقوى بها بيت الشعر أو الخيمة. وعند الفراعنة، اختلف المفسرون قديما وحديثا في أمرها، ويمكن استعراض تلك الآراء فيما يلي:

* **اوتاد التعذيب:** قيل سمي فرعون بذي الأوتاد لأنه كان يربط من أراد تعذيبه من قومه بأربعة أوتاد في يديه ورجليه ويتركه حتى يموت.

* **كثرة الجنود:** قال ابن عباس: هم الجنود الذين يشدون له أمره. فوصف بهم لأنهم ينصبون الخيام الكثيرة الأوتاد، ويثبتون ملكه ويحمونه من الزوال.

* **الأهرامات:** وهي البنايات العظيمة التي شيدها الفراعنة وجعلوها مدافن لهم، وهي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة في بنائها، وأقدمها هرم جوسر المدرج في سفارة نحو **2585 ق م**. وأشهرها اهرام الجيزة.

* **المسلات:** وهي أعمدة منحوتة من الصخر الصلب، تغرس في الأرض، ويقيمها الفرعون ليخلد فيها ذاته، وظهرت بهذا المعنى في القرن السادس والعشرين قبل الميلاد إبان حكم فراعنة الأسرة الخامسة، وكانت تنصب في مؤخرة المعابد، وتكسى ذروتها برقائق من الذهب، وعندما تسقط عليها أشعة الشمس يأخذ منظرها بالألباب. وأقدم وتد لايزال موجودا، هو الذي أقامه الفرعون سنوسرت الثاني من فراعنة الأسرة الثانية عشرة (حوالي **1975 ق م**.) أما الفرعون (رمسيس الثاني) فقد إهتم بها إهتماما ملفتا للنظر، ولم يسبقه إليه أحد من الفراعنة، من أجل تجسيد ذاته المتألهة، فأقام إثنين وعشرين وتدًا، ولعل هذا هو الراجح من أمر الأوتاد.

ذو الأيـدي

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿17﴾ ﴾[ص: 17].

وصف الله نبيه داود عليه السلام **(ذا الأيد)** ، والأيد هي القوة في العلم والعمل، والقوة في الطاعة. والقوة في البدن، فهو القوي ذو الأيد والسلطان. وقد جعل الله له في يديه قوة يصنع بها الحديد بسهولة ويسر دون الحاجة إلى آلات ووسائل. قال الحسن البصري وقتادة والأعمش: كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار أو مطرقة. وكان يأكل من عمل يده، وقد ورد في الحديث أنَّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه وأن نبي الله داود كان يأكل من كسبه.

وقد وصف الله إبراهيم، وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب، بأنهم **(أولي الأيدي والأبصار)** فقد جعل الأيدي رمزًا لعملهم الصالح الدؤوب، والأبصار دليلا على بعد نظرهم، وسديد رأيهم: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿45﴾ ﴾[ص: 45]. قال الطبري: أي أهل القوة في عبادة الله، وأهل العقول المبصرة.

﴿ حرف الـراء ﴾

رافع بن عميـر

﴿ وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾ [الجن: 6].

هو رافع بن عمير التميمي، ويلقب بدعموص الرمل، وقد سكن الكوفة، وأسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم، وله قصة عجيبة مع الجن.

عن سعيد بن جبير: أن رجلا من بني تميم يقال له رافع بن عمير حدث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج (مكان بجزيرة العرب) ذات ليلة إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحلتي، وأنختها، ونمت، وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن، فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي، فانتبهت فزعًا، فنظرت يمينا وشمالا، فلم أرَ شيئا، فقلت: هذا حُلُم. ثم عدت فغدوت، فرأيت مثل ذلك، فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب، والتفت، وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة، ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش؛ فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الأنسي، فقام الفتى فأخذ منها ثورا، وانصرف ثم التفت إليَّ الشيخ، وقال: يا هذا إذا نزلت واديا من الأودية فخفت هوله، فقل: أعوذ برب محمد من هوْلِ هذا الوادي، ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها. قال: فقلت له: ومن هذا محمد؟ قال: نبي عربي، لا شرقي، ولا غربي، بُعث يوم الاثنين؛ فقلت: أين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل؛ فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح، وجددت السير حتى تقحمت المدينة، فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئا، ودعاني إلى الإسلام، فأسلمت. قال سعيد بن جبير: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾ [الجن: 6].

أخرجه **الخرائطي** في كتاب " هواتف الجان ".

الربانيون

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿79﴾ ﴾[آل عمران: 79].

الرباني: هو المنسوب إلى الرب، وجمعه ربانيون، وهم العلماء الذين آتاهم الله العلم والحكمة، فعلموا الناس وفقهوهم، ومنهم علماء أهل الكتاب: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴿44﴾ ﴾[المائدة: 44]. ولكن اليهود اقترفوا المعاصي وارتكبوا الحرام، وتعاطوا الفواحش وتلك عاقبة سيئة: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿62﴾ ﴾[المائدة: 62]. ولكن العلماء الربانيين تخلفوا عن مهمتهم، وتركوا وظيفتهم الأساسية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبئس ما كانوا يفعلون: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿63﴾ ﴾[المائدة: 63].

الربوة

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿50﴾ ﴾[المؤمنون: 50].

الربوة: هي المكان المرتفع من الأرض الذي يحتوي على الأشجار والثمار، ووردت في موضعين من القرآن هما:

1) ربوة البساتين: وقد ضرب الله مثلا للذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله، أن تزداد أموالهم، ويكون حالها مثل الربوة اليابعة بالأشجار الكثيرة: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿265﴾ ﴾[البقرة: 265].

2) ربوة مريم العذراء: عند ولادة عيسى عليه السلام، كانت بلاد الشام تحت سيطرة قيصرالروم، وحاكمها من قبله يدعى " **هردوس**"، فلما علم بخبر المسيح قصد قتله ـ لأنه طلع نجم نظروا فيه، واوجسوا خيفة من أمره ـ فبعث الله ملكًا إلى يوسف النجار (وهو أبن عم مريم) وأخبره بما أراد هردوس وأمره

أن يهرب بالغلام، نخرج به وأمه، والمكان الذي قصده هو" **الربوة** " التي جعلها الله مأوى لمريم وابنها عيسى عليه السلام، ومن خصائصها:

ـ أنها ذات قرار: وهي الأرض المستوية المبسوطة في قمتها، فصارت موطنا للإستقرار ونمو النبات، وإقامة الإنسان.

ـ وأنها ذات معين: وهو الماء العذب الجاري على وجه الأرض، وعليه تقوم الحياة، ويقصده السكان.

وأختلف في البلاد التي توجد بها الربوة، ووردت في ذلك عدة أقوال:

* قيل هي **دمشق:** وأورد ذلك عبد الله بن سلام، وقال الضحاك هي عرصة دمشق.

* وقيل هي **الرملة:** من أرض فلسطين، وذكر ذلك أبو هريرة.

* وقيل هي **بيت المقدس:** ذكر ذلك قتادة وكعب.

* وقيل هي **مصر:** وقال به ابن زيد. فأقامت بمصر تغزل وتجمع السنبل في أثر الحصادين، فلما سمعت بموت الملك هردوس، عادت مع ابن عمها يوسف النجار، وعُمْر ابنها اثني عشر سنة، فسكنت بجبل الخليل في قرية الناصرة. والظاهر من الأقوال السابقة أن مريم تنقلت أثناء اختفائها في تلك البقاع، ويحتمل أنها أقامت في ربوة منها، والله أعلم بها.

الربـيُّـون

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴿146﴾ ﴾[آل عمران: 146].

الربيون: جمع ربِّي نسبة إلى الرب، وهي مثل الربانـيين، وهي صفة للعلماء من أهل الصلاح والتقوى، وقيل: ربيون أي نسبة إلى الربّة وهي الجماعة. وقاتل العلماء مع الأنبياء فمنهم من قضى نحبه فكان في صفوف الشهداء، ومنهم من نال النصر المبين وبقي يجاهد لإصلاح الباقين.

رحلة الشتاء والصيف

﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝2 ﴾[قريش: 2].

واصحاب الرحلة هم تجار قريش، وكانوا يقومون في كل عام برحلتين يقود قوافلها أبناء عبد مناف الأربعة، لأن هاشم (وهو عمرو) بن عبد مناف أنقذ قومه أهل مكة من المجاعة التي أصابتهم فذبح الأنعام وهشم الثريد، وأطعم الناس فسمي هاشما، وفيه قال الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وكان مسموع الكلمة في قومه فجمعهم على رحلتين للتجارة، وما يربحه الغني يقسمه مع الفقير، حتى أصبح فقيرهم كغنيهم، وصاروا من أكثر الناس مالا في العرب حتى قال شاعرهم:

والخالطون فقيرهم بغنيهم * حتى يصير فقيرهم كالكافي

وكانت قوافلهم تجوب الصحراء آمنة مطمئنة، لا يعترض طريقها أحد لأنهم أهل الحرم، وهم محل تقدير واحترام أينما حلوا، فصاروا يجلبون الخيرات إلى حرم الله الآمن من كل مكان، لأن الله أستجاب لدعاء الخليل إبراهيم عليه السلام، فكانت التجارة الرائجة أحد أسباب الرخاء الإقتصادي في مكة المكرمة قبل الإسلام وبعده: ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝57 ﴾[القصص: 57]. وكانت قريش تهتم كثيرا بحالة الجو في حلها وترحالها، فقال ابن عباس: كانوا يشتون بمكة لدفئها، ويصيفون بالطائف لهوائها. وقد أشاد الشاعر بهذه النعمة فقال:

تشتي بمكة نعمة * ومصيفها بالطائف

وكانت رحلاتهم التجارية على الصفة التالية:

1) **رحلة الشتاء:** وتتجه نحو الجنوب إغتناما للدفء، وكانت على فرعين:

* **رحلة اليمن:** ويقودها المطلب بن عبد مناف، أخو هاشم.

*__رحلة الحبشة:__ ويقودها عبد شمس بن عبد مناف، أخو هاشم.

2) **رحلة الصيف:** وتتجه نحو الشمال رغبة في برودة الجو لأن ذلك يساعد على تحرك القافلة في راحة، وكانت تتم في إتجاهين:

*__رحلة الشام:__ ويقودها هاشم بنفسه، ويصل بها إلى غزة، وفي إحدى الرحلات مات بها وقبر في غزة بأرض فلسطين فحملت اسمه فقالوا: غزة هاشم.

* **رحلة العراق:** وقيل فارس، ويقودها نوفل بن عبد مناف، أخو هاشم.

المرجفون

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿60﴾ ﴾ [الأحزاب: 60].

المرجفون: في المدينة المنورة هم أصحاب النفاق الذين ينشرون الأراجيف ويروجون الكذب لبلبلة الأفكار، واحداث الشروخ في صفوف المؤمنين، ونشر أنباء السوء، وإخبار المؤمنين بذلك للتأثير في نفوسهم لأن رغبتهم هي بث روح الهزيمة في الصفوف، فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم قد قتلوا أو هزموا، وإن العدو قد أتاكم.. الخ.

رجل يسعى

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿20﴾ ﴾ [يس: 20].

هو رجل قرآني دفعه الواجب الى نصرة الحق، وذكر في القرآن في موضعين، وهو نعت لشخصين مختلفين، وهما:

* **حبيب النجار:** وكان يصنع الحرير (**حباك**) وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، ويسكن عند أقصى أبواب مدينة (**أنطاكية**) ولكنه كان مجذوما، فعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة، وكان يدعوها أن تفرج عنه مرضه، فلم يجد شيئا يذكر خلال تلك الفترة الطويلة، وعندما أبصر بالرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى بلدته، وقالوا له إن ربنا قادر على كشف (أي شفاء) ما بك من ضُرٍّ - فلما آمن - دعا الرسل ربهم، فكشف ضر حبيب، فصار مؤمنا معافًى، وعندما كذَّبَ أهل القرية دعوة الرسل، وهموا بقتلهم، قدم حبيب مسرعا من بيته في أقصى المدينة لنصرتهم والدفاع عنهم، فحاور قومه، ونصحهم، ودعاهم للإيمان الذي لا يكلفهم أي شيء بل فيه منافع كثيرة: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿20﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿21﴾ ﴾ [يس: 20-21]. وأخبرهم بحالته، وكيف دعا الأصنام سبعين سنة، فلم تشفيه، فلما آمن بالله ودعاه من فوره، كشف ما به من ضر، وبين لهم أن تلك الآلهة، ما هي إلا أحجار لا تنفع ولا تشفع ولا تقدر على دفع العذاب يوم القيامة: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿22﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿23﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾

﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[يس: 22-25]. فلما تأكد قومه من إسلامه، وثبوا عليه جميعا، فرفسوه بأقدامهم، ورجموه بالحجارة حتى مات، ولكن الله أكرمه بالجنة مع الشهداء الأبرار، فلما دخل إلى الجنة ورأى نعيمها، تمنى أن يعرف قومه الحقيقة، التي تمنعهم من العذاب، وتدخلهم الجنة مع الأبرار: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[يس: 26-27].

* **حزقيل القبطي:** وهو رجل من آل فرعون ـ قيل كان على بقية من دين إبراهيم ـ فلما عرف أن فرعون كشف له أن موسى هو قاتل الرجل القبطي، وعزم على معاقبته، وتشاور مع حاشيته، فأشاروا بذلك، فأسرع الرجل المؤمن، وقدم من أقصى المدينة، وأخبر موسى بجلية الأمر، وحذره مما يدبرونه له من العذاب أو القتل: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[القصص: 20]. فأخذ موسى بنصيحته وخرج إلى أرض مدين على الحال التي ذكرها الله: ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[القصص: 21].

وأورد النيسابوري في قصصه حديثا جعل من حزقيل صديقا، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**سُبَّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب يس، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة، وهو أفضلهم.** "

رجل من القريتين

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الزخرف: 31].

استكثر كفار قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا مرسلا، لأنه غلام يتيم فقير الحال، وظنوا أن الرسالة تكون لعظماء القوم، وسادات الناس، وهو منطق مرفوض في الإسلام لأن الله هو العليم بأمر الرسالات: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[الأنعام: 124].

واقتراحهم المزعوم أن ينزل القرآن على رجل عظيم، من بلاد مكة أو الطائف:

* **عظيم مكة:** أغلب الأقوال تشير إلى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو عم أبي جهل، (**95 قبل البعثة ـ 1هـ / 503 ـ 622 م**) ، ويعرف بريحانة قريش، والعِدْل لأنه كان عدل قريش كلّها، فكانت قريش تكسو الكعبة مشتركة، والوليد يكسوها وحده بدون شريك.

* **عظيم الطائف:** المشهور عند المفسرين هوعروة بن مسعود بن مُعَتّب الثقفي، وكان كبير قومه بالطائف، أسلم، ثم دعا قومه إلى الإسلام فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله سنة **9 هـ / 630 م.**

رجـــلان

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿23﴾ ﴾[المائدة: 23].

أمر نبي الله موسى قومه من بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة (فلسطين) التي وعدهم الله ـ على لسان أبيهم يعقوب ـ أن تكون لهم: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿21﴾ ﴾[المائدة: 21].

ولكنهم خافوا من قومها العمالقة الجبابرة، وفكروا في الرجوع إلى مصر، ورفضوا الدخول بقولهم: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿22﴾ ﴾[المائدة: 22].

حينئذ تولى أمر إقناعهم على الدخول رجلين من الإثني عشر نقيبا، وهما: **يوشع بن نون، وكالب بن يوقنا (وقيل يوفنا، أو ابن قانيا)** ، وكانا صالحين، فذكَّرُوا القوم بالله وخوفوهم من عذابه، وشجعوهم على الدخول وفتحوا لهم أبواب التفاؤل، وأثبتوا لهم أن النصر سيكون حليفهم: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿23﴾ ﴾[المائدة: 23].

ولكن القوم أصروا على العصيان، وأفرطوا في سوء الأدب مع نبيهم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿24﴾ ﴾[المائدة: 24].

وقد تأدب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم بدر وتذكروا هذا الموقف المتخاذل من بني إسرائيل، فسجلوا موقفا شجاعا كان سبيلا إلى النصر مثلما إعتقد رجلا بني إسرائيل في نصيحتهما المرفوضة، فقال المقداد بن عمرو يوم بدر:

" يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: **(اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)** ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك

بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (موضع باليمن) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له به.

رجلين يقتتلان

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴿15﴾ ﴾[القصص: 15].

عندما بلغ موسى عليه السلام أشده واستوى، كان يركب مراكب فرعون، ويلبس ملابسهم، حتى صار يعرف بموسى بن فرعون، وكان يمنع كثيرا من الظلم والسخرة عن قومه بني إسرائيل، وكل ذلك بسبب الرضاعة في إعتقاد الناس، وذات يوم سبقه فرعون إلى مدينة منف، فلحق به موسى، وكان وصوله إليها في منتصف النهار، وهي خالية من المارة لأنها أغلقت أسواقها، وأخلد كثير من أهلها إلى النوم في وقت القيلولة: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴿15﴾[القصص: 15]. ولكن موسى لمح في ناحية المدينة رجلين يقتتلان: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴿15﴾ ﴾[القصص: 15]. أحدهما من بني إسرائيل (من شيعته) يدعى **السامري**، والثاني من الأقباط من قوم فرعون (من عدوه) يدعى **فاتون** وكان خبازًا لفرعون، وقد إشترى حطبا للمطبخ وأجبر السامري على حمل الحطب إلى قصر فرعون، فامتنع السامري وأستغاث بموسى، فقال موسى للقبطي دعه، فرفض، وقال لموسى: إنما آخذه في عمل أبيك، وَأَبَى أن يخلي سبيله، فغضب موسى وخلص السامري بالقوة وأثناء التخليص إضطر إلى دفع الخباز بيده فمات وهو لا يقصد قتله: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿15﴾ ﴾[القصص: 15].

وروى **مسلم** عن سالم بن عبد الله أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الفتنة تجيء من هاهنا وأومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان ـ وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ ﴿40﴾ ﴾[طه: 40]. وندم موسى على فعلته وأحس بغواية الشيطان الذي هيج غضبه، ثم استغفر ربه، فغفر له: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿16﴾ ﴾[القصص: 16].

وبعد قتله لم يعلم به أحد إلا السامري، ووصل الخبر إلى فرعون وبدأ البحث عن قاتل الخباز، وكان موسى خائفا وهو في المدينة يترقب الأخبار: ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: 18].
وحدث أمر في اليوم الموالي حينما تخاصم السامري مع أحد الأقباط وأستنجد عليه بموسى، فلما تدخل موسى ظن السامري أنه يريد أن يبطش به، وهو يريد دفع القبطي، ولكن موسى وجه له اللوم، ووصفه بالغواية والضلال، لأنه ورطه بالأمس القريب في قتل الخباز: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ [القصص: 18].
ففر السامري وظن أن موسى يريد قتله، فقال له إنك تريد أن تكون جبارا في الأرض وتقتلني كما قتلت رجلا بالأمس: ﴿ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [القصص: 19].
فاخبر القبطي فرعون بالأمر فانكشف فعل موسى، وصار مهددا بالعقوبة فخرج هاربا إلى أرض مدين: ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: 21].

المـــرتـــد

﴿ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: 217].
المرتد: هو المسلم العاقل الذي يرجع عن إسلامه إلى الكفر باختياره دون إكراه، فيكون مصيره الخلود في جهنم، وبين القرآن أن المرتد لا يُؤَثرُ على الدين، لأن الله يُعوضهُ بقوم آخرين من الصادقين الذين يتفانون في الجهاد ونصرة الدين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 54].
وعقوبته في الدنيا هي القتل إذا شرح بالكفر صدرا، واطمأن قلبه للملة الجديدة: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: 106]. ولا يقتل المرتد إلا بعد أن يراجع ويستتاب، فإن أصر قتل حدًا مثلما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فعن جابر رضي الله عنه، أن امرأة يقال لها أم مروان إرتدت فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعرض عليها الإسلام،

فإن تابت، وإلا قتلت. فأبت أن تسلم، فقتلت. أخرجه **الدارقطني والبيهقي**. وقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم القاعدة في ذلك فقال: " **من بدل دينه فاقتلوه**" رواه **البخاري ومسلم**.

أصحاب الرس

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿12﴾ ﴾[ق: 12].

حدث خلاف كبير في بيان شأنهم، وأرضهم، وصفتهم، ولكن القرآن بين أنهم من المكذبين بالحق، ويمكن عرض ما ذكره المفسرون في شأنهم:

* **الرس:** معناها في اللغة: البئر القديمة المطوية بالحجارة، وقيل أنها بئر كانت لقبيلة ثمود، وأن اصحاب البئر القوا فيها النبي المرسل اليهم، فنسبوا اليها. وقيل هي بئر في انطاكية قتل فيها مؤمن آل: " يس" المعروف بحبيب النجار، فنسبوا إليها.

وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر يقعدون عليها وأصحاب مواشي، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم شعيبا فكذبوه وآذوه، وتمادوا على كفرهم وطغيانهم، فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت بهم وبديارهم، فخسف الله بهم فهلكوا جميعا. وقيل هي واد أو بئر في أذربجان، قال ابن عباس: هم قوم بأذربجان قتلوا أنبياء فجفت أشجارهم وزروعهم فماتوا جوعا وعطشا.

***أهل قرية**: من قرى ثمود، أوهي ديار لطائفة من ثمود. ولعلهم استندوا إلى ذكرها في الآيات المتتالية مع ذكر ثمود: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿38﴾ ﴾[الفرقان: 38].

وقيل هي قرية باليمامة يقال لها: فلج. وقيل هم أصحاب الأخدود، ولكن أصحاب الأخدود ماتوا على الإيمان.

رفاعة بن زيد اليهودي

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤ ﴾ [النساء: 44].

وهو رفاعة بن زيد بن التابوت من يهود المدينة وعظمائهم، وكان إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوَّى لسانه، وقال: أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام وعابه. فأنزل الله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤ ﴾ [النساء: 44].

وقد أفاضت الآيات الباقية في أخلاق اليهود السيئة، التي يعتبر رفاعة بن زيد مثالا نزلت فيه الآيات، ولكن أخلاقهم بقيت على حالها في مستقبل الأيام، وبقية الآيات هي: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦ ﴾ [النساء: 46].

رفاعة بن عبد المنذر (أبو لبابة)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾ [الأنفال: 27].

هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو الأوسي الأنصاري، وقيل اسمه بشير، وكنيته: أبو لبابة. وكان نقيبا عن الأوس في بيعة العقبة الثانية، وسار مع النبي إلى غزوة بدر، ولكن لما وصل الجيش إلى الروحاء رده النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستخلفه عليها، وضرب له بسهم من غنائم العزوة. كما استخلفه على المدينة أيضا عند خروجه إلى غزوة السويق بعد بدر بشهرين. كما شهد أبو لبابة غزوة احد وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح. ولما حاصر رسول الله يهود بني قريظة وطال الحصار إلى **25 ليلة**، ارسلوا إلى رسول الله ليبعث لهم أبولبابة ليستشيروه في أمرهم. وكان أبو لبابة حليفاً لبني قريظة، وكانت أمواله وولده في منطقتهم، وكانوا يعتقدون فيه النصح والإخلاص، والشفقة عليهم.

وعندما دخل أبو لبابة على بني قريظة، قام إليه الرجال، وأجهش النساء والصبيان في وجهه بالبكاء، فرق لحالهم. فقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح.

قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق إلى المسجد وربط نفسه في عمود من أعمدة المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا، ولا أبرح مكاني هذا حتى أموت، أو يتوب الله عليَّ مما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا يُرى في بلد خان فيه الله ورسوله أبداً، وكانت آية الأنفال تعنيه، وقيل نزلت فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾[الأنفال: 27].

فلما بلغ رسول الله خبره، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. وكانت زوجته تحله لحاجة الإنسان، ووقت الصلاة، ومكث على تلك الحال عدة أيام (قيل بضعة عشر ليلة وقيل ثمانية أيام) ، والراجح أنها سبعة أيام لأنه كان لا يذوق الطعام، حتى خر مغشياً عليه، وتاب الله عليه في اليوم السابع، فعندما كان رسول الله في بيت أم سلمة في وقت السحر، سمعته يضحك، فقالت: مما تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك. قال: **تِيبَ على أبي لبابة.** فقالت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت ـ فقامت على باب حجرتها ـ وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ـ فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. فثار الناس إليه ليطلقوه. فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.

فقال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال رسول الله: **يجزيك الثلث أن تتصدق به.** واستمرت حياة رفاعة بن عبد المنذر في رحاب الإسلام، وعاش دهرًا بعد النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت وفاته في خلافة علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين.

الـرقـيـم

﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ ﴾[الكهف: 9].

اختلف العلماء في الرقيم على عدة أقوال تدور كلها حول الكهف وأصحابه، ومن المعاني الواردة:

* **القرية أو الوادي:** قال كعب: الرقيم القرية التي خرجوا منها، وقال ابن عباس: الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين، وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف. وعليه فالرقيم بهذا المعني هو وصف لمكان كهفهم، وموقع بلدتهم.

* **الجبل أو الصخرة:** قيل الرقيم هو اسم الجبل الذي به الغار أو الكهف ويدعى " جبل بنجلوس"، والصخرة التي كانت عليه. قال السدي: الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف.

* **الكتاب أو اللوح:** قيل الرقيم هو الكتاب الذي يحمل اسماءهم ووضع على باب الكهف الذي عثر عليهم فيه، وقيل: إن مؤمنين كانا في بيت الملك فكتبا شأن الفتية وأسماؤهم وأنسابهم في لوح من رصاص ثم جعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان. وقيل الرقيم لوح من حجارة أو رصاص أو نحاس كتبت فيه أسماءهم وقصتهم كاملة وأنسابهم ودينهم وممن هربوا، ثم جعلوا اللوح في صندوق وضع على باب الكهف. والمشهور من تلك الأقوال؛ أن الرقيم هو اللوح الذي فيه أخبارهم.

الرهبان

﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (31) ﴾ [التوبة: 31].

الرهبان: جمع راهب ورهابين، وهي كلمة مشتقة من الرهبة والخوف من الله تعالى، وصارت صفة للعباد من النصارى الذين حملهم خوف الله على اخلاص النية والتفرغ للعبادة، وشددوا على أنفسهم وتحملوا المشقات في حياتهم، مثل التقلل من المأكل والزهد في الألبسة، والإمتناع عن الزواج، والسكن في الكهوف والصوامع والأديرة المنقطعة في الصحراء، وكان من دوافعها تغير أحوال الناس، ومن بقي منهم تبتلوا وترهبوا، وعرفت حياتهم بالرهبانية، وهي ابتداع في الدين أحدثوه من تلقاء أنفسهم لإرضاء الله في زعمهم: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ (27) ﴾ [الحديد: 27]. وانقسموا إلى طائفتين، إحداهما عرفوا الحق وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم عند الله أجر عظيم، بينما أصرت الطائفة الأخرى على الضلال: ﴿ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ (27) ﴾ [الحديد: 27].

والإسلام جعل الرهبانية في التعامل مع الناس والجهاد في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم: " **لكل أمة رهبانية، ورهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله**". رواه أحمد.

وقد نصب الرهبان أنفسهم آلهة فاستحلوا الحرام، وحرموا الحلال واتبعوا أهواءهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (34) ﴾ [التوبة: 34]. وكانوا يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب يفرضونها عليهم باسم الكنائس،

ويوهمونهم أن تلك النفقة من الدين وفيها قربة لله، ولكن الرهبان يمنعوها عن الناس، ويكنزوها لأنفسهم، مثلما ذكر ابن إسحاق في قصة سلمان عن الراهب الذي كان يخدمه في بلاد الشام، يقول سلمان: "... فدخلت عنده وجعلت أخدمه. ثم ما لبثت أن عرفت أن الرجل رجل سوء، فقد كان يأمر أتباعه بالصدقة ويرغبهم بثوابها، فإذا أعطوه منها شيئا لينفقه في سبيل الله، اكتنزه لنفسه ولم يعط الفقراء والمساكين منه شيئًا، حتى جمع سبع قلال من الذهب... " والآيات القرآنية تحذر علماء السوء وعباد الضلال، قال سفيان بن عيينة: " **من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى".**

الـرهــط

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ ﴾[هود: 91].

*****رهط الرجل:** هم عشيرته وقومه الذين يتقوى بهم، مثلما قال قوم شعيب: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ ﴾[هود: 91]. فوبخهم شعيب، وقال: أتتركوني من أجل قومي، ولا تتبعوني خوفا من الله. قال ابن عباس: إن قوم شعيب ورهطه كانوا أعزَّ عليهم من الله، وصغُر شأنُ الله عندهم، عزَّ ربنا وجل ثناؤه".

*****والرهط** هم الجماعة، والجمع أرهط وأراهط، كما قيل:

يـا بؤس للحرب التي * وضعت أراهـط فاستراحوا

ومنهم الرجال التسعة من قوم صالح الذين تآمروا عليه وقتلوا الناقة: ﴿ وَكَانَ فِي اِ۬لْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي اِ۬لْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝٤٨ ﴾[النمل: 48].

الــروم

﴿ أَلٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ اِ۬لرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى اَ۬لْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ اِ۬لْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٖ يَفْرَحُ اُ۬لْمُؤْمِنُونَ ۝٤ ﴾[الروم: 1-4].

ظلت الدولة الرومانية محتفظة بوحدتها وقوتها إلى سنة **395**م، حينما انقسمت على نفسها إلى مملكتين مستقلتين هما:

- **المملكة الغربية (مملكة الرومان)** وعاصمتها روما، ويطلق العرب على سكانها اسم **"الرومان".**

ـ **المملكة الشرقية (مملكة الروم البيزنطيون)** وعاصمتها **بيزنطة** (القسطنطينية فيما بعد) ، ويتكون سكانها من خليط يضم الرومان والاغريق واللاتين وهم **الافرنج** ويطلق عليهم العرب جميعا اسم " **الروم** ".
وكانت الدولة البيزنطية تسيطر على بلاد الشام ومصر وشمالي افريقيا.
وبلغت دولة الروم إلى مستوى من القوة لا ينافسها في زمنها إلا دولة الفرس، وحدث صراع حربي بين الدولتين وخاصة في بلاد الشام.
فقد هاجم الفرس بلاد الشام ما بين سنة (**611 ـ 614م**) ، وانتهت المعارك باحتلال كسرى الثاني أبرويز (**590 ــ 628 م**) مدينة دمشق والقدس سنة **614م**، وهي التي عناها القرآن بقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾[الروم: 2-3].
وحينئذ استبشر المشركون في مكة ووجدوا فرصة للنيل من المسلمين لأن الفرس عبدة النار ينتصرون على الروم وهم أهل كتاب وأتباع الديانة النصرانية، وكان قصدهم أن الكفر انتصر على الإيمان. ولكن القرآن نزل يبشر المؤمنين بنصر أهل الكتاب في بضع سنين، ويومئذ يفرح المؤمنون بذلك النصر، لأنه انتصار أتباع الدين على أهل الشرك من الفرس: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾[الروم: 1-4].
وقد روى **ابن جرير** ـ باسناده ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم. فلما نزلت:
﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ۝٤﴾[الروم: 1-4]. قالوا: يا أبا بكر: إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين. قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ (أي نراهنك، وكان ذلك قبل تحريم الرهان) فبايعوه على أربع قلائص (أي من الإبل) إلى سبع سنين ـ فمضت السبع ولم يكن شيء ـ ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين؛ فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ما بضع سنين عندكم؟ " قالوا: دون العشر. قال: " اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل ". قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس. ففرح المؤمنون بذلك.
وتولى حرب الفرس ملك الروم **هرقل الأول (610 ـ 641م)** ، ودامت الحرب ما بين (**622 ـ 629م**) ، وانتهت بقهر الفرس واحتلال مدينة تبريز الفارسية في شمال غربي إيران، واسترداد بلاد الشام وانتصر

على الفرس بفلسطين في سنة **624**م **(2 هـ)** ، مثلما حدد النبي صلى الله عليه وسلم، وحدث ذلك بعد عشر سنين، وتزامن ذلك النصر مع انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى، فكانت الفرحة كبيرة: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)﴾[الروم: 4-5].

الــريــع

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) ﴾[الشعراء: 128].

الريع: هو الموضع المرتفع على الأرض المقابل للطريق، وكان قوم عاد قد بنوا فوق المرتفعات بنيانًا شامخًا واتخذوه معالم للتفاخر والتطاول على الناس وإبراز القوة، وكان غرضهم من إقامته هو العبث: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) ﴾[الشعراء: 128]. والذي عبر عنه القرآن باللهو واللعب، لأن المباني العالية تتخذ ـ في الغالب ـ لمنافع البشر مثل: إرشاد المارة وتحديد الاتجاهات وغيرها. وقد أنكر عليهم نبيهم هذا الصنيع لأنه عمل عديم النفع، فيه غرور وتجبر وطغيان.

﴿ حرف الزاي ﴾

الـــزبـــر

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: 184].

الزبر: جمع زبور، وهو الكتاب من الزَّبر وهو الكتابة، والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب كالركوب بمعنى المركوب. قال الزجاج: الزبور كل كتاب ذي حكمة. وذكر في القرآن الكريم في آيات عديدة، ويمكن تقسيم موادها إلى ثلاثة أقسام هي:

1) **الكتب السماوية:** أطلق لفظ الزبر، وكان المقصود بها الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم، قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[آل عمران: 184]. فمعنى الزبر: هي الكتب السماوية المملوءة بالحكم والمواعظ، والكتاب المنير هو الكتاب الواضح كالتوراة والإنجيل. وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾[فاطر: 25]. وقال تعالى عن الكتب المقدسة التي أرسل بها الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل: 43-44]. وقال الله لكفار قريش: هل لكم براءة من العذاب في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾[القمر: 43].

وقال عن القرآن أنه مذكور في كتب الأنبياء السابقين: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[الشعراء: 192-196].

2) **كتاب الزبور:** وهو الكتاب المقدس الذي أنزله الله على نبي الله داود، ويشتمل على الحكمة وفصل الخطاب: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[النساء: 163]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: 55]. قال القرطبي: كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حُكم من

الأحكام وإنما هي حكم ومواعظ. ومن الأمور الثابتة والمقررة في زابور داود، أن الأرض يرثها أهل الصلاح:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿105﴾ ﴾[الأنبياء: 105].

3) **كتب الحفظة:** فكل ما فعلته الأمم المكذبة من خير أو شر، مكتوب عليهم ومسجل بدقة في كتب الحفظة التي بأيدي الملائكة. ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿52﴾ ﴾[القمر: 52]. قال ابن زيد في قوله: (في الزبر): أي في دواوين الحفظة.

الزبير بن العوام

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿65﴾ ﴾[النساء: 65].

هوالزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ويجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي، وأمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، عمَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنيته أبو عبد الله، وكنيته عند أمه أبو الطاهر، وهي كنية أخيها الزبير بن عبد المطلب. وهو أحد السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام في مكة، وكان عمره يوم إسلامه خمس عشرة سنة، ولقي عذابا شديدا من عمه، الذي كان يلفه في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول له: " اكفر برب محمد ادرأ عنك العذاب". فيجيبه الزبير الصابر المحتسب: لا... والله، لا أعود للكفر أبداً. وقد هاجر إلى الحبشة، الهجرتين، الأولى والثانية، وشهد مع رسول الله المشاهد كلها، ولم يتخلف عن قتال أبدًا. وكان شديد المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد بادله محبة أعظم منها عندما قال عليه الصلاة والسلام: " **إن لكل نبي حَوَارِيـًا، وحواريِّ الزبير بن العوام** ". وسبب حب الني له لأنه كان وفيا شجاعا سخيا، لا يبخل ويجود بماله ونفسه في سبيل الله، حتى قال فيه حسان بن ثابت:

أقـام على عهد النبي وهديه * حَوَارِيُّه والقول بالفعل يعدلُ
أقـام على منهاجه وطريقه * يوالي وليَّ الحق، والحق أعدلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذي * يصول، إذا ما كان يوم مُحَجَّل
له من رسول الله قـربى قريـبة * ومن نصرة الإسلام مجد مُؤَثّلُ
فكم كربة ذَبَّ الزَّبير بسيفه * عن المصطفى، والله يُعطي ويُجزل

وذات يوم كان الزبير يسقي حرثه، فحدثت خصومة بينه وبين رجل من الأنصار (قيل هو حاطب بن أبي بلتعة، وقيل هو ثعلبة بن حاطب) في شراج الحرة (وهو الماء المتدفق السائل فوق أرض المدينة)

ووصل الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم، فأعطى الحق للزبير وقال له: **"اسق يا زبير، ثم ارسل الماء إلى جارك".** فقال الأنصاري: يا رسول الله، إن كان ابن عمَّتك، فغضب صلى الله عليه وسلم وتلون وجههُ ثم قال: " اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْرَ (أي يشرب الزرع) ثم أرسل الماء إلى جارك"، واستوعب للزبير حقه. وكان النبي قد أشار عليهما بأمر لهما فيه سعه. قال الزبير: فما أحسب هذه الآية الا نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿65﴾ ﴾[النساء: 65].

وكان الزبيرمتعلقا بالله تعالى، متوكلا عليه في كل حياته، وقد أوصى ولده عبد الله قبل موته بقضاء ديونه وقال له: " إذا أعجزك دين، فاستعن بمولاي".. وسأله عبد الله: أيُّ مولى تعني..؟ فأجابه: " **الله.. نعم المولى ونعم النصير".** يقول عبد الله فيما بعد: " فوالله ما وقعت في كُربة من دَينه إلا قلت: يا مَولَى الزبير اقْض دينه، فيقضيه".. وفي يوم وقعة الجمل، انسحب الزبير الى بيته معتزلا الفتنة، فغافله الشقي عمرو بن جرموز وهو نائم في داره فقتله غيلة وغدرا، وكان ذلك سنة**36هـ**، عن عمر يناهز **67سنة**، فمات شهيدا، وهنيئا له الجنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بها في حياته.

زكرياء عليه السلام

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿1﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿2﴾ ﴾[مريم: 1-2].

ـ **نسبه:** وهو نبي الله زكرياء بن برخيا (أو ابن دان، أو ابن لدن) ابن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن إينامن بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام.

ـ **عبادته وعمله:** عاش زكريا بين الدعوة إلى الله، والعمل للدين، والسعي لعمارة الأرض:

* **فقد قضى عمره كله في الدعوة إلى الله،** وخدمة الهيكل المقدس في القدس الشريف، وكان رأس الأحبار، ونبيهم، وكان يخشى على بني إسرائيل من بعده أن يتولى أمر الرياسة فيهم من يضيعون الشريعة. ولما رأى بوادر الضلال في قومه، تمنى أن يرزقه الله ولدا صالحا يتحمل أعباء الدعوة من بعده، ولكن أمنيته اصطدمت بكبر سنه، وعقم زوجته، ولكن إيمانه بالله جعل الأمل يتجدد مع الزمن، والرغبة في الولد تتواصل، والأمنية تملأ قلب الوالد المحروم، لأن اعتقاده في قدرة الله كبيرة، ويقينه ثابت أن الله على كل شيء قدير.

* **اتخاذه المحراب ملاذا لعبادة الله**، وتمثلت عبادته، في كثرة الصلاة والدعاء، وكثرة اللجوء إلى الله بالتضرع وهو يسأله من فضله الكبير أن يهبه الولد الصالح الذي يصلح الله به القوم والأرض.
* **وكان سعيه في الأرض متواصلا**، فكان يعمل نجاراً، ويأكل من كسب يده رزقا حلالا طيبا، قال صلى الله عليه وسلم " **كان زكرياء نجارا** " رواه **مسلم**.
ـ **كفالة زكرياء لمريم وأثر ذلك على حياته:** ولما ولدت مريم ابنة عمران، أخذتها أمها لخدمة المعبد، وهي صغيرة، ووضعتها عند الأحبار في بيت المقدس، فتنافسوا في كفالتها، ثم اقترعوا عليها، بعد انطلاقهم إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم ـ التي يكتبون بها التوراة ـ في الماء فارتفع قلم زكرياء في الماء، ورسبت أقلامهم وانحدرت إلى الأسفل: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿44﴾ ﴾[آل عمران: 44].
حينئذ كفلها زكرياء، وكان زوجًا لخالتها " إيشاع بنت فاقوذ " فلما أتمت الرضاع وكبرت بنى لها محرابا في المعبد، وكان يدخل عليها يوميا بطعامها وشرابها، ثم يغلق عليها الغرفة فلا يأتيها أحد من الناس، ولكنه عندما يأتي إليها في اليوم الموالي يجد عندها فاكهة في غير أوانها، وهو رزق من الله: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ ﴾ فيسألها: يا مريم من أين لك هذا الرزق؟ ﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ ﴾ فتجيبه مريم بأنه من عند الله الرزاق الوهاب: ﴿ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿37﴾ ﴾[آل عمران: 37].
ـ **زكرياء يسأل ربه ولدا:** وكان الحادث السابق دافعا قويا لزكرياء، فقام من الليل، فدعا ربه، وناداه في سره، وناجاه بخشوع وتضرع فقال: يا رب يا رب، يا رب، فقال الله لبيك لبيك لبيك، فقال زكريا: يا رب لقد كبرت وصرت شيخا، وهذا عظمي قد ضعف، وهذا رأسي قد شاب، وكنت بدعائك سعيدا في حياتي، وإني شديد الطمع في رزقك، فهب لي يا مولاي ولداً. ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿2﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿3﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿4﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿5﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿6﴾ ﴾[مريم: 2-6].
ثم قال: يا رب إني لا أسألك الولد رغبة في الدنيا، أو رغبة في النسل، ولكني أخاف على حال الدعوة من بعدي، لأن أقاربي لا أطمئن إليهم بسبب فسادهم، وعلى الرغم من أن امرأتي عاقر، فإنك يا مولاي

قادر على أن تهبني ولداً يرثني في العلم والدين، ويقيم العدل بين الناس، ويرث من آل يعقوب ويكون عندك يا رب من المقبولين.

فاستجاب الله دعاءه وجاءته البشارة من ربه، فناداه جبريل وهو قائم يصلي في المحراب وبشره بيحي، وأخبره عن حاله: أنه سيكون سيدا في قومه، وعفيفا زاهدا، ومؤمنا بعيسى نبي الله، ويكون مثله نبيا من الصالحين: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (39) ﴾[آل عمران: 39].

ولكنه حار في أمره، وقال يا رب كيف يكون لي ولد في هذه السن المتقدمة (كان عمره **120 سنة**) وزوجته جمعت بين العقر والكبر (**98 سنة**) ، ولكن الله ذكره بأنه خلقه من قبل ولم يكن شيئًا، ولكن الله يقول للشيء كن فيكون: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (9) ﴾[مريم: 8-9].

فسأل ربه أن يجعل له علامة تدله على حمل امرأته، فجعل الله العلامة في عجزه عن الكلام لمدة ثلاثة أيام من دون علة، لأن لسانه يكون يومئذ منشغلا بالذكر شكرا لله على نعمته: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ (41) ﴾[آل عمران: 41]. فخرج من محراب صلاته على تلك الصفة، وأشار إلى قومه، آمراً لهم بالذكر والتسبيح في أول النهار وآخره شكرا لله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) ﴾[مريم: 11]. وولد يحي عليه السلام وعاش حياة كريمة مع والده زكريا، وقتل ظلما وعدوانا، ولحق به والده زكرياء.

ـ **وفاة زكرياء عليه السلام:** واختلف في كيفية موته، فقيل مات موتا طبيعيا، وقيل قتل في الحادث الذي قتل فيه يحي في بيت المقدس.

وعاش زكرياء في الفترة ما بين (**100 ق م ـ 30 م**) وكان عمره يوم موته نحو **120 سنة**. والجدير بالذكر أن لزكرياء مقاما بالجامع الكبير في مدينة حلب.

زوجة زكرياء

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ ﴿90﴾ ﴾[الأنبياء: 90].

وهي **إيشاع** (أو **اليصابات**عند أهل الكتاب) بنت فاقوذ زوجة نبي الله زكرياء بن برخيا وأم يحي بن زكرياء، ولها أخت تدعى حنة بنت فاقوذ هي زوجة عمران بن ماثان وأم مريم العذراء. وكانت زوجة زكرياء قد بلغت سن اليأس ولم تلد، وصارت عاقرا: ﴿ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿8﴾ ﴾[مريم: 8].

ولما كفل زكرياء مريم وهي صغيرة، ضَمَّهَا إلى خالتها " إيشاع " واسترضع لها، ولما رأى الكرامات الإلهية في محراب مريم، سألها عن المصدر والكيفية، فأجابته مؤكدة على قدرة الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿37﴾ ﴾[آل عمران: 37]. حينئذ دعا زكرياء ربه وسأله الولد، فاستجاب الله دعاءه فولدت زوجته يحي ولها من العمر نحو **ثمان وتسعين عاما**. وقيل أن يحي صدَّقَ بعيسى وكلاهما ما زال في بطن أمه، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿39﴾ ﴾[آل عمران: 39]. وهذا التصديق ذكرته الأخبار في حوار تم بين مريم وخالتها.

قيل إن يحي أول من آمن بعيسى وصدقه، وذلك أن أمه (أي إيشاع) وهي حامل به، لقيت مريم وهي حامل بعيسى، فقالت لها أم يحي: يا مريم أحامل أنت؟ فقالت مريم: لماذا تقولين هذا؟ قالت أم يحي: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك تصديق يحي بعيسى وإيمانه به، وكان يحي قد ولد قبل عيسى بستة أشهر. وقد أنعم الله على زكرياء وزوجته الطاهرة فعمهم الخير، فأنجبت الزوجة بعد عقم، ورزقت الولد بعد طول زمان، وكانت نعم الزوجة الصالحة: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿90﴾ ﴾ [الأنبياء: 90].

المزمل

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ [المزمل: 1-2].

المزمل: هو كل متلفف بثيابه، ويقال عند العرب: تزمل بثوبه، أي التف به وتغطى، وصار اللفظ في القرآن وصفا لطيفاً للنبي صلى الله عليه وسلم. فقد روي في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل ـ في غار حراء ـ بالوحي لأول مرة، رجع إلى خديجة وهو يرتجف. قالت عائشة رضي الله عنها: "... فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: **زملوني زملوني،** فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: مالي، وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: **كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.** فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ـ وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي ـ فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى... " رواه **البخاري.** وقد كلفه الله بأمرين أساسيين:

أولا: الإعداد التربوي: كلف النبي صلى الله عليه وسلم بإعداد نفسه وأتباعه، إعدادا تربوياً، باستغلال وقت الليل بالعبادة: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾ [المزمل: 6]. وحددت المواد التربوية:

ـ **قيام الليل:** ويكون بساعات مختلفة لا تقل عن ثلث الليل، ولا تزيد على الثلثين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ۝٤ ﴾ [المزمل: 1-4].

ـ **ترتيل القرآن:** ويكون ذلك أثناء القيام، وبعده، لأنه يعين على الفهم والتدبر: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: 4]. وقد أنزل عليه هذا الكتاب، وهو ذو عظمة وجلال، لأنه كلام الله: ﴿ سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل: 5].

ـ **الذكر المتبتل:** ويكون عونا له في ساعات الليل والنهار، على أعباء الدعوة، وذكرُه لله يخفف عنه جواذب الدنيا، ويسهل له الإقبال على الله: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ ﴾ [المزمل: 8].

ثانيا: الدعوة إلى الله: باستغلال ساعات النهار المديدة وهداية الناس إلى الحق المبين: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ ﴾[المزمل: 7]. وعليه أن يتحمل تبعات الطريق، وحدد له العناصر التالية:

ـ **التوكل على الله:** لأن الله هو المتصرف في كونه الفسيح، والمطلوب من المؤمن أن يلجأ اليه، ويتوكل عليه في كل شئونه: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: 9].

ـ **الصبر على أذى المشركين:** وأمره أن يدفع الأذى والإستهزاء والسخرية وسائر الأقوال السيئة بالصبر والتحمل: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ١٠﴾ [المزمل: 10].

ـــ **الهجر الجميل للمكذبين:** وهو هجر لا يقطع الصلة مرة واحدة، بل يترك حبلا من العلاقة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل: 10].

وحتى يتفرغ لأمر الدعوة تكفل الله بعذاب المشركين، وعقاب المكذبين، وطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾ [المزمل: 11-13].

زنـيـرة الرومية

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ١١﴾[الاحقاف: 11].

زنيرة: كانت مولاة لبني عبد الدار (وقيل مولاة لبني مخزوم) وكانت من أوائل الذين اسلموا فنالها العذاب الشديد على يد الطاغية أبي جهل حتى فقدت بصرها، وقيل فقدته بعد عتقها من طرف أبي بكر الصديق، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما، فقالت زنيرة: وما يدري اللات والعزى من يعبدهما؟ إنما هذا أمر من السماء وربي قادر على رد بصري. فأصبحت من الغد وقد رد الله عز وجل بصرها. فقالت قريش: هذا من سحر محمد. وقيل كانت أمة لعمر بن الخطاب، واسلمت قبله، وكان عمر يضربها على اسلامها حتى يتعب. ولما رأى أبو بكر ما ينالها من العذاب اشتراها فأعتقها، وهي أحد السبعة الذين أعتقهم أبو بكر.

وكان كفار قريش يقولون تندراً بالإسلام: لو كان خيرا لما سبقتنا إليه زِنّيرَة ؛ فأنزل الله في شأنها: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾[الأحقاف: 11].

زيــد بن أرقــم

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: 1].

ـــ **نسبه:** هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري. **وكنيته:** أبو عمرو، وقيل أبو عامر، كان يتيما في حجر ابن رواحة، وكان رديفه على حقيبة رحله في غزوة مؤتة، وقد شهد زيد بن أرقم المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة المريسيع، ومؤتة وغيرها.

روى **الشيخان والترمذي**، عن زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكان معنا ناس من الأعراب ـ وكنا نبدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا إليه، فيسبق الأعرابي أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة، ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه الأعرابي، فانتزع حجرا فغاض الماء؛ فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى الأنصاري عبد الله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه - فغضب عبد الله بن أبي ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ـ يعني الأعراب ـ وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام؛ فقال عبد الله: إذا انفضوا من عند محمد فأتوا بالطعام، فليأكل هو ومن عنده. ثم قال لأصحابه: لئن رجعتم إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال زيد: وأنا ردف عمي فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعني عبد الله ابن أبي) فحلف وجحد. قال: فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني ـ قال: فجاء عمي إليَّ فقال: ما أردت إلى أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المسلمون والمنافقون ـ قال: فوقع عليَّ من الغم ما لم يقع على أحد قط؛ قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خففت برأسي من الهم، إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرك أذني وضحك في وجهي؛ فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا. ثم إن أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: ما قال شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي؛ فقال: أبشر. ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر. فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقون: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: 1]. حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون: 7-8]. وهكذا برّأ الله زيد بن الأرقم، فكان من الصادقين. وقد نزل زيد الكوفة وتوفي بها سنة **66هـ.** وقال الواقدي: توفي بالكوفة سنة **ثمان وستين.**

زيد بن حارثة

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴿٣٧﴾﴾[الأحزاب: 37].

هو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في القرآن تصريحا: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴿٣٧﴾ [الأحزاب: 37]. وهو زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى الكلبي الشيباني. كنيته **أبو أسامة**، وكان من السبَّاقِينَ إلى الإسلام.

كانت أمه سعدى في زيارة أهلها من بني معن، فأغارت على الحي إحدى القبائل وكان الصبي"**زيد**" أحد الأسرى، وبحث عنه والده كثيرا فلم يجده، وبكاه طويلا، ومما قال فيه والده:

بكيت على زيد ولم أَدْرِ ما فعل * أحيٌّ فَيُرْجى؟ أم أتى دونه الأجل

فو الله ما أدري، وإني لسائلُ * أغَالكَ بَعْدي السهلُ؟ أم غالك الجبل

وأخذ الأسير إلى سوق عكاظ، فاشتراه رجل يدعى " **حكيم بن حزام** " الذي وهبه بعد ذلك لعمته "خديجة بنت خويلد " رضي الله عنها، فتربى في بيتها، ثم وهبته لزوجها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقه من فوره، ومنحه كل عطف وحنان، وفي أحد مواسم الحج التقى زيد بنفر من قومه فحملهم سلامه لوالديه وأوصاهم قائلا: " أخبروا أبي أني هنا مع أكرم والد".. فقدم والده إلى مكة ليأخذه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوالده حارثة: " **ادعوا زيدا، وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء... وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختارُ على من اختارني فداء**". ولكن زيداً اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذلك عين العقل، وأي مسلم في مكانه لا يبغي عن رسول الله بديلا - فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج به إلى الكعبة ونادى في قريش: " **اشهدوا أن زيدًا ابني.. يرثني وأرثه**" - فصار يعرف " **بزيد بن محمد**"، ولما نزل الوحي كان زيد ثاني المسلمين في بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدمه في الأعمال الجليلة، كما قالت عائشة رضي الله عنها: " ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش إلا أَمَّرَهُ عليهم، ولو بقي حيًّا بعد الرسول لاستخلفه".

وقد زوجه النبي صلى الله عليه وسلم من ابنة عمته " زينب بنت جحش" رضي الله عنها، ولكن الزواج لم يدم طويلا، وانتهى بالفراق لحكمة ربانية، وهي إبطال عادة التبني: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37)﴾[الأحزاب: 37].

فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، واختار لزيد زوجة جديدة هي " أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط"، وحينئذ أخذ المرجفون يخوضون في المدينة، ويقولون: كيف يتزوج " محمد " مطلقة ابنه زيد؟ فأنزل الله القرآن ليفرق بين التبني والبُنوة، والنُّبوة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)﴾[الأحزاب: 40].

ثم أنزل آيات تصحح الوضع القديم، وتبطل عادة التبني، وتأمرهم بإرجاع كل مسلم إلى نسبه الحقيقي: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (5)﴾[الأحزاب: 4-5].

فصار زيد يدعى باسم والده" **زيد بن حارثة**"- وأنجبت له أم كلثوم زيد ومات صغيرا، ورقية - بينما زوجته الأولى كانت بركة (أم أيمن) وتزوجها بعد النبوة، وأنجبت له أسامة وبه كان يكنى.

ولما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال جيش غزوة مؤتة، جعل زيداً القائد الأول للجيش، ولما ودعهم وقف صلى الله عليه وسلم وهو يقول: " **عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد، فجعفر بن أبي طالب.. فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة".**. وقد رزقه الله الشهادة بعد حسن القيادة في مؤتة في **جمادى الأولى في سنة 8هـ.** وكان عمره **55سنة.**

ولما بلغ خبرهم إلى المدينة، ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل زيد يعزيهم، فلما بلغ إلى البيت لاذت به ابنته الصغيرة وهي مجهشة بالبكاء، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انْتَحَبَ (ارتفع صوته بالبكاء) فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: " **هذا بكاء الحبيب على حبيبه** ".

زينب بنت جحش ـ أم المؤمنين ـ

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (36) ﴾ [الأحزاب: 36].

هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر من بني أسد بن خزيمة، وأمها عمة النبي صلى الله عليه وسلم" أميمة بنت عبد المطلب" وكانت تسمى" **برة** ". وكانت امرأة شريفة في قومها وذات نسب وجمال، نخطبها النبي لتكون زوجة لمولاه "زيد بن حارثة" حتى يبطل عادة التمييز بين الناس إلا بالتقوى، فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله لنسبها من قريش، فأنزل الله آية ترجع الجميع إلى اختيار الله ورسوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (36) ﴾ [الأحزاب: 36].

فجاء أخوها عبد الله بن جحش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله مرني بما شئت قال: فزوجها من زيد، فرضي عبد الله وقال: نرضى بما يرضيك يا رسول الله ولا نخالف لك أمراً.. ورضيت زينب، وتزوجت من زيد، ولكن كان في نفسها شيئ، وكانت تثير زوابع في حياته، فصبر في أول الأمر، ثم طفح الكيل فشكا حالها للنبي صلى الله عليه وسلم مرارًا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له: " **أمسك عليك زوجك واتق الله**". فيقول زيد: يا رسول الله أفارقها. فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: " **احبس عليك زوجك.** " ولكن القرآن نزل موافقا رغبة زيد في فراقها: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ (37) ﴾ [الأحزاب: 37]. وذات ليلة كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة فأخذته غشية ثم سري عنه، فتبسم وقال: " من يذهب إلى برة بنت جحش يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء" وتلا الآية: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) ﴾ [الأحزاب: 37].

كانت زينب امرأة قرآنية، لأنها فرحت بهذا الزواج، فلما بشرتها سلمى بذلك سجدت شكرًا لله، وكانت تنوه بهذا الزواج وتذكر فضل الله عليها، وتقول للنبي صلى الله عليه وسلم: " يا رسول الله اني والله ما أنا كأحد نسائك ليست امرأة من نسائك الا زوجها أبوها أو أخوها وأهلها، غيري.. زوجنيك الله من السماء ". ويوم الزواج أولم النبي صلى الله عليه وسلم وليمةً لحمًا وخبزاً وأطعم المساكين، ولكن بقي بعض الصحابة في البيت يتحدثون، وتحرج النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل يخرج ثم يرجع وهم قعود، فأنزل

الله عز وجل فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴿53﴾ ﴾[الأحزاب: 53].

وكانت زينب امرأة صالحة صوامة قوامة، كثيرة التصدق من عمل يديها، فتدبغُ وتخرزُ وتتصدق به في سبيل الله، وشهدت لها بذلك عائشة فقالت: "... وكانت صالحة صوامة قوامة، صنّاعاً تتصدق بذلك على المساكين. " وهذا الذي قصده النبي صلى الله عليه وسلم، عندما قال لزوجاته قبل موته: " **أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا** "ـ تقول عائشة: انهن كن يقمن إلى الحائط ويرفعن يدهن، يتطاولن، ولكن زينب هي أول النساء لحاقًا به، ولم تكن طويلة اليد، فأدركن أنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى بذلها وسخائها وكثرة عطائها ـ وكانت وفاتها رضي الله عنها **سنة 20هـ**، وكان عمرها **53سنة**، وصلى عليها عمر بن الخطاب وشيع جنازتها حتى دفنت في البقيع. وقد نعتتها عائشة رضي الله عنها فقالت: " **لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل** ".

﴿ حرف الطاء ﴾

الطاغوت

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) ﴾ [البقرة: 256].

الطاغوت: أصله في اللغة مأخوذ من الطغيان، ومشتق من فعل طغى؛ ورد في القرآن معبرا عن كل ما يعبد من دون الله، من حجر أو بشر أو شيطان، وكل ما يطغى في الأرض، ويتعدى حدود الله، ويجور على الحق ويتجاوزه، ولا يقيم وزنا للدين. ويطلق على الواحد مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ۖ (60) ﴾ [النساء: 60]. وقد يكون معبرا عن الجمع مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ (257) ﴾ [البقرة: 257]. قال الجوهري: والطاغوت الكاهن والشيطان وكله رأس في الضلال.

- وأهم الآراء في تحديد هذا المصطلح، وفق ما ذكره علماء السلف:

* **ما يعبد من دون الله:** وقد روى ابن وهب عن مالك بن أنس قال: الطاغوت ما عبد من دون الله. قال سبحانه: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) ﴾ [البقرة: 256]. فهو يعبر عن كل ما يعبد من دون الله كالشياطين والأوثان وغيرهم. وذكر تعالى، أن الشياطين زينوا لبني آدم طرق الضلال، وابعدوهم عن نور الإيمان فكانوا لهم أولياء من دون الله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257) ﴾ [البقرة: 257].

وقد وصف اليهود بعبادتهم للطاغوت، وهو ما يخالف طريق الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) ﴾ [النساء: 51]. ولعن الله اليهود لأنهم عبدة الطاغوت فقال: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) ﴾ [المائدة: 60].

والطاغوت عند الكفار هو الباطل، أو ما تزينه الشياطين لهم من ضلال، فيندفعوا لمخالفة المؤمنين، والكيد لعباد الله الصالحين: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿76﴾ ﴾[النساء: 76].

* **أهل الباطل:** وأطلق الطاغوت على المُفرط في الطغيان مثل الكاهن، والكافر الذي يتحاكم إليه المنافقون، مثلما فعلوا مع اليهودي كعب بن الأشرف فقال تعالى فيهم: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿60﴾ ﴾[النساء: 60]. ونزلت الآية في رجل من الأنصار، ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذلك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف. وكل مسلم يتحاكم إلى الضلال فقد خالف الحق، ويكون تحاكمه إلى الطاغوت.

وكانت دعوة الرسل أجمعين، هي الإبتعاد عن الطواغيت بكل أشكالها الوثنية أو البشرية: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿36﴾ ﴾[النحل: 36]. وقد أثنى الله على ثلاثة نفر، وهم زيد بن عمرو، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رضي الله عنهم، لأنهم كانوا في الجاهلية يقولون: "**لا إله إلا الله** ". فبشرهم الله بالفوز العظيم، وأنزل فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿17﴾ ﴾[الزمر: 17].

المطففين

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿1﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿2﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿3﴾ ﴾[المطففين: 1-3].

مفرد الكلمة، **المطفف:** وهو الظالم المعتدي في المعاملات الإقتصادية، ومنه كل متلاعب بالموازين، وهو الذي يغش الناس، ويغير المقاييس، من أجل ربح زائل. وذكر الله من أوصافهم الخسيسة، أنهم عندما يكيلون من الناس، يأخذوا حقهم كاملا، بينما ينقصون في الوزن عندما يكون الكيل لصالح الناس، ومنهم رجل يعرف بأبي جهينة، كان له صاعان يأخذ بأحدهما ويعطي بالآخر، فأنزل الله قرآنا يصحح للناس معاملاتهم، ويدعوهم إلى العدل، وجعل عذاب المطفف، هو الهلاك والدمار، فقال:

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطففين: 1-3].

وقد أهلك الله قوم شعيب بسبب الغش والخداع في الوزن والمكاييل؛ وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، لأنه يجلب للناس الأزمات الإقتصادية، فينتشر الفقر، ويعم الظلم ؛ فقال: (**... وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان**). رواه **أحمد وابن ماجة.**

الطـفـل

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ٥﴾ [الحج: 5].

الطفل: هو الصغير من كل شيء، وجمعه أطفال، ومؤنثه طفلة. وأطلق في القرآن على مرحلة من العمر تمتد من الولادة إلى ما قبل البلوغ، ويمكن تتبع معنى الطفولة عند الولادة، وأثناء الصبا:

* **المولود:** أطلق لفظ الطفل على الجنين (**المولود**) بعد انفصاله من بطن أمه، وخروجه إلى الدنيا في حالة ضعف، ويحتاج إلى رعاية وتربية؛ ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ٥﴾ [الحج: 5].

ثم تبدأ مرحلة الصبا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [غافر: 67].

* **الصبي:** وتستمر مرحلة الصفولة عند الصبي إلى سن البلوغ، وما دام الطفل لا يعرف الشهوة يباح له أن يدخل على النساء في خدورهن: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ ٣١﴾ [النور: 31].

فإذا بلغ الصبي تنتهي عنده مرحلة الطفولة، ويمنع من النظر إلى النساء الأجنبيات، ويؤمر بأدب الإستئذان في بيت أهله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ [النور: 59].

المُطْعمون يوم بدر

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿36﴾ ﴾[الأنفال: 36].
وهم اثنا عشر رجلا تكفلوا باطعام جيش قريش في غزوة بدر، وكان الواحد منهم يطعم في اليوم عشرة جزور. وهم أبو جهل عمرو بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابناء حجاج، وأبو البحتري بن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبد المطلب.

فأنز الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿36﴾ ﴾[الأنفال: 36]. وجعل الله اطعامهم وانفاقهم، حسرة في قلوبهم، فبعضهم أسر، وأما الذين قتلوا فقد باءوا بغضب من الله، وهم إلى جهنم يحشرون، وبئس المصير، وفي الآية عبرة للناس أجمعين.

أبـو طالـب

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿56﴾ ﴾[القصص: 56].
هو إبن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كفله بعد وفاة جده عبد المطلب لما بلغ ثماني سنوات، فانتقل صلى الله عليه وسلم مع حاضنته " بركة " إلى بيت عمه أبي طالب ووجد عند زوجته " **فاطمة بنت أسد** " كل الرعاية والحنان فصارت له بمثابة الأم، في الوقت الذي كان أبوطالب نعم الأب لهذا الطفل المبارك الذي أكرمه الله وآواه في كنف أمين؛ وخلده في كتابه الكريم، وذكره بتلك النعمة فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿6﴾ ﴾[الضحى: 6]. وكان له نعم السند خلال مدة زادت عن الأربعين سنة. وعاش النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عمه معززا مكرما، وكان يفضّلُهُ عن أبنائه ويخصه بعطف وحنان متميز.

وصار لأبي طالب شرف كبير عند كفالته لمحمد ورعايته والدفاع عنه؛ ولما بلغ صلى الله عليه وسلم إثنى عشر سنة، اصطحبه معه في رحلة التجارة إلى بلاد الشام، حتى وصل إلى بصرى - وكانت قصبة (المدينة الكبيرة أو العاصمة) لحوران والبلاد العربية التي يسيطر عليها الروم آنذاك - والتقى بالراهب بحيرا (واسمه **جرجيس**) ، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم بخاتم النبوة، فبشر به عمه أبو طالب، ونصحه بالرجوع بابن أخيه إلى مكة، وحذره من كيد اليهود، فرجع به فوراً.

ولما كان أبو طالب كثير العيال، وصار النبي صلى الله عليه وسلم موسراً بعد زواجه من خديجة، فقام بكفالة ابن عمه علي ابن أبي طالب. ولما شع نور الإسلام، كان عَلي الصغير أول المؤمنين من الغلمان، دون أن يستشير والده أبو طالب؛ وذات يوم رأى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم بمعية علي يصليان في شعاب مكة، فسألهما عن الأمر، فأخبراه بأمر الإسلام، فأمرهما بالثبات.

ولم يسلم أبو طالب، ولكنه كان السند القوي للنبي صلى الله عليه وسلم في حمايته، وصد عنه كيد قريش، فكانوا يأتونه دوما ويطلبون منه أن يمنع ابن أخيه أو يكفه عن التعرض لآلهتهم، وتسفيه أحلامهم، ونقد دينهم؛ ووصل الأمر بقريش إلى تهديد إبي طالب، بالفتك به وبابن أخيه، فاستدعى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا ابن أخي إن قومك جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، فَأبْق عَلَيَّ وَعَلَى نفسك، ولا تحمِّلْني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله أن عمه خاذله، وأنه ضعُف عن نصرته، فقال: " **يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ـ حتى يظهره الله أو أهلك دونه ـ ما تركته** " ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فلما أقبل قال له: " **اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا** " وأنشد أبو طالب:

والله لـن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليــك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
وعرضت دينا لا محالة أنـه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبةً * لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

فكان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يؤمن بالدين الحق، ويخاف المسبة، فأنزل الله فيه: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿26﴾ ﴾[الأنعام: 26]. وحدث ذلك في حدود السنة السادسة من النبوة، ثم جاؤوا إليه بعد ذلك، بعمارة بن الوليد بن المغيرة، ليكون له إبنا، وطلبوا منه أن يسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم مكانه ليفعلوا به ما شاءوا، فقال لهم أبو طالب:

" **والله لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم إبني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدًا...** ". وكان آخر وفد من قريش، التقى بأبي طالب في مرض موته (وهم نحو **25 رجلا**) ، وأرادوا منه أن يأخذ لهم عهدا من النبي صلى الله عليه وسلم - قبل موته - أن يكف عن دينهم، ويكفوا عن دينه. فاستدعاه أبو طالب: فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: أرأيتم إن أعطيتكم كلمة إذا تكلمتم بها، ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم، قالوا وما هي؟ فقال له أبو جهل ـ نعم وأبيك وعشر كلمات ـ قال: تقولون **لا إله إلا الله**، وتخلعون ما تعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن

تجعل الآلهة إلها واحدا؟ إن أمرك لعجب، فنزلت الآيات الأولى من سورة **ص**، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص: 5]. فقالوا: انطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، وهم يقولون: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ ﴾ [ص: 6].

وحضرت أبو طالب الوفاة بعد مرض ألم به، وألح عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ودعاه إلى الإسلام، وقال له: قل لا إله الا الله، أشهد لك يوم القيامة. قال: لولا أن تعيرني نساء قريش، يقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ ﴾ [القصص: 56].

روى **البخاري** عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه الرسول صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياعم، قل: لا إله الاَّ الله كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعاودانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا اله الا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله، لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣ ﴾ [التوبة: 113].

وكانت وفاته في رجب سنة **عشر من النبوة**. فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لوفاته كثيرا، لأنه كان بمثابة والده، وقد مات على الشرك، وعجز عن هدايته إلى الصراط المستقيم، فضلا على أنه كان السند القوي لدعم الدعوة، وحينئذ ازداد كيد قريش، فازداد النبي صلى الله عليه وسلم غما على هم، وهاجر إلى الطائف يبحث عن مجال جديد للدعوة الفتية.

وورد في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: " **هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**". رواه **البخاري**. وفي رواية أخرى له، عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ـ وذكر عنده عمه ـ فقال: " **لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه** ".

طالوت

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة: 247].

ـ **نسبه وصفته:** بعد الهزائم المتكررة التي أصابت بني إسرائيل أمام أعدائهم من الفلسطينيين، طلبوا من نبيهم (شمويل) أن يعين لهم ملكا يقودهم في القتال، فاختار لهم نبيهم " شمويل "، رجلا من عامة الناس، كان يعمل دباغا للجلود، وقيل كان سقاء يعمل على حمار له في جلب الماء من النهر؛ وهو " **طالوت** "، وعند أهل الكتاب هو " شاؤول أو شاول " ونسبه هو: شاول بن قيس (أو قيش) بن أبئيل (أو أفيل) بن صارر (أو صرور) بن بخورت (أو بكورة أو تحورت) بن أفيح بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. فهو من سبط بنيامين، وكانت قبيلة بنيامين يومئذ قد أوشكت على الفناء بسبب الحرب الأهلية الداخلية.

ـ **تولية طالوت الملك:** أخبر النبي شمويل بني إسرائيل بتولية طالوت ملكا عليهم، بأمر من الله: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة: 247]. فاعترضوا عليه لأنه ليس من نسل الملوك (وكان في سبط **يهوذا**) ولا ينتمي إلى نسل الأنبياء (وكان في سبط **لاوى**) وطعنوا في إمارته، وقالوا نحن أحق منه بهذا التعيين، فضلا على أنه فقير الحال، فلا يصلح للحكم وشؤونه: ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ [البقرة: 247].

ولكن شمويل عليه السلام شرح لهم دواعي تعيينه في سدة الملك:

1) الإصطفاء من الله لطالوت، وهو سبحانه يؤتي ملكه من يشاء، فلا يُسأل عما يفعل.

2) توفره على الصفات اللازمة، للحكم والقيادة الحربية، وهي: العلم الواسع، والقوة البدنية:

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 247].

ولكنهم طلبوا آية بينة تدل على الاصطفاء الرباني له؟ فاستجاب الله لطلبهم، وأيد طالوت، وجعل علامة ملكه هي رجوع " **تابوت العهد** " الذي كان عند أعدائهم، وهو صندوق التوراة الذي كان موسى إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ويثبتون في القتال، وحدث ما أخبر به شمويل؛ فأتت الملائكة تحمل التابوت حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون، وحينئذ اعترفوا بملكه، ووافقوا على قيادتهم في المعركة ضد أعدائهم: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ

سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿248﴾ ﴾[البقرة: 248].

ـ **طالوت القائد:** جمع طالوت صفوف قومه واصطفى منهم جيشا معتبراً بلغ عدد أفراده نحو ثمانين ألف مقاتل؛ وخرج بالجيش متجها نحو بيت المقدس، وسار بهم في أرض قفرة فأصابهم العطش والحر الشديد، حينئذ اغتنم الفرصة ليختبر صبرهم على الشهوات، ويعرف مدى استجابتهم للأوامر القيادية، ليصطفي الفئة القادرة على تحمل تبعات الجهاد في سبيل الله، وكانت مادة الاختبار هي عبور نهر الشريعة (الأردن) دون الشرب منه، ولكنه أباح لهم غرفة واحدة لِبل الريق فقط. ولكن غالبية الجند شربوا من النهر وخالفوا أمر قائدهم، وعصوا الله تعالى، فاستحقوا الحرمان من القتال. قال السدي: شرب منه ستة وسبعون ألفاً وبقى معه أربعة آلاف: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ ﴿249﴾ ﴾[البقرة: 249].

ولما جاوزوا النهر ورأوا جيش عدوهم " **جالوت** "، قالوا: لا طاقة لنا في قتال هذا الجيش الكبير، ولكن الأبرار منهم تدخلوا وقالوا لهم مذكرين؛ إن المعركة يخوضها المؤمنون بالتوكل على الله، والله ينصر عباده وإن كانوا قلة، لأن النصر من عنده، وهو يهب نصره للصابرين من أصحاب العزم والثبات. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿249﴾[البقرة: 249]. روى **البخاري في** صحيحه، عن البراء بن عازب قال: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بَدْر على عدة أصحاب طالوت، الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثمائة مؤمن.

ولما بدأت المعركة، تحلى المؤمنون بخلق التوكل على الله، والاستعانة به، والالتجاء إليه، وتضرعوا إليه بثلاث دعوات: سألوه الصبر، والثبات على القتال، والنصر في المعركة: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿250﴾ ﴾[البقرة: 250]. فلما علم الله ثبات جيش طالوت وصدقهم، منحهم نصرا مؤزرا:

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾[البقرة: 251]. وكان طالوت قد وعد من يقتل قائد جيش الفلسطينيين، أن يشاركه في نعمته، ويزوجه ابنته.

لقد وفى طالوت لداود عليه السلام، بعد قتله جالوت، فزوجه ابنته " **ميكال** " وأغناه، وتوالت انتصارات بني إسرائيل على يد " داود "، واشتهر أمره بين الناس، فأحبوه، فخشي طالوت على ملكه من صهره داود، وازدادت الغيرة، حتى فكر في التخلص منه، وتدخل النبي شمويل ونصح طالوت، ولكنه استمر في غيرته، فقاطعه شمويل. وسلم داود وخرج معتزلا تلك الفتنة، وهو يترقب ما تنجلي عنه الأيام.

وخاض طالوت عدة حروب مع أعداء بني إسرائيل في غيبة داود ولكن الهزائم توالت عليه، وانتهت تلك المعارك بموت طالوت مع ثلاثة من أبنائه، وهُزم كل رجاله.

حينئذ صعد داود إلى حبرون " مدينة الخليل "، وَقَدِمَ الرؤساء من سبط يهوذا وبايعوه بالملك على بني إسرائيل؛ أما بقية أسباط بني إسرائيل فدانوا بالطاعة لإبن طالوت ويدعى " **إيشبوشث** "، وقامت حروب بين جنود داود وجنود إيشبوشث، وانتهت تلك المعارك بمقتل نجل طالوت بعد ثلاث سنين، واستتب الملك لداود على بني إسرائيل في فلسطين.

طلحة بن عبيد الله

﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾[الزخرف: 36].

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، ويلتقي نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب، وعرف بأسماء كثيرة، ففي غزوة أحد سمي **طلحة الخير**، وفي ذي العشيرة سمي **طلحة الفياض**، وفي حنين سمي **طلحة الجود**، وسمي أيضا **بطلحة الطلحات**. وكنيته أبو محمد، نسبة لولده محمد الذي يعرف بالسجاد لكثرة عبادته. وأمه هي الصعبة بنت الحضرمي أخت العلاء رضي الله عنهما. اسلم مبكرا على يد أبي بكر الصديق، وقيل في سبب إسلامه؛ أن قريشا قالت: قيِّضُوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلا يأخذه؛ فقيضوا لأبي بكر طلحة، فأتاه وهو في القوم؛ فقال أبوبكر: إلاَمَ تدعوني؟ قال طلحة: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، فقال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا. قال: وما العزى؟ قال: بنات الله. قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة، فلم يجبه. فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل؛ فسكت القوم. فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. فأنزل الله: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾[الزخرف: 36].

فكان الشيطان قرين المشركين، بينما كان قرين طلحة وأبي بكر هو رب العالمين؛ وقد لقيا عذاباشديدا من قريش بسبب إسلامهم، وكان نوفل بن خوليد العدوي يشد طلحة وأبي بكر في حبل واحد، ويعذبهما، ولكن الله ثبتهما، وقد سمي أبو بكر وطلحة **القرينين** منذ تلك الحادثة.

هاجر طلحة إلى المدينة، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي أيوب الأنصاري. وعاش مع النبي صلى الله عليه وسلم، واشتهر بالسخاء والكرم، والبذل والإنفاق، وكان ينفق من ماله ولا يخشى الفقر أبدا، وإذا اجتمع في بيته مالا، يصير مهموما، ولا يرتاح باله حتى يوزعه في سبيل الله.

وكان من المجاهدين في سبيل الله، وقد شهد مع رسول الله كل المشاهد والغزوات، ما عدا غزوة بدر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله في مهمة عسكرية. وكان من المدافعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم أحد، وقد جرح أربعة وعشرين جرحا، وظل ثابتا كالجبل، رغم أن يده أصابها شلل، وكان النبي يدعوا له قائلا: : **اللهم أوجب لطلحة الجنة** ". ولما نزلت الآية الكريمة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿23﴾﴾ [الأحزاب: 23]. تلاها صلى الله عليه وسلم، ثم استقبل على أصحابه وهو يشير إلى طلحة بن عبيد الله قائلا: " **من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض، وقد قضى نحبه، فلينظر إلى طلحة** ". وقد تحققت بشارة النبي لطلحة، فقتل شهيدا على يد ظالم لنفسه في سنة ست وثلاثين للهجرة، وترك بعده عشرة أولاد ذكور.

طـــه

﴿طه ﴿1﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿2﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿3﴾﴾ [طه: 1 -3].

طه: إسم قرآني للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ورد لصيقا بتنزيل القرآن عليه ـ في الآية ـ ليزداد به سعادة وهناء، وتذكرة للمؤمنين الذين يخافون الله، ويخشون اليوم الآخر، ويرهبون من العذاب، ويتحاشون العقاب، ويقبلون على الله في خشوع وتذلل.

وقيل الطاء من الطهارة والهاء من الهداية، كأنه يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: يا طاهراً من الذنوب، ويا هادي الخلق إلى علام الغيوب. ونزلت عليه قبل السنة السادسة من النبوة، **سورة طه**، وفيها تأنيسًا وتثبيتًا، واشعارًا له بالسعادة في رحاب القرآن الكريم، الذي سماه طه.

الطـــور

﴿وَالطُّورِ ① وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ②﴾[الطور: 1 -2].

الطور في كلام العرب: الجبل، وقيل اسم لكل جبل. وقال بعض أهل اللغة: لا يسمى طورا حتى يكون ذا شجر. وهو في القرآن، جبل يقع في جنوب شبه جزيرة سيناء، وهو الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام، ويعرف في الكتاب المقدس باسم " **حوريب** ".

وقد أضفى الله على هذا الجبل قداسة، فأقسم به في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَالطُّورِ ① وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ②﴾[الطور: 1 -2]. وفي ذلك تمييزا له عن سائر الجبال، فجعله مباركا، واقسم به مرة أخرى مع مواقع مباركة في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ③﴾[التين: 1 -3].

وكانت رحلات موسى عليه السلام - وقومه من بني إسرائيل - إلى الطور هي:

* **عند عودته من مدين:** توجه بأهله نحو الجنوب حتى وصل بالقرب من جبل الطور، وكانت ليلة باردة، وقد اخطأ موسى الطريق، ولكن رأى على بعد منه نارًا، فأمر أهله بالمكوث، واتجه نحو النار لجلب قبس منها للإضاءة، أو التدفئة بها، أو ربما يجد عندها قومًا يرشدونه إلى الطريق: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ㉙﴾[القصص: 29]. وعندما اقترب موسى من مكان النار، سمع نداء ربانيا يقول له: إني أنا ربك فاخلع نعليك لأنك في مكان مقدس، ووقتها سكنت روحه للنداء، وقال له ربه: إني اصطفيتك للنبوة، فاستمع لما يوحى إليك، وأمره بعبادة الله وحده.. ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ㉚﴾[القصص: 30].

* **مناجاة موسى لربه:** بعد نجاة موسى وقومه من فرعون، وقد انفصلوا عن مصر ووصلوا إلى سيناء، وعدهم الله جانب الطور: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ㊿﴾[طه: 80].

فسأل موسى ربه الكتاب الذي وعده به، فأمره أن يقصد سفح جبل الطور الأيمن ويمكث فيه ثلاثين يوما صائمًا متعبدا لله، فلما أتم عدته، أمره الله باستئناف الصيام لمدة عشرة أيام: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ

﴿ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴿142﴾﴾ [الأعراف: 142]. ولما أتمها كلمه ربه، ولكن موسى طلب من ربه التجلي فاخبره أن الجبال لا تطيق ذلك، ثم تجلى المولى سبحانه لجبل الطور ففتته، وخر موسى مغشيا عليه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿143﴾﴾ [الأعراف: 143].

فلما أفاق موسى، خاطبه ربه، بأنه اصطفاه على الناس برسالاته وهي (اسفار التوراة) التي تحتوي كل ما يحتاجه قومه من مواعظ وأحكام: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿144﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿145﴾﴾ [الأعراف: 144-145].

* **موسى وفئة من قومه عند الجبل:** لما رجع موسى من مناجاة ربه، وجد قومه قد عبدوا العجل، فاختار سبعين رجلا للذهاب معه إلى جبل الطور - الذي صار مقاما لمناجاة ربه فيه - ولما وصل كلم الله، فتمرد القوم وقالوا لموسى: أرنا الله جهرة، وحينئذ نؤمن بك، فسلط الله عليهم صاعقة أماتتهم عن آخرهم: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿155﴾﴾ [الأعراف: 155].

ثم بعثهم الله وأحياهم لما تضرع إليه موسى في شأنهم: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿55﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿56﴾﴾ [البقرة: 56].

* **رفع الجبل فوق قوم موسى:** كان موسى يدعوا بني اسرائيل باستمرار، ولكنهم أعرضوا، فهددهم الله بالإبادة، ورفع فوقهم جبل الطور، كأنه واقع عليهم، وكان مثل الظلة من السحاب: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿171﴾﴾ [الأعراف: 171].

نخاف بنوا إسرائيل وتضرعوا إلى الله، فأمرهم أن يتمسكوا بأوامر التوراة، ولكنهم عادوا إلى غيهم بعد كشف الغمة عنهم، فكانوا من الخاسرين: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (64) ﴾[البقرة: 63-64].

طـائـفـة

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ (154) ﴾ [آل عمران: 154].

الطائفة: مصطلح قرآني متعدد المعاني، فهو يطلق على جماعة من المؤمنين، أو فريق من المنافقين، أو فئة من أهل الكتاب، أو غيرها، وعند تتبع ذلك في الكتاب الكريم نخلص إلى الطوائف التالية:

* **طائفة من المسلمين:** تظهر في المجتمع المسلم بعض الطوائف، ومنها جماعة المؤمنين، وتقابلها طائفة الكفار ومنهم (المنافقين). وقد تميز الصف الإسلامي في غزوة أحد، فظهرت الطائفة المؤمنة بصدقها، وأكرمهم الله بسبب إخلاصهم، فأصابهم نعاس أذهب عنهم الغم، فغشيتهم السكينة والطمأنينة، بينما حل الخوف والفزع في قلوب طائفة المنافقين، لأنهم انهزموا، فهزم الله نفوسهم. فعن الزبير رضي الله عنه قال: لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلاَّ ذقنه في صدره، فوالله، إني لأسمع قول معتب بن قشير: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، فحفظتها، فأنزل الله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (154) ﴾ [آل عمران: 154].

وهناك طوائف أخرى في المجتمع الذي عاش فيه شعيب عليه السلام، وهي طائفة آمنت به، بينما تخلى عنه فريق من القوم، فثبتوا على الكفر، والمقام يحتاج إلى الصبر من شعيب ومن الطائفة المؤمنة، حتى يحكم الله بين الفريقين، وقد انتهى الأمر بنصر الله للمؤمنين، وحاق الهلاك بطائفة الكفر، لأنهم كانوا

من المفسدين: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِالَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87) ﴾ [الأعراف: 87].

* **طائفة من المؤمنين:** وهي جماعة من المؤمنين تميز بعمل خاص، أو تكلف بمهمة دون غيرها من عموم الأمة، فهي فئة مخصوصة بالخطاب في القرآن الكريم، ومنها:

1) طائفة الصحابة في مكة في بداية الدعوة، وهم يقومون الليل مع النبي صلى الله عليه وسلم، حينما كان القيام واجبا على الجميع: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (20) ﴾ [المزمل: 20].

2) طائفة المصلين أثناء المعارك، ويقتضي المقام أن يصلوا صلاة الخوف، فيُقَسَّمُ الجيش إلى طائفتين، فتصلي طائفة من الجيش أولاً، وتبقى الطائفة الثانية في حراستها، وتنتظر حتى يحين دورها في الصلاة، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ (102) ﴾ [النساء: 102].

3) طائفة من الفقهاء، وهم فئة من المؤمنين، تختارهم الجماعة المؤمنة للتفقه في الدين ـ وتكتفي الجماعة بهم ـ ويتولوا بعد الرجوع إلى قومهم، أمر الدعوة والتبليغ والتعليم: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122) ﴾ [التوبة: 122].

4) طائفة من المؤمنين يحضرون عندما يقام الحد على أحد الزناة، حتى يكون في عقابه عبرة للناس، ويبلغوا غيرهم بما حدث فيكون في المشهد ردع للفساق وأصحاب الإنحلال: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) ﴾ [النور: 2].

* **طائفة من المنافقين:** وهي فئة ظهرت بخبثها داخل كيان الجماعة المسلمة، ولكن الله أظهرها للناس في كل المواطن الحاسمة؛ وخاصة أثناء المعارك، ومنهم:

أ) طائفة من المنافقين كانوا يقولون في حضرة النبي سمعاً وطاعةً، فإذا خرجوا من عنده تولوا، ودبروا الأمور التي تخالفة، وعصوا أمره متعمدين: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ

غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾[النساء: 81].

ب) طائفة من المنافقين حاولوا تبرئة صاحبهم طُعمة بن أبيرق، وإلصاق التهمة باليهودي، ولكن الله أطلع رسوله على أمرهم فقال سبحانه فيهم: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء: 113].

ج) طائفة من المنافقين أثناء غزوة الأحزاب، وهم أوس بن قيظي وأتباعه، وابن سلول وأشياعه، قالوا لأهل المدينة: ارجعوا إلى منازلكم واتركوا محمدا وأصحابه: ﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ ﴿١٣﴾ [الأحزاب: 13].

د) طائفة من المنافقين أثناء غزوة تبوك، كانوا يستهزئون بالمسلمين، ففضحهم الله لرسوله، فاعتذروا، فرفض الله اعتذارهم، وبين سبحانه أمر الطائفة التي تستحق العفو بسبب إخلاصها، بينما تعذب الأخرى بسبب إصرارها على النفاق والإجرام. فعن كعب بن مالك عن مخشي بن حمير: " لوددت أني أُقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ننجوا من أن ينزل فينا قرآن، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءوا يعتذرون، فأنزل الله: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة: 66]. فكان الذي عفا الله عنه **مخشي بن حمير** فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله، ولا من قتله. وقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، أن الطائفة التي تخلفت في تبوك عن الجهاد، قد حرمت من الغزوات الأخرى على الإطلاق، لأنهم أصروا على النفاق: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[التوبة: 83]

* **طائفة من أهل الكتاب:** وهم من يهود المدينة الذين دعوا بعض الصحابة إلى اليهودية، وهم عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، ومعاذ بن جبل، ولكن طائفة اليهود لا تضل إلا نفسها: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[آل عمران: 69]. ولم ينته كيد اليهود عند دعوة المسلمين، بل تآمروا على الإسلام بالتشكيك فيه بطريق غير مباشر، حينما إتفق فريق

منهم، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما من طائفة اليهود، وأمروا بعض قومهم، أن يُسْلمُوا بدين محمد في أول النهار، ويكفروا به في آخر النهار، وقَصدُهُمْ هو إظهار النقص في هذا الدين، حتى يحدثوا خللا عند المؤمنين: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿72﴾ ﴾[آل عمران: 72].

* **طائفة من بني إسرائيل:** وهي الفئة التي ظهرت في أزمنة متباينة ومنهم:

أ) طائفة من بني إسرائيل أذلهم فرعون في مصر، فذبح الأبناء، واستعبد النساء، وأفسد في الأرض كثيرا: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿4﴾ ﴾[القصص: 4].

ب) انقسم بنوا إسرائيل في عهد عيسى عليه السلام إلى جماعتين، منهم طائفة آمنت به وصدقت برسالته، بينما كفرت به الطائفة الثانية، وضلت عن الإيمان: ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿14﴾ ﴾[الصف: 14].

طـائفــتان

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿122﴾ ﴾[آل عمران: 122].

هما طائفتان من الجماعة المسلمة، يقع لهما في الطريق خلل فيتم علاجه بحكمة وأناة، مثلما ورد في القرآن الكريم في الآيات التالية:

* **طائفتان من الأنصار:** كانتا ضمن جيش المسلمين يوم " أحد "، وهما " **بنو سلمة** " و " **بنو حارثة** "، فحينما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بألف من أصحابه، وقد قاربوا الوصول إلى معسكر الكفار، وكان عدد جيشهم ثلاثة آلاف مقاتل، تراجع عبد الله بن أبي بثلث الجيش، وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فهم الحيان من الأنصار بالرجوع معه، ولكن الله عصمهم من النفاق، فمضوا مع رسول الله، وكان الله وليهما وناصرهما: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿122﴾ ﴾[آل عمران: 122].

* **طائفتان من المؤمنين:** وهما فئتان من الجماعة المؤمنة، يحدث بينهما قتال، فينبغي على الجماعة الثالثة المحايدة أن تسعى للصلح ولم الشمل وتجنيب المؤمنين كل قتال؛ مثلما حدث القتال بين الأوس والخزرج

على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان فيه ضرب بالسعف والنعال، فنزلت الآية: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿9﴾ ﴾ [الحجرات: 9].

الطائفتين

﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ ﴿7﴾ ﴾ [الأنفال: 7].

إن الله يخاطب العرب مرة، والمسلمين في الأخرى عن طائفتين، وكل حدث له ظروفه المحيطة به، وقد بينت الآيات ذلك في قالب إعجازي بليغ:

* **اليهود والنصارى:** لقد أنزل الله القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قومه، وهم العرب من قريش، ورسالته للناس كافة، وأمر الله الناس أن يتبعوا القرآن لأن فيه الرحمة: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿155﴾ ﴾ [الأنعام: 155]. والقرآن لا يترك للعرب أي مبرر أن يقولوا أن كل طائفة أنزل لها كتابها، فأنزل على اليهود التوراة، وأنزل على النصارى الإنجيل، ونحن العرب لا نعرف ما ورد في تلك الكتب، فأنزل الله القرآن بالعربية، وبلَّغَهُ لكم رسولُ من قومكم، وهو للناس كافة، رحمة وهداية. ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿156﴾ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ ﴿157﴾ ﴾ [الأنعام: 156-157].

* **عير قريش وجيشها:** روي أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة برآسة أبي سفيان، ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير، وإما قريشاً.

وكان خروج المسلمين للعير، فلما أفلتت القافلة، واستشارهم النبي صلى الله عليه وسلم، وخيرهم، قالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو (وقد عبر عنها القرآن **بغَيْر ذات الشوكة** وهي **القافلة**) ، ثم تشاوروا، واتفقوا على قتال الطائفة المسلحة (وهي **جيش قريش**) وفعلا حدثت غزوة بدر مع جيش قريش وكان النصر حليف المسلمين، وهزمت الطائفة الشديدة (ذات الشوكة)، وأفلتت الطائفة الضعيفة (غير ذات الشوكة) ووصلت إلى مكة سالمة. وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ (7) لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (8) ﴾[الأنفال: 7-8].

طـــوى

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (15) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (16) ﴾[النازعات: 15-16].

طوى: هو الوادي المقدس الواقع في أسفل جبل طور سيناء، وقد تكرم بوجود موسى، وعبوره مع أهله ليلا، بالقرب منه، فناداه ربه، وكلفه بالرسالة. وكان شأن موسى مع وادي طوى، أن يتأدب بما أمره الله:

1) لما كان المكان مقدسا، أمره ربه أن يخلع نعليه، وأن يتأدب مع ربه، قال علي بن أبي طالب: " أمر بخلع النعلين للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى ": ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ (11) إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (12) ﴾[طه: 11-12].

2) كلفه الله بالرسالة، وبعثه بها إلى فرعون، ليهديه إلى عبادة الله وتوحيده: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19) ﴾[النازعات: 17-19].

﴿ حرف الظاء ﴾

الظل

﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ ﴿160﴾﴾ [الأعراف: 160].

الظل: هو ظل الشجر الوارف، أو الغمام الذي يحجب حر الشمس، وقد ظَلَّـلَ الله بني إسرائيل ونبيهم موسى عليه السلام، بأرض مدين مرة، وفي زمن التيه بأرض سيناء مرة أخرى:

* **ظل شجرة مدين:** عندما وصل موسى عليه السلام إلى أرض مدين، واقترب من مجتمع الرعاة، وجد فتاتين، فتحمَّلَ المسؤولية وسقى لهما غنمهما، ثم جلس تحت ظل شجرة قريبة من مورد الماء، وسأل الله من فضله العظيم، وخيره الواسع: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿24﴾﴾ [القصص: 24].

* **ظل الغمام:** فقد ستر الله بني إسرائيل بالسحاب فوقاهم من حر الشمس المحرقة، لما كانوا في صحراء سيناء في زمن التيه، وَمَنَّ عليهم بالظل وجعله إحدى معجزاته، فقال تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿57﴾﴾ [البقرة: 57]. قال الألوسي: وكان الظل يسير بسيرهم ويسكن بإقامتهم.

الظلة

﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ ﴿171﴾﴾ [الأعراف: 171].

الظلة: هي الظلال التي تحدثها السحب أو غيرها من الأجسام، وقد وردت في العذاب الذي حاق ببعض الأمم التي قص الله حالها في القرآن الكريم وتلك الظلة هي:

* **ظلة جبل الطور:** رفع الله جبل الطور فوق رؤوس بني إسرائيل، وجعله كالسقف أو ظلة الغمام، فلما أيقنوا أنه ساقط عليهم ـ بسبب إعراضهم عن أحكام التوراة لثقلها ـ حينئذ خروا سجدا لله من شدة الخوف، فكشف الله عنهم العذاب: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿171﴾﴾ [الأعراف: 171].

* **ظلة العذاب:** أنزل الله عذابا شديدا على أصحاب الأيكة في أرض مدين، بعد تكذيبهم بنبي الله شعيب عليه السلام، فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة، حينما أصابهم حر شديد، أخرجهم من بيوتهم طلبا للهواء، فغشيتهم سحابة باردة (ظلة) تسارعوا إليها فحاق بهم العذاب تحتها، فأحترقوا جميعا، وجعلهم الله عبرة لمن يعتبر: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (190) ﴾ [الشعراء: 189- 190].

﴿حرف الـكاف﴾

كعب بن مالك الأنصـاري

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[التوبة: 119].

هو كعب بن مالك بن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الأنصاري؛ وكنيته في الجاهلية: أبو بشير، وفي الاسلام أبو عبد الله. وهو أحد الفرسان وشاعر الرسول عليه الصلاة والسلام، دافع عنه بسيفه ولسانه، وقد حضر العقبة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد الهجرة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين الزبير بن العوام، وشهد المشاهد مع رسول الله ما عدا بدرًا وتبوك، وقال يوم بدر:

قضى يوم بدرٍ أن نلاقي معشرًا * بَغَوْا وسبيل البغيِ بالناس جائرُ
وفينا رسول الله والأوس حوله * له معقل منهم عزيز وناصرُ
وَجمع بني النجار تحت لوائه * يمشون في الماذيّ والنقع ثائر
شهدنا بأن الله لا ربَّ غيره * وأن رسول الله بالحق ظاهر

وقاتل كعب يوم أحد مدافعا عن رسول الله، وثبت في قتاله حتى جرح سبعة عشر جرحا، وهو أول من عرف رسول الله يومئذ وبشر به المؤمنين، فجاء به الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول الزبير: فلقد رأيت كعبًا اصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات فانقلع عن الدنيا لورثته حتى نزلت:

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٧٥ ﴾[الأنفال: 75].

وقال كعب: يا رسول الله قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل، قال: (**إن المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه؛ والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل)** رواه **أحمد.** وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: **يا كعب ما نسي لك ربك ـ وما كان ربك نسيًّا ـ بيتا قلته.** قال ما هو؟ قال: أنشده يا أبا بكر فقال:

زعمت سَخينة أن ستغلب ربها * وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلاَّبِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لقد شكر الله لك يا كعب قولك هذا.**

ورغم جهاده العظيم إلا أنه تخلف عن غزوة تبوك، ولم يكن له عذر في ذلك. يقول كعب: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها. ولما رجع رسول الله من تبوك وجلس في المسجد جاءه المتخلفون واعتذروا وحلفوا، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم

إلى الله، أما كعب بن مالك فجلس بين يدي الرسول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرك؟ (أي اشتريت راحلتك للغزو) فاعترف كعب بتقصيره وكان صادقا ولم يقدم أي عذر، ومما قاله للنبي صلى الله عليه وسلم: (.. لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك.** وقام كعب لحاله، وسأل أصحابه: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما ما قيل لك، فقلت من هما؟ قال مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة.

ونهى رسول الله عن كلام الثلاثة، فاعتزلهم الناس، ولبثوا على ذلك خمسين ليلة. يقول كعب: فأما صاحباي، فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ، وإذا ألتفت نحوه أعرض عني. وظل كعب يصارع البلاء حتى طمع فيه ملك غسان فبعث إليه يستميله، ومما قاله في رسالته: (أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسيك.) يقول كعب ، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء. ثم حرقها.

ولما مضت أربعون ليلة من هذا البلاء، بعث رسول الله للثلاثة رسولاً قال لكل واحد على حده: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، يقول كعب، فقلت له: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. وبعد عشر ليال بينما كان كعب بن مالك جالس في بيته بعد صلاة الفجر سمع صوتا صارخا في أعلى جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخر ساجدا لله وعرف أنه الفرج، وآذن رسول الله بتوبة الله على الثلاثة حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس إليهم يبشرونهم ويهنئونهم. ولما أتى كعب إلى مجلس رسول الله في المسجد فقال له:

أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك. قال: قلت: يارسول الله أَمِنْ عندك أم من عند الله؟ قال: **لا بل من عند الله.** وكان صلى الله عليه وسلم مسرورا بهذه التوبة، ومسرورا بنجاح أصحابه في تلك المحنة الشديدة.

حينئذ قال كعب: يا رسول الله إنَّ من توبتي أن أنخلعَ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك، قلت: فإني أمسِكُ سهمي الذي بخيبر، فقلت يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألاَّ أحدث إلا صدقاً ما بقيت،

فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله في شأن الثلاثة ومنهم كعب بن مالك: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (117) وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (118) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (119) ﴾[التوبة: 117-119].

يقول كعب: **فوالله** ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كَذَبته فأهلِك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد. قال: فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (96) ﴾[التوبة: 95-96].

وظل كعب بن مالك صادقا في قوله حتى لقي الله تعالى وكان ذلك في حدود سنة **40هـ** وقيل **51هـ**.

الكعبة

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا (97) ﴾[المائدة: 97].

الكعبة: هي قبلة المسلمين، وتقع وسط المسجد الحرام، وسميت بالكعبة لأنها مربعة، وأكثر بيوت العرب مدورة، وشكلها مكعب، وتختلف أبعادها قليلا، وتكاد تكون مربعة: فطولها بين الركنين (اليماني والحجر الأسود) **11,52**م. وطولها بين الركن اليماني والحطيم **12,11**م. وطولها من جهة الحطيم**11,28**م. ومن جهة الملتزم**12,84**م. بينما يبلغ ارتفاعها **14**م. وهي مبنية بحجارة الجرانيت الزرقاء الصلبة. وبعض أطرافها لها أسماء خاصة ومنها:

* **الحجر الأسود:** ويرتفع عن أرض الطواف بمتر ونصف، وقطره نحو **30 سم**، ويحيط به اطار من الفضة، وعرضه **10سم،** وهو حجر ثقيل الوزن، بيضوي الشكل، غير منتظم، ذو لون أسود ضارب إلى الحمرة وبه نقط حمراء وتعاريج صفراء.

* **الملتزم:** وهو المسافة الواقعة في الحائط ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة إلى جهة اليمين، وعرف بالملتزم، لأن الطائف بالبيت يلتزمه بذراعيه بعد الطواف وأثناء دعائه واستغاثته.

* **الحطيم:** وهم قوس من البناء طرفاه إلى زاويتي البيت الشمالية والغربية، ويبلغ ارتفاعه **1,32م.**

* **حجر إسماعيل:** وهو الفضاء الواقع بين الحطيم وحائط البيت، وكان قديما جزء منه (**نحو 3م**) تابع للبيت في بناء إبراهيم، والجزء الباقي كان زريبة لغنم هاجر وولدها، ويعتقد أن هاجر وولدها إسماعيل مدفونان به.

ويظهر من الأخبار المختلفة أن بناء الكعبة عرف عدة أطوار وتجديدات عبر الدهور من الزمن، واختلف في عدد المرات، فقيل أن أول من بناها هم الملائكة، ثم آدم عليه السلام، ثم إبنه شيث، ثم إبراهيم الخليل، وهو الخبر الثابت في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿127﴾﴾[البقرة: 124].

ثم بناها العمالقة، ثم قبيلة جرهم، ثم قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم جددتها قريش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمره **35سنة،** فشارك في البناء، فكان ينقل الحجارة مع عمه العباس، على كتفه الشريف واضعاً بينها وبينه إزاره، ولما بلغ البناء قدر قامة، اختلفت قريش في وضع الحجر الأسود، وتم الإحتكام إلى الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، فأشار عليهم بوضع رداء على الأرض ثم حمل الحجر بيده الشريفة ووضعه في الرداء وحملت كل قبيلة بطرف من الرداء، ثم حمله النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ووضعه في مكانه. كما جدد بناءالكعبة المشرفة عبد الله بن الزبير، وأدخل فيها ما تركته قريش من حجر إسماعيل، ولكن الحجاج بن يوسف أعاده على شكله الأول، وهو البناء الحالي. وفي زمن الرشيد أراد إعادة البناء كما فعل عبد الله بن الزبير، ولكن الإمام مالك قال له: " انشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء واحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس ". فاستجاب الرشيد وترك البيت على حاله. إلا بعض الترميمات البسيطة في العهد العثماني.

الكفار

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿34﴾ ﴾[محمد: 34].

الكفر: هوتغطية الحق وستره، وهو نقيض الإيمان وضده كما ذكر ابن منظور والجوهري؛ **والكفار:** هم أتباع الأديان والشرائع الأخرى (مثل أهل الكتاب والمشركون) فقد تخلَّفُوا عن دين الإسلام، فجعل الله مصيرهم إلى الخسران: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿85﴾ ﴾[آل عمران: 85]. ومصيرهم الحقيقي صرحت به الآيات، وهو نار جهنم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿6﴾ ﴾[البينة: 6]. والكفر في القرآن على عدة أشكال، هي:

ـ **كفر الإنكار:** وهو الذي يكفر بقلبه ولسانه، مثل كفر قريش، وقد قال الله لنبيه عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿6﴾ ﴾[البقرة: 6]. وقال بعض المفسرين: هم كل من صمم على كفره، وأصر عليه، ولم يرجع إلى الحق.

ـ **كفر الجحود:** وهو الذي يعترف بالحق داخليا في نفسه، ولكنه لا يقر بالإيمان بلسانه، مثل كفر **إبليس**، وكفر " **أمية بن أبي الصلت**" وقال الله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿89﴾ ﴾[البقرة: 89]. ومنهم يهود المدينة الذين عرفوا النبي في التوراة بصفته، فلما بعث كفروا به.

ـ **كفر العناد:** وهو الذي يعرف الله بقلبه، ويقر بلسانه، ولا يتبع الحق، عصبية وعناداً، مثل كفر إبي جهل وأصحابه، ومنهم أبو طالب، الذي يقول:

ولقد علمت بأن ديـن محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبَّة * لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ـ **كفر النفاق:** وهو الذي يقر بلسانه، ويتظاهر بأعماله، ولكنه يكفر بقلبه، فيحبط عمله، ويحشر مع الكفار في جهنم: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴿97﴾ ﴾[التوبة: 97]. وقال عن مصيرهم المشترك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿140﴾ ﴾[النساء: 140].

أصحاب الكهف

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ⑨ ﴾ [الكهف: 9].

هم الفتية الذين آمنوا بالله في مجتمع كافر، فخافوا على أنفسهم، فلجأوا إلى الكهف، فآواهم الله، وخصهم برعايته وحفظه.

وسبب ذكر قصتهم في القرآن، ما ذكره ابن اسحاق في السيرة وغيره: أن قريشًا بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقالوا اسألوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدرى ما صنعوا.

ومجمل قصتهم: أن حادثتهم وقعت في عهد الامبراطور الروماني دقيانوس (دقيوس) **249 ـ 251 م.** الذي اشتهر باضطهاده للمسيحيين في أواسط القرن الثالث، وظهر أمره في بلدة من بلاد الروم تدعى **طرطوس** وكان الملك كافراً يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، ويقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الضالة، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان. وكان في القوم فتية من أبناء البطارقة ـ وهم أشراف القوم ـ اتبعوا المسيحية دينًا، وآمنوا بالله ربًا: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ⑬ ﴾ [الكهف: 13].

وقد حزن الفتية حزنا شديدا على قومهم، ولكن خبر إيمانهم وصل إلى الملك الجبار فارسل في طلبهم، وتوعدهم بالقتل، ودعاهم إلى عبادة الأوثان والذبح لها، فوقفوا في وجهه وأظهروا إيمانهم وقالوا بلسان المؤمنين الأقوياء، في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ⑭ ﴾ [الكهف: 14].

فقال لهم الملك دقيانوس، إنكم فتيان صغار، وقد أمهلتكم إلى الغد لتراجعوا أنفسكم، وأثناء الليل صمموا على الهرب ـ خوفا من غضب الملك وكيده الشديد - ومروا في طريقهم براع معه كلبه، فقادهم إلى الكهف، فمكثوا به يتحدثون حتى ضرب الله عليهم النوم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ⑮ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا

﴿16﴾ ﴾[الكهف: 15-16]. ولحق بهم الملك وجنده، فلما وصلوا إلى باب الكهف فزعوا من الدخول عليهم؛ فقال لهم الملك: سدوا عليهم باب الكهف - بالبناء - حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا.

مكث أهل الكهف في نوم عميق استمر مدة ثلاثة قرون وتسع سنوات، كانوا خلالها تدخل عليهم الشمس بصفة معتدلة، ويقلبهم الله من جانب إلى آخر حتى لا تأكل الأرض أجسامهم: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿17﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿18﴾ ﴾[الكهف: 17-18].

وبعد تلك السنين، ملك البلاد رجل صالح يدعى تاودوسيوس، الذي دان بالمسيحية، ولكن شعبه تحزب، فمنهم من آمن بالله، وهم يعلمون أن الساعة حق، ومنهم من كذب، فحزن الملك لما رأى أولئك ينكرون البعث، فبعث الله لهم أصحاب الكهف لإظهار الحجة للناس.

فقيل: احتاج رجل إلى بناء بيته، فنزع الحجارة من باب الكهف؛ فقاموا من نومهم، وتساءلوا عن الوقت الذي استغرقوه في النوم: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴿19﴾ ﴾[الكهف: 19].

ولكن الجوع سيطر عليهم؛ فبعثوا أحدهم وهو (تمليخا) إلى السوق ليشتري لهم طعاما، وطلبوا منه التخفي والحذر: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾ ﴾[الكهف: 19-20].

فلما دفع النقود إلى البائع انكشف أمره، وظن البائع أن الرجل عثر على كنز قديم، فأنكر الفتى تمليخا ذلك، وأخبرهم أنها نقود أصحابه، فقالوا له إنها من عهد بعيد، من زمن الملك دقيانوس، فقص عليهم قصته، فرفعوا أمره إلى ملكهم، فجمع جنده وأهل البلد، وتوجهوا جميعا نحو الكهف، وعرفوا عن كثب جلية الأمر، وقصوا عليهم ما جرى في الزمن الماضي، وأخبروهم أن الله بعثهم ليكونوا آية ظاهرة للناس، تثبت لهم عقيدة البعث: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴿21﴾ ﴾[الكهف: 21].

ثم ألقى الله على أصحاب الكهف نوما، فقبض أرواحهم، فاتفق القوم على بناء مسجد على كهفهم: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾﴾ [الكهف: 21].

أما أسماؤهم وعددهم، فاختلف فيها أهل الكتاب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعدوا من ثلاثة إلى سبعة، وذكر ذلك القرآن بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿22﴾﴾ [الكهف: 22]. وذكر النيسابوري في قصصه سبعة هم: مكسلمينا، وتمليخا، ومرطونس، وكشطونش، ودراريسوس، وتكريوس، وبطيونس. ولكن المنهج القرآني جعل معرفة أسمائهم خاص بطائفة قليلة. قال ابن عباس: أنا من القليل، كانوا سبعة، أن الله عدهم حتى انتهى إلى السبعة. وقد أمر الله نبيه بعدم الخوض في عددهم لأنه لا يضيف إلى القصة شيئا: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾﴾ [الكهف: 22].

ووقع جدل في مكان الكهف، وتم تحديد أكثر من مكان في عدة بلدان، و لكن الاصح هو الاماكن التي كانت خاضعة في زمن الفتية للحكم الروماني، ومنها كهف افسوس في هضبة الاناضول بتركيا، والثاني هو الكهف الموجود حاليا في قرية " الرجيب " بالاردن، وكان اسمها قديما "الرقيم"، وفوق الكهف توجد آثار المسجد الذي بني فوقه، ومازال المحراب شاهد عليه وقيل هذا هو الرأي الارجح، والله هو الاعلم بالصواب.

الكهل

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿46﴾﴾ [آل عمران: 46].

الكهل، أو الكهولة: هي مرحلة من العمر تمتد ما بين فترة الشباب والشيخوخة، والمرأة تدعى كهلة، وقد وصف بها سيدنا عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿46﴾﴾ [آل عمران: 46].

فسيدنا عيسى يكلم الناس كلام النبوة في مرحلة الطفولة (وهي معجزة) وكذلك في مرحلة الكهولة على

حد سواء، لتبليغ دعوة الله للناس: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ (110) ﴾ [المائدة: 110].

الكاهن

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29) ﴾ [الطور: 29].

الكاهن: هو الذي يأتيه الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، فيدعي بذلك معرفة الغيب. وقد قال الجهلة من كفار قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم كاهن؛ فأخبرهم الله أن النبي ليس بكاهن، وإنما أنعم الله عليه بالنبوة وخصه بالرسالة الخالدة. وأخبرهم أن القرآن يغاير قول البشر، ويخالف سجع الكهان: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (43) ﴾ [الحاقة: 41-43].

وقد روى ابن كثير في تفسيره الحديث التالي. قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) قال: فقلت: كاهن، قال فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (43) إلى آخر السورة. قال عمر: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع. ويعد هذا الحادث من الأسباب المؤثرة في حياة عمر والتي مهدت إلى إسلامه في مستقبل الأيام.

﴿حرف اللام﴾

البحر اللجي (المحيط الهادي)

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿40﴾﴾ [النور: 40].

شبه الله حال الكفار في الضلال والتيه، بتراكم الظلمات وتواليها في بحر شديد العمق، بعيد القعر، تتلاطم فيه الأمواج العاتية، مثلما تتلاطم الأحداث في حياة الإنسان، فيعيش حالة من العمى، ولا يبصر أي شيء قريب منه، لأنه أوجد نفسه في هذا الموضع ولم يتخذ الأسباب الكافية للخروج إلى سطح النور، وهو الحق المبين، الذي فتح الله له قلوب المؤمنين: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿35﴾﴾ [النور: 35].

والبحر اللجي: هو البحر العميق (أي المحيط في عرف الجغرافيين) ويتجاوز عمقه أربعة آلاف متر، وقد انطبقت مواصفات الآية السابقة على منطقة المحيط الهادي، وهي أعمق منطقة بحرية، وخصوصا في أخدود ماريانا (وهو أعمق أخدود معروف في العالم بجنوب اليابان فيبلغ العمق نحو **11 كلم**). والتحديد الجغرافي للطبقات المظلمة بداية من قعر المحيط إلى سطحه، ثم إرتفاعا في الأجواء العليا، نلاحظ حسب أقسام الآية ما يلي:

1) وجود أمواج سحيقة أكتشفت ما بين (**1900 ـ 1973**) وطول الموجة الواحدة نحو **10 كلم**، وتوجد في أسفل المحيط، فيسود الظلام في الأخدود، والمناطق المجاورة. وهو ظلام شديد ـ لأنه يستحيل وصول الشمس إليها ـ ولشدة الظلام خلق الله الأسماك في تلك الأعماق بدون أعين.

2) وجود أمواج سطحية، وهي صغيرة الحجم مثل باقي البحار الأخرى، ويختلف طولها بحسب الأحوال الجوية، فعند اشتداد الرياح يصل أقصى طول لها إلى **180 م.**

3) تكون السماء فوق تلك المناطق، ملبَّدَة بالغيوم والسحب على مدار السنة، مما يتسبب في حجب الضوء.

وبهذا يدرك الإنسان حالة الضلال التي يعيشها التائه عن الحق، ويدرك المسلم إعجاز القرآن، فقد شبه حالة التائه بصور جغرافية كشفتها الحضارة الحديثة، فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، والجواب: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿6﴾﴾ [النمل: 6].

لقمـان الحكيم

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ⑫﴾ [لقمان: 12].

ـ **نسبه:** هو أحد الحكماء الذين خلدوا في القرآن الكريم، ووقع اختلاف بين أهل الأخبار في نسبه وزمن وجوده. فقال السهيلي: هو لقمان بن عنقاء بن سدون واسم ابنه ثاران. وقال الزمخشري: هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل كان من أولاد آزر عاش ألف سنة، وأدركه داود عليه السلام وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له، فقال: ألا أكتفي إذا كفيت.

ـ **صفته ومهنته:** واختلف كذلك في صفته ومهنته، فقيل كان عبدا حبشيا من بلاد النوبة، وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة. وأما مهنته، فقيل كان خياطا، و قيل نجارا، وقيل راعيا، وقيل كان قاضيا على بني إسرائيل في زمان داود عليه السلام.

ـ **حكمة لقمـان:** واكتفى القرآن بأبرز صفة عنده وهي الحكمة: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ⑫﴾ [لقمان: 12]. والحكمة هي التفقه في الدين، واستغلال العقل فيما ينفع، والنطق بالحق، وتعليم الناس. وذكرت له حكم كثيرة تجدها مبثوثة في كتب السلف، ومنها:

قال له مولاه ذات يوم: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها، قال: اخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج **اللسان والقلب**، ثم مكث ما شاء الله ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها، قال: اخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج **اللسان والقلب**. فسأله مولاه عن ذلك الإتفاق؟ فقال: هما أطيب ما فيها إذا طابا، وأخبث ما فيها إذا خبثا.

وعن جابر قال: إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك، فقال له: ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس؟ قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وتركي ما لا يعنيني. وقيل له: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئا. ومن حكمه البليغة: الصمت حكمة وقليل فاعله.

ـ **المنهج اللقماني في التربية:** أكد القرآن الكريم على المنهج اللقماني في التربية المتوازنة، وتجلت تلك التربية في الحكمة التي ربى بها ولده، وقدمها له في قالب النصائح والمواعظ النبيلة، وصارت بعد تنزلها في الوحي وصايا صالحة لكل مسلم يرغب في استقامة ابنائه. وقد اشتملت تلك الوصايا على القضايا الأساسية التالية:

1) الدعوة إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية السليمة، وزرع الإيمان الصحيح، وتوحيد الله، ونبذ الشرك ومظاهره. وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ

لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: 13]. وسبب تأكيده على العقيدة في بداية نصائحه، لأن العقيدة إذا سلمت من الشرك، تكون حياة الطفل ميسرة للعبادة والخلق السليم.

2) **الحث على واجب طاعة الوالدين،** والبر بهما، لأنهما تعبًا في التربية والرعاية: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: 14]. كما أن الطاعة قرينة للعقيدة، وأوصى ابنه بذلك، والحال يقتضي شكر الله بالعبادة، وشكر الوالدين بالإحسان والرعاية لهما: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ [لقمان: 14]. وعلمه كيف يحافظ على عقيدته، ويغلبها على العاطفة الأبوية، فالعقيدة مقدمة على طاعة الوالدين، فان خالفًا عقيدة التوحيد، لم يبق لهما إلا الإحسان، وهو خلق يستمر في البر والرعاية: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: 15].

3) **التأكيد على تنمية وازع الخوف من الله،** بإشعار الولد أن الله يحاسب العبد على كل صغيرة وكبيرة - من المعاصي أو الطاعات - ويثيبه عليها خيرا أوشرا، حسب ما يقدمه. والغرض من ذلك تربيته على خلق **محاسبة النفس** في الدنيا قبل فوات الأوان يوم القيامة، وفق المبدأ الإسلامي: (**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**) وقال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: 16].

4) **الحث على إقامة الصلاة،** والمحافظة عليها، لأنها أساس العبادة، وعمود الإسلام، وروح الإخلاق الكريمة، وفي ذلك قال لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: 17].

5) **تربية الولد على أدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،** بالحكمة البالغة، وهي فضيلة تجعل المسلم مسؤولاً في مجتمعه، يدعو الناس إلى الخير، ويأخذ بأيديهم عن الشر. وذلك في قوله: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: 17].

6) **دعوته إلى التحلي بخلق الصبر عند مخالطة الناس،** لأن الصبر يثبت صاحبه على العمل الصالح، ويجعله متمسكا بالحق، بعزم وصدق: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: 17].

7) **تحذيره من الوقوع في السلوك السيء**، ونهيه عن التكبر والغرور، لأن الله يبغض المتكبرين على عباده، المختالين في حياتهم، فيخسف بهم الأرض ويجعلهم عبرة للناس: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿18﴾ ﴾ [لقمان: 18].

8) **تربية الولد على أخلاق الوسطية والإعتدال**، بداية من أبسط الشؤون، مثل المشي والكلام، لأن ذلك يجعل السلوك مستقيما على تلك المبادئ: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿19﴾ ﴾ [لقمان: 19].

وكان منهجه التربوي متكاملا: (عقيدة، وعبادة، وجهاد، وأخلاق، وأحكام شرعية، وآداب إسلامية) وقدمها لقمان باختيار العبارات اللطيفة، التي تعتمد لغة المحبة والرحمة، والحنو الذي تجسد في العبارة التي تلامس شغاف القلب: " يـا بني.. "، والتي تشعرالطفل بعمق العلاج للسلوك الإنساني. كما أن مواعظ لقمان لإبنه، فاقت التصور، وهي تؤكد على فعل الخير، واجتناب المنكرات، وحب الناس في سبيل الله، ومنها المواعظ التالية:

ـ يابني: لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك، فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه.

ـ يا بني: إياك والكذب فإنه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك، فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان، ولا يسمع منك إذا حدثت، ولا تصدق إذا قلت، ولا خير في العيش إذا كان هكذا.

ـ يا بني: إجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير أهله فتخسره في الدنيا، وتحرم ثوابه في الآخرة.

ـ **وفاة لقمان**: قال أبو حاتم السجستاني: هو ثاني معمر في العالم بعد الخضر، وقيل عاش نحو **560**سنة، ولما مات قبر بحضرموت أو بالحجر من مكة، وقال السدي: بأيلة، وقال قتاده: قبر بالرملة ما بين مسجدها وسوقها. والله أعلم.

أبـو لـهـب

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿1﴾ ﴾ [المسد: 1].

أبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته: أبو عتيبة. وسمي أبا لهب لاشراق وجهه؛ وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم. ولما نزل على النبي قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿214﴾ [الشعراء: 214]. قام النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة عشيرته من بني هاشم، ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلا ـ فبادره أبو لهب وقال: وهؤلاء بنو عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصُّباة ـ

واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب عليك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم مرة ثانية: فحمد الله وأثنى عليه ومما قال لهم: إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة.... فقال أبو طالب:.. أمض لما أمرت به... فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا. ودعاهم مرة أخرى وأنذرهم العذاب الشديد، فقال له أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: 1-3].

وصار أبو لهب من أشد الناس عداوة للنبي، وتفاقم أذاه، وكان مجاورًا لبيت المصطفى صلى الله عليه وسلم، فيطرح العذرة والأوساخ على بيت النبي صلى الله عليه وسلم فيقول النبي: " أي جوار هذا يا بني عبد المطلب؟ ومر به حمزة ذات يوم فوجد العذرة فأخذها ووضعها في رأس أبي لهب. وقد اتخذ أبو لهب عدة أمور سيئة ضد النبي صلى الله عليه وسلم ومنها:

ـ كان أبو لهب قد زوج (وهي خطوبة) ولديه عتبة وعتيبة بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما، وذلك نكاية في النبي وأهل بيته، فنفذا الأمر بشدة، وحدث الطلاق.

ـ ولما مات عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم، استبشر أبو لهب ـ وأخذ يستهزىء ـ وذهب مهرولا إلى نادي قريش وأخبرهم أن محمداً صار أبترًا.

ـ وكان أبو لهب يتبع رسول الله في موسم الحج، وهو يتنقل في منازل الناس وأسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز، يدعوهم إلى الله، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه إنه صابىء كذاب. وروي أنه كان يضرب النبي بالحجر حتى يدمي عقباه.

ـ وكان يتعاون مع زوجته أم جميل في محاربة النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤازر قريشاً في حربها للدعوة؛ ولما حاصرت قريش بني هاشم والمطلب في الشعب، كان أبو لهب الرجل الوحيد من بني هاشم الذي بقى مع قريش، بينما حوصر قومه رغم بقاء بعضهم على الشرك تحت قيادة أبي طالب الذي بقي يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر لحظة في حياته.

ولما خرجت قريش إلى بدر تخلف أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، ولما انتصر النبي صلى الله عليه وسلم، ورجع المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، سأله أبو لهب عن أخبار المعركة، فأخبره

بهزيمة قريش، وقال له: لقينا رجالا بيضا على خيل بلق (أي في لونها بياض وسواد) بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء. فقال أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم: تلك والله الملائكة. فرفع أبو لهب يده وضرب أبو رافع على وجهه ضربة شديدة، ثم برك عليه وأخذ يرفسه، فقامت أم الفضل ـ زوجة العباس ـ وأخذت عمودًا وضربت به رأس أبي لهب فأحدثت فيه جرحا بارزا، وقالت له: استضعفته ان غاب عنه سيده؟ فقام أبو لهب موليا ذليلا، ولم يعش بعدها سوى سبع ليال، فأصابته العدسة (وهي مرض من جنس الطاعون تقتل صاحبها في الغالب، وهي دمل تشبه العدسة تخرج في الجسد في مواضع عديدة) فمات بسببها، وتركه ولداه ثلاثة أيام خوفا من العدوى، فأنتن، ثم قال لهما رجل من قريش: ويحكما، ألا تستحيان إن أباكما قد انتن في بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عداوة هذه القرحة، فأعانهما الرجل، فلم يغسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ولا يدنون منه، ثم احتملوه إلى اعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رموه بالحجارة حتى ردم.

وصدق الله لما قال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام: 95]. قال ابن عباس: **يخرج المؤمن من الكافر.** وهذا ماحدث في بنت أبي لهب وأم جميل وهي:

ـ **درة بنت أبي لهب:** كانت درة بنت أبي لهب زوجة تحت الحارث بن عامر بن نوفل، وقد ولدت له الوليد، وأبو الحسن، وقتل الحارث في بدر على كفره. ولكن الإيمان شع في قلب درة، فقدمت إلى المدينة مهاجرة، ونزلت في دار رافع بن المعلى.. وتزوجها فيما بعد دحية بن خليفة الكلبي.

وقالت نسوة من بني زريق لدرة بنت لهب، وهن يُشهرن بها، تشفيا عما كان عليه والدها: أنت ابنة أبي لهب الذي يقول الله عز وجل فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [المسد: 1]. فما تغني عنك هجرتك؟ فأتت درة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت له ذلك فقال لها: اجلسي. يريد بذلك طمأنتها. ولما صلى بالناس صلاة الظهر، جلس على المنبر ساعة ثم قال: **أيها الناس ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي؟ ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله.** ثم قال صلى الله عليه وسلم: **لا يؤذي حي بميت.**

الألـواح

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴿145﴾ ﴾ [الأعراف: 145].

وردت في القرآن في قصة نبيين مرسلين، هما نوح وموسى عليهما السلام، كما يلي:

* **الواح السفينة:** فقد أخبر القرآن، أن الله حمل نوحا في سفينة ذات ألواح ودسر (هي خيوط أو مسامير تشد بها ألواح السفينة) وجعلها تمخر عباب البحر بحفظ الله ورعايته: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿13﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿14﴾ ﴾ [القمر: 13-14].

* **الواح التوراة:** التي كتب الله فيها لموسى وبني إسرائيل كل ما يحتاجونه من أمر الدين، وهي المواعظ وأحكام الحلال والحرام، وتفصيل كل شيء من أمر الآخرة: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿145﴾ ﴾ [الأعراف: 145].

وعندما رجع موسى عليه السلام من مناجاة ربه، غضب على قومه بأرض سيناء، لما وجدهم يعبدون العجل، طرح الألواح التي كانت معه: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿150﴾ ﴾ [الأعراف: 150]. قال ابن عباس: لما عاين قومه وقد عكفوا على العجل ألقى الألواح فكسرها غضبا لله وأخذ براس أخيه يجره إليه.

ولما ذهب عنه الغضب رجع موسى إلى ألواح التوراة فأخذها، لأن فيها هداية الناس إلى الحق، ورحمة وإرشاداً إلى سعادة الدارين: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿154﴾ ﴾ [الأعراف: 154].

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿133﴾ ﴾ [الصافات: 133].

ـ نسب لوط وصفة القوم المرسل إليهم: هو نبي الله لوط بن هاران بن تارح (آزر). وهو ابن اخي الخليل إبراهيم عليه السلام، آمن بعمه إبراهيم وهاجر معه من العراق إلى أرض كنعان، وإلى مصر، واستفاد من عطايا ملك مصر مثلما استفاد إبراهيم، فكثر ماله ومواشيه، ولما عاد إبراهيم إلى أرض كنعان نزل حبرون، ولكن لوطا فارقه بسبب كثرة المواشي والأتباع وضيق المراعي، وأذن له إبراهيم، فنزل بالمؤتفكة بناحية فلسطين والأردن في جنوب البحر الميت.

وأرسله الله إلى اهل " **سدوم** "من أرض غور زغر جنوب البحر الميت، قيل كانت خمس قرى هي: صبغة، وعمرة، وأدما، وصبويم، وبالع. وسماها القرآن قوم لوط. قيل هي: سدوم، وعامورا، ودومه، وساعورا، وصفرة. وذكر المؤرخون أن أهل سدوم كانوا نحو **400ألف.** ويظهر مما سبق أن لوط أرسله الله إلى قوم لا يرتبط معهم بنسب، فدعاهم إلى الله، فكفروا وأصروا على الكفر، وزادوا عليه الفسق والفجور. قال مقاتل: أقام لوط في سدوم بضعا وعشرين سنة.

ـ مواطن الفساد في مجتمع سدوم: اشتهر قوم لوط بالفساد الخلقي، واستعلاء الفواحش ورواج المنكرات، والمجاهرة بها، ومنها:

1) الشذوذ الجنسي: فكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، ويجاهرون بذلك في نواديهم، ولا يسلم الغريب والمسافر من تلك العادة السيئة التي يمارسونها بقوة ورعونة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿160﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿161﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿162﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿163﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿164﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿165﴾ ﴾ [الشعراء: 160-165]. وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿54﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿55﴾ ﴾ [النمل: 54-55]. وتلك الجريمة النكراء ـ اللواط ـ هم أول من مارسها، فقال لهم لوط ناصحا: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿28﴾ ﴾ [العنكبوت: 28].

2) قطع الطريق: وهي الجريمة الثانية في حياتهم، فكانوا يقطعون سبيل المسافرين والتجار العابرين لبلدهم، فيسلبون أموالهم، ويعتدون على أعراضهم، فقال لهم لوط عليه السلام: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ

وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العنكبوت: 29].

3) الظلم والطغيان: وأضافوا إلى ما سبق من جرائم، الظلم والاعتداء، ولم يسلم من ذلك نبي الله لوط، وهددوه بالإخراج من البلاد: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾[الشعراء: 167]. ثم قرروا إخراجهم من القرية، لأن لوطاً وأهله يتطهرون عن الفواحش: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النمل: 56].

ـ **أصول الدعوة عند لوط عليه السلام:** لما أرسل الله لوطاً إلى أهل سدوم، وتعرف على أخلاقهم الفاسدة، دعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن الفواحش، واشتملت دعوته على الأصول التالية:

1) الإيمان بالرسالة: التي أرسل بها لوط عليه السلام، وهي الإيمان بالله، وعبادتة، وخوفه، وشرح لهم أصول تلك الرسالة بقوله: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: 161-162].

2) تقوى الله وطاعته: فطاعة الله وتقواه تحصنهم من المعاصي وتحفظ لهم الدين، وتصلح لهم الدنيا فتستقيم حياتهم على منهج الطهر والعفة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: 163].

3) ابتغاء الأجر من الله: وأخبرهم أنه يريد لهم الخير، ولا يبتغي بدعوته جزاء ولا شكورا، لأن الأجر ثابت عند الله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الشعراء: 164].

4) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أمر لوط عليه السلام قومه طويلا بكل معروف، ونهاهم عن المنكر الشائع في نوادي القوم، وكرر الدعوة مرارا، وذكرهم بالحق، فما كان منهم إلا الطغيان.

ـ **قوم لوط والملائكة:** وكانت نهاية القوم، هي التعرض للرسل من الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وقد زاروا إبراهيم عليه السلام، وبشروه بالغلام، وأخبروه بمهمتهم، ثم قدموا إلى قرى لوط، ودخلوا عليه في صورة شبان مرد حسان الوجوه دون أن يخبروه بحقيقتهم، وأخبرت زوجته القوم، فأقبلوا إلى بيت لوط، يريدون هؤلاء الشباب بسوء، وهم ضيوف لوط: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ

شَدِيدٍ (80) ﴾ [هـود: 77-80]. ولكن الملائكة أصابت قوم لوط بالعمى، فطمست أعينهم، عذابا محققا: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ (37) ﴾ [القمر: 37]. قال المفسرون: فخرج عليهم جبريل فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم وعموا.

ثم طمأنت الملائكة لوط عليه السلام، وأخبروه أنهم رسل الله، بعثهم لإهلاك قومه، وأمروه بالخروج ليلا من أرضه وقبل طلوع الصبح، لأنه الموعد الذي يدمر الله فيه القوم، ووعدوه بالنجاة مع أهله ما عدا امرأته العجوز الكافرة: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) ﴾ [هـود: 81].

ـ **نهاية قوم لوط:** ولما حان وقت الصبح أمر الله جبريل فاقتلع القرى من أصلها وقلبها بمن فيها، وجعل عاليها سافلها، ثم أمطر الله عليهم حجارة من سجيل (طين متحجر صلب) انهالت عليهم بالتتابع، زيادة في العذاب: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (82) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (83) ﴾ [هـود: 82-83]. وسميت بالمؤتفكات، أي المنقلبات.

وقد نجى الله لوط عليه السلام إلى قرية صوغر التي لم تصب بسوء. وقيل إن لوطا أتى بلاد الشام، وزوج ابنته المؤمنة من مدين ابن إبراهيم فجعل الله في نسلهما البركة فكان منهم أهل مدين.

ـ **وفـاة لوط عليه السلام:** قال السدي: لما أهلك الله قوم لوط، لحق لوط بابراهيم، فلم يزل معه حتى توفي. وقيل مات لوط قبل الخليل بمدة سنتين، وعاش**80 سنة** وكانت ما بين **(1861 ق م ـ 1686 ق م)**. ولم يكن إبراهيم قد اشترى المغارة فدفن على جانب البحيرة في قرية من أعمال الخليل يقال لها بريكوت، وقبره ظاهر بها.

امـرأة لـوط

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (57) ﴾ [النمل: 57].

وتدعى **والهة**، والتي أعرضت عن الحق، واختارت الكفر عن الإيمان، وأصرت على الباطل، وشاركت قومها في المنكرات، وخانت أمانة زوجها، فكانت تخبر قومها بكل شؤونه، وتتعرض لضيوفه، فاستحقت عذاب النار. ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴿10﴾ ﴾ [التحريم: 10]. وقد أهلك الله قوم لوط باستثناء أهل بيته، وهم إبنتاه: الكبرى تدعى: **ريثا**، والصغرى: **ذعرتا**. قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿35﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿36﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿37﴾ ﴾ [الذاريات: 35-37].

أما زوجته فكان مصيرها الهلاك: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿81﴾ ﴾ [هود: 81].

﴿حرف الـميم﴾

مـالك بن الصيف اليهودي

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴿91﴾﴾ [الأنعام: 91].

هو " مالك بن الصيف" من احبار اليهود من بني قينقاع، وكان رجلا سمينا، أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين - وكان حبراً سميناً - فغضب، وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء - وهو إنكار نزول الوحي على الأنبياء- فقال له أصحابه - اليهود - ويحك، ولا على موسى؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿91﴾﴾[الأنعام: 91].

المـجوس

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿17﴾﴾[الحج: 17].

المجوس: هم أتباع زرادشت الذي تجعله بعض المصادر نبياً، وقد ولد في القرن السادس قبل الميلاد في منطقة مدية **(بالرَّي)** قرب طهران، وأصله من اذربيجان. والمجوسية (الزرادشتية) هي آخر عقائد المجوسية، وكانت الدين الرسمي للدولة الساسانية في بلاد فارس منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. وملخص عقائدها هي صراع بين إله الخير أو النور (أَهورمزدا) ، وإله الشر أو الظلام (أَهريمن) - والمجوسية تقدس النار، وهي توقد دوماً إرضاءً وتقديسا (لأَهورمزدا) - ومازالت بعض بيوت النار إلى اليوم في باكو عاصمة أذربيجان، ومعبد النار في أصفهان. وللديانة الزرادشتية بقايا في بلاد الهند ببومباي، و (يزد) و (كرمان) في وسط إيران.

وقد صنف زرادشت كتابا سماه (الزّندأفستا) الذي تنبأ فيه بظهور محمد صلى الله عليه وسلم كما يذكر فيدرياتي في كتابه: (محمد في كتب العالم المقدسة). وتوفي زرادشت في حدود **583 ق م.**

مخشي بن حمير

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) ﴾[التوبة: 65].

هو مخشي بن حمير الأشجعي حليف لبني سلمة من الأنصار، وكان من المنافقين ومن أصحاب مسجد الضرار، وقد سار مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وأرجف برسول الله وأصحابه مع المرجفين، ثم **تاب** وحسنت توبته وسأل رسول الله أن يغير اسمه فسماه **عبد الله** بن عبد الرحمن.

قال ابن إسحاق: كان جماعة من المنافقين منهم: وديعة بن ثابت، ورجل من أشجع يقال له: (مخشي بن حمير) يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر (أي قتال الروم) كقتال العرب بعضهم بعضا، والله لكأنما بكم غدا مقرنين في الحبال، (وقولهم ذلك) إرجافا وترهيبا للمؤمنين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا، فانطلق إليهم عمار، فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال مخشي بن حمير: قعد بي اسمي واسم أبي. قال كعب بن مالك: إن مخشي بن حمير قال: " لوددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن تنجوا من أن ينزل فينا قرآن" فأنزل الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) ﴾[التوبة: 65-66].

فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير فتسمى عبد الله، وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمقتله، ولا بمكانه، لأنه يريد أن يجعل عمله خالصا لله، فاستجاب الله دعاءه، فقتل يوم اليمامة، لا يعلم مقتله، ولا من قتله، ولم يوجد له أثر.

المدائن

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) ﴾[الشعراء: 53].

المدائن: هي أطراف المملكة المصرية في عهد فرعون، وتضم القرى المنتشرة بها، فلما ظهرت معجزات موسى أرسل فرعون أعوانه، ليجمعوا له السحرة من كل المدن والقرى، ونصحه الملأ بذلك: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) ﴾[الأعراف: 111-112].

ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) ﴾[الشعراء: 36-37].

مدين

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36) ﴾[العنكبوت: 36].

وأطلقت على عدة أوجه، وتعني مرة الأرض والبلاد، وأخرى القوم والسكان:

* **البلاد:** الواقعة شرق خليج العقبة ببلاد الشام، وكانت أرض نبي الله شعيب عليه السلام، كما كانت مهجرا لموسى عندما لجأ إليها، وعاش بها قرابة عشر سنين: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ (23) ﴾[القصص: 22-23].

* **القبيلة:** وهم أهل مدين، وهم قبيلة عربية كانت تسكن بين الحجاز والشام قريبا من معان. وينحدرون من سلالة مدين بن إبراهيم، الذي تزوج من إبنة لوط عليه السلام، فأنجب قوم شعيب عليه السلام. وسماهم أهل مدين في سياق قصة موسى: ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ (45) ﴾[القصص: 45].

***قوم شعيب:** وقد أرسل الله شعيبا في بلاد مدين، إلى قومه: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37) ﴾[العنكبوت: 36-37].

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنَ اَقْصَا اَلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴿20﴾ ﴾[القصص: 20].

المدينة: هي وصف للبلدان ذات العمران البشري، وتشير إلى قصص الأنبياء وأقوامهم، وأصحاب القرى السابقة، وذكرها الله لأخذ العبر مما وقع لهم، وفي حياتهم عبرة للمؤمنين. وأهمها التي ذكرت في القرآن بهذه الصفة ست مدن أو بلدان، وهي:

1) المدينة المنورة: وهي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وبها المسجد النبوي، والروضة الشريفة، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه أبي بكر وعمر، وبها نخيل وزروع ومياه كثيرة، ولها تسعة وعشرون اسما، أهمها يثرب، والمدينة، وطيبة، وطابة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إليها من مكة: " **اللهم إنك قد أخرجتني من أحب أرضك إلَيَّ، فأنزلتني أحب أرض إليك.** فلما نزلها قال: " **اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقًا واسعًا** ". وقال صلى الله عليه وسلم: " **من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليفعل فإنه من مات بها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة.**

وأغلب الآيات التي ذكرت فيها عند الحديث عن المنافقين والمرجفين في المدينة ومنهم:

ـ المنافقون الذين استمروا في نفاقهم، وهم عبد الله بن أبي بن سلول، والجلاس، وأبو عامر الراهب: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ اَلَاعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنَ اَهْلِ اِلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى اَلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿101﴾ ﴾[التوبة: 101]. وذكرهم عند تخلفهم عن الجهاد: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ اِلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ اَلَاعْرَابِ أَنْ يَّتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اِللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴿120﴾ ﴾[التوبة: 120]. وذكر المنافقين في حالة ارجافهم في المدينة: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ اِلْمُنَٰفِقُونَ وَالذِينَ فِے قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِے اِلْمَدِينَةِ ﴿60﴾ ﴾[الأحزاب: 60]. كذلك في قصة ابن سلول: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى اَلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ اَلَاعَزُّ مِنْهَا اَلَاذَلَّ وَلِلَّهِ اِلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُومِنِينَ وَلَٰكِنَّ اَلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿8﴾ ﴾[المنافقون: 8].

2) مـصر: وذكرت أولا في قصة نبي الله يوسف، في أمر النسوة: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِے اِلْمَدِينَةِ اِمْرَأَتُ اُلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتِيٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا اِنَّا لَنَرِيٰهَا فِے ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿30﴾ ﴾[يوسف: 30]. وذكرت في قصة موسى مع فرعون، فقد قال فرعون للسحرة: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَآمَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنَ اذَنَ لَكُمُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِے اِلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿123﴾ ﴾[الأعراف: 123]. وذكرت الآيات في قصة

موسى عند قتله الفتى القبطي، وقد دخل مدينة منف، وكانت تسمى يومئذ (مصر القديمة): ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴿15﴾ ﴾[القصص: 15]. وكان موسى يتجول في المدينة يحيط به الخوف: ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴿18﴾ ﴾[القصص: 18]. ولما عزم فرعون على معاقبة موسى، جاءه رجل من أقصى مدينة منف، ينصحه بالهرب: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿20﴾ ﴾ [القصص: 20].

3) **سدوم:** وهي مدينة لوط وعاصمته، وجاء أهلها إلى بيت لوط يستبشرون بقدوم الضيوف، وهم يطمعون في ارتكاب الفاحشة بهم: ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿67﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿68﴾ ﴾[الحجر: 67-68]. وقد سماها القرآن في آيات أخرى بالقرية ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿31﴾ ﴾[العنكبوت: 31].

4) **طرطوس:** وتقع في بلاد الروم، ووقعت فيها أحداث أهل الكهف: ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ ﴾[الكهف: 19].

5) **أنطاكية:** وسماها القرآن في قصة الخضر مع موسي بالقرية: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾ ﴾[الكهف: 77]. وأثناء تفسير الخضر لسلوكه مع الغلامين سماها المدينة: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴿82﴾ ﴾[الكهف: 82]. فيتبين أن المدينة هي القرية في هذا السياق وتعني العمران البشري. وذكرت أيضا في قصة أصحاب القرية: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿13﴾ ﴾[يس: 13]. وعندما ذكر حبيب النجار في القصة، ذكرت باسم المدينة: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿20﴾ ﴾[يس: 20].

6) **الحجر:** وهي مدينة نبي الله صالح عليه السلام: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿48﴾ ﴾[النمل: 48].

مرارة بن الربيع

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ١١٨﴾ [التوبة: 118].

مرارة بن الربيع وقيل ابن ربيعة الأنصاري العمري بن عمرو بن عوف. شهد بدرًا، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فنزل القرآن في شأنهم وتاب الله عليهم لما علم صدقهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة: 118].

المريسيع

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: 8].

المريسيع: اسم ماء في ناحية قديد قرب ساحل البحر الأحمر، وجنوب الجحفة بشبه الجزيرة العربية، وشهد أحداث غزوة بني المصطلق (وهم فرع من قبيلة خزاعة) ، فقد جمع سيدهم الحارث بن ضرار الأعراب من قومه لحرب النبي صلى الله عليه وسلم، فسار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بجيش قوامه ألف رجل، والتقى بهم عند ماء المريسيع، في شهر شعبان من السنة **الخامسة للهجرة** على المشهور - ففرق شملهم، وهزم الحارث ومن معهم، وسبى كثيرا منهم - ومن الأحداث التي كانت سببا في نزول القرآن أثناء الغزوة وبعدها:

* **حادثة النزاع حول الماء:** تخاصم غلام لعمر بن الخطاب يدعى جهجاه الغفاري مع سنان بن وبر الجهني عند الازدحام على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار- وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة. وبلغ الأمر إلى زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، فقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ويعني بذلك رسول الله. فسمعها زيد بن أرقم، فأخبر النبي، وأنكر ابن سلول، فنزل القرآن في ذلك: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: 8].

* **حادثة الإفك:** وقد روج لها ابن سلول، واختلق الكذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عندما تخلفت عن الجيش، ورافقها في رجوعها إلى المدينة الصحابي صفوان بن المعطل، فأنزل الله عدة

آيات نورانية في سورة النور، فيها براءة الأطهار، والرد على أصحاب الإفك والبهتان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: 11].

المسيح

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ [آل عمران: 45].

المسيح: وهو لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق، وأصله في العبرانية **مشيحا** ومعناه المبارك، وهو الذي لُقب به نبي الله عيسى عليه السلام، ويعني في العبرية النبي أو الملك، وفيه معنى التفاؤل بحال الولد، فتقول السلطان أو الأمير، وليس معناه أن يصير ملكا على بني إسرائيل. وجعله القرآن وجيها في الدنيا والآخرة: أي سيدًا معظمًا، ونبيا مقربا، وبشرا رسولا. قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ١٧١﴾ [النساء: 171]. ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة: 75].

ومن اسمه اشتقت **الديانة المسيحية**، التي نسبت إليه تارة، وإلى أتباعه تارة أخرى فقيل (**النصرانية**). وقد انتشرت الديانة المسيحية عن طريق الحواريين الذين سافروا في الأرض، وظلوا يبلغون الدعوة سرًا، ولمَّا تهيأ الأمر تمكن أتباع هذا الدين من إعلانه إلى الناس بعد مضي نحو ثلاثة قرون بعد رفع عيسى عليه السلام.

مسطح بن أثاثة

﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ٢٢﴾ [النور: 22].

وهو صحابي من المهاجرين، ويدعى مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب، وأمه هي: بنت أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها رائطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق. وقد كُنِّيَ مسطح: بأبي عباد، وقيل أبو عبد الله، وشهد غزوة بدر.

وكان مسطح رجلا فقير الحال، يعيش على نفقة يقدمها إليه أبو بكر الصديق من ماله الخالص، ولكنه كان ضعيفًا في دينه، فاستجاب للأفاكين من المنافقين، وخاض مع الخائضين في حادثة الإفك، ونسي قرابته من الصديق، وتنكر لبرّهِ وإحسانه في غفلة من أمره.

وذات يوم لما خرجت عائشة ـ رضي الله عنها ـ لقضاء حاجتها في الليل، برفقة أم مسطح، فعثرت المرأة في مرطها (أي ثيابها) فقالت متشائمة من ولدها: " **تعس مسطح**" ؛ فقالت لها عائشة: " **بئس ما قلت، أتسبين رجلا قد شهد بدرًا؟** قالت: أي هنتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قالت عائشة: وماذا قال؟ فأخبرتها بما قاله أهل الإفك في حالها مع صفوان ابن المعطل.

وقد تأثر أبو بكر الصديق كثيرا بقول مسطح، فحلف أن لا ينفعه بنفقة أبدًا، بعد ما قال في عائشة ما قال. ولما أنزل الله براءة عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من تكلم في أم المؤمنين (ومنهم مسطح الذي أقيم عليه حد القذف ضربا بالسياط) نزل القرآن بلمسته اللطيفة التي لامست شغاف قلب الصديق، وهو قول الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (22) ﴾[النور: 22]. فقال الصديق: **بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي؛** وأرجعَ النفقة إلى مسطح وقال: **والله لا أنزعها منه أبدا.**

ومات مسطح سنة**34هـ** في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل بل توفي في خلافة علي بن أبي طالب **سنة 37هـ.**

مـــصـــر

﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) ﴾[يوسف: 99].

هي البلاد المعروفة، وقيل سميت بهذا الإسم نسبة إلى مصر ابن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام. وذكرت في القرآن في عدة مواضع في عهد الفراعنة، ومنذ عصر نبي الله يوسف عليه السلام، عند دخوله إليها، وأشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ (21) ﴾[يوسف: 21]. وعندما استقبل أهله دعاهم إلى الأمن والاستقرار في مصر بقوله: ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) ﴾[يوسف: 99].

ووردت في قصة موسى وهارون في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً (87) ﴾[يونس: 87]. وقالها موسى لقومه، ويعني بها أي بلد من البلدان أيا كان: ﴿ اِهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ (61) ﴾[البقرة: 61].

وذكرت في قصة فرعون الذي قال لقومه: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) ﴾[الزخرف: 51]. قال ياقوت الحموي: "... ولم يذكر عز وجل في كتابه مدينة بعينها بمدْح غير مكة ومصر، فإنه قال: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾وهذا تعظيم ومدح... ". وذكرت في قصة مريم، قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50) ﴾[المؤمنون: 50]. قال: يعني مصر.

ومن مفاخر مصر، **مارية القبطية** أم **إبراهيم** ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبلها **هاجر** أم إسماعيل عليه السلام. قال صلى الله عليه وسلم: " **إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم صهراً** ". وقد فتحها عمرو بن العاص سنة: **15هـ**، وقصدها كثير من الصحابة، وضمت أجداث بعضهم ومنهم: عمرو بن العاص، وعبد الله بن الحارث الزبيدي، ، وعبد الله بن حذافة السهمي، وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم.

معقل بن يسار

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ (232) ﴾[البقرة: 232].

هو معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حراق المزني، وأصله من كندة. ويكنى بأبي عبد الله، وقيل أبو يسار وأبو يعلى، أسلم قبل الحديبية، وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد بيعة الرضوان، وروي عنه قال: **بايعناه على أن لا نفر.** وقد سكن البصرة وإليه ينسب نهر معقل الذي بالبصرة؛ وهو أحد رواة الحديث النبوي الشريف، وقد رويَ له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثون حديثا.

روى البخاري، والواحدي: عن معقل بن يسار قال: كنت زوَّجْتُ أختا لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له زوجتك وأفرشتك، وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها.. لا والله، لا تعدو إليها أبدًا؛ قال: وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ

يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾[البقرة: 232]. فقال معقل: فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، فزوجتها إياه.

وتوفي معقل بن يسار المزني بالبصرة في آخر خلافة معاوية، وقيل توفي أيام يزيد بن معاوية.

مقـام إبـراهيم

﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴿١٢٥﴾ ﴾[البقرة: 125].

المقام في اللغة: هو موضع القدمين. واختلف في تعيين المقام على أقوال أصحها: أنه الحجر الذي يعرفه الناس اليوم إلى يمين باب الكعبة المشرفة والذي يصلي خلفه المسلم ركعتين بعد إتمام طوافه، وهو حجر أسود وأكبر من الحجر الأسود. روى **البخاري**: أنه الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناولها إياه في بناء البيت، وغرقت قدماه فيه. قال أنس: رأيت في المقام أثراً لأصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

المقداد بن الأسود

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴿٩٤﴾ ﴾[النساء: 94].

هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، وعرف بالمقداد بن الأسود لأنه حالف في الجاهلية الأسود بن عبد يغوث الزهري، فتبناه، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴿٥﴾ ﴾[الأحزاب: 5]. قيل: المقداد بن عمرو. أسلم المقداد بن عمرو في مكة في بداية الدعوة، فكان سابع سبعة جاهروا بالإسلام وأعلنوه، وتحملوا أذى قريش وطغيانها. وكان المقداد مثالا للشجاعة والإقدام، وهو أول من عدا به فرسه في سبيل الله، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد سجل في غزوة بدر أحسن المواقف حتى قال عبد الله بن مسعود متمنيا: " **لقد شهدت من المقداد مشهدًا، لأن أكون صاحبه، أحب إليّ مما في الأرض جميعاً** " والموقف هو المشاركة في الشورى يوم بدر، وقد أجاب عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أشيروا علي أيها الناس. فقال المقداد: " يا رسول الله.. امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون... بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون... والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك،

وعن يسارك، وبين يديك ومن خلفك حتى يفتح الله لك". فاستبشر الرسول خيرا من كلامه. ولما التقى الجمعان، كان فرسان المسلمين ثلاثة هم: **المقداد بن عمرو**، ومرثد بن أبي مرثد، والزبير بن العوام، بينما كان بقية المجاهدين مشاة، أو راكبين إبلا.

ووقعت للمقداد حادثة مؤثرة، أخرجها **البزار** عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: **كيف لك بلا إله إلا الله غدًا؟** وأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿94﴾ ﴾[النساء: 94].

والظاهر من سيرته أن نفسه كانت ترغب عن الإمارة، فعن أنس رضي الله عنه، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية، فلما قدم قال له: أبا معبد كيف وجدت الإمارة؟ قال: كنت أحمل وأضع حتى رأيت أن لي على القوم فضلاً، قال: هو ذاك، نخذ أو دع، قال: والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبدًا.

ومن شدة حبه للإسلام قال ذات يوم: لأموتن، والإسلام عزيز. تلك كانت أمنيته التي تحققت بأمثاله من الصحابة والتابعين.

أما موته، فقد قال أهل السير: شرب المقداد دهن الخروع فمات، وذلك بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل إليها حتى دفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان وذلكسنة **33هـ** وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

مقيس بن ضبـابة

﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿93﴾ ﴾[النساء: 93].

هو مقيس بن ضبابة وقيل صبابة، وقيل حبابة. فعن ابن عباس قال: إن مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلا في بني النجار، وكان مسلمًا، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رسولاً من بني فهد، فقال له: أئت بني النجار، فأقرئهم السلام، وقل لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن ضبابة أن تدفعوه إلى أخيه فيقتص منه، وإن لم تعلموا له قتيلا أن تدفعوا إليه دية، فأبلغهم الفهدي ذلك عن النبي صلى الله

عليه وسلم، فقالوا سمعاً وطاعةً لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً، ولكن نؤدي له ديته، فأعطوه مائة من الإبل ثم انصرفوا راجعين نحو المدينة، فأتى الشيطان مقيساً، فوسوس إليه، فقال: تقبل دية أخيك، فيكون عليك سبةً، اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس، وفضل الدية، ففعل مقيس ذلك فرمى الفهدي بصخرة فشدخ رأسه، ثم ركب بعيرا منها، وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً، وجعل يقول في شعره:

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بني النجار أرباب فارع
أدركت ثأري واضطجعت موسدًا * وكنت إلى الأوثان أول راجع

وفيه نزلت الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿93﴾ ﴾[النساء: 93]. وقد أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة، فأدركه الناس بالسوق فقتله نميلة بن عبد الله. فرثته أخته، وبينت كرمه مع الضيوف في الشتاء، فضلا عن انقطاع الخرص (طعام الولادة) عن النفساء بموته:

لعمري لقد أخزى نميلة رهطه * وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فله عينا من رأى مثل مقيس * إذا النفساء أصبحت لم تخرس

مكة المكرمة

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴿24﴾ ﴾[الفتح: 24].

مكة: هي البلد الحرام، وعاصمة بلاد الحجاز. وعرفت بعدة أسماء في القرآن ومنها، أم القرى، وبكة، والبلد الأمين. وعرفت بأسماء أخرى منها: النساسة، وأم رحم، ومعاد، والحاطمة (لأنها تحطم من استخف بها) والرأس (لأنها مثل رأس الإنسان) والعرش، والقادس (لأنها تقدس أي تطهر من الذنوب) والمقدسة، والناسة، والباسة (لأنها تبس أي تحطم الملحدين) وكوثى (باسم مكان كان نزل بني عبد الدار) ومذهب. واختلف في معنى كلمة مكة على عدة أقوال منها:

ـ سميت مكة من مَـكَّ الثديَ أي مصَّهُ، ولقلة مائها كانوا يمتكون الماء أي يبذلون جهدًا في استخراجه.

ـ وقيل سميت بذلك لأنها: تمُكُّ المخ من العظم، أي تخرج ما فيه، وهو تعبير مجازي عن المشقة والتعب الذي يصيب قاصدها. وقيل لأنها تمك من ظلم فيها، أي تهلكه.

ـ وقيل سميت بذلك لأن الناس كانوا يمكُّونَ حول الكعبة في الحج، فيضحكون ويصفرون ويصفقون بأيديهم عند طوافهم بالبيت، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴿35﴾ ﴾[الأنفال: 35].

ومكة منطقة جبلية قاحلة، عرفت **بجبال فاران**، وقد أمر الله نبيه إبراهيم بعمارة ذلك الوادي المقفر، الذي يفتقر للماء والزرع، فأسكنهم فيه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿37﴾ ﴾[إبراهيم: 37].

ثم شرع إبراهيم في تعميرها مع ولده إسماعيل في حدود عام **1892ق م**. واستجاب الله لدعائه، فاستقرت بها قبيلتا جرهم وقطوراء ـ وهما قبيلتان من اليمن وهما أبناء عم ـ ثم تكاثر الناس، وصارت مقصداً للعالمين، فهي مركز العالم، ومهوى المسلمين إلى يوم القيامة، وهي أحب البلاد إلى الله. وعندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً، وقف على الحَزْورة وقال: **إني لأعلم أنك أحب البلاد إليَّ، وأنك أحب أرض الله إلى الله ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت.** "

الـمـلأ

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿6﴾ ﴾[ص: 6].

وهم الأشراف من الناس، وسموا بذلك لأنهم يملأون العين مهابة. وردت كلمة الملأ في القرآن على ثلاثة أوجه هي:

1) الملأ الأعلى: وهم **الملائكة الكرام**، وهم في العالم العلوي، وهم في عبادة مستمرة لا يفترون عنها. ولا يعلم بأمرهم إلا الله، وقال عن الشياطين الذين يسترقون السمع إلى الملأ الأعلى، أن الله يقذفهم بالشهب الحارقة: ﴿ يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿8﴾ ﴾[الصافات: 8]. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم قومه بأن القرآن هو أمر عظيم، وأن محمداً يوحى إليه، لأنه لا يعلم ما وقع من اختلاف بين الملائكة في شأن آدم، لولا أن الوحي أخبره بأمر الملأ الأعلى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿67﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿68﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿69﴾ ﴾[ص: 67-69].

2) الأشراف من قوم الأنبياء: وكان أغلبهم من أهل الضلال والكفر، والتآمر على أهل الحق، والاستكبار في الارض، ومنهم:

ـ الأشراف من قوم نـوح: وقد اتهموه بالضلال: ﴿ وَلَقَدَ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿25﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿26﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿27﴾ ﴾[هود: 25-27]. وقال أيضا: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿59﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿60﴾ ﴾[الأعراف: 59-60].

ـ الأشراف من قوم هود: وقد دعا قومه إلى عبادة الله بقوله: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿65﴾ ﴾[الأعراف: 65]. فكان رد الملأ من قومه عظيما، فاتهموه بالسفاهة والكذب: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿66﴾ ﴾[الأعراف: 66].

ـ الأشراف من قوم صالح: وهم السادة المستكبرون من قبيلة ثمود الذين كفروا وطغوا في البلاد: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿75﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿76﴾ ﴾[الأعراف: 75-76].

ـ الأشراف من قوم شعيب: فقد كفروا، وهددوا شعيباً بالإخراج من البلدة: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿88﴾ ﴾[الأعراف: 88].

ـ الأشراف من قوم محمد صلى الله عليه وسلم: وهم السادة من قريش الذين عارضوا دعوة الحق وحاربوا عقيدة التوحيد، ونصروا أوثانهم، ودافعوا عن باطلهم، ولسانهم ينطق عاليا: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿6﴾ ﴾[ص: 6].

3) الأشراف من حاشية الملوك: وهم على ضربين كما ورد في سورة النمل من قصة سليمان الذي يحيط به أهل الصلاح والخير، وبلقيس ملكة سبأ التي يحيط بها العتاة المتجبرون. ويوجد مثلهم في عصور أخرى، ويمكن عرض ذلك كما يلي:

- **الأشراف من أهل مصر:** وكانوا يمثلون حاشية الملك وكان اسمه " **الريان** " عندما كان نبي الله يوسف في السجن، طلب من علية القوم أن يفسروا له الرؤيا: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿43﴾ ﴾[يوسف: 43]. ولكنهم تهربوا من الأمر، وأظهروا عجزهم، وغطوا عليه بجعل الأحلام أضغاثًا، وتلك إحدى صفات الملأ عند عجزهم: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿44﴾ ﴾[يوسف: 44].

- **الأشراف من قوم بلقيس:** وقد سألتهم عن موقفهم من كتاب سليمان، فأشاروا عليها بالحرب، وكانت إجابتهم متسرعة، تكشف عن غرور واستكبار - وتلك طبيعة الملأ - وهم يعتدون بقوتهم وبطشهم، وغفلوا عن الحكمة التي يجب تغليبها في مثل هذه المواقف: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿32﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿33﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿34﴾ ﴾[النمل: 32-34]. وكانت الملكة صاحبة سياسة وحكمة فأجابت الملأ بقولها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿35﴾ ﴾[النمل: 35].

- **الملأ من قوم سليمان:** وهم أصحاب الصلاح الذين يشيرون بالخير وينصحون بالحسنى ويتحلون بالتواضع، وقد سألهم سليمان عن الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿38﴾ ﴾[النمل: 38]. فقدم أفراد الملأ خدماتهم بكل تواضع، كل واحد حسب مقدرته التي وهبها الله له.

- **الأشراف من قوم فرعون:** وهم حاشيته ومستشاروه الذين أعانوه على الباطل، وزينوا له المنكر، واتهموا موسى عليه السلام بالسحر: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿109﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿110﴾ ﴾[الأعراف: 109-110]. ثم أشاروا عليه بقتل موسى ومن آمن به: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿127﴾ ﴾[الأعراف: 127].

ـ **الأشراف من بني إسرائيل:** وكانوا بعد وفاة موسى، وقالوا لنبيهم " **شمويل** " عين لنا ملكا يقودنا في القتال ضد أعدائنا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (246) ﴾[البقرة: 246].

الـمُـلك

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) ﴾[النساء 53].

المُلك: هو السلطان، والجاه، والعز، الذي يهبه الله لشخص من الناس يقوم بتسيير شؤون الرعية في المملكة أو الدولة، ويسمى **ملكًا أو صاحب ملك.** وجمعُ الكلمةِ هو (الملوك). وَذُكِرُوا في القرآن في عدة مواضع، ويمكن تصنيفهم إلى ثلاث فئـات:

* **الملوك الأنبياء:** وهم صفوة الخلق الذين اصطفاهم الله للنبوة، وزادهم الملك نعمة وفضلا وكرامة، والذين ذكروا في القرآن من ذرية إبراهيم (وهم يوسف، وداوود، وسليمان) وكلهم من بني إسرائيل، وقال الله فيهم: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) ﴾[النساء: 54]. وهؤلاء الأنبياء هم:

1 ـ **يوسف عليه السلام:** والذي صار عزيزاً لمصر، متصرفا في ملكها، ومسيرًا لشؤونها الاقتصادية والمالية، لأنه حاز صفات أهلته لتولي ذلك المنصب عن جدارة واستحقاق، وتلك الصفات هي: الأمانة والحفظ والعلم. وقد قابل يوسف ذلك بشكر الله على تلك النعمة بقوله على لسان القرآن: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) ﴾[يوسف: 101].

2 ـ **داود عليه السلام:** وقد أعطاه الله ملكًا عظيمًا في فلسطين، وثَبَّتَ حكمه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود، وزاده النبوة وحسن البيان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) ﴾ [ص: 20].

3 ـ **سليمان عليه السلام:** الذي ورث ملك والده: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ (16) ﴾[النمل: 16]. وكان ملكا عظيما، وسماه الله بملك سليمان: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ (102) ﴾[البقرة: 102]. ووسعه بتوفيق من الله وعونه، وأكرمه الله بالنبوة وزاده فضلاً، فمنحه ملكًا لم يعرفه أحد من بعده فذلل الله له الريح، والجن، وجعل له الرفعة في الدنيا، وحسن المآب في الآخرة: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي

مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ (35) فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ (36) وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ (37) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ (38) هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ (39) وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (40) ﴾[ص: 35-40].

* **الملوك الحكماء:** الذين عرفوا بالعدل في حكمهم، والصلاح في قومهم، فأثنى الله عليهم بما عملوا من خير، وبسياسة الأمور، والجهاد في سبيل الله، والذين ذكروا في الكتاب الكريم هم:

1ـ الملك الريان: وهو الريان بن الوليد بن ثروان أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام. وقيل هو دارم بن الريان، وعند الأقباط يدعى **(ويموص)**. وهو ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام؛ والذي عهد ليوسف بالوزارة، وكلفه بإدارة شؤون الملك؛ وكان ملكاً يحسن تقدير الأمور، فلما تبين له صدق يوسف وعفته، ورجاحة عقله، وحسن كلامه، وأمانته، ولاه الوزارة، وأطلق يده في شؤون الحكم، وجعله سنداً قويًا، وركيزة أساسية في الملك: ﴿ **قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ (55) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (56)** ﴾[يوسف: 55-56].

2ـ الملك طالوت: الذي كان ملكاً على بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام؛ وهو الذي اختاره لهم نبيهم **شمويل،** فقادهم طالوت في الحرب، وقطع بهم نهرالأردن نحو الأرض المقدسة (فلسطين):

﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ (247) ﴾[البقرة: 247]. وقد أعطى الله طالوت علما واسعا، وجسدا قويا، وهي صفات أساسية في الحاكم الحقيقي.

3 ـ الملكة بلقيس: أعطاها الله ملكًا معتبرا في بلاد اليمن؛ فيه سعة من المال، وكثرة من الرجال، ووفرة في السلاح، فضلا عن العرش العظيم، الذي توج بحكمة المرأة وحسن تقديرها، وتمييزها بين الملوك الصالحين وغيرهم، وهي المرأة الوحيدة التي تولت شؤون الحكم، وذكرت في القرآن الكريم: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ (23) ﴾[النمل: 23]. وزاد الله الملكة عدلا وحكمة بعد إسلامها مع سليمان، وتطبيقها لأوامر الله: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (44) ﴾[النمل: 44].

* **الملوك الأشداء:** وهم الملوك الطغاة، ويغلب عليهم الظلم والفساد في الأرض، وأحسن وصف لهم، ما ذكرته ملكة سبأ بقولها في القرآن: ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿34﴾ ﴾[النمل: 34]. وهؤلاء الملوك ذكر صنف منهم في القرآن في المواضع التالية:

1ـ النمرود بن كنعان: وهو الملك الذي طغى وتجبر، وحمله ذلك على إنكار وجود الله تعالى، وَظَلَمَ الخليل إبراهيم وألقاه في النار، ولكن الله جعلها بردا وسلاما عليه: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴿258﴾ ﴾[البقرة: 258].

2 ـ فرعون موسى: الذي رأى الآيات التي جاء بها موسى، فغض عنها الطرف، وافتخر على موسى بالملك العريض في مملكته بمصر، ونادى قومه قائلا: أفلا تبصرون عظمة ملكي وسعته وانتشاره، وليس لموسى أي شيء من الجاه والمال والسلطان: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿51﴾ ﴾[الزخرف: 51].

3 ـ الملك جلندي: وقيل منواه بن جلندي، وقيل هو هدد بن بدد. وهو ملك كافر عرف بظلمه واعتدائه على أملاك الناس، فيأخذ الجميلة منها غصباً وعدوانًا، وذكر في القرآن في سياق قصة الخضر مع موسى، فقد خرق الخضر السفينة حتى يجنبها خطر الملك الظالم " جلندي"، فهو لا يغتصب السفينة المشوهة: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿79﴾ ﴾[الكهف: 79].

وعموما فالملوك في القرآن الكريم صنفان: أهل الإيمان، وأصحاب العدل والإحسان، وهم الأنبياء والحكماء؛ وأهل الكفر، وأصحاب الظلم والطغيان، وهم الملوك الأشداء الألداء.

مهجع

﴿ الٓمٓ ﴿1﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿2﴾ ﴾[العنكبوت: 1-2].

مهجع: هو مولى عمر بن الخطاب، وأصله من اليمن، وكان من الذين اعترضت عليهم قريش، وسألوا النبي أن يطردهم من مجلسه؛ قال ابن عباس وهم: بلال وصهيب وعمار وخباب وعتبة بن غزوان ومهجع مولى عمر وأوس بن حولي وعامر بن فهيرة. فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ

مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنعام: 52-53].

وكان مهجع أول قتيل من المسلمين في غزوة بدر، فعندما كان في الصف أتاه سهم غرب رماه نحوه عمرو بن الحضرمي فقتله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **سيد الشهداء مهجع** "، وهو أول من يُدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة كما قال مقاتل. ولما استشهد جزع عليه أبواه وامرأته، فأنزل الله فيه وأصحابه أول سورة العنكبوت، وأخبر الله أنه لا بد من البلاء والمشقة في ذات الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[العنكبوت: 1-2].

أم مهزول

﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[النور: 3].

وهي امرأة من البغايا (أي الزانيات)، كانت تسافح الرجل وتشرط عليه أن تنفق عليه، فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها، وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[النور: 3]. وشملت الآية كل النساء البغايا بمكة والمدينة، وهن صاحبات الرايات، وكن تسع نسوة، وكان لا يدخل عليهن إلا زان أو مشرك، وأراد ناس من المسلمين أن يتزوجوا منهن، ولكن الآية نهت المؤمنين وحرمت عليهم الزواج منهن.

موسى عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[غافر: 23].

- **نسبه:** هو موسى بن عمران (عمرام بالعبرية) بن قاهث (أو قاهت) بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل. واختلف في معنى موسى. فقيل هو الإسم الذي عرف به في قصر فرعون، ومعناه المنتشل من الماء، وفي المصرية القديمة (موريس) مو: ماء. أوريس: منتشل. وقيل الإسم مركب من كلمتين (مو: شا) مو: الماء. شا: الشجر، لأن أمه ألقته بين الشجر والماء.

وتنقسم قصة حياته إلى ستة أقسام رئيسية:

- **المرحلة الأولى: تربية موسى في قصر فرعون:** أصاب بني إسرائيل ظلم كبير من فرعون، فلما ولد موسى خافت أمه عليه، فأخفته مدة ثم صنعت له تابوتًا وألقته في نهر النيل، فالتقطه آل فرعون، فلما فتحوا

التابوت، رأت امرأة فرعون طفلا جميلاً، فقذف الله حبه في قلبها ـ وتلك عناية الله ورعايته لنبيه عليه السلام ـ فطلبت من فرعون أن يبقيه لينفعهم حين يكبر، أو يتخذه ولدا. فتربى عند أمه مدة، ثم أعيد إلى القصر، ولما بلغ أشده أتاه الله صحة وعقلا، وقوة وبأسا شديدا.

وكان موسى يعين قومه من بني إسرائيل، ويدفع عنهم ظلم الأقباط (قوم فرعون) ، وذات يوم وهو يتجول في مدينة منف، استنجد به أحد الإسرائيليين، فأعانه موسى ودفع عنه الظلم، ولكنه تسبب في قتل القبطي، ثم تاب إلى الله من هذا القتل الخطأ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿15﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿16﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿17﴾ ﴾[القصص: 15-17].

ولكنه كان خائفا من افتضاح أمره، فأخذ يتجول في المدينة، فتسبب له الإسرائيلي في مشكلة أخرى، فغضب عليه موسى وأراد عقابه، حينئذ كشف أمره للناس قائلا: ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿18﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿19﴾ ﴾[القصص: 18-19].

ـ **المرحلة الثانية: حياة موسى في أرض مدين:** خاف موسى من العقاب الشديد ـ وهو القتل ـ فهرب إلى أرض مدين: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿21﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿22﴾ ﴾[القصص: 21-22].

فلقي عند الماء بنتي شعيب فسقى لهما، وكان ذلك سبباً في ربط العلاقة الأسرية، والتي بدأت بالضيافة، وتطورت إلى الزواج، فقد زوجه شعيب من ابنته (**صفورة**) ، وقد جعل مهرها أن يرعى الماشية ثماني سنين، وله الخيار في إتمام سنتين، فقبل موسى، وعاش راعيا في أرض مدين: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿27﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿28﴾ ﴾[القصص: 27-28]. وولدت له ولدا سماه (جرشوم) ومعناه: غريب المولد.

- **المرحلة الثالثة: طريق الرجوع من مدين إلى مصر:** وبعد إتمام العدة المتفق عليها في خدمة صهره (المفسرون قالوا أتم عشر سنين) ، عزم موسى على الرجوع بأهله إلى أرض مصر، وقد بلغ من العمر نحو الأربعين - وقد أعطاه صهره نتاج غنمه في تلك السنة - وأثناء رجوعه ضل الطريق في سيناء، وكانت ليلة باردة يكسوها الظلام الدامس، واحتاج إلى النار، فأبصرها من بعيد، فعزم على الذهاب إليها لجلب قبس منها للدفء، والاستفسار من أصحابها عن جادة الطريق. فلما وصل إلى مكان النار قرب جبل الطور، وجدها في شجرة عليق أو عوسج، ووجد النار لا تنطفىء والعليق لا يشتعل، ووجد المكان خاليا من الناس، وحينئذ انبعث صوت يناديه باسمه، ويطمئنه أنه خالقه، ويأمره بخلع نعليه، وذلك زيادة في أنسه بربه، حتى يتهيأ للأمر الجلل، والرسالة العظيمة، والتكليف بالدعوة إلى الله: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝9 إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝10 فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝11 إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝12 ﴾[طه: 9-12]. ثم علّمه الأصول العامة للرسالة، والتكاليف الهامة في طريق الدعوة:

1) **أمره بالتمسك بالدين الجديد:** والذي يقوم على عقيدة التوحيد، والإيمان باليوم الآخر، وأساس العبادة فيه هي إقامة الصلاة لله رب العالمين: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝13 إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝14 ﴾[طه: 13-14].

2) **تكليفه بالرسالة والدعوة لفرعون وقومه:** ونبهه إلى طغيان فرعون: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝10 قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۝11 قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝12 وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝13 وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝14 قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝15 ﴾[الشعراء: 10-15].

3) **تأييد الله لموسى بمعجزتي العصا واليد:** وحتى يطمئن موسى أمره الله أن يلقي عصاه، فتحولت بإرادة الله إلى حية تسعى، فخاف موسى، فأمره الله أن يأخذها لأنها آية لفرعون وقومه، وزاده معجزة اليد التي يجعلها بيضاء من غير مرض:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝17 قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝18 قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝19 فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝20 قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝21 وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝22 لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا

ٱلۡكُبۡرَى ﴿23﴾ ﴾[طه: 17-23]. وجعلهما من البراهين المؤيدة له في دعوته: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿32﴾ ﴾[القصص: 32].

4) جعل الله هارون وزيرا لموسى: وتحتاج الدعوة إلى سند بشري، وقد استجاب الله لموسى، فآزره بأخيه هارون الذي كان في مصر، ويعرف الحوادث التي يجهلها موسى ـ بسبب غيابه الطويل في مدين ـ وهو أفصح منه لسانا، وهو أكبر منه بثلاث سنين: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴿35﴾ ﴾[الفرقان: 35]. وعلمهما آداب الدعوة، وأن يكون كل اعتمادهما على الله: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿42﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿43﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿44﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿45﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿46﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿47﴾ ﴾[طه: 42-47].

بعد هذا التكليف تابع موسى سيره نحو مصر، فوصلها ليلا، ولما أتى دار أهله ظنوه ضيفا، فأقام بعض الوقت، وتعرف على أخيه هارون فتعانقا، وفرحت أمه بمقدمه، وقص عليهم أمره، وأخبرهم بالرسالة، فنصحت الأم ولداها بعدم الذهاب إلى فرعون خوفا من قتلهما، ولكن أمر الله يجب أن يطاع.

ـ المرحلة الرابعة: دعوة موسى لفرعون وأثرها على المجتمع الإسرائيلي: توجه موسى وأخاه هارون إلى فرعون تملأ نفسيهما ثقة كبيرة في الله تعالى، وتوكلاً عليه، واعتزازا بالرسالة التي حُمِّلاها، ومرت تلك الدعوة بالخطوات التالية:

1) إعلان موسى دعوته ومقابلة فرعون ذلك بالمن والأذى: استهل موسى دعوته لفرعون، بإظهار الصدق وقول الحق، مبينا أن الله بعثه برسالته، وطلب من فرعون أن يسمح لبني إسرائيل بالخروج معه (أي موسى) إلى أرض فلسطين، وتخليصهم مما هم فيه من الاستعباد: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿104﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿105﴾ ﴾[الأعراف: 104-105]. وكان رد فرعون على موسى هو:

ـ استغرب فرعون كلام ربيبه السابق، لأن موسى تربى في كنف والده " رمسيس الثاني " ونشأ في قصره، والوفاء يقتضي منه أن يكون وفيًا لوالده بالتبني، وقد عاش في قصره مدة ثلاثين سنة: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿18﴾ ﴾[الشعراء: 18].

ـ وذكره فرعون بقتله الرجل القبطي ـ فقد ارتكب جريمة تستحق القتل ـ فلا يجوز له أن يدعي الرسالة، فرد موسى بأن الله تاب عليه، واختاره رسولا: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (21)﴾[الشعراء: 19-21].

2) الحوار بين موسى وفرعون في ربوبية الله: كان فرعون يدعي الألوهية، ويستغرب أي دعوة تنازعه الربوبية: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (23)﴾[الشعراء: 23]. فرد عليه موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (24)﴾[الشعراء: 24]. فتعجب فرعون من قول موسى، ثم قال للملأ المجتمعين من حوله: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25)﴾[الشعراء: 25]. فتابع موسى كلامه مبينا بالحجة الساطعة، أن الرب لا يموت ولا يفنى، وهو موجود من قبل فرعون: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (26)﴾[الشعراء: 26]. ولما أفحم موسى فرعون بالحجة البالغة، تخلى فرعون عن لغة الحوار واختار لغة الإعراض والإفتراء والسخرية: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27)﴾[الشعراء: 27]. فقال له موسى متحديا، ومنبهاً، بأن الكون الفسيح لا يملك فرعون أي تصرف فيه: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (28)﴾[الشعراء: 28].

ولما أدرك موسى وهارون أن فرعون أخذته العزة بإثمه، عمدا إلى لغة الترهيب والتخويف فقالا: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (48)﴾[طه: 48]. حينئذ رجع فرعون إلى لغة الحوار متسائلا عن ربهما: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (49)﴾[طه: 49]. فرد موسى قائلا: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (50)﴾[طه: 50]. فسأله فرعون عن مصير الأجيال السابقة: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (51)﴾[طه: 51]. فأحال موسى أمرهم إلى الله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52)﴾[طه: 52]. ثم أكد على قدرة الله الذي مهد الأرض للناس، وأنزل الماء من السماء، وأخرج النبات من الأرض، وسخره للأكل ورعي الأنعام، وقدمه آية بينة لمن يتدبر في خلقه من أصحاب العقول النيرة: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (53) كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ (54)﴾[طه: 53-54].

ولكن فرعون جحد تلك الحقيقة الواضحة، وأنهى الحوار بسرعة، وتمسك بالألوهية المزيفة، واتجه إلى الملأ قائلا: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[القصص: 38].

3) تقديم موسى المعجزات الأولى، وإيمان السحرة بالله: طلب فرعون من موسى دليلا واضحًا، وحجة ملموسة تُثْبِتُ رسالته، فألقى موسى عصاه فتحولت إلى ثعبان، وأخرج يده فصارت بيضاء تتلألأ ـ من غير مرض ـ أمام الملأ من قوم فرعون، فأرجعوا ذلك إلى عمل السحر: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[الأعراف: 109-110]. ثم أشاروا على فرعون أن يجمع السحرة لمقابلة سحر موسى - كما يزعمون - ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[الأعراف: 111-114]. واجتمع الناس في يوم الزينة، وألقى السحرة الحبال والعصي وسحروا أعين الناس، ولكن عصا موسى ـ لما ألقاها في وسط الحلبة ـ أظهرت زيفهم وأبطلت سحرهم، والتهمت ما رموه، فأيد الله نبيه، وفتح عيون السحرة على حقيقة الإيمان، وحولهم إلى وسيلة بليغة للدعوة إلى الله، فسجدوا لله رب العالمين، دون مراعاة أمر فرعون، ولم يبالوا بتهديده ووعيده، ما دام الإسلام هو الدين الذي فتح الله قلوبهم له: ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[الأعراف: 120-126]. وقابل فرعون ذلك بتعذيب بني إسرائيل - مثلما فعل والده من قبل- فقتل الأبناء، واستعبد النساء، وأوصى موسى قومه بالصبر والثبات، ودعاهم إلى الاستعانة بالله، لأن العاقبة للمتقين: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[الأعراف: 127-128].

4) دعاء موسى على القوم الظالمين: دعا موسى ربه، وَأَمَّنَ على الدعاء أخوه هارون، واستجاب الله، فعاقب فرعون وقومه بشتى العقوبات، وثبت موسى وهارون: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿88﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿89﴾ ﴾[يونس: 88-89]. والعقوبات التي أصابهم الله بها هي:

ـ **الجدب والقحط ونقص الثمرات،** مع عجز فرعون أمام قوة الله الواحد القهار: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿130﴾ ﴾[الأعراف: 130]. ولكنهم لم يرتدعوا، واستمروا في كيدهم وعنادهم، فأصابهم الله بنوع آخر من المصائب والعقوبات.

ـ **فغمر الطوفان أراضيهم،** وأكل الجراد مزروعاتهم، وانتشر القمل في محيطهم فأفسد عليهم نومهم وثمارهم، وسقطت الضفادع في طعامهم ومتاعهم، وسالت الدماء من أنوفهم وأفواههم، وتلوث كل شيء عندهم. وكانوا كلما أصابهم سوء يقولون لموسى: لئن كشف الله السوء عنا، سوف نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، ولكنهم بمجرد كشف السوء يرجعون إلى طبيعتهم وينكثوا عهدهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿132﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿133﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿134﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿135﴾ ﴾[الأعراف: 132-135].

5) خروج موسى ببني إسرائيل، وهلاك فرعون وقومه: أمر الله نبيه موسى عليه السلام بالخروج من مصر، فخرج ليلا في سِرِّيَّةٍ ومعه قومه من بني إسرائيل، واتجه بهم قاصدا أرض فلسطين، ولما علم فرعون بأمرهم، قام باستنفار الناس من الأقاليم المجاورة، وجمع جيشا كبيرا، وأشعر الناس أنهم شرذمة قليلة، وأنهم هربوا بأموال القبط وسرقوا منهم حلي نسائهم. فاستجاب الناس، ولحقوا بموسى وبني إسرائيل، فأدركوهم مع شروق الصباح على ساحل البحر الأحمر على خليج السويس، فأوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه، فانشق البحر بقدرة الله تعالى، وصار فيه اثنا عشر طريقا على عدد أسباط بني إسرائيل، ووقف الماء بين الطرق اليابسة كالجبل العالي، وعبر موسى وقومه بيسر، ونجاهم الله، ولحق بهم فرعون بجيشه الكبير، فلما توغلوا في وسط الطريق غمرهم الماء، فهلكوا جميعا: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ

إِسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿52﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿53﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿54﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿55﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿56﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿57﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿58﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿59﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿60﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿61﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿62﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٖ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿63﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿64﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿65﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿66﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿67﴾ ﴾[الشعراء: 52-67].

ـ **المرحلة الخامسة: أحوال بني إسرائيل في طريقهم إلى بيت المقدس:** عندما ترك موسى مصر، وسار بقومه في صحراء سيناء، تعددت مطالبهم، وضلوا ضلالا مبينا، وأهم مطالبهم هي:

***الحنين إلى وثنية المصريين:** فرغم ما فعله موسى وهارون ببني إسرائيل، من دعوة إلى عقيدة التوحيد، إلا أن نفوسهم بقيت متأثرة بما ألفوه من وثنية المصريين، فلما جاوزوا البحر ومروا بقوم من عبدة الأصنام، طلبوا من موسى أن يجعل لهم صنمًا يعبدونه، فلامهم موسى، وذكرهم بالله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٖ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٖ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٞ تَجْهَلُونَ ﴿138﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿139﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿140﴾ ﴾[الأعراف: 138-140].

* **المطالبة بانواع الملذات والنعم:** وأهم المطالب التي سألوا موسى أن يدعو ربه، هي:

ـ طلبوا منه الماء للشرب لهم ولدوابهم، فضرب موسى الحجر بعصاه، فتفجرت اثنتا عشرة عينا على عدد قبائل بني إسرائيل (وهذه العيون تقع بالبر الشرقي غير بعيدة عن مدينة السويس المصرية، وتعرف بعيون موسى).

ـ ولما أحرقتهم الشمس في سهول شبه جزيرة سيناء، شكوا حالهم لموسى، فدعا ربه فساق إليهم الغمام، فكان ظلالا وارفة في صحراء قاحلة.

ـ وعندما أوشك زادهم على النفاد، سأل موسى ربه فأنزل عليهم **المنَّ:** وهو طعام يشبه العسل ينزل من السماء. **والسلوى:** وهو طائر السماني، فأكرمهم الله به طعاما شهيا، رزقا للعباد: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنٗاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ

وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف: 160].

* **المطالبة بالدني من الطعام:** وقد قابل اليهود تلك النعم المنزلة من السماء بالكفران، وطالبوا بطعام الأرض الدني، من بقول وبصل وثوم وعدس وغيره، ولكن الله حفزهم إلى دخول بلدة تتوفر فيها أسباب الزراعة، ولعل بلاد الشام غنية بمزروعاتها وهي مقصدهم بعد خروجهم من مصر سالمين: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: 61].

* **توجه موسى لميقات ربه:** سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده، فأمره الله أن يقصد سفح جبل الطور الأيمن، ويمكث فيه ثلاثين يوما صائما متعبدا لله، فلما أتم العدة، أمره الله أن يزيد عشرة أيام أخرى، فلما أتمها كلمه ربه، فطلب موسى من ربه أن يتجلى له، فتجلى الله للجبل فخر موسى مغشيا عليه، فلما أفاق طلب التوبة، فخاطبه الله (بأسفار التوراة) التي يحتاجها بنو إسرائيل وفيها المواعظ والأحكام: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: 142-145].

* **عبادة بني إسرائيل للعجل عند غياب موسى:** عندما كان موسى مستغرقا في عبادة ربه، يناجيه ويتضرع إليه، أغراهم السامري، واستغل رواسب الوثنية التي جلبها بنو إسرائيل من مصر، وصنع لهم - من حلي المصريين المغتصب - عجلا من ذهب خالص له خوار، وعجز هارون عن ردهم إلى جادة

الصواب، وأبوا الرجوع إلى الحق، وقالوا ننتظر حتى يرجع إلينا موسى، وضلوا عاكفين على عبادة العجل: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى (90) قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (91) ﴾ [طه: 90-91]. فلما رجع موسى، لامَ قومه، وتوعد السامري بعقاب الله الأليم، فندم القوم، واستغفروا الله وتابوا إليه، فأوحى الله إلى موسى، أنه لن يقبل توبتهم حتى يقتلوا أنفسهم، ويرضوا بحكم الله، ولكنه سبحانه تاب عليهم قبل توبتهم، لأنه رحيم بعباده: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (54) ﴾ [البقرة: 54].

* **اعتذار بني إسرائيل، وعفو الله عنهم:** اختار موسى سبعين رجلا من قومه، فذهبوا معه إلى جبل الطور ليتضرعوا إلى الله، ويسألوه التوبة والمغفرة على ما صدر منهم من عبادة العجل، فلما كلم الله موسى، نسي القوم حالهم وطلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) ﴾ [البقرة: 55-56].

فلما أخذتهم الصاعقة، تساقطوا على الأرض صرعى لا حراك لهم، فتضرع موسى إلى الله، وطلب العفو عنهم، فغفر الله لهم وأعادهم إلى الحياة: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (155) ﴾ [الأعراف: 155].

* **أمر موسى قومه بدخول الأرض المقدسة:** قبل أن يأمر موسى قومه بدخول الأرض المقدسة، أرسل إليها فرقة تستطلع حالها، فأخبرته الفرقة أن بها قوما أقوياء يعيشون في مدن حصينة، وبناء على هذا التقرير، امتنع القوم عن دخولها خوفا من أهلها الجبابرة: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ (21) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ (22) ﴾ [المائدة: 21-22]. ثم ساء أدبهم مع نبيهم موسى؛ وقالوا لموسى: إننا ننتظر، فقاتلهم أنت وربك: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ (24) ﴾ [المائدة: 24].

* **ضرب الله التيه على بني إسرائيل:** لما تأكد موسى من إصرار قومه وعنادهم، فوض الأمر إلى الله، فاستجاب الله له، وجعل الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة، وضرب عليهم التيه في صحراء سيناء وما جاورها، وأمر الله نبيه ألا يحزن عليهم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿25﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿26﴾ ﴾[المائدة: 25-26].

المرحلة الأخيرة: وفاة موسى عليه السلام:

عاش موسى مع قومه في التيه، ولما قرب وقت الرحيل إلى الرفيق الأعلى، عهد إلى فتاه يوشع بن نون أن يقود بني إسرائيل ويدخل بهم الأرض المقدسة. أما وفاته فقيل: أمره الله أن يذهب إلى جبل نبُو (الرمل الأحمر) ، وهو جبل في مؤاب شرقي البحر الميت، وأن ينظر إلى الأرض المقدسة ولا يدخلها، وهناك مات موسى ودفن على الفسيحة وهي الكثيب الأحمر، في الأرض الأردنية، وقيل دفن بالوادي في أرض مؤاب، ولم يعرف قبره لهذا العهد. وقيل أيضا: لما جاءه ملك الموت وعلم أن الموت لابد منه قال: " رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، فأدني منها ودفن بها". وقيل عاش عمرا مديدا، دام مائة وعشرين سنة، ما بين **1436 ق م - 1316 ق م.** وذكر بعض المؤرخين تاريخا آخر متأخرا، وهو القرن **الثاني عشر ق م**، لأنه عاصر فرعون (منفتاح) الذي عاش ما بين **1230 ق م - 1215 ق م.** والله أعلم بالصواب.

أم موسى

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿7﴾ ﴾[القصص: 7].

أم موسى: هي يوكابد (أو يوحاند) بنت لاوى بن يعقوب، وقيل هي عمة عمران والد موسى، لأن الزواج بالعمة كان مباحا، ثم نزل تحريمه في شريعة موسى.

وعاشت مثل قومها من بني إسرائيل في حياة الاستعباد التي فرضها عليهم الفرعون رمسيس الثاني، وولدت هارون في السنة التي يترك فيها الأبناء، وبعد ثلاث سنوات ولدت ابنها الثاني موسى عليه السلام، ووافق ذلك السنة التي يقتل فيها كل ذكر من بني إسرائيل، فلما وضعت وليدها خبأته عن العيون (وقيل أن القابلة القبطية المكلفة بها هي التي أخفت الأمر) وكانت ترضعه وتربيه، ومكث عندها زمناً اختلف في مدته (قيل يوما واحدا، وقيل ثلاثة أشهر) ، ولما تزايد خوفها من وشاية الجيران، عمدت إلى صندوق من الخشب، أحكمت صنعه، وطلته بالقطران، وجعلته مبطنا بالقطن المنفوش، وغطته وجعلت له بعض الفتحات لتهويته، ووضعت الوليد بداخله، ولما حان وقت الليل، دفعته في ماء النيل، فأخذ يتدحرج وينساب حتى وصل إلى قصر فرعون، واستقر في الشاطىء بالقرب من قصر **نفرتاري مرنموت** زوجة فرعون الأولى، وتصادف وصوله مع خروج بعض وصيفات الملكة، فحملنه إليها، ففتح بين يديها، فرأت بداخله صبيا حديث الولادة (قيل في إحدى الروايات، يتراوح عمره بين اليوم والإثنين) مستلقيا على ظهره ويمص إبهامه، وله من الحسن والجمال ما يلفت النظر، فضلا عما في عينيه من جاذبية تدعو إلى محبته والرأفة به، وحينئذ ألقى الله محبته في قلب نفرتاري، وأطلقت عليه اسم موسى، بمعنى ابني أو وليدي أو طفلي. وأراد فرعون قتل الطفل، فدافعت عنه، وتحببت إلى زوجها: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿9﴾ ﴾[القصص: 9].

ولكن الطفل رفض كل المرضعات، ولما سمعت أمه بتردد المرضعات على قصر فرعون، طلبت من ابنتها أن تأتيها بالأخبار، فدخلت أخته مع المرضعات، وقالت لهم: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿12﴾ ﴾[القصص: 12]. فطلبوا منها إحضار المرضعة، فأتت بأمه إلى القصر، ولما أمسكته التقم ثديها، وأخذ يرضع في أمان، ففرح الجميع بذلك. ولكن فرعون شك في أمرها فسألها من أنت؟ فقالت: " إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني". وهكذا عاد موسى إلى أمه، وتحقق وعد الله لها: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ

﴿ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾ [القصص: 13]. وعاش موسى مع أمه فترة، ثم تربى في قصر فرعون، حتى خرج إلى أرض مدين، وبعد رجوعه التقى بأمه، وأخبرها بأمر الرسالة، وتحقق أمر الله لها لما خافت عليه وهو صبي: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾ [القصص: 7].

أخت موسى

﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١﴾ [القصص: 11].

أخت موسى: وتدعى **مريم**، وهي شقيقة موسى وهارون، وتجاوزت سن الإدراك حينما ولد موسى. وقد كلفتها أمها بتقصي خبر أخيها موسى بعد إلقائه في البحر، فأتت قصر فرعون وعلمت بأمر المراضع، وكيف امتنع موسى عنهن، فعرضت عليهم مريم المساعدة، وأخبرتهم أنها تعرف مرضعة مخلصة للأسرة الحاكمة: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ [القصص: 12]. وفعلا نجحت في مهمتها ورجع موسى إلى أمه ورضع من لبانها، واستكمل عدته كما أراد له الله سبحانه وتعالى، وبسط عليه رعايته، وأسبغ عليه نعمته، وهداه إلى سواء السبيل.

وكانت مريم زوجة لأحد النقباء الذين أنعم الله عليهم وهو **كالب بن يوفنا**، صاحب **يوشع بن نون** ورفيقه في دعوة بني إسرائيل إلى دخول الأرض المقدسة، والذي قال الله فيه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: 23].

﴿حـرف النون﴾

نبتل بن الحارث

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴿61﴾ ﴾[التوبة: 61].

هو أحد منافقي المدينة، وكان رجلا أحمر العينين، أسفع الخدين (اسود مشرب بحمرة) ، مشوه الخلقة، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: " من أراد أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث". وكان يُنمُّ حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين أمثاله، مثل عتاب بن قشير، وعبد الله بن أبي بن سلول وغيرهم؛ فقيل له لا تفعل، فقال: إنما محمد أُذُنُ من حَدَّثَهُ شيئا صدقه؛ نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا؛ فنزل القرآن يخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن خير، يعرف الصادق من الكاذب، فيصدق المؤمنين، ويتوعد الكافرين والمنافقين بالعذاب الأليم، والآية التي نزلت في نبتل بن الحارث واصحابه هي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿61﴾ ﴾[التوبة: 61].

نـجاشي الحبشة

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ ﴿199﴾ ﴾ [آل عمران: 199].

هو أصحمة بن أبجر، ولقبه النجاشي، وهو لقب له ولملوك الحبشة جميعا - مثل كسرى لفرس وقيصر للروم - وهو الوحيد عند والده أبجر ملك الحبشة. وقد تآمر الأحباش على والده فقتلوه، ونصبوا أخاه ملكا، ولما كبر أصحمة (النجاشي) طلبوا من عمه الملك ان يقتله، لأنهم يخافون أن يصل إلى الحكم من بعده، فرفض العم ذلك، لكنه رضي بإبعاده عن البلد، ولكن عمه توفي بعد يوم واحد، ورفض أبناؤه الاثنا عشر أن يتولوا سلطة البلاد، فبحثوا عن **أصحمة**، وتوجوه ملكا وبايعوه، فحكم البلاد بالعدل والاحسان. وبعد استقرار ملكه، بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا، دعا قومه إلى الله، ولكنهم عادوه وظلموا اصحابه في مكة، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: **"إن في أرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده... فالحقوا ببلاده، ولوذوا بحماه حتى يجعل الله لكم من امركم فرجا، ويهيئ لكم من ضيقكم مخرجا".**

فهاجر إليه ثمانون صحابيا بين رجال ونساء، واستقروا في أرضه آمنين. وقد أرسل له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا، فلما وصله الكتاب وقرأه قال: " **أشهد بالله إنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب**".

وبعثت قريش في طلب المهاجرين، وأرسلت الهدايا المغرية مع صديق النجاشي عمرو بن العاص، ومرافقه عبد الله بن أبي ربيعة، ولكن النجاشي تأكد من عقيدة المسلمين وهي (التوحيد) وكان النجاشي نصرانيا نسطوريا، ومذهب نسطورا قائم على التوحيد، وينكر ألوهية المسيح. ثم قرأ عليه جعفر بن أبي طالب
صدرًا من سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِن
دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18)
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا
مَّقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ
قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24)﴾ [مريم:
16-24]. فبكى النجاشي بعد سماعه الآيات حتى أخضلت لحيته بالدموع، وبكى الأساقفة وقال لصديقه عمرو بن العاص: " **إن هذا الذي تُلِيَ علينا، والذي جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة**. "ثم قال لهما: " **والله لا اسلمهم إليكما أبداً** ". وقال للمهاجرين (جعفر ومن معه من المسلمين) " **اذهبوا فأنتم آمنون في أرضي**".

ثم أخذت الروابط تتعمق بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كانت السنة السابعة من الهجرة بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري برسالة يدعوه فيها إلى الاسلام، فلما قرأها نزل عن سريره تواضعا ثم أعلن إسلامه على ملأ من حاشيته، وشهد شهادة الحق وقال: " **لو كنت أستطيع أن آتي محمدا عليه الصلاة والسلام لذهبت إليه، وجلست بين يديه** ". ثم كتب رسالة رقيقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يجيبه فيها إلى دعوته، ومما ورد في كتابه: "**... فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين**".

حينئذ أخرج عمرو بن أمية الضمري رسالة أخرى، يخطب فيها من النجاشي، أم حبيبة - رملة بنت أبي سفيان - لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشارها النجاشي، فقبلت ووكلت عنها خالدًا بن سعيد بن العاص، واجتمع الصحابة في قصر النجاشي ليشهدوا عقد الزواج، فقام النجاشي أولا ثم قال:

أما بعد: **فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام طلب مني أن أزوجه رملة بنت أبي سفيان، فأجبته إلى ما طلب، وأمهرتها نيابة عنه أربعمائة دينار ذهبا على سنة الله ورسوله**. ثم قام خالد بن سعيد بن العاص،

فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال: أما بعد: **فقد أجبت طلب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وزوجته موكلتي رملة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله في زوجته، وهنيئًا لرملة بما أحظاها الله به من الخير.**

وأعد النجاشي سفينتين من سفنه، وأرسل عليهما أم المؤمنين رملة وابنتها حبيبة، ومن بقي عنده من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسل طائفة من (الأحباش) الذين آمنوا بالله ورسوله، وتشوقوا للقاء النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أميرهم جميعا جعفر بن أبي طالب. وأهدى النجاشي إلى رملة جميع ما عند نسائه من طيب، وحملهم بعض الهدايا إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

وقبيل فتح مكة بقليل انتقل النجاشي إلى جوار ربه؛ فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة للصلاة عليه وقال: **(إن أخاكم أصحمة النجاشي قد توفي فصلوا عليه). ثم أمهم النبي** صلى الله عليه وسلم في مقبرة البقيع، فصلوا عليه صلاة الغائب، فكبر أربع تكبيرات، واستغفر له وقال لأصحابه: استغفروا له. فقال المنافقون: أنظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني، ولم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿199﴾ ﴾ [آل عمران: 199].

ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم على غائب أبدًا قبل النجاشي ولا بعده، قالت عائشة رضي الله عنها: **"لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور".** رواه أوداود.

الأنــصـــــار

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿100﴾ ﴾ [التوبة: 100].

الأنصار: هم اهل المدينة المنورة الذين آووا النبي صلى الله عليه وسلم، ونصروه وآزروه، فقد رضي الله عنهم، ومدحهم في القرآن، بالصفات الحميدة، والخصال الكريمة، وأجلها صفة " **الايثار**" فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿9﴾ ﴾ [الحشر: 9]. وجعلهم إخوة وأولياء للمهاجرين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ

وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ ﴾[الأنفال: 72]. وجعلهم الله من المومنين حقا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال: 74].

ويعرف الأنصار **ببني قَـيْلَةَ،** نسبة إلى أمهم قيلة بنت عمرو بن جفنة. قال ابن حزم: هي قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة. وقيل: هي قيلة بنت كاهل بن عذرة من قضاعة. أما والدهم: فهو ثعلبة بن عمرو، ومن نسله الأوس والخزرج. وجعل الرسول محبتهم دليلا على عمق الايمان، فقال: **(حب الأنصار من الايمان، وبغضهم من النفاق).**

وعندما فتح الله مكة، قال الانصار فيما بينهم: أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها - وكان النبي حينئذ يدعو على الصفا رافعا يديه - فلما فرغ من دعائه قال: **ماذا قلتم؟** قالوا لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(معاذ الله المحيا محياكم، والممات مماتكم).**

وكان للأنصار في غزوة حنين دور كبير في الدفاع عن رسول الله والثبات معه، في الوقت الذي تفرق عنه الناس، ولكن لما حان موعد توزيع الغنائم؛ وزع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم - وكانت كثيرة - فأعطى الفارين، وحرم الأنصار من العطية، وأحس الانصار بذلك وتحدثوا حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الانصار منها شيء. قال: " **فأين أنت من ذلك يا سعد؟** " قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي: قال:

"**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة**" فجمعهم، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: **(يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟)** قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل.

ثم قال: **(ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟)** قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل.

قال: **(أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقْتمْ ولصدّقْتمْ: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك).**

(أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار). فبكى الأنصار حتى بللوا لحاهم بالدموع، وقالوا: **رضينا برسول الله صلّى الله عليه وسلم قسما وحظًا**، ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وتفرقوا.

النصارى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: 62].

النصارى: هم أتباع عيسى عليه السلام، ومعناها: أنهم أنصار الله، وسموا أنفسهم بذلك، فقد نصروا المسيح ومنهم الحواريون: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: 14].
وعرفت شريعته بالنصرانية، نسبة لأتباعه.

وحدد القرآن العلاقة بين النصارى والمسلمين، فأخبر تعالى أن طائفة منهم يكنون العداوة والبغضاء للمسلمين، وحذر منهم في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: 120].

وقد أخذ الله منهم الميثاق على توحيد الله، والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فتركوا ما أمروا به من الإنجيل، ونقضوا الميثاق، فلما فعلوا ذلك، جعل الله العداوة والبغضاء بين فرقهم إلى يوم القيامة: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: 14].

ونهى الله المؤمنين عن موالاتهم ونصرتهم على تلك الحالة السابقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: 51].

أما الذين ميزهم الله بالمودة للمؤمنين، فهم النصارى الذين آمنوا من أهل الحبشة، ومنهم النجاشي وأصحابه، الذين استجابوا للحق، وفيهم نزلت الآية الكريمة: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿82﴾ ﴾ [المائدة: 82].

نصارى نجـران

﴿ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿61﴾ ﴾[آل عمران: 61].

نجران: هي موضع يقع جنوب مكة المكرمة ويبعد عنها بنحو910 كلم. وهي بلدة أقرب إلى اليمن، وكانت تشتمل على **73 قرية**، وهي أرض النصارى الذين دعاهم ذو نواس إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل، ونفذه في الأخدود الذي ذكره الله في سورة البروج.

وقدم وفد من أهل نجران إلى المدينة سنة **9هـ،** وكانوا ستين راكبًا، منهم **14** من الأشراف، وثلاثة منهم هم زعماء نجران بأكملها، وكان أميرهم وحاكمهم يدعى **عبد المسيح،** والثاني هو السيد وهو صاحب رحلهم ويشرف على الأمور الثقافية والسياسية، واسمه **"الأيهم أو شرحبيل"،** والثالث الأسقف او الحبر وكانت له الزعامة الروحية، ويدعى: **"أبو حارثة بن علقمة. "**

ودخلوا إلى المسجد النبوي بعد صلاة العصر، وعليهم ثياب الحِبرَةَ وأردية الحرير مختمين بالذهب، ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاءوا بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقبل البسط وقبل المسوح، ولما حضر وقت صلاتهم، صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس، ولما أتموا صلاتهم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبوا وقالوا له: **" كنا مسلمين قبلكم ".** فقال صلى الله عليه وسلم: (يمنعكم من الاسلام ثلاث: عبادتُكم الصليب، وأكلُكم الخنزير، وزعمُكم أن لله ولدًا، قالوا: فمن مثل عيسى من غير أب؟ وأخذوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم، فتكلم منهم أولئك الثلاثة، فقالوا تارة أن عيسى هو **"الله"** لأنه كان يحيي الموتى، وتارة هو **" ابن الله "** اذ لم يكن له أب، وتارة هو **"ثالث ثلاثة"** لقوله تعالى **"فعلنا وقلنا"** ولو كان واحدا لقال **"فعلتُ وقلتُ"...** فمكث النبي يومه ذلك حتى نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿59﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ

ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١ ﴾[آل عمران: 59-61].

واخرج البيهقي في الدلائل، عن أبي أمامة قال: لما قدم أهل نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها. (أي ثمانين آية).

ولما تليت عليهم الآيات في اليوم الموالي أبوا ان يؤمنوا، فدعاهم النبي إلى **المباهلة (أي الملاعنة)** ، فطلبوا منه أن يتركهم حتى يتشاوروا في أمرهم، فلما اجتمعوا قال رئيسهم: **(والله لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فإن أبيتم الا دينكم فوادعوا الرجل).**

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل محتضنا الحسين، آخذا بيد الحسن في خميل له، وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه وراءهما، والنبي يقول لهم: " **إذا دعوت فأمنوا** ". عندئذ قال الأسقف: **(يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا).**

فامتنعوا عن المباهلة، ورضوا بالصلح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفس محمد بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر**".

وقد صالحهم النبي على الجزية، وهي ألفَا حُلة، ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حُلة أوقية من فضة، وقيل من ذهب، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم، وكتب لهم كتابا، وطلبوا منه أن يبعث عليهم أمينا، فأرسل معهم أمين الأمة أبا عبيدة عامراً بن الجراح، ليقبض مال الصلح.

ثم أخذ الاسلام ينتشر بينهم، فقيل أن السيد والعاقب أسلما بعد رجوعهما إلى نجران، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل علي بن أبي طالب في السنة العاشرة ليأتيه بصدقاتهم (أي زكاتهم) وجزيتهم، ومعلوم أن الزكاة لا تؤخذ إلا من المسلمين. كما أرسل لهم النبي صلى الله عليه وسلم عمراً بن حزم يعلمهم شرائع الاسلام، وكتب له كتابا، وتوفي رسول الله وعمرو بن حزم على نجران.

النضر بن الحارث

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ ﴾[الحج: 3].

هو احد مشركي قريش الذين شنوا حملة شعواء على الدعوة الاسلامية، وعارض القرآن بأساطيره التي كان يرويها لقريش عن القرون الماضية. قال ابن عباس: إن أبا سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة،

والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبيْ ابْنَيْ خلف استمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة، ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته (يعني الكعبة) ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشيء، وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) ﴾[الأنعام: 25].

ثم ذهب النضر إلى الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار (من أبطال الأساطير الفارسية) ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا للتذكير بالله والتحذير من نقمته، يخلفه النضر، ويقول: والله ما محمد بأحسن حديثا مني، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ورستم (وهو رستم دستان الفارسي) ، وغير ذلك من الأساطير والخرافات، ثم يقول: بماذا محمد أحسن مني حديثا. وكان صاحب جدل ومعارضة للقرآن، فيقول عن الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا بَعْثَ بعد الموت، وبهذا الفعل صار النضر ولياً للشيطان، وقد أنزل الله فيه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ (3) ﴾[الحج: 3].

وعن ابن عباس قال: أن النضر كان قد اشترى قينات (جواري) فكان لا يسمع برجل مالَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم الا سلط عليه واحدة منهن وأمرها أن تطعمه وتسقيه، وتغني له، وتقول له: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه؛ ولا تزال به حتى لا يبقى له ميل إلى الاسلام، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (6) ﴾[لقمان: 6].

ولما خوَّفَ النبي صلى الله عليه وسلم قريشا بعذاب الله الشديد قال النضر بن الحارب استهزاءً: (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) فأنزل الله الآية التالية: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) ﴾[الأنفال: 32]. وروى النسائي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) ﴾[المعارج: 1]. قال: هو النضر بن الحارث قال: اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. فقال الناس يومئذ: على من يقع العذاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ

دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾ [المعارج: 2]. وقد قُبل دعاءه على نفسه بعد سنوات، فأمهله الله إلى يوم بدر، فذاق شر العذاب، فأهلكه الله، ومات شر ميتة. فقد أخذه المقداد بن الأسود أسيرًا في غزوة بدر، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم راجعا بالأسرى إلى المدينة أمر عليًا بن أبي طالب بقتل النضر بن الحارث في موضع يدعى الروحاء، فقتله لأنه من مجرمي الحرب بتعبير العصر الحديث.

المنعم عليهم

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: 6-7].

المنعم عليهم: وهم أهل الايمان، الذين خصهم الله بجوده وكرمه، وأنعم عليهم بجنات النعيم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. والمؤمن يدعو ربه دومًا أن يجعله من المتقين المقبولين، ويؤكد القرآن عند بلوغ المرء سن الأربعين، فيدعو ربه أن يصلح حاله، ويحشره في زمرة الصالحين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الاحقاف: 15].

النعمان بن مقـرّن المزني

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [التوبة: 99].

هو النعمان بن عمرو بن مُقَرّن بن عائذ المزني، وكنيته أبو عمرو، هاجر إلى النبي مسلما بصحبة إخوانه ومعهم أربعمائة فارس من قبيلة مزينة، وكان العام الذي هاجر فيه شديدًا فقد أمسكت السماء، وقل خصب الأرض، ولكن الكرم دفع آل مقرن إلى الجود بما يملكون، فحمل النعمان ما حول خباء اهله من غنيمات، وساقها امامه إلى المدينة، وقدمها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل فيه وفي آل مقرن قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾ ﴾ [التوبة: 99].

وكان إيمانه متميزا عن بقية الأعراب، وذلك فضل من الله لبني مقرن. قال عبد الله بن مسعود في معرض الثناء عليهم: **(إن للايمان بيوتاً، وإن للنفاق بيوتاً، وإن من بيوت الايمان بيت ابن مقرن).**

وأبناء مقرن هم عشرة رجال آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم، وكانت أول مشاهدهم غزوة الأحزاب، وبعدها بيعة الرضوان، وكان النعمان حامل لواء مزينة يوم فتح مكة، واستمر في جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعده مع خليفته أبي بكر الصديق، وكان لبني مقرن جهد بارز في حرب المرتدين، فقد جعل أبو بكر الصديق النعمان بن مقرن على ميمنة جيشه، وعبد الله بن مقرن على ميسرة الجيش، وعلى الساقة أخوهم سويد بن مقرن، فانتصروا على عدوهم، وجعل أبوبكر النعمان على رأس حامية بقيت تراقب الأمر بذي القصة.

ولما تولى عمر بن الخطاب وتم بناء الكوفة، انتقل النعمان وقومه إليها، وكان أحد الأمراء المساعدين لسعد بن أبي وقاص في معركة القادسية، ويومئذ أرسله سعد على رأس وفد إلى كسرى، فدعاه إلى الاسلام، وشرح له أهداف المسلمين، فغضب كسرى وقال: " لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم". وقامت المعركة وانجلت عن هزيمة الفرس، واختار سعد النعمان ليزف البشرى إلى عمر بالمدينة. وأثناء وجود النعمان بالمدينة وصلت الاخبار إلى عمر أن الفرس تجمعوا لحرب المسلمين في أصبهان، وهمذان، والري، وأذربيجان، ونهاوند، فتشاور عمر مع أصحابه ثم نادى النعمان وقال له: إني مستعملك. فقال النعمان: أما جابيا فلا، لكن غازيا. قال: فإنك غازِ. فجعله عمر قائداً عاما على جيش كبير تجمع في نهاوند، وقبل بدء المعركة دعا النعمان ربه: " **اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين، والفتح عليهم**" فأَمَّنَ القوم، وشد المجوس أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا، وكانت معركة كبيرة سقط فيها العدد الكبير من الفرس، واستشهد من المسلمين الكثير، وكان أبرزهم القائد النعمان بن مقرن، فقد رُمِيَ بِسَهْمٍ فقتله، فلفه أخوه سويد في ثوبه، وكتم أمره، ودفع الراية إلى خذيفة بن اليمان ـ كما اوصى عمر عند تعيينه أمر الجند ـ فكان النصر حليف المسلمين، وَزُفَّ خبر النصر إلى عمر، فقال عمر للسائب بن الأقرع ـ حامل النبأ ـ ما فعل النعمان؟ قال: استشهد، فتأثر عمر كثيرا، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى عليه حتى سُمع نشيجه، لأنه فقد أعز أصحابه - رضي الله عنهم أجمعين - وقد حوت أرض نهاوند جثمان الصحابي الجليل النعمان بن مقرن، الذي كان استشهاده سنة **21 هـ (642 م).**

المنافقـون

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴿64﴾ ﴾[التوبة: 64].

المنافقون: هم فريق من المسلمين يدَّعون الاسلام ظاهريا، ويصرون على الانتماء إليه والعيش فيه، ولكنهم ـ في حقيقة الأمر ـ يبطنون الكفر، ويظهرون للناس الايمان تقية، وما هم بمؤمنين، لأن قلوبهم مرضت بالنفاق وعميت بالضلال، ومن صفاتهم الدنيئة المكر والخداع، والتآمر المستمر على المؤمنين، وقد كشفت

عن ذلك سورة البقرة، عندما نزلت الآيات في جمع منهم، وهم عبد الله بن أبي بن سلول، ومعتب بن قشير، والجد ابن قيس، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ [البقرة: 8-11].

كما اشتهر المنافقون بالتخلف عن الجهاد في سبيل الله، وظهر ذلك منهم في أكثر من موقع، كغزوة أحد، والأحزاب، وتبوك، وخافوا في غزوة تبوك أن ينزل القرآن فيهم، فقال بعضهم: والله: لوددت أني قدمت، فجلدت مائة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فأنزل الله فيهم: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤﴾ [التوبة: 64].

وكانت سورة التوبة تسمى " **الفاضحة**" لأنها كشفت كل خباياهم، وبقيت آياتها البينة مثالا لكل منافق يتشبه بهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وعرف المنافقون بتثبيط المؤمنين والارجاف في المدينة، مثلما فعلوا في غزوة الخندق، ورؤوس الفتنة هم: أوس بن قيظي، وابن سلول وأشياعه، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ [الأحزاب: 13].

وقد أنزل الله سورة تحمل اسمهم نكاية فيهم، وتحذيرا مستمرا منهم، وقد استهل الله بالكشف عن كذبهم، وتأكيدهم بالأيمان الفاجرة، والكلام المعسول، فقال فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: 1-4].

النقيب

﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ ﴿١٢﴾﴾[المائدة: 12].

النقيب: هو كبير القوم الذي يهتم بشؤونهم وأحوالهم، ويتكفل بمصالحهم، وينوب عنهم في القضايا الهامة.

وعندما خرج موسى ببني اسرائيل من مصر، أمره الله بالسير إلى الأرض المقدسة، وكانت يومئذ مسكونة من الكنعانيين الجبابرة، فاختار موسى من كل سبط من بني إسرائل نقيبا، وسار بهم نحو أرض كنعان لتحسس أحوالها، فلما دنا منها، بعثهم إليها، فلما دخلوها، رأوا قوما ذوي أجسام قوية، فهابوهم وخافوا منهم، فنهاهم موسى أن يحدثوا قومهم بذلك، فنكثوا الميثاق، وخانوا العهد، فحدثوا قومهم، إلا رجلين منهم: يوشع بن نون، وكالب بن يوقنا.

النمرود بن كنعان

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة: 258].

النمرود: هو ملك بابل، وهو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. وقيل هو نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرنخشذ بن سام بن نوح. وكان ملكا متجبرا، وطالت مدة حكمه، حتى ادعى الألوهية. ولما أرسل الله إليه الخليل إبراهيم،طلب دليلا على وجود الله، فقال ابراهيم: **(ربي الذي يحيي ويميت)** فقال النمرود: **(أنا أحيي وأميت)** وذلك أَنّي أوتي بالرجلين - قد استحقا القتل - فآمر بقتل أحدهما وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة: 258]. فقال له إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من جهة المشرق، فحوِّل أنت بزوغها إلى جهة المغرب، فبُهِتَ النمرود وأُفْحِمَ بالحجة البالغة: ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة: 258].

ـ **وفاته:** وقد أهلك الله هذا الملك المتجبر، بأضعف مخلوقاته، وهي البعوضة التي دخلت إلى دماغه فأزعجته وصار أحب الناس إليه من يضربه على رأسه، حتى تسكن البعوضة، ثم مات على تلك الحال المخزية.

نهر الأردن

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴿249﴾﴾ [البقرة: 249].

نهر الأردن: هو نهر الشريعة المشهور، ويقع بين الأردن وفلسطين، ويبلغ طوله 360 كلم. وله عدة منابع منها: الحاصباني في لبنان، واللدان وبانياس في سورية. ويخترق سهل الحوالة ليصب في بحيرة طبرية، ثم يجتاز الغور وتنضم إليه روافد اليرموك والزرقاء وجالود ويصب في البحر الميت.

قال ابن رجب الحنبلي: وكان عدة أصحاب بدر رضي الله عنهم ثلثمائة وبضعة عشر، وكانوا على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جازه معه الا مؤمن.

أنهار مصر

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿51﴾﴾ [الزخرف: 51].

الأنهار: هي المياه الجارية من نهر النيل بمصر، وهي بمثابة السواقي والقنوات، أو الجداول المتفرعة من نهر النيل، وتجري كلها تحت قصور فرعون ومن حولها. قال القرطبي: ومعظمها أربعة: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تينس، وكلها من النيل.

نــوح عليه السلام

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿1﴾﴾ [نوح: 1].

ـ **نسبه:** هو نوح بن لامك (أو لمك) بن متوسلخ (أو متوشالح) بن خنوخ (أو اخنوخ، ويقال اشنخ أو اخنخ) وهو إدريس النبي عليه السلام، ابن يرد (أو يارد، ويقال بيرد) بن مهلائيل (ماهلايل) بن فاين (أوقينان، ويقال قينن) بن أنوش (أو أويانش) بن شيث بن آدم عليه السلام. والخلاف في الأسماء كما قال بن خلدون: (... بسبب مخارج الحروف، لأن العرب اخذوها من أهل التوراة.)

ـ **قوم نوح وعباداتهم:** ونوح عليه السلام هو ثالث نبي بعد آدم وادريس، وأول رسول إلى أهل الأرض، وكان قومه يسكنون في جنوب العراق، بالقرب من مدينة الكوفة الحالية، وعُرِفوا بعبادة الأصنام، وتعدَّدَت آلهتهم، وذكر القرآن منها ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿23﴾﴾ [نوح: 23]. كما عبدوا الكواكب السيارة بسبب غيابها

في الليل، واتخذوا أصنامهم واسطة تقربهم إلى الآلهة. وقد عاش نوح عليه السلام دهرا طويلا يُصلح ويوجه، ومرت حياته بعدة مراحل.

ـ **المرحلة الأولى: دعوة قومه إلى توحيد الله وعبادته:** قام نوح يدعو قومه، وبدأ دعوته بالتعريف بنفسه، بأنه رسول من رب العالمين، أرسله إليهم بالحق المبين، وارتكزت دعوته إليهم على العناصر التالية:

أولا: أمرهم بالتزام عقيدة التوحيد: وعبادة الله وحده لا شريك له، وخوَّفهم من عاقبة الضلال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿25﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿26﴾ ﴾[هود: 25-26].

ثانيا: أظهر لهم ثواب الإيمان وعاقبة الكفر: فالهداية تجلب لهم عفو الله وغفرانه، والضلال يوردهم سبل المهالك: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿2﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿3﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿4﴾ ﴾[نوح: 2-4]. وكان رد قومه عنيفا وتمثل في السلوك التالي:

ـ **إنكار الدعوة ومقاومتها:** واختلقوا أسبابا عديدة برروا بها رفضهم لدعوته، ومنها:

1) أن نوحا بشر مثلهم يأكل الطعام ويشرب الشراب.

2) أن أتباعه هم الفقراء والمستضعفون، وليسوا من أصحاب الفضل والمكانة في المجتمع.

3) اتهام نوح بالكذب - دون دليل واضح - بل هو مجرد ظنون وأوهام كما قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿27﴾ ﴾[هود: 27].

ورد نوح على قومه بالحسنى، وأقام دعوته على الموعظة وبين لهم ما يلي:

*أن إرساله من الله إليهم - وهو منهم - ليس أمرا عجبا، بل الله يختار من عباده من يدعوا إلى الله، ويحذر الناس من العذاب، ويهديهم ويوجههم إلى رحمة الله الواسعة: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿60﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿61﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿62﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿63﴾ ﴾[الأعراف: 60-63].

* أن أتباعه من المؤمنين هم الأقرب إلى الله، وسوف يلاقونه يوم القيامة فيجازيهم على أعمالهم، ونوح لا يطردهم أبدًا، لأنهم أهل الله.

* وبين لقومه أنه ليس من أهل الغنى، ولا يدعي علم الغيب، وليس ملكا من الملائكة، بل هو بشر، والله تعالى لا يرسل للبشر إلا بشرًا مثلهم، وهو لا يريد منهم أموالًا ولا أجورًا، بل هداية وطاعة لله وحدهُ لا شريك له: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ (28) وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ (29) وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (31) ﴾[هود: 28-31].

ورغم تلك الحجج البينة، إزداد قومه إصرارًا وعنادا، وطلبوا منه أن يعجل لهم العذاب الذي وعدهم به: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ (33) وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (34) ﴾[هود: 32-34].

ـ **خصائص المنهج الدعوي عند نوح:** إشتمل منهجه الدعويّ على العناصر التالية:

1) إغتنام كل المناسبات لتبليغ دعوته: دعاهم إلى عبادة الله واغتنم كل الفرص، كلما وجد سبيلا إلى ذلك في أي ساعة من الليل أو النهار، إلا اغتنمها للدعوة، ولكنّهم تنكّروا لدعوته، وقابلوها بصمّ الآذان، وتغطية الوجوه بالثياب حتى لا يروه، وتكبروا وأصرًّوا إصرارا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا (5) فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا (7) ﴾[نوح: 5-7].

2) تنويع أساليب الدعوة: فكان يدعوهم بالجهر الواضح حيناً، وينفرد ببعضهم سرًّا مراعاة لحظوظ النفس، ويعامل كلَّ حالة بما يناسبها، إمعاناً في الحيطة والحذر: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا (8) ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا (9) ﴾[نوح: 8-9].

3) اختيار الموعظة الحسنة في التبليغ: كان يؤكّد كثيرا على الجزاء الرّباني، ولا سيما بعد توبتهم واستغفارهم، فالله يعفو عن سيّئاتهم، ويرسل لهم المطر الغزير الذي يحي الأرض، فيكثر الزّرع، ويدرُّ الضرع، ويعطيهم من أنواع الرزق الوافر: الأموال، والأولاد، والحدائق الغنَّاء، والأنهار الجارية، وكل

أشكال النعيم الدنيوي: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾ [نوح: 10-12].

4) إشعارهم بعظمة الله: وهي التي تستوجب الخوف، وتستجلب الخشية والرهبة، فالله هو الخالق لكل شيء، وقد خلقهم، وجعل تدرُّجهم في الحياة أطوارًا متتابعة من عالم النطفة إلى زمن الولادة، وتلك آيةٌ تدعو أصحاب العقول إلى التدبر، فضلًا عن خلقه للسماوات الواسعة دون عمد، وبروز القمر المنير في الليل المظلم، والشمس الوهاجة في النهار، والأرض الممهدة للعيش والتي تخرج نباتًا يانعًا، رزقًا للعباد: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠ ﴾ [نوح: 13-20].

وكانت ثمار الدَّعوة قليلة, فلم يؤمن بدعوته إلا القليل: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠ ﴾ [هود: 40]. أما بقية القوم فكذَّبوا وأعرضوا، ووصفوه بالجنون مرةً، وهدَّدُوه بالرَّجم مرةً أخرى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ ﴾ [القمر: 9]. أما تهديدهم لنوح بالرَّجم فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦ ﴾ [الشعراء: 116].

ولَمَّا يئس نوح من إيمانهم، توجَّه بالشكوى إلى الله، وسأله مخرجًا وفرجا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٨ ﴾ [الشعراء: 117-118].

ثمَّ دعا الله أن يهلكهم جميعا، ويطهِّر الأرض من ظلمهم، لتبدأ طائفة صالحة من المؤمنين، حياةً جديدة في رحاب الدِّين القويم: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾ [نوح: 26-27].

قال ابن إسحاق: (كان لا يأتي منهم قرنٌ إلا أشدّ من الذي قبله، وكانوا يقولون قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا، وكانوا يبطشون به ويخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.** حتى يئس منهم وعظم طغيانهم، فشكاهم إلى ربِّه ودعا عليهم بقوله: رب **إنهم عصوني واتَّبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا** وبقوله ربِّ **لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا.**) فاستجاب الله لدعائه، وأمره ببناء سفينة النجاة.

ـ **المرحلة الثانية: بناء سفينة النجاة:** أخبر الله تعالى عبده نوحاً عليه السلام، أن قومه سوف يحيق بهم العذاب الأليم، فيغرقهم الطوفان؛ وحتى يسلم المؤمنون، ينبغي ـ وفق سنن الله ـ أن يصنع سفينة للنجاة: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (36) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37)﴾[هود: 36-37]. وأخبره الله، أن صنع السفينة يكون تحت رعاية الله وعنايته، وهو الذي علمه حرفة النجارة، وقيل أن الله بعث إليه جبريل، فعلمه خطوات صنع السفينة.

وتطلب صنعها زمنا طويلا، بدأه بغرس أشجار الساج (اشجار ذات أخشاب صلبة) ، ولما كبرت قطعها وجففها، ثم شرع في نشرها بمساعدة أبنائه، سام، وحام، ويافث. ولما توفرت له الالواح والمسامير، كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ (13)﴾[القمر: 13].

بدأ نوح يشد الألواح إلى بعضها، ثم يطليها من الداخل والخارج بالقار، وجعل فيها ثلاث طبقات. وأثناء صنعه لها، كان قومه يستهزئون، فيقول أحدهم: يا نوح، صرت نجاراً بعد النبوة، ويقول آخرون، انظروا إلى هذا المجنون الذي يتخذ بيتا من خشب ليسير به في الماء كما يزعم، وهو في صحراء قاحلة، ثم يضحكون منه: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (39)﴾[هود: 38-39].

ولما أتم صنع السفينة بإحكام، تحت رعاية الله وحفظه، أمره المولى سبحانه أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، ذكراً وأنثى، من الإنسان وكذا الحيوان، حتى يستمر التناسل بعد الطوفان، ويحافظ على الأنواع في الأرض؛ فحمل فيها أهله وأقاربه، وقليلاً من المؤمنين، وعلمهم الدعاء الذي تسير به السفينة، وهو اسم الله، لأنه سبحانه هو المجري والمرسي لها في آخر الأمر عند النجاة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (40) وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (41)﴾[هود: 40-41]. وعلمه آداب الدعاء عندما يكون على ظهر السفينة، فيحمد الله على النجاة من قومه الظالمين، ويدعو الله أن ينزله منها سالما وفي منزل كريم: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (28) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (29) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)﴾[المؤمنون: 28-30].

ـ **المرحلة الثالثة: قصة الطوفان وهلاك قوم نوح:** دعا الله نوحاً إلى الإستعدادالتام قبل بدء الطوفان، وجعل له علامة متميزة، وميسرة لكل واحد من قومه، فإذا شاهدوها في بيوتهم، فعليهم الاسراع فوراً إلى السفينة، وهو (فوران التنور): ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: 40].

والتنور: هو خروج الماء من وجه الأرض (وتسمى الأرض تنوراً) أو الموقد الحجري الذي يطهى فيه الخبز. قال له الله إذا رأيت الماء يفور من التنور، فاركب أنت وأصحابك، فلما كان يوم الطوفان، نبع الماء من تنور بيته، وعلمت به زوجته، فأخبرته، وحينئذ دعاهم للركوب في السفينة، باسم الله تعالى، فركبوا: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: 41].

ولما استقروا جميعا على ظهرها، دعا نوح ربه أن ينتقم من القوم الكافرين، فاستجاب الله دعاءه، فنزل مطر غزير من السماء، وكان متدفقا كالسيول، وتفجرت الأرض بالعيون المائية في كل أرجائها، والتقى ماء الأرض بماء السماء المتدفق، وصار طوفانا عارما، أهلك الزرع ودمر العمران، وقتل الانسان والحيوان، وبقيت السفينة سابحة في أمان، وهي تجري بهم فوق الماء تحت رعاية وحفظ الرحمان: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿10﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿11﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿12﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿13﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿14﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿15﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿16﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿17﴾ ﴾ [القمر: 10-17].

وبعد هلاك الكفار، أمر الله الأرض أن تبلع الماء، وأمر السماء أن تمسك المطر، فجفت الأرض، واستوت السفينة على جبل الجودي بالشمال، وحينئذ نودي على الكفار: بعداً للقوم الظالمين: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿44﴾ ﴾ [هود: 44].

ـ **المرحلة الرابعة: تجدد العمران بعد الطوفان:** نزل نوح ومن معه من السفينة في يوم عاشوراء، فصام نوح شكراً لله على سلامتهم وحفظهم، وهو العبد الشكور الذي وصفه ربه بتلك الصفة الجليلة: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿3﴾ ﴾ [الإسراء: 3].

وشرع المؤمنون في عمارة الأرض مرة أخرى، وتناسل أبناء نوح، وعمرت بهم الأرض، فصار نوح هو الأب الثاني للبشرية بعد آدم عليه السلام: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿48﴾ ﴾[هود: 48].

وعاش نوح عمرا طويلا، قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿14﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿15﴾ ﴾[العنكبوت: 14-15].

ـ **وفاة نوح عليه السلام:** وتساءل المؤرخون عما ورد في الآية السابقة عن السنين، هل هي مجموع حياته، أو فترة دعوته منذ بدء رسالته إلى وفاته، أو من ولادته إلى زمن الطوفان. وفي التوراة أن الطوفان كان بعد ستمائة سنة من عمره، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، وكانت بعدها وفاته. واختلف في مكان قبره، وذكر ابن كثير: بعض الأخبار أن نوحاً دفن في مكة، وقيل في بلدة " **كرك نوح** "وهي بأرض البقاع، غربي دمشق. وقال ياقوت الحموي، هي قرية كبيرة قرب بعلبك، وهي أحدى قرى لبنان الحالية.

ـ **أبناء نوح:** له عدد من الأبناء، منهم "**عابر**" الذي مات قبل الطوفان، وآخر يدعى " **بوناطر**"، وثالث يدعى " **كنعان** " وهو الذي هلك في الطوفان. ولكن النسل البشري ـ بعد الطوفان ـ هو من نسل أولاده الثلاثة الذين قال الله فيهم: ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿77﴾ ﴾[الصافات: 77]. وورد في مسند أحمد عن سمرة، أن سول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ولد نوح ثلاثة سام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك**). **وتفصيل ذلك:**

*‌**يافـث:** وهو ابنه الأكبر، وهو أبو الترك وأهل الصين والصقالبة، وقوم ياجوج وماجوج.

*‌**حـام:** وهو الأصغر، وهو أبو السودان والفرنج والقبط وأهل الهند والسند.

*‌**سـام:** وهو الإبن الأوسط، وهو أبو العرب والروم والفرس. ومن ولد سام العرب على اختلافهم، وإبراهيم وبنيه. وأولاد سام خمسة هم: أرنخشذ، ولاوذ، وإرم، وأشوذ، وغليم. **وأولاد لاوذ** أربعة وهم: طسم، وعمليق، وجرجان، وفارس.

ابـن نـوح

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿45﴾ ﴾[هود: 45].

ويدعى " **كنعان** " وكان مصرا على الكفر، فلما بدأ الطوفان، ناداه والده نوح بنداء الايمان: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿42﴾ ﴾[هود: 42]. ولكن الولد ظن ان الهرب إلى اعلى الجبل سينجيه من الغرق: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿43﴾ ﴾[هود: 43].

ولما تعالت الأمواج وهاجت، تحركت الشفقة في قلب الأب"نوح" فسأل ربه أن ينجي ابنه كنعان ـ لأن الله وعده أن ينجي أهله ـ فأخبره الله أن ابنه كافر بالله، ولا يدخل في زمرة أهله المؤمنين، حينئذ استغفر نوح ربه وآب إليه، وصبر على حكم الله الذي أغرق كنعان جزاءً على كفره بالله تعالى، ولم ينفعه نسبه، كما ورد في الأثر: (**ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه**). رواه مسلم. وقال سبحانه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿45﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿46﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿47﴾ ﴾[هود: 45-47].

امـرأة نـوح

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ ﴿10﴾ ﴾[التحريم: 10].

كان جزاء امرأة نوح النار، بسبب كفرها، وخيانتها لزوجها، وشكل الخيانة هي الكفر بالله والجحود، وعدم احترامها لزوجها، فكانت تقول لقومها: إنه مجنون: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿10﴾ ﴾[التحريم: 10]. فكان جزاؤها النار في الآخرة، وأما في الدنيا فالغرق مع القوم الظالمين.

﴿ حرف الصاد ﴾

الصابئون

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿69﴾ ﴾ [المائدة: 69].

الصابئة: جمع صابئ، وهو في اللغة: من خرج ومال من دين إلى دين، ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبأ. ونسبهم ابن خلدون إلى صابئ بن لملك بن أخنوخ، وقيل أنه أخو نوح. واختلف أهل التفسير في صفة دينهم على عدة أقوال:

1) قيل هم قوم من أهل الكتاب يقرءون الزبور، وقيل هم من النصارى ولكنهم عبدوا الكواكب.

2) وقيل هم قوم يعبدون الملائكة ويقرءون الزبور ويصلون للقبلة. وقال الرازي: أنهم قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء، أو بمعنى أن الله فوض تدبير هذا العالم إليها. فهم يشركون مع الله شرك العبودية، فيتخذون الملائكة أو النجوم والكواكب قربة لله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿17﴾ ﴾ [الحج: 17].

ومعنى ذلك أنهم موحدون سبقوا اليهودية والنصرانية، فعبدوا الله وحده، وأقروا بالبعث، ولكن عقيدتهم دخلتها مظاهرالشرك وهي عبادة النجوم والكواكب حتى آل أمرهم إلى الوثنية.

3) وقيل إن أمة السريان هي أقدم الأمم، وكانت ملتهم هي ملة الصابئين ـ نسبة لصابي أحد أولاد شيث ـ وأنهم أخذوا دينهم عن شيث بن آدم ونبي الله إدريس، وكان لهم كتاب ينسبونه إلى شيث يدعى " صحف شيث"، ويتضمن الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والنهي عن الرذائل. وأصل دينهم التوحيد ولكن طول الزمن جعل الأجيال تغيره. وذكرت عبادتهم فقالوا: هي سبع صلوات في اليوم والليلة تشبه صلاة المسلمين، وعندهم صيام شهر قمري في السنة، ويصومون من ربع الليل الأخير حتى غروب الشمس. ويعظمون البيت الحرام بمكة. وقال ابن حزم: والدين الذي انتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر، وكان الغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث.

4) وقيل هم طائفة من العرب المشركين، رفضوا عبادة الأصنام فاهتدوا إلى التوحيد، فعبدوا الله على دين إبراهيم، وكانوا على الحنفية، فاعتزلوا قومهم، فقال عنهم الناس، إنهم صبأوا، أي مالوا عن دين

آبائهم. وهذا أقرب الأقوال، وقد سئل وهب بن منبه عنهم فقال: الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا.

والذين آمنوا من الصابئة، وعملوا الصالحات، فإن الله لا يضيع أعمالهم، وخصوصا الذين اهتدوا دون أن تبلغهم دعوة نبي مرسل، وقال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿62﴾﴾ [البقرة: 62].

والصابئة بعد الإسلام، طائفة كانت وما زالت تعيش شمال العراق، وأصلها (حرَّان) ، ومنها انتقلت إلى بغداد وغيرها من المدن منذ العصر العباسي الأول، وأسلم بعضهم. واعتنوا بترجمة التراث اليوناني إلى العربية، وبعلم الطبيعيات. وهم الآن أقلية تعيش في شمال العراق، وفي إقليم الأحواز بإيران.

الصبي

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿12﴾﴾ [مريم: 12].

الصبي: مرحلة من عمر الإنسان في صغره، وقد أطلقت في القرآن الكريم على ابني الخالة، يحي وعيسى عليهما السلام، على النحو التالي:

* **الرضيع:** وهو الولد في فترة المهد قبل الفطام، وقد أشارت مريم لابنها " **عيسى** " فأنكر عليها القوم ذلك لأنه ما زال صغيرا في مهده: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿29﴾﴾ [مريم: 29].

* **الطفل:** وهو الذي يكون سنه دون الفتى، ونعت به نبي الله يحي عليه السلام، وقد روي أن الصبيان في مثل سنه قالوا له: اذهب بنا نلعب، فقال يحي: **ما للعب خلقت.** وقد أعطاه الله الحكمة ورجاحة العقل من الصغر: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿12﴾﴾ [مريم: 12].

الصحابة

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح: 29].

الصحابة: هم جيل القرآن الكريم، الذي تنزلت آياته في حياتهم، وسعدوا بصحبة محمد خير الأنام صلى الله عليه وسلم ومرافقته في مراحل الدعوة والجهاد، وبعد تأسيس المجتمع المسلم. وهم جيل فريد في تاريخ البشرية جمعاء، وضموا في صفوفهم الرجال والنساء، والصبيان والشيوخ، على حد سواء. وخير تعريف للصحابة، هو تعريف أهل الحديث. قال الإمام البخاري في صحيحه: (**من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه**). وأهم صفاتهم كما ذكرها القرآن الكريم:

1) **الصدق والإخلاص:** لأنهم ثبتوا على الإيمان، وأخلصوا في العبادة، ووفوا بالعهود: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[الأحزاب: 23]. وقال أبو بكر الصديق في يوم السقيفة: إن الله سمانا الصادقين، وهو يشير بذلك إلى المهاجرين - من الصحابة - الذين قال الله فيهم: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الحشر: 8].

2) **الرحمة والأخوة:** فهم رحماء فيما بينهم، وقد وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح: 29]. وبلغت أخوتهم منزلة سامية، عندما آخى النبي بينهم في المدينة، فاقتسموا كل شيء، وعاشوا إخوانا متحابين استجابة لأمر الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴿١٠﴾ ﴾[الحجرات: 10]. والله هو الذي ألف بين قلوبهم: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾[الأنفال: 63].

3) **الشدة على الكفار:** فهم ينازلون الكفار ولا يخشون إلا الله، ويردون كيد الكفار في نحورهم، ويأخذوهم أخذ عزيز مقتدر، وقال فيهم سبحانه: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح: 29].

4) **الخيرية:** فقد وصفهم الله بالخيرية بقوله: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: 110]. وقال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: (**إنكم تمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**) رواه

الترمذي. وهم خير القرون لقوله صلى الله عليه وسلم: (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**) وأثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (**أنتم خير أهل الأرض**) رواه **البخاري.**

5) الفلاح والفوز: ولما علم الله صدقهم وجهادهم في سبيله، كتب لهم الرضوان، وأعد لهم يوم القيامة فسيح الجنان، وذلك هو غاية الفوز والنجاح: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (100)﴾ [التوبة: 100].

ـ واجبنا نحو الصحابة الكرام:

* **محبتهم رضوان الله عليهم:** وقد ورد في حديث عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه**) أخرجه **الترمذي وقال حديث غريب.** ومحبتهم هي محبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيها تعميق للإيمان ونفي للنفاق. قال صلى الله عليه وسلم: (**حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق**). وقال أيوب السختياني رضي الله عنه: " من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برىء من النفاق ".

* **الاستغفار لهم رضوان الله عليهم:** وقد أمر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ (10)﴾ [الحشر: 10]. قال ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنهم سيفتنون.

* **الاستنان بهم رضوان الله عليهم:** لأنهم خير القرون، وأقرب إلى الصلاح والتقوى. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " من كان مستنا فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ".

* **التنزه عن سبهم رضوان الله عليهم:** يعتبر سب الصحابة من كبائر الذنوب، وقد ورد في الحديث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله اختارني واختار لي أصحابي، وجعل لي أصحابا وإخوانا**

وأصهارا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) رواه **الطبراني.** وأي طعن في الصحابة هو طعن في الدين، لأنهم بلغوا لنا سنة النبي مبرأة من أي شك، وهم عدول، وعندما سمع التابعي عمر بن حبيب، حديثا لا يليق بمقام أبي هريرة في مجلس هارون الرشيد، قام يدافع عنه، ثم انصرف إلى بيته، فاستدعاه الرشيد بعد ذهاب الناس ليعاقبه على جرأته في مجلسه، فدعا الله أن ينجيه من بطشه لأنه دافع عن صاحب رسول الله، فلما لقي الرشيد، قال له: " يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول.. " فرجع الرشيد إلى نفسه وقال: (**أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله.**) ثم أمر له بعشرة آلاف درهم. وقد قال القرطبي: (فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى، وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا هو مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة.)

* **أعمالهم اجتهـاد رضوان الله عليهم:** وهم محل قدوة في هذه الأمة، ولا ينبغي النبش في أعمالهم، أو تجريحهم، وذلك يجعل الناس يتجرؤون على الشريعة نفسها. قال العوام بن حوشب: " أدركت صدر هذه الأمة يقولون اذكروا محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تألف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر فتجسِّروا الناس عليهم. " وقد سأل الحجاج الحسن البصري قائلا: ما تقول في عثمان وعلي؟ فقال الحسن: ما قال من هو خير مني عند من هو شر منك. فقال الحجاج: ومن هو؟ قال الحسن: موسى عليه السلام حين سأله فرعون: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ﴾[طه: 51-52]. علم علي وعثمان عند الله. فقال الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد.

الصحف

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾[الأعلى: 18-19].

ـ **الصحف:** هي الكتب التى تحتوي الأوامر الربانية المنزلة على الأنبياءوالرسل، ومنها القرآن الكريم، فضلا عن صحف الأعمال، وهذا ما ورد في الآيات البينات، ويمكن تحديد ذلك في السياق التالي:

1) الصحف الأولى: هي الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين قبل القرآن الكريم، وقد ذكَّر الله بها المشركين بقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٣٣ ﴾[طه: 133]. وروي عن إبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائة وأربعة

كتب، على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

وبين الله أن ما أنزل في القرآن، وهو العقيدة السليمة وما فيها من التوحيد، والنبوة وما فيها من التبليغ، والوعد والوعيد، وطاعة الله، وكلها أمور سبقت الإشارة إليها في الكتب السابقة، وضرب الله مثلا بما ورد في سورة " **الأعلى** " فقال في آخرها، أن ما ورد فيها نفس ما ورد في صحف نبي الله إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿18﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿19﴾ ﴾[الأعلى: 18-19].

وأكدت الآيات على صحف إبراهيم وموسى دون غيرها من الكتب، لأن الخليل إبراهيم هو أبو الأنبياء، ووردت في صحفه الحكم الكثيرة.

روى أبو إدريس الخولاني عن إبي ذر الغفاري قال:... فقلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: (كانت أمثالا كلها: أيها المَلِكُ المبتلَى المسلَّطُ المغرورُ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وكان فيها أمثال: على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا في ثلاث: تزود لمعاده، ومؤنة لمعاشه، ولذة في غير مُحَرَّمٍ. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلا على شانه، حافظا للسانه. ومن علم أن كلامه من عمله قلَّ كلامه فيما لا يعنيه، والله عن كل محذور يغنيه.)

أما موسى عليه السلام فهو أبرز أنبياء بني إسرائيل، وتمثل فترة نبوته تاريخا حافلا بالأحداث الهامة، فَذَكَّرَ أهل الكتاب بما كان في صحف التوراة من حكم ومواعظ، وقد روى الآجري من حديث إبي ذر قلت: يا رسول الله ما كانت صحف موسى؟ قال: (كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل.). وقد أنكر الله على المشركين إعراضهم عن الحق، وأخبرهم أن الشرائع السابقة أكدت على الحق المبين فقال: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿36﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿37﴾ ﴾[النجم: 36-37].

2) **الصحف المطهرة:** وهي القرآن الكريم: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿2﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿3﴾ ﴾[البينة: 2-3]. فالقرآن الكريم مطهر عن الباطل، ويُذكر بأحسن الذكر، ولا يمسه إلا المطهرون، وفيه كتب قيمة وهي الآيات العادلة، والأحكام الثابتة المبرأة من كل نقص وخطأ ودس.

قال الصاوي: المراد بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن، والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها. ووصفت الصحف في موضع آخر بأنها مكرمة: ﴿ صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿13﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿14﴾ ﴾[عبس: 13-14].

فالقرآن الكريم مكرم عند الله تعالى، وله عنده قدر رفيع، وهو منزه عن الشياطين، وعن كل دنس، ولا يأتيه الباطل أبداً، والمشركون كانوا يطمعون بل يتمنون أن ينزل عليهم كتاب من الله، والقرآن رد عليهم تلك المطامع، وبخر تلك الأحلام والأماني﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿52﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿53﴾ ﴾[المدثر: 52-53].

3) **الصحف المنشورة:** وهي الكتب التي سجلت فيها الملائكة أفعال العباد، وهي صحف الأعمال التي تنشر يوم القيامة، وتبسط عند الحساب بما فيها من حسنات وسيئات: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿10﴾ ﴾[التكوير: 10].

الصخر

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿9﴾ ﴾[الفجر: 9].

اشتهرت قبيلة ثمود بقطع الصخور، ونحت البيوت لأنفسهم في داخل الجبال بوادي القرى حيث كانت مساكنهم في الحجر بين الحجاز وتبوك، وقد بنوا سبعمائة مدينة كلها بالحجارة بوادي القرى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿82﴾ ﴾[الحجر: 82].

الصخرة

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴿63﴾ ﴾[الكهف: 63].

وهي صخرة نام تحتها موسى أثناء رحلته، وحينئذ خرج الحوت من المكتل ودخل البحر، وعلم بذلك الفتى يوشع بن نون ونسي أن يخبر موسى، وبعد الرحيل، وقد سارا مرحلة معتبرة، سأله موسى عن الحوت، فقال الفتى: إني نسيت أن أخبرك عند استيقاظك عن فقدانه. فقال له موسى: إن فقدان الحوت هو العلامة التي ننتظرها، فرجعا إلى مكان الصخرة، فوجدا الخضر عليه السلام في مكان فقدان الحوت، وهو مسجى بثوب، ومستلقيا على الأرض، وموقعها في مجمع البحرين شمال البحر الأحمر.

وذكرها ياقوت الحموي باسم " **صخرة موسى** " وقال أنها تقع في بلدة شَرْوَانُ ببلاد فارس، " قالوا: فالصخرة صخرة شروان والبحر بحر جيلان والقرية باجَرْوان، حتى لقيه غلام فقتله، قالوا في قرية جيزان، وكل هذه من نواحي أرمينية قرب الدربند.. ". والله أعلم.

الصدفين

﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴿96﴾ ﴾[الكهف: 96].

الصدفين: هما جانبا الجبلين، قال أبو عبيدة: الصدف كل بناء عظيم مرتفع. والمقصود بالصدفين في الآية الكريمة، أن ذي القرنين قد ساوى البناء (أي السد) بين جانب الجبلين، ويعتقد أن موقعا لجبلين في بلاد الترك بين أرمينية وأذربيجان.

الصديقون

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴿19﴾ ﴾[الحديد: 19].

الصديق: هو العبد المبالغ في الصدق. وكل من آمن بالله تعالى، وآمن بالرسل الكرام، واستقام على الصراط المستقيم، مقتديا بسيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، فيؤهله ذلك السعي الحسن إلى مرتبة الصديقية، ويكون يوم القيامة مع النبيين والشهداء، وهم أحسن الرفقاء.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**" قال يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: " **بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** " رواه **مالك** وأخرجه **الشيخان.** وقال مقاتل بن حيان: الصديقون هم الذين آمنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين، مثل مؤمن آل فرعون، وصاحب آل ياسين، وأبي بكر الصديق، وأصحاب الأخدود.

ووصف بعض الأنبياء بصفة " **الصديق**" ومنهم إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿41﴾ ﴾[مريم: 41].

وكذلك وصف بها يوسف عليه السلام: ﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ** ﴿46﴾ ﴾[يوسف: 46]. والمرأة الصالحة " **مريم** " استحقت تلك المرتبة العالية عند الله: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

ﭐلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة: 75]. فهي مؤمنة بولدها السيد المسيح، ومصدقة برسالته، وتلك أعلى مقامات الصديقية.

الصفا والمروة

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: 158].

الصفا والمروة: من شعائر الدين الإسلامي، ومن العلامات الواضحة ببيت الله الحرام، وأهم المناسك في الحج والعمرة التي يسعى بينهما المسلم مثلما فعلت أم إسماعيل (**هاجر**) وهي تبحث عن طعام وماء لإبنها الرضيع.

وكان في زمن الجاهلية على جبل الصفا صنم يدعى (**إساف**) وعلى المروة صنم يدعى (**نائلة**) ، فكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فخشي المسلمون أن يتشبهوا بأهل الجاهلية، فتحرجوا من الطواف أصلا، فرفع الله عنهم الحرج فنزلت الآية الكريمة، تبين أن الصفا والمروة من شعائر الله وأنه لا حرج عليهم في السعي بينهما، فالمسلمون يسعون لله، والمشركون كانوا يسعون للأصنام وشتان بينهما. ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[البقرة: 158].

***الصفا:** تعني في اللغة الحجر الأملس. وقال المبرد: الصفا كل حجر لا يخالطه غيره من تراب أو طين. وكان أصلها جبلا متصلا بجبل أبي قبيس، ففصل بينهما عند توسعة الحرم.

***المروة:** قال الخليل هي من الحجارة ما كان أبيض أملس صلبا شديد الصلابة. وهي جبل بقرب الحرم كان متصلا بجبل قعيقعان. ويقع المسعى بين الصفا والمروة، وطوله **394,5**م، وعرضه حاليا **20م.**

أهل الصفة

﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴿٢٧٣﴾ ﴾[البقرة: 273].

الصفة: هي الظلة، وأطلقت على المكان المظلل في مؤخرة المسجد النبوي، أيام العصر النبوي بعد الهجرة، وكان يأوي إليها الفقراء والمساكين، وينزل بها الغرباء ممن لا مأوى له ولا أهل، وخاصة فقراء المهاجرين، وكانوا يكثرون فيها ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر.

وقد ذكر أبو نعيم أسماءهم في حلية الأولياء فزادوا على المائة، وذكر القرطبي في أحكامه عددهم بقوله: (وكانوا نحوا من اربعمائة رجل) ؛ وروى **البيهقي** عن عثمان بن اليمان قال: لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا مأوى، أنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم أصحاب الصفة فكان يجالسهم ويأنس بهم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. قال أبو ذر: كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر كل رجل فينصرف برجل ويبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤتى النبي صلى الله عليه وسلم بعشائه ونتعشى معه، فإذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ناموا في المسجد "**. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابة من الأنصار بالتصدق على أصحاب الصفة، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة: **" من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس بسادس "**. وكان دوما يحث أصحابه على التضامن والصدقة، والعفة والتقلل من الطعام، والنظر إلى البركة التي ينزلها الله. فقد روى **مسلم** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية"**.

وكان الأنصار يأتون بالطعام والتمر إلى المسجد، ليكون في متناول إخوانهم من أهل الصفة. فقد خرج **الترمذي** عن البراء بن عازب ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴿٢٦٧﴾﴾[البقرة: 267]. قال: نزلت فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل، قال: فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنو(العرجون) والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام؛ فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فيضربه بعصاه فيسقط من البسر والتمر فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص والحشف، وبالقنو وقد انكسر فيعلقه في المسجد، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾[البقرة: 267]. قال: ولو أن أحدهم أهدي إليه مثل ما أعطاه لم يأخذه إلا على إغماض وحياء. قال: فكنا بعد ذلك يأتي الرجل بصالح ما عنده.

ومدح الله أهل الصفة في القرآن الكريم، بأفضل صفات العفة والمروءة والتواضع التي كانت بادية على محياهم، ويظهر ذلك في سلوكهم، فانزل فيهم: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿273﴾ ﴾[البقرة: 273].

ولكن ذلك لم يمنع بعض أهل الصفة من تمني سعة الدنيا وزينتها، وهم يشاهدون الأموال الطائلة عند اليهود من بني قريظة، وبني النضير، فأنزل الله: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿27﴾ ﴾[الشورى: 27]. ونبههم إلى الحكمة الربانية في تقسيم الأرزاق، وأن الله خبير بأحوال عباده، وما يصلح لهم من رزق حسن طيب.

صالح ـ عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿45﴾ ﴾[النمل: 45].

ـ نسبه وزمنه: هو النبي العربي الذي عاش ما بين (**2000 ــ 1900 ق. م.**) واختلف في نسبه، ومما قيل فيه، هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح (أو ماشخ) بن عبيد بن حاجز (أو جابر أو حاذر) بن ثمود بن عابر (أو عامر) بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام. وقد أرسله الله إلى قبيلة ثمود العربية، فكان أوسطهم نسبا، وأفضلهم حسبا، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

ـ الأوضاع العامة في مجتمع ثمود: كانت مساكنهم في قرية تدعى الحجر تقع بين الحجاز والشام، في مناطق جبلية ذات هضاب صخرية، وبها وادي القرى، وفيها بئر تاريخية مشهورة تدعى " **بئر ثمود** ". ومن مظاهر حياتهم العامة:

أولا: معتقداتهم الدينية: كانت ثمود غارقة في عبادة الأصنام الكثيرة التي يشركونها مع الله في العبادة، ومنها الصنم (ود) و (جد ـ هد) و (شمس) و (مناف) و (مناة) و (اللات) وغيرها.

ثانيا: مظاهر حياتهم: اتسمت حياتهم عموما بالترف والإسراف، وغلب عليهم الإقبال على المتع واللذات، واشتهروا بمظاهر المدنية التي أهلتهم لبناء حضارة ضخمة، ولكن فقدان الإيمان حال دون بقائها، ومن تلك المظاهر البارزة الجلية:

1) المباني الضخمة: لما أهلك الله عادا الأولى، ورثت قبيلة ثمود تلك البلاد، فعمروا الأرض بمساكنهم التي بنوها بالحجر والمدر، فكانت تتهدم في عهد صاحبها ولا تصمد لعوارض الطبيعة العاتية. قال الصاوي:

كانت أعمارهم طويلة، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم، لأن الواحد منهم كان يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف. حينئذ دفعتهم الحاجة إلى ابتكار طريقة جديدة في البناء وهي نحت الجبال المجاورة لهم: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149)﴾[الشعراء: 149]. واتخذوها مساكن: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74)﴾[الأعراف: 74]. فكانوا أهل سهل وجبل، فاتخذوا القصور في السهل ونحتوا البيوت في الجبال، فصارت لهم حضارة عمرانية راقية؛ لكنهم كانوا متعالين متكبرين.

2) **المزارع اليانعة:** ومنحهم الله في سهولهم مياها عذبة، فأقاموا بها بساتين فسيحة، وانتجوا مختلف الأنواع من الزروع، والنخيل الباسقة ذات الثمار اليانعة، رزقا حسنا للعباد.

وقد نبههم صالح عليه السلام، أن تلك النعم الدنيوية من مساكن وزروع مآلها الفناء، وحذرهم من مغبة الإغترار بها، وقال تعالى في ذلك: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152)﴾[الشعراء: 146-152].

ـ **منهج صالح في الدعوة إلى الله:** سلك صالح عليه السلام مع قومه، منهجا دعويا ارتكز على الأسس التالية:

1) **توجيه حياتهم إلى دعوة التوحيد**، وإصلاح الإنحراف العقائدي، فدعاهم إلى نبذ عبادة الأوثان، وحببهم في الإقبال على الإيمان، وخوفهم من غضب الرحمن، وأكد لهم أنه مرسل إليهم من الله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (145)﴾[الشعراء: 141-145].

2) **دعوتهم إلى عبادة الله وحده**، وشكر النعم التي وهبها لهم، وغفلوا عنها: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61)﴾[هود: 61].

3) **تذكيرهم بنعم الله وآلائه،** لأنه قادر على حرمانهم منها إذا تمادوا في التكبر والفساد: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: 74]. وكان رد فعل قومه شديدا، فقابلوا دعوته بالجحود، وتحدوه بالطغيان، وناصبوه العداء، ومما صدر منهم:

ـ **إتهام صالح بالهذيان،** لأن السحر - في اعتقادهم - سيطر على عقله، فجعله يتخيل ويدعي أنه نبي مرسل من عند الله، وما هو إلا بشر كسائر العباد: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء: 153-154].

ـ **طلبوا منه معجزة تدل على أنه رسول حقا:** ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء: 154]. ذكر المفسرون: أن صالحا لما دعا قومه، اشترطوا عليه آية تؤيده، واقترحوا عليه أن يخرج لهم من الصخرة ناقة، وحددوا له أوصافها بدقة متناهية، فقال لهم، إن أتيتكم بها، أتؤمنون بالله؟ فكان جوابهم الموافقة، واخذ عليهم العهد والميثاق، ثم قام يصلي لله، وأعقب الصلاة بدعاء خاشع، فسأل ربه أن يؤيده بالآية البينة، فاستجاب الله دعاءه، واخرج لهم الناقة من الصخرة وفق المواصفات التي طلبوها، فلما رأوها آمن بعضهم، وكان رئيس الذين آمنوا يدعى **جندع بن عمرو،** وآمن معه رهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورياب بن صمعر، وكلهم من الأشراف. وكان لجندع بن عمرو ابن عم يدعى شهاب بن خليفة، فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم، فقال رجل مسلم من ثمود يقال له مهرش بن غنمة بن الذميل:

وكانت عصبة من آل عمرو * إلى دين النبي دعو شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمَّ بأن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذآبا

ولكن أكثرهم استمروا على كفرهم بصالح، رغم وضوح الآية وهي الناقة: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: 73]. وقد بين لهم صالح آداب التعامل مع الناقة،. وتمثلت في الأوامر التالية:

ـ **أن يتركوها حرة طليقة،** ترعى في الأرض كما تشاء، وترد الماء يوما بعد يوم: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: 155]. وأن تشرب الماء في يوم وحدها بينما يشربون الماء

ويدخرون في اليوم الموالي: ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿64﴾ ﴾[هود: 64].
ـ **أباح الله لهم الشرب من لبنها قدر كفايتهم**، ويمكنهم الإدخار في أوانيهم لليوم الموالي.
ـ **نهاهم عن مس الناقة بأي سوء**، وحذرهم من تعذيبها أو نهرها أو ركوبها أو نحرها، فإذا خالفوا الأمر فسوف يحيق بهم عذاب عظيم: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿156﴾ ﴾[الشعراء: 156].
ولكن قومه قابلوا تلك النعم الجليلة بالجحود والكفر والاعتداء، وظهر ذلك جليا في سلوكهم التالي:
* **التشاؤم بصالح ومن آمن معه:** لما أحس صالح أن قومه يبيتون له الشر، نصحهم وخوفهم من عذاب الله، وأن صنيعهم فيه استعجال للعذاب المستتر، فلم يبالوا بوعيده، وصارحوه أنهم يتشاءمون من أقواله ويتطيرون من جماعته: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿46﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿47﴾ ﴾[النمل: 46-47].
* **التعالي والإستخفاف بالمؤمنين:** كان الأشراف والسادة يتعالون على المؤمنين، ويستخفون بعقيدتهم، ويشككون في رسالة صالح، فلم يؤثر ذلك الصنيع في المؤمنين فازدادوا إيمانا، وازداد الكفار تكبرا وطغيانا، وجهروا بعداوتهم للجماعة المسلمة: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿75﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿76﴾ ﴾[الأعراف: 75-76].
* **إقدام الكفار على قتل الناقة:** انتهت عداوة قومه بقتل الناقة، وتولى ذلك رجل شقي يدعى **قدار بن سالف** وساعده في فعلته الشنيعة ثمانية من عتاة القوم، ولم يبالوا بفعلتهم، بل طلبوا من صالح أن يعجل لهم العذاب الذي وعدهم به إن كان من المرسلين حقا: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿77﴾ ﴾[الأعراف: 77].
* **التآمر لإغتيال صالح:** وسعى لذلك تسعة من القوم الذين عقروا الناقة، وخططوا لإغتيال نبيهم، ولكن الله كشف تدبيرهم، وحفظ نبيه، وحاق المكر السيء بأهله، ودمرهم الله تدميرا: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿48﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ

مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (49) وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (50) فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ (51) فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (52) ﴾[النمل: 48-52].

ـ **هلاك قوم صالح:** بعد قتلهم الناقة المباركة، تمادوا في الظلم والطغيان، واستخفوا بالعذاب، واستعجلوه، فأخبرهم صالح أنه واقع بهم بعد ثلاثة أيام: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ (65) ﴾[هود: 65]. فأهلكهم الله بالصيحة التي تقطعت لها قلوبهم فأصبحوا موتى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ (67) ﴾[هود: 67]. وصحبتها صاعقة فيها كهرباء أحرقت الشجر والبشر: ﴿ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ (44) ﴾[الذاريات: 44]. وحدث زلزال شديد تهدمت له المباني: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ (78) ﴾[الأعراف: 78]. فكان عذاب استئصال للكافرين، فسوى الله قبيلة ثمود، فلم يفلت منهم شيء: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا (14) فَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا (15) ﴾[الشمس: 14-15]. وتحولت تلك المظاهر الحضارية، والبيوت الصخرية، والمزارع اليانعة إلى خراب ودمار: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ (51) فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (52) ﴾[النمل: 51-52].

وجعلها الله عبرة لمن يأتي بعدهم من البشر. عن ابن عمر قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يوم تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا القدور فأمرهم رسول الله فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذِّبُوا: " **إني أخشى أن يصيبكم ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم** ". أخرجه **أحمد**. وفي رواية أخرى أنه قال لهم صلى الله عليه وسلم: " **لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم** " أخرجه **البخاري**.

أما مصير المؤمنين من قوم صالح فقد نجاهم الله مع نبيهم صالح: ﴿ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (53) ﴾[النمل: 53]. وذكر في مكان إقامتهم بعد دمار بلادهم عدة أقوال منها:

ـ قيل أنهم بقوا في ديارهم، وقيل بل هاجروا إلى بلاد قريبة فيها الخصب وهي بناحية الرملة من فلسطين.
ـ وقيل أنهم هاجروا إلى الجنوب، فاستقروا ببلادهم الأصلية حضرموت، أو الأحقاف والتي بها قبر ينسب لصالح عليه السلام.
ـ وقيل أنهم ذهبوا إلى مكة واستقروا بها، وقبورهم في غربها. ويصعب ترجيح قول منها، فالله أعلم بالصواب.
ـ **وفاة صالح:** ذكر النيسابوري، نقلا عن أهل العلم: أن وفاة صالح كانت بمكة، وهو ابن **58 سنة،** فقد انتقل قبل ذلك من بلاد الشام وأقام بمكة، وبقي يعبد الله هناك حتى مات، وكان قد أقام في قومه عشرين سنة. والله اعلم.

الصالحون

﴿ وَإِنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿11﴾ ﴾[الجن: 11].

الصالحون: هم أهل البر والإستقامة على الصراط السوي، والمتمسكين بأحكام الدين كما أمر به الله تعالى وأوحاه إلى رسله الكرام، وذكروا في القرآن بعدة أوجه منها:

* **المؤمنون:** من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الثقلين الذين يرثون الجنة: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿105﴾ ﴾[الأنبياء: 105]. قال أبو الدرداء: نحن الصالحون. وفي عالم الجن منهم الصالحون المصدقون بالحق ومنهم أهل الباطل والضلال، وقال الله على لسان المؤمنين منهم: ﴿ وَإِنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿11﴾ ﴾[الجن: 11].

* **الأنبياء:** جعلهم الله من المقربين، وأصحاب الدرجات العلى، ومنهم إبراهيم: ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿130﴾ ﴾[البقرة: 130]. ووصف به يحيى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿39﴾ ﴾[آل عمران: 39]. وجعل عيسى عليه السلام من الكاملين في التقى والصلاح: ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿45﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿46﴾ ﴾[آل عمران: 45-46]. وذكر القرآن غيرهم مثل نوح ولوط عليهما السلام: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴿10﴾ ﴾[التحريم: 10]

*أهل الكتاب: وفيهم زمرة الصالحين: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿113﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿114﴾ ﴾[آل عمران: 113-114]. ومن اليهود الذين آمنوا فئة قليلة: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿168﴾ ﴾[الأعراف: 168].

والصالحون يجمعهم الله يوم القيامة، ويقربهم ويرضى عنهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿69﴾ ﴾[النساء: 69]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في شكواه التي قبض فيها يقول: «**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين**» فعلمت أنه خيّر.

الـصلوات

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿40﴾ ﴾[الحج: 40]

الصلوات: هي معابد أصحاب الأديان وخاصة أهل الكتاب، واختلف في نسبتها إليهم على عدة أقوال:

***كنائس اليهود:** وهو القول الراجح، وذكر ذلك قتادة، وقال الزجاج والحسن: هي كنائس اليهود وهي بالعبرية صلوتا.

***كنائس النصارى:** وذكره ابن عباس، وقال أبو عبيدة: الصلوات بيوت تبنى للنصارى في البراري يصلون فيها في أسفارهم، تسمى صلوتا فعربت فقيل صلوات.

***معابد الصابئين:** قال أبو العالية وغيره: الصلوات هي مساجد الصابئين.

***مساجد المسلمين بالطرق:** قال مجاهد: الصلوات مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق، وأما المساجد فهي للمسلمين. وذكر قول آخر فيه وجه المجاز، قال ابن زيد: هي صلوات المسلمين تنقطع إذا دخل عليهم العدو وتهدم المساجد، فعلى هذا استعير الهدم من حيث تعطل، او أراد موضع صلوات فحذف المضاف.

الصوامع

﴿ وَلَوْلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿40﴾ ﴾[الحج: 40]

الصوامع: وهي أعلى الشيء وخاصة البناء، وصارت علما على أماكن العبادة للرهبان الذين انعزلوا عن الناس في البراري، وانقطعوا لعبادة الله تعالى. وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى، وقد التقى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة التجارة إلى بلاد الشام ومنهم الراهب بحيرا ونسطورا. وفي تاريخ الحضارة الاسلامية، صار يطلق على المنارات والمآذن في المساجد أسم الصوامع.

صهيب بن سنان

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿207﴾ ﴾[البقرة: 207]

صهيب الرومي: هو الاسم الذي أشتهر به، ولكنه عربي أصيل، فوالده هو سنان بن مالك النميري، وأمه عربية من بني تميم. وكان والده والياً على " **ألأُبُلَّةَ** " العراقية من قبل كسرى الفرس؛ ولما كان عمر صهيب في الخامسة ذهبت به أمه إلى قرية " الثَّنِيّ " من أرض العراق للراحة والإستجمام، فأغار الروم على القرية وأخذ صهيب في الأسرى، فصار من غلمان الروم؛ فباعوه في سوق الرقيق، ونشأ في بلاد الروم حتى تأثر لسانه بلهجتهم، وكان ذو شعر أحمر مما جعله يشبه الروم فأطلق عليه أهل مكة إسم الرومي.
ولما قدم إلى مكة حالف أحد ساداتها ويدعى عبد الله بن جدعان، وعمل في تجارته، وقد أحبه ابن جدعان لما رأى فيه من صدق وإخلاص ونشاط وذكاء، وكان يخرج في تجارته إلى الشام، وعند عودته في إحدى المرات سمع ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فاتجه من فوره إلى دار الأرقم، ووجد بالباب عمار بن ياسر فدخل معه، وأسلما معا على يد المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقد لقي صهيب الأذى مع المؤمنين الأوائل فصبر واحتسب عند الله. ولما علم بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم عزم على مرافقته ليكون ثالث ثلاثة، إلا أن قريشا وضعت عليه رقابة شديدة، ولا تريد أن يفلت منها بماله الكبير الذي كسبه بالتجارة الحلال. وظل يتحين الفرصة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وذات يوم تسلل في جنح الظلام وخرج مهاجرا إلى الله ورسوله بعد أن خبأ ماله بمكان آمن في مكة؛ ولكن أمره انكشف ولحق به القوم في الطريق، فصعد مكانا عاليا وأخذ سهامه، وصوبها نحوهم قائلا: يا معشر قريش، لقد علمتم ـ والله ـ أني من أرمى الناس وأحكمهم إصابة... ووالله لا تصلون إليّ حتى أقتل بكل

سهم معي رجلا منكم. ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي شيء منه. فقال قائل منهم: والله لا ندعك تفوز منا بنفسك ومالك... لقد أتيت مكة صعلوكا فقيرا فاغتنيت وبلغت ما بلغت. فقال صهيب: أرأيتم إن تركت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. فدلهم على موضع ماله في بيته في مكة، فمضوا إليه وأخذوه منه، ثم أطلقوا سراحه.

مضى صهيب مهاجرا وادرك النبي صلى الله عليه وسلم بقباء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله بعض أصحابه، ففرح بقدوم صهيب وناداه قائلا: " **ربح البيع أبا يحي... ربح البيع أبا يحي...** " وكررها ثلاثا، ففرح صهيب وقال: والله ما سبقني إليك أحد يا رسول الله.. وما أخبرك به إلا جبريل. وفعلا نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿207﴾ ﴾[البقرة: 207]. وقد اشترى صهيب نفسه بكل ثروته، حتى ينعم برفقة النبي صلى الله عليه وسلم، ومجاورته لسائر المؤمنين.

وشهد- صهيب -كل المشاهد مع رسول الله، واشتهر ببطولته النادرة، ويقول عن نفسه: " لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو عن شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. "

وكان رضي الله عنه جوادا كريما ينفق كل عطائه من بيت المال في سبيل الله، ويكثر من إطعام الطعام، حتى قال له عمر بن الخطاب: أراك تطعم كثيرا حتى إنك لتسرف..؟ فقال صهيب، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **خيركم من أطعم الطعام** ". وعندما أعتدي على عمر في المسجد، كلف صهيبا أن يصلي بالناس، في وقت شغور منصب الخلافة، وقبل إختيار خليفة للمسلمين، وتلك شهادة أخرى على عظمة صهيب ومكانته بين المسلمين. وظل صهيبا في عبادة ربه وعاش نحو **70سنة،** وتوفي بالمدينة **سنة 38هـ / 659م.**

﴿ حرف الضاد ﴾

المستضعفون

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: 26].

المستضعفون: هم قلةمن المسلمين كانوا يلاقون العنت من كفار مكة، ويصدوهم عن الهجرة، فبقوا مستذلين، وقد حث الله المؤمنين على الجهاد لتخليص المستضعفين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: 75]. أما الذين اختاروا البقاء تحت رحمة المشركين بمحض إرادتهم، فقد جعل لهم عذابا عظيما، وقال فيهم: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: 97-99].

ولما أنعم الله على المؤمنين بالحرية، وعاشوا في رحاب المجتمع المسلم في رخاء وطمأنينة، ودعاهم الله إلى التفكر في أحوالهم الماضية وكيف تغيرت إلى الأفضل، وذلك يدعوهم إلى شكر الله على نعمه الجليلة، وكان ذلك في شوال في السنة الثانية من الهجرة بعد انتصارهم في بدر، فكانت فرحة العيد كبيرة، فذكرهم قائلا: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: 26].

الضالون

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المؤمنون: 106].

الضالون: وهم الذين ضلوا عن الحق بعد معرفته، أو الذين لم يهتدوا أصلا إلى الصراط المستقيم، وهم أصناف من الناس، وحدد القرآن بعض صفاتهم، ومنهم:

* **النصارى:** الذين ضلوا عن الشريعة الغراء، وانغمسوا في الضلال بعد معرفة الحق، وبقوا في غيهم يتخبطون. ودعا الله تعالى كل مؤمن أن يستعيذ بالله منهم، وأن يجنبه مصيرهم التعس، فجعل دعاء المؤمن يتكرر في كل يوم عشرات المرات وهو يردد: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة: 5-7]. وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قال: هم **اليهود.** ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال: **النصارى.** رواه **أحمد والترمذي.**

***اليهود:** وهم الذين كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى عليه السلام، ثم ازدادوا كفرا لأنهم كفروا بمحمد واعرضوا عن القرآن الكريم، وضلوا عن الصراط المستقيم، وكانوا من الضالين المضلين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠ ﴾[آل عمران: 90].

* **كفار قريش:** الذين ماتوا على كفرهم، واختاروا الضلال على الإيمان، وكذبوا بالبعث، فكان مصيرهم النار بسبب ضلالهم: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ ﴾[الواقعة: 51-52]. وكانوا ينعتون المؤمنين من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم بالضلال، زورا وبهتانا: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ ﴾[المطففين: 32]. ويوم القيامة ينتبه الكفار لأنفسهم، ويعترفوا بضلالهم القديم، يوم لا ينفع ذلك شيئا: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ ﴾[المؤمنون: 106].

* **المخطئون:** وهم الذين تحكَّمَ فيهم الجهال فحادوا عن الصراط السوي، وكانت سيرتهم سيئة، ومن أخلاقهم التي أنكرها الخليل إبراهيم عليهم، القنوط: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ ﴾[الحجر: 56].

ومنهم أصحاب الجنة (البستان) الذين حرموا المساكين من نصيبهم في المال، فضلوا بسلوكهم، ولما أحرق الله بستانهم، عرفوا أنهم فتنوا فقالوا أنهم ضلوا الطريق - من الوجهين - ضلال عن الهداية، وضلال وخطأ في الطريق الحقيقي عند المسير، فكان لسانهم يقول: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ ﴾[القلم: 26].

﴿ حرف العين ﴾

قبيلة عـاد

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[الشعراء: 123].

عـاد: قبيلة عربية عريقة في القدم، ينتمي جدها الأول إلى عاد بن عوص بن سام بن نوح، وكانت مساكنهم في منطقة الأحقاف، وهي منطقة رملية تكثر بها الكثبان العالية، وتقع بأرض اليمن ما بين عمان وحضرموت، وتطل على البحر في أرض يقال لها " **الشحر** " واسم الوادي " **مغيث** "، وتنقسم القبيلة إلى قسمين:

ـ **عـاد الأولى:** وهم عاد ارم، من العرب البائدة، الذين كانت مساكنهم الخيام ذات الأعمدة الضخمة، وهم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكان لهم ثلاثة أصنام هي: صدا، وصمودا، وهرا وقيل هباء. وقال الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾[الفجر: 6-7]. وقد أرسل الله إليهم نبيه هودا عليه السلام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوه وعارضوه، فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[النجم: 50].

ـ **عـاد الثانية:** وهم سكان اليمن من قحطان وسبأ، وقيل هم ثمود. ويقول أهل حضرموت: أن هودا عليه السلام سكن في بلاد حضرموت بعد هلاك عاد الأولى، وبقي فيها حتى مات ودفن فيها.

العـاص بن وائـل

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾[مريم: 77].

هو العاص بن وائل بن هاشم بن كعب السهمي القرشي، (وهو والد الصحابي عمرو بن العاص) وكان من أشراف قريش وساداتها، لأن بني سهم كانت لهم في قريش وفي الجاهلية الحكومة وفض المنازعات وحسمها. وقد حارب العاص بن وائل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بشدة، وعذب المؤمنين في مكة، وكان الصحابي خباب بن الأرت قينا في الجاهلية، فصاغ للعاص بن وائل حليا، ثم جاءه يوما يتقاضى أجرته فقال العاص: ما عندي اليوم ما أقضيك، ولن أقضيك حتى تكفر بمحمد.

قال خباب: قلت له لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ وسيكون لي ثَمَّ مال وولد، فأعطيك، فأنزل الله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ

ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿78﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿79﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿80﴾ ﴾[مريم: 77-80].

وكان العاص من المستهزئين بيوم الدين، والكافرين الحاقدين، الذين منعوا عن الناس حقوقهم، فنزل فيه وفي أصحابه قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿1﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿2﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿3﴾ ﴾[الماعون: 1-3].

ـ **موته:** هلك العاص بن وائل في مكة عنما لدغ في رجله، وتطورت اللدغة فسببت له انتفاخا في رجله حتى صارت مثل عنق البعير، وكان موته من أثر اللدغة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بشهر وعدة أيام. (**السنة 1هـ**)

وصدق الله لما قال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴿95﴾ ﴾[الأنعام: 95]. قال ابن عباس: **يخرج المؤمن من الكافر.** وهذا ما حدث للعاص بن وائل، فقد أسلم ولداه هشام وعمرو، وكان لهما البلاء الحسن في تاريخ الإسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده؛ قال صلى الله عليه وسلم: (**أبناء العاص مؤمنان، هشام، وعمرو**) أخرجه أحمد والحاكم وأبو داود.

ـ **هشام بن العاص:** أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة، وبعد رجوعه إلى مكة عذب وسجن، وخلصه من سجنه البطل الفدائي الوليد بن الوليد بن المغيرة وهربه إلى المدينة بعد غزوة الخندق، وشهد هشام المغازي الباقية مع رسول الله، وأرسله أبو بكر في عهده إلى ملك الروم، وقاتل في معركة أجنادين حتى سقط شهيدا، سنة **13هـ (134م)**.

ـ **عمرو بن العاص:** هو داهية قريش، وقف في بداية عمره معاديا للنبي ومحاربا للإسلام، وكان سفير قريش إلى النجاشي لإرجاع المهاجرين إلى الحبشة، ولكنه فشل في مهمته، وتأخر اسلامه قليلاً، واسلم قبيل فتح مكة مع خالد بن الوليد، وهاجر إلى المدينة، وشارك في فتح مكة، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم على سرية ذات السلاسل في **جمادى الآخرة سنة 8 هـ** بعد اسلامه بنحو سنة واحدة. وفي عهد أبي بكر أرسله على رأس جيش لتأديب المرتدين من قضاعة. وكان له دور في فتوح الشام، وعلى يديه فتحت مصر ونشر فيها الإسلام، وكان أول ولاةِ مصر. وكانت وفاته بالقاهرة **سنة 43 هـ (664 م)**.

عـامر بن الطفيـل

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾[الرعد: 10].

هو عامر بن الطفيل بن مالك، وكان سيدًا في بني عامر بأرض نجد، وقد وفد عليه في صفر سنة **4 هـ**، الصحابي حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم ينظر فيه، وأمر رجلا فطعن حراما بالحربة من خلفه، فاستشهد حرام وهو يقول: **الله أكبر فزت ورب الكعبة**، ثم استنفر عامر بن الطفيل بني عامر لقتال الصحابة، فأجابته عصية ورعل وذكوان، وبطشوا جميعا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا سبعين من خيار الصحابة يعرفون بالقراء ـ فاستشهدوا في حادثة بئرمعونة ـ بين أرض عامر وحرة بني سليم ـ بأرض نجد.

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الوفود (**سنة 9 هـ**) وفد بني عامر بن صعصعة، وكان فيهم رؤساء قومهم وشياطينهم، ومنهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وخالد بن جعفر، وجبار بن أسلم.

قدم عامر بن الطفيل، وهو يريد الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال له قومه: ياعامر، أن الناس قد أسلموا فأسلم. فقال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ولما قدم عامر بن الطفيل ـ مع الوفد ـ بمعية صاحبه أربد بن ربيعةبن قيس بن حزم بن جليد بن جعفر إلى المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل من الصحابة: يا رسول الله، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك، فقال: دعه، فإن يرد الله به خيرا يهده، فأقبلا حتى جلسا بين يديه، فقال عامر: يا محمد، مالي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم. قال: تجعل لي الأمر بعدك؟ قال: لا ليس ذلك إليَّ، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء. قال: فتجعلني على الوبر، وأنت على المدر؟ قال: لا. قال: فماذا تجعل لي؟ قال: أجعل لك أَعِنَّةَ الخيل تغزو عليها، قال: أوليس ذلك إليَّ اليوم؟ وكان عامر بن الطفيل قد أوصى صديقه أربد بن ربيعة ـ إذا رأيتني أكلمه، فدر من خلفه واضربه بالسيف، فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويراجعه، فدار أربد خلف النبي صلى الله عليه وسلم، ليضربه، فاخترط من سيفه شبرا، ثم حبسه الله تعالى، فلم يقدر على سله، وجعل عامر يومئ إليه، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى أربد وما يصنع بسيفه، فقال: **اللهم أكفنيهم بما شئت.** ثم انصرف عامر مع صاحبه أربد، وقد فشل في غدره، فقال له عامر: ما صنعت شيئا؟ قال: رأيت عنده شيئا رجله في الأرض ورأسه في السماء لو دنوت منه أهلكني. فأنزل الله: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد: 11].

فأرسل الله تعالى صاعقة في يوم صائف صاح، فأحرقت أربد بن قيس، وولى عامر هاربا، وقال: يا محمد دعوت ربك، فَقُتلَ أربد، والله لأملأنها عليك خيلا جُردًا، وفتيانا مردا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يمنعك الله تعالى من ذلك، وابنا قيلة - يريد الأوس والخزرج - فنزل عامر بن الطفيل في بيت امرأة من بني سلول، فلما أصبح ضم إليه سلاحه، نخرج، وهو يقول: والله، لئن أصحر إليَّ محمد وصاحبه - يعني ملك الموت - لأنفذتهما برمحي (وكان عمره يومئذ ثمانين سنة) ، فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكا، فلطمه بجناحيه، فأذراه في التراب، وخرجت على ركبته غدة في الوقت كغدة البعير (أي قرحة) فجعل يمس قرحته ويقول غدة كغدة البعير في بيت سلولية، وكان يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركب على ظهر فرسه فمات عليه في ناحية الحريم (وهي موقع بين المدينة والروحاء) ، وقام أصحابه بدفنه، ثم رحلوا إلى أرض بني عامر. وانزل الله في تلك الأحداث الآيات التالية: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿10﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿11﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿12﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿13﴾ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿14﴾ ﴾[الرعد: 10-14].

عـائشة ـ أم المؤمنيـن رضي الله عنها

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴿11﴾ ﴾[النور: 11].

والدها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأمها هي أم رومان بنت عامر الكنانية، ولدت بمكة في ظل الإسلام، بعد البعثة النبوية بنحو أربع سنين، وأسلمت في صغرها مع أختها أسماء، وعرفها النبي صلى الله عليه وسلم منذ صغرها وهي تشب في بيت أبي بكر، وكان يوصي أم رومان بها قائلا: " **يا أم رومان، استوصي بعائشة خيرا واحفظيني فيها**".

وبعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، اقترحت خولة بنت حكيم على رسول الله أن يتزوج عائشة، فأرسلها لخطبتها له من أهلها، فقامت بالأمر على أحسن وجه، وتم العقد عليها في مكة في شوال سنة إحدى عشر من النبوة، بعد زواجه من سودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، وكان عمرها

نحو ست سنين، ولكن الدخول بها تأجل إلى شهر شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر، وتم بعد بناء الحجرات بالمدينة، وكان عمرها نحو تسع سنين. فأخذت قسطا آخر من التربية في مرحلة الطفولة في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يأتيها بصواحبها من الفتيات فيلعبن معها، أو يسمح لها من خلفه أن تنظر للحبشة وهم يلعبون بحرابهم في المسجد، وبسرعة الأيام صارت توجه النساء، في أهم مسائل الزينة والتجمل، وباقي شؤون المرأة.

وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بقية نسائه، ولكن عائشة كانت أحبهن إلى قلبه الكريم، وقد قال لها: "**حبك يا عائشة في قلبي كالعروة الوثقى**". ومع هذا الحب الشديد، دخل في وسط المحبة أعداء الحق، وأثاروا فتنة، كان أساسها الإفك والبهتان، الذي روج له زعيم المنافقين، عبد الله بن أبي بن سلول.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خروجه للقتال أو السفر، يضرب القرعة بين زوجاته، فمن خرج سهمها تخرج معه، وكان نصيب عائشة في غزوة بني المصطلق، وحينما كان النبي صلى الله عليه وسلم راجعا من الغزوة، ووصلوا قريبا من المدينة، اقاموا في الليل للراحة، فخرجت عائشة لقضاء حاجة، فانفرط عقدها من صدرها وسقط ولم تنتبه إليه، فلما عادت إلى الرحل افتقدته، فرجعت تبحث عنه، فوجدته، ولما عادت إلى الجيش، وجدتهم رحلوا جميعا، فقد حملوا هودجها على البعير وهم يظنون أنها بداخله؛ فجلست مكانها، تنتظر أن يرجعوا إليها، حتى غلبتها عينها فنامت، وكان الصحابي **صفوان بن المعطل** رضي الله عنه، ممن تخلف وراء الجيش ليلتقط ما سقط من متاع، فلما رأى سواد انسان نائم، قدم إليها فعرفها ـ لأنه كان يراها قبل الحجاب ـ فاستيقظت فجعل يسترجع" **إنا لله وإنا إليه راجعون** " ويعيد، ولم يلفظ بكلمة أخرى، ثم قرب إليها البعير وقال: **أمه قومي فاركبي**. فأخذ بزمام البعير يقوده.

أما جيش المسلمين فقد وصل إلى المدينة في مطلع الصبح، وأنزل الهودج أمام بيت عائشة، ولكنها ليست فيه، فذهل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأخذوا في البحث عنها، ولكن بعير صفوان بن المعطل دخل إلى المدينة وفوقه أم المؤمنين، فاستمع النبي صلى الله عليه وسلم لحديثها عن سبب تخلفها، ولم ينكر منه شيئا... ولكن عائشة أصابها مرض مفاجىء بعد الحادثة مباشرة، واستمر المرض نحو شهر، فلم تعلم من أمر الناس شيئا. وانتهز الفرصة زعيم المنافقين، عبد الله بن أبي بن سلول، وراح يقول عن صفوان بن المعطل: والله ما نجت منه ولا نجا منها. وتورط بعض المسلمين فخاضوا في ذلك مع المنافقين، وبلغ الخبر مسامع النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغ إلى أبي بكر وأهله، ولكنهم لم يفاتحوا عائشة في ذلك. وذات ليلة خرجت لقضاء حاجتها ومعها أم مسطح بن أثاثة، فعثرت فقالت، تعس مسطح. فقالت عائشة: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا؟ حينئذ كُشفَ الأمر، فحدثتها بما يقول الناس، فازدادت عائشة مرضا على مرضها، ولما رجعت إلى بيتها طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم، أن يأذن لها بالذهاب لبيت والدها، وهي تريد أن تستيقن الأمر، ولما سألت أمها طمأنتها، ولكن عائشة قالت: سبحان الله ولقد

تحدث الناس بهذا؟ تقول رضي الله عنها: " وبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى أصبحتُ. واستمر ذلك ليلتين ويوما، فتقول:... أبواي... يظنان أن البكاء فالق كبدي. ثم دخل عليها رسول الله وجلس، ولم يجلس عندها منذ بدء الحادث، فتشهد حين جلس وقال: **أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه.**

فلما أكمل كلامه، قلص الدمع، وقالت لأبيها، أجب رسول الله، وقالت لأمها كذلك، فكانت إجابتهم، ما ندري ما نقول. فقالت عائشة ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقول كثيرا من القرآن ـ إني والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة ـ والله يعلم أني بريئة ـ لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدقنني، والله لا أجد لكم مثلا إلا قول " أبي يوسف " (تعني يعقوب عليه السلام) وقرأت الآية التي وردت على لسانه في القرآن: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿18﴾﴾ [يوسف: 18].

تقول عائشة: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله يبرئني ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتْلَى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها. فوالله ما قام رسول الله ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه (أي القرآن في براءتها)... فلما سري على رسول الله صلى الله عليه وسلم، سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: **يا عائشة... أما الله عز وجل فقد برأكِ...** فقالت أم رومان: قومي إليه. فقالت عائشة في إباء: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل، هو الذي أنزل براءتي"، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد يتلوا على المسلمين ما نزل من آيات في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿11﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿12﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿13﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿14﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿15﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿16﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿17﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿18﴾ إِنَّ الَّذِينَ

﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿19﴾﴾[النور: 11-19].

وخرجت عائشة في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كانوا في البيداء في الجيش، انقطع عقد لعائشة، فبقي النبي صلى الله عليه وسلم يبحث عنه، فحبس الجيش، حتى اشتكى الصحابة إلى أبي بكر، فجاء إليها ورسول الله نائم على فخذها، فقال أبوبكر: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ (يعني للوضوء) وعاتبها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلع الفجر والناس بدون ماء، فأنزل الله عز وجل آية التيمم: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿43﴾﴾[النساء: 43]. فقام المسلمون يتيممون بالصعيد الطاهر. فقال أبو بكر لعائشة: " والله إنك ما علمت أنك مباركة ". ولم يتمالك الصحابي الجليل " أسيد بن حضير " أن قال: " ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ".

وكان الوحي يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها، دون غيرها من نسائه، وقال لأم سلمة: **" يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما أنزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها... ".**

وكانت تسأل النبي وتتعلم منه الحديث، ومعاني الآيات، والمراد بأحكامها، وتقول في هذا الشأن: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿60﴾ هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿61﴾﴾[المؤمنون: 60-61].

وسألت مرة أخرى عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴿48﴾﴾[إبراهيم: 48]. فقالت: فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط.

وقد جمعت علما غزيرا، حتى قال الحاكم في مستدركه: إن ربع أحكام الشريعة نقلت عنها. وكان الصحابة يرجعون إليها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجدون عندها الخبر اليقين، كما قال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما.

وكانت تقول: إن من نعم الله علي أن الله تبارك وتعالى أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري. وضمت حجرتها الشريفة قبري النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحبه والدها

أبو بكر الصديق، وكانت تأمل أن تدفن في حجرتها معهما، ولكن عمر رضي الله عنه عندما طعن، أرسل ابنه عبد الله إلى عائشة يستأذنها في أن يدفن في حجرتها بجانب صاحبيه، فلما دخل عليها، وجدها تبكي، فسلم عليها وقال: يقرأ عليك عمر السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده (المكان) لنفسي ولأوثرنه به اليوم على نفسي. وعندما بلغت جنازة عمر بالقرب من الحجرة وكانت في الداخل، قال ابن عمر:

" **إن عبد الله عمر بن الخطاب يستأذن بالدخول على أم المؤمنين عائشة...** " فأذنت وترحمت. ومنذ ذلك اليوم، صارت تحتجب كلما دخلت، لأن عمر أجنبي عنها، ومن ذلك قولها: " **إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر، والله ما دخلت إلا مشدود عليَّ ثيابي، حياء من عمر**".

وعاشت رضي الله عنها بدون خلف، ولكنها بثت كل معاني الحب لأبناء اخوتها، فجعلت ابن أختها أسماء " عبد الله بن الزبير" بمثابة الابن، وبه كانت تكنى " **بأم عبد الله** "، ولما مات أخوها عبد الرحمن ضمت إليها ابنه القاسم وابنته الطفلة، يقول القاسم: " **فما رأيت والدة قط أبر منها**".

ولما حل شهر رمضان الكريم، أصابها مرض الوفاة، فأوصت قائلة: " لا تتبعوا سريري (نعشي) بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء، لقد أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فادفنوني مع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم" ثم أسلمت الروح في ليلة **الثلاثاء 17 رمضان سنة 57هـ،** وشيعت جنازتها في غسق الليل (بعد صلاة الوتر) إلى البقيع كما أوصت، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكلهم من رواة الحديث عنها. وبلغت من العمر نحو **66سنة.**

عـائشة بنت عبد الرحـمن

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴿230﴾ ﴾[البقرة: 230].

هي عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت زوجة لابن عمها رفاعة ابن وهب بن عتيك، فطلقها طلاقا بائنًا، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، فطلقها، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسني، أفأرجع إلى الأول؟ (تعني ابن عمها رفاعة) ، قال صلى الله عليه وسلم: لا حتى يَمَسَّ، وفي رواية **البخاري** "... لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك " فنزل فيها قرآناً وهو قوله تعالى:

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿230﴾ ﴾[البقرة: 230].

فلبثت ما شاء الله ثم أتت النبي فقالت يا رسول الله إن زوجي الذي كان تزوجني بعد زوجي الأول كان قد مسني فقال النبي كذبت بقولك الأول فلن أصدقك في الآخر، فلبثت ما شاء الله ثم قبض النبي صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع إلى زوجي الأول فإن الآخر قد مسني فقال لها أبو بكر قد عهدت رسول الله حين قال لك وشهدته حين أتيته وعلمت ما قال لك فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر اتت عمر فقال لها لئن أتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك.

العباس بن عبد المطلب

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾[الأنفال: 70].

هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي صلى الله عليه وسلم، ويقاربه في العمر، وقد عاش معه سنوات الصغر، وجمعت بينهما صداقة، واستطاع ان يدرأ عن رسول الله كثيرا من الأذى بعد جهره بالدعوة، ورغم أنه لم يعلن اسلامه إلا عام الفتح، إلا أن بعض الروايات تذكر أنه كان يكتم اسلامه.
يقول أبو رافع، خادم النبي صلى الله عليه وسلم: " كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت... وكان العباس يكتم اسلامه"
وقد حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيعة العقبة الثانية في السنة ـ **13 من النبوة** ـ وكان أول متكلم، وتوجه إلى الأنصار، وحملهم مسؤولية الرعاية والحماية للنبي صلى الله عليه وسلم، ومما قاله لهم: "... وإنه قد أبى إلا الإنحياز اليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. "
وكان العباس هو صاحب السقاية في مكة ـ وهي سقاية الحجاج، وكانت في بني هاشم ـ وقام بها قبل الفتح، واستمرت بعده.

ولما عزمت قريش على مقاتلة المسلمين في بدر، أجبر العباس على الخروج، وفي قلب المعركة ينادي الرسول صلى الله عليه وسلم في أصحابه قائلا: " **إن رجالا من بني هاشم، ومن غير بني هاشم، قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا... فمن لقي منكم أحدهم فلا يقتله... ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله.. ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله... فإنه أخرج مستكرهًا "...**

وانتهت المعركة، وكان العباس أحد أسراها، وحدث نقاش بين العباس وبعض المسلمين، فقد عيروه بكفره، وقطيعة الرحم، وأغلظ علي بن أبي طالب القول، فقال العباس: ما تذكرون مساوئنا، ولا تذكرون محاسننا؟

فقال له علي: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ردا على العباس: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿17﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿18﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿19﴾ ﴾[التوبة: 17-19].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب العباس حبا كبيرا، ومن شدة حبه أنه لم ينم تلك الليلة التي أسر فيها عمه، ولما سئل عن سبب أرقه، وقد نصره الله في الغزوة نصرا مبينًا، قال عليه الصلاة السلام: "**سمعت أنين العباس في وثاقه**"، وسمع أحد المسلمين ذلك من رسول الله، فأسرع إلى العباس وحل وثاقه، وعاد وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: " يا رسول الله... إني أرخيت من وثاق العباس شيئا" فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه: " **اذهب فافعل ذلك بالأسرى جميعا**".

ولما قرر أخذ الفدية من الأسرى، قال الرسول لعمه: " **يا عباس.. افد نفسك، وابن أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو أخا بني الحارث بن فهر، فإنك ذو مال** ".

فقال العباس: يا رسول الله إني كنت مسلمًا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك فأما ظاهر أمرك فكان علينا فافد نفسك...) قال العباس: ما ذاك عندي يا رسول الله (يعني المال) ، قال: " فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل فقلت لها إن أصبت في سفري هذا فهذا المال لإبني الفضل وعبد الله وقثم " فقال: يارسول الله، إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا لشيء ما علمه غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يارسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي. فقال رسول الله (لا ذاك شيء أعطانا الله منك) ، ففدى نفسه وابني أخويه، وحليفه، ونزلت فيه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿70﴾ ﴾[الأنفال: 70].

ورغم صعوبة تحديد الزمن الحقيقي لإسلام العباس، فإنه أقام بمكة، وقام بالسقاية - ولعلها هي التي أغرته بالبقاء كل تلك المدة - والنبي صلى الله عليه وسلم عنه راض، ولكنه خرج مسلما مهاجرا بأهله وعياله،

في رمضان سنة **8هـ**، ولما وصل الجحفة، التقى بجش المسلمين وهو قادم لفتح مكة، فرجع معهم العباس، وكان له الدور الكبير، في إقناع أبي سفيان، بالصلح، ودخل النبي إلى مكة بسلام، وحقنت الدماء.
وصار العباس حبيبا إلى قلوب المسلمين، فقد سمعوا المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: " **إنما العباسُ صِنْوُ أبي.. فمن آذى العباس فقد آذاني**".
وقد أنجب العباس ذرية طيبة منهم ترجمان القرآن عبد الله بن العباس، والفضل، وقثم. وامتد به العمر إلى خلافة عثمان ابن عفان، وفي يوم الجمعة **14 رجب سنة 32هـ**، صعدت روحه الطاهرة إلى مولاها، وشيعته المدينة المنورة إلى البقيع لينام في هدوء وطمأنينة مع الصحابة الأطهار، رضي الله عنهم أجمعين.

عبد الله بن أبي بن سلول

﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿11﴾ ﴾[النور: 11].
هوعبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، أما سلول: فهي امرأة من خزاعة، وهي أم أبي. وعبد الله بن أبي هو(زعيم المنافقين بالمدينة) وكان قومه من الأوس والخزرج قد اجتمعوا بعد حرب بعاث لجعله سيداً على المدينة، وجمعوا له الخرز ليتوجوه ملكا على أهل المدينة، ولكن دخول القوم في الإسلام، وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، قلبت الأمور، فبقي ابن أبي على شركه، وأظهر بغضه للنبي صلى الله عليه وسلم علنا، فقد ركب النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ليعود سعد بن عبادة، فمر بمجلس فيه عبد الله بن أبي، فخمّر ابن أبي أنفه وقال: لا تغبروا علينا؛ ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على أصحاب المجلس، قال ابن أبي: اجلس في بيتك، ولا تغشنا في مجالسنا.
ولكنه رأى أن الإسلام في زيادة، فخاف على مصالحه الدنيوية، فأعلن الإسلام بعد غزوة بدر، وأبطن في قلبه الكفر والنفاق، ولم يترك فرصة سانحة إلا استعملها للمكر بالمسلمين، فصار زعيما للمنافقين الذين كانوا على شاكلته. فكان يُعين الأعداء من المشركين واليهود، ويتآمرمعهم ضد المسلمين، ويبث الفرقة في صفوف المجتمع المسلم، مثلما فعل في غزوة أحد عندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه، وكان فيهم المنافقون، فانسحب بهم عبد الله بن أبي- وكانوا ثلث الجيش، نحو ثلاثمائة مقاتل- وقال: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟
وقد أحبك المكر، وتظاهر بالإسلام، وعرف بوقاحته المفرطة المفضوحة، فكان يقوم كل جمعة حين يجلس النبي صلى الله عليه وسلم للخطبة، فيقول:

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه، وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس، فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخطب، وبلغت به الوقاحة أشدها عندما قام كعادته ـ بعدأحد ـ في يوم الجمعة، ليقول ما كان يقوله من قبل، فأخذ المسلمون بثيابه، وقالوا له: اجلس يا عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرًا أن قمت أشدد أمره، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: ويلك، ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

ولما طلب النبي صلى الله عليه وسلم من يهود بني قينقاع أن يكفوا أذاهم عن المسلمين، وأن يحفظوا العهد لئلا يحيق بهم ما نزل بقريش، فاستخف اليهود بوعيده قائلين: " لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس". فرد النبي عليهم وحاصرهم في حصونهم خمسة عشر يوما، اضطروا بعدها للتسليم، ورضوا بحكم النبي فيهم، فجاء عبد الله بن أبي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: " يا محمد أحسن في مواليّ (وكانوا حلفاء الخزرج) فأبطأ عليه النبي، فكرر مقالته، فأعرض عنه المصطفى، فأدخل ابن أبي يده في جيب درع النبي، فتغير لون النبي صلى الله عليه وسلم وقال: " أرسلني " فغضب النبي حتى رأوا لوجهه ظللاً. ولكن المنافق ألح في رجائه قائلا: " والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني امرؤ والله أخشى الدوائر ".. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها " . وأنزل الله فيه قرآنا ينهى عن موالاة اليهود وغيرهم من الكفار: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿51﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿52﴾﴾[المائدة: 51-52].

وكانت له صلة تآمر ومكر مع يهود بني النضير، وعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالخروج من المدينة، فأخذوا يتجهزون لذلك، إلا أن عبد الله بن أبي بعث إليهم، وقال لهم: اثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، فصدقوه، وبعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم حصارا شديدا، وخذلهم ابن أبي، فاستسلموا، وخرجوا من المدينة مدحورين، ونزل في ابن أبي وفئة النفاق قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ

ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿11﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿12﴾ ﴾[الحشر: 11-12].

كما اتصف عبد الله بن أبي بفساد الأخلاق، التي وصلت به إلى الإنحدار والسفالة، فكان يُكرِهُ فتياته على الزنا، وكان له جاريتان: مسيكة، ومعاذة ، فلما حرم الله الزنا، قال لإحداهن: إذهبي فابغينا شيئا، يريد الكسب، فقالت: لا والله، لا أزني أبدًا، فكان يضربهن عند إمتناعهن، فشكتا إلى رسول الله فنزلت اية كريمة تردع ابن أبي، وتنهى كل من كان على شاكلته إلى يوم الدين، وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿33﴾ ﴾[النور: 33].

ولم يتوقف عن الفسق والفجور، بل تمادى في غيه، فمس عرض النبي صلى الله عليه وسلم، وأشاع الإفك في أم المؤمنين عائشة، وروج الكذب والبهتان، وأثر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فقام على المنبر، ليبين إفتراء ابن سلول والأذى الذي الحقه بالبيت النبوي، فقال صلى الله عليه وسلم: " **يامعشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي (يعني ابن سلول)؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا (يعني صفوان بن المعطل) ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي).**

وأثار ذلك الأنصار فقاموا يتناقشون، وهم زعماء القوم، سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير، حتى كاد الأمر يتطور إلى الإقتتال بين الحيين من الأوس والخزرج، والنبي قائم على المنبر، فكان يُهَدىءُ من روعهم حتى سكتوا وسكت صلى الله عليه وسلم. ولكن القرآن تنزل على رسوله ففضح ابن سلول، وجعل مصيره في الآخرة شديدا: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿11﴾ ﴾[النور: 11].

وبعد غزوة بني المصطلق، وقعت خصومة بين أحد المهاجرين، وآخر من الأنصار، واشتكى هذا الأخير أمره إلى عبد الله بن أبي، فقال عن المسلمين: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزمنها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غيركم. فأنزل الله فيه سورة **المنافقون**، ومنها قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ⑦ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ⑧ ﴾[المنافقون: 7-8]

ولما رجع إلى المدينة، وقف له ولده" **عبد الله** " وكان صالحاً، ومن الصحابة الأخيار، فتبرأ من أبيه، واستل سيفه، فجعل الناس يمرون به، فلما جاء والده قال له عبد الله: وراءك، والله لا تدخل المدينة أبدًا حتى تقول: إن رسول الله هو الأعز، وأنا الأذل فقالها، وفي رواية، أنه قال له والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء النبي أذن له، فخلى سبيله. ثم جاء عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: بلغني أنك تريد أن تقتل أبي، فإن كنت فاعلاً فمرني فأنا أحمل إليك رأسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا.

ولما ظهر كذب ابن سلول، وافتضح أمره، قال له أقرباؤه من المؤمنين: امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك، فلوّى رأسه إنكارا لهذا الرأي ثم قال لهم: لقد أشرتم عليَّ بالإيمان فآمنتُ، وأشرتم عليَّ بأن أعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد.. فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ⑤ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ⑥ ﴾[المنافقون: 5-6]

وعندما توفي ابن سلول، جاء ابنه التَقِي النقي عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه، فأعطاه النبي قميصه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب، فأخذ بثوبه، وقال: يا رسول الله، أتصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين. قال: إنما خيرني الله، فقال: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ⑧⓪ ﴾[التوبة: 80]. وسأزيد على السبعين؛ فقال عمر: إنه منافق، فصلَّى عليه؛ فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ⑧④ ﴾[التوبة: 84]. فترك النبي الصلاة عليهم. وكانت وفاة ابن سلول سنة **9هـ / 630م**. وصدق الله لما قال: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ⑨⑤ ﴾[الأنعام: 95]. قال ابن عباس: **يخرج المؤمن من الكافر**. وهذا ماحدث لعبد الله بن أبي، فقد كان أبناؤه مثالاً في صدق الإيمان، والجهاد في سبيل الله، وحب النبي صلى الله عليه وسلم، وهم:

ـ **عبد الله بن عبد الله بن أبي:** كان من فضلاء الصحابة وخيارهم وكان اسمه في الجاهلية الحباب، وبه كان يكنى والده، فلما أسلم غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه وقال: (**الحباب اسم الشيطان أنت عبد الله**) ، وشهد عبد الله بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله. أما مواقفه مع والده - فقد سبق ذكرها - وبينت أن عبد الله كان لا يخشى في الله لومة لائم، فلا يحابي أحداً في الحق ولو كان والده، ولكنه لم ينس البر به وخاصة بعد موته فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة عليه، وقد فعل عليه الصلاة والسلام إكرامًا للولد الصالح. وقد قاتل عبد الله في معركة اليمامة، وحارب مسيلمة الكذاب، وأبلى البلاء الحسن حتى سقط شهيدًا، وكان ذلك في خلافة الصديق سنة **12هـ**.

ـ **جميلة بنت عبد الله بن أبي:** وتزوجها **حنظلة بن أبي عامر بن صيفي** (كان أبوه يسمى أبا عامر الراهب، والفاسق) ، وكان زواجه منها في ليلة غزوة أحد، فأستأذن حنظلة النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيت عندها، فأذن له، فلما صلى الصبح دخل عليها، ومال إليها قبل ذهابه للجهاد، فأجنب، وأراد الخروج، فأرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدت عليه أنه دخل بها. فقيل لها فيما بعد: لِمَ أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة.

فلما انتهت الغزوة وَهَمَّ النبي بدفن الشهداء قال: (**إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة**). قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطُرُ ماء..

فأرسل رسول الله إلى زوجته جميلة، فأخبرتهُ أنه خرج وهو جُنُب. وقد بارك الله في تلك الليلة، فأنجبت منه ولدا سمي على اسم والده عبد الله، وكان من صغار الصحابة وعرف بينهم بابن الغسيل، لأن والده عرف باسم " **غسيل الملائكة** ".

وتزوجت جميلة بعده " **ثابت بن قيس بن شماس** "، ولكنها نشزت منه، ففرق بينهما النبي صلى الله عليه وسلم بالخُلع، وكان أول خلع في الإسلام. ثم تزوجها **مالك بن الدخشم** من بني عوف، وتزوجها بعده **حبيب بن يساف** من بني الحارث الذي عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب.

عبد الله بن أم مكـتوم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ② ﴾ [عبس: 1-2].

هو عبد الله (وقيل عمرو) بن قيس بن زائدة المكي القرشي، ابن خال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وأمه هي عاتكة بنت عبد الله، ودعيت بأم مكتوم، لأنها ولدته أعمى مكتومًا.

أسلم عبد الله في أول أيام الإسلام في مكة المكرمة، وعانى من أذى قريش كثيرا، ولكنه ثبت على إيمانه، وزاده ذلك اقبالا على تعلم أحكام الدين، وقراءة القرآن من رسول رب العالمين، وكان لا يترك فرصة إلا استغلها للتعلم، مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم يدعو سادات قريش ويحرص على اسلامهم، وهم عتبة بن ربيعة، وأخيه شيبة بن ربيعة، وعمرو بن هشام (أبو جهل) ، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، فأقبل عليه عبد الله بن أم مكتوم، وطلب منه أن يعلمه آية من كتاب الله وقال: يارسول الله: علمني مما علمك الله ـ وكرر النداء، وهو لا يدري أنه منشغل مقبل على غيره ـ فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم، وعبس في وجهه، وأقبل على سادة قريش طمعا في إسلامهم، حتى يكون ذلك دعما للدين، وتأييداً للدعوة.

ولما أكمل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه معهم، وعزم على الذهاب إلى أهله، نزل عليه جبريل بست عشرة آية، في شأن هذا الأعمى لتكون له عزًا خالدا إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ② وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ④ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ⑩ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ⑪ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ⑫ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ⑬ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ⑭ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ⑮ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ⑯ ﴾ [عبس: 1-16].

ومنذ ذلك اليوم، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكرم نزل عبد الله بن أم مكتوم، وإذا جاءه يحسن استقباله ويقول: " **مرحبا بمن عاتبني فيه ربي**". ويبسط له رداءه ويدنيه من مجلسه، ويسأله عن شأنه، ويقضي له حاجته.

وكان عبد الله أول المهاجرين إلى المدينة مع مصعب بن عمير؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى " رواه **أحمد**. وتعاون عبد الله مع مصعب في تحفيظ أهل المدينة القرآن الكريم، وتعليمهم أحكام الدين. وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، اتخذه مؤذنا مع بلال بن رباح، فكان أحدهما يؤذن، والآخر يقيم الصلاة،

بينما في شهر رمضان، كان بلال يؤذن بليل، ثم يؤذن بعده لصلاة الفجر عبد الله بن أم مكتوم، فيمسك الناس عن طعام السحور.

واكرمه النبي صلى الله عليه وسلم، فاستخلفه على المدينة عند غيابه بضع عشرة مرة، احداهما يوم غادر المدينة لفتح مكة المكرمة. ورغم عاهته التي جعلته من الخوالف المعذورين، إلا أن نفسه كانت تواقة للجهاد في سبيل الله، وخصوصا بعد سماعه الآيات التي نزلت بعد غزوة بدر، وقد فضلت المجاهدين على القاعدين في الدرجات، فتأثر بذلك، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: " **يارسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت...** " ولم يكتف بذلك، فسأل الله أن ينزل قرآنا في شأنه وشأن أمثاله، ودعا الله بضراعة: "اللهم أنزل عذري... اللهم أنزل عذري ". فاستجاب الله لدعائه.

فعن زيد بن ثابت قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٩٥﴾﴾[النساء: 95].

ولم يذكر أولي الضرر، فقام ابن أم مكتوم وقال: كيف، وأنا أعمى لا أبصر؟ قال زيد بن ثابت: فتغشى النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي، فاتَّكَأ على فخذي، فوالذي نفسي بيده، لقد ثقل عليَّ فخذي حتى خشيت أن يرضها، ثم سري عنه، فقال: أكتب: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٩٥﴾﴾[النساء: 95]. فكتبها زيد.

ورغم نزول هذا الإستثناء، فإن ابن أم مكتوم عزم على الجهاد في سبيل الله، وحدد لنفسه مهمة في ساحات القتال، فكان يقول: اقيموني بين الصفين، وحملوني اللواء احمله لكم واحفظه، فأنا أعمى لا أستطيع الفرار..

ولما استنفر عمر بن الخطاب الناس لحرب الفرس، خرج عبد الله بن أم مكتوم إلى الجهاد، فشارك في معركة القادسية، فلبس درعه، وتولى رفع راية المسلمين، وانتهت المعركة بعد ثلاثة أيام، وختمت بالنصر المؤزر، وانجلى غبار المعركة عن عشرات من الشهداء، كان عبد الله بن أم مكتوم أحدهم، عندما وجد مضرجا بدمائه وهو يعانق راية المسلمين، وكان ذلك في سنة **14هـ**.

عبد الله بن رواحة

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾[البقرة: 224].

هوعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغر

بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث الخزرجي الأنصاري، وكنيته: أبا محمد، وأمه هي كبشة بنت واقد بن عمرو الخزرجية.

وكان من الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الأولى، وفي البيعة الثانية، وكان أحد النقباء عن قومه الخزرج، ومهدت بيعتهم لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. وبعد الهجرة وقف عبد الله بن رواحة في وجه زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وابطل كثيرا من مؤامراته الماكرة، وجنب المسلمين بعض ضرره.

وكان عبد الله بن رواحة شديدًا في الحق حتى مع أقرب الناس إليه، فقد حلف ألا يكلم ختنه (زوج اخته) " **بشير بن النعمان** "، ولا يدخل عليه أبدا، ولا يصلح بينه وبين امرأته (أي أخت عبد الله) ، وكان يقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل إلا أن أبرَّ في يميني، فنزل قرآنا يدعو عبد الله ـ وكل مسلم من بعده ـ أن لا يجعل من الحلف سبباً مانعًا للبر والتقوى، والإصلاح بين الناس: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224) ﴾[البقرة: 224].

واتصف عبد الله بن رواحة بإتقان الكتابة، وقول الشعر وتوظيف الكلمة لخدمة العقيدة، والمنافحة عن الدين، وحضي بإعجاب النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يستزيد من شعره، أو يردده ويتغنى به عنداشتغاله بالعمل.

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيته صلى الله عليه وسلم ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات بن رواحة، وهو ينقل التراب، ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أبينا

ومما قاله في النبي صلى الله عليه وسلم:

إني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم ان ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما اتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة.**

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُسّر عند سماع شعره في مختلف المواطن، ومنها عندما كان يطوف بالبيت في عمرة القضاء، فأنشد عبد الله من رجزه وهو يتوشح بالسيف، ويقول:

خلو بني الكفار عن سبيله * خلو فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * في صحف تتلى على رسوله
يـا رب إني مؤمن بقيله * إني رأيت الحق في قبوله
بأن خير القتل في سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن نصيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن الخطاب: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **خل عنه يا عمر، فهو أسرع فيهم من نضح النبل** ".

ولكن الشاعر اعتراه الحزن، عندما نزل قول الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)﴾ [الشعراء: 224-226]. فقال عبد الله بن رواحة قد علم الله أني منهم، فأنزل الله الإستثناء الذي جعل عبد الله من المجاهدين بكلمتهم النبيلة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا (227)﴾ [الشعراء: 227].

وكان عبد الله يشهد الغزوات مع المسلمين فيدافع بالكلمة، ويقاتل قتال الأبطال بسيفه، وقد عرفته المعارك والغزوات في بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر بطلا مغوارًا لا يعرف اللين ولا التولي، وكان شعاره الخالد: **(يا نفس إلا تقتلي تموتي)**.

ولما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على حرب النصارى ببلاد الشام، وجه في جمادى الأولى سنة **8هـ** جيشا يقوده ثلاثة من الصحابة، أولهم زيد بن حارثة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، وعقد لهم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة.

وحضر الناس لتوديع الجيش المتوجه إلى بلاد الشام، وأثناء الوداع بكى عبد الله بن رواحة، فقالوا: ما يبكيك؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71)﴾ **[مريم: 71]**. فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله بالسلامة، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين غانمين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الأحشـاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي * أرشده الله من غـاز، وقد رشدا

ثم خرج الجيش وخرج الناس خلفهم، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم مشيعًا لهم، حتى بلغ ثنية الوداع، وقف وودعهم. فقال ابن رواحة في النبي صلى الله عليه وسلم:

خلف السلام على امرئ ودعته * في النخل خير مشيع وخليل

وتوجه الجيش إلى مقابلة الروم في مؤتة، وكان جيش الروم كبيرا قوامه نحومئتي ألف مقاتل، وجيش المسلمين قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فقط، فتشاور القوم وقالوا: نكتب إلى رسول الله، ونخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. وكان عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأي، وشجع اصحابه قائلا: " يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة ". وأخيرا وافق القوم على القتال، وبدأت المعركة، فاستشهد القائد الأول زيد بن حارثة، وتلاه جعفر بن أبي طالب، وآلت القيادة إلى عبد الله بن رواحة، فأخذ الراية وهو فوق فرسه، فأحس في نفسه شيئا من التردد، فقال مثبتا لها ومذكرا بنعيم الجنة الذي ينتظر الشهداء:

أقسمت يا نفسي لتنزلنه * مالي أراك تكرهين الجنة؟

يا نفس إلا تقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت * إن تفعلي فعلهُمَا هديت

ويعني بفعلهما صاحبيه اللذين سبقاه بالشهادة؛ ثم نزل عن فرسه، فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة، ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه، فقال مخبراً عن نتائج الغزوة:

" أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا... ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى قتل شهيدا... ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها، حتى قتل شهيدًا ثم صمت قليلا وأردف قائلا: **لقد رفعوا إلي في الجنة "**

عبد الله بن سلام

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ ﴾[الاحقاف: 10].

هو الحصين بن سلام بن الحارث، من نسل يوسف بن يعقوب، كان حليفا للخزرج، وهو من أحبار يهود بني قينقاع، وعرف عندهم بالتقى والصلاح، وقد قسم وقته إلى ثلاثة أقسام: قسم منه للوعظ والعبادة

في المعبد، وقسم في البستان لتعهد نخله، وقسم للتفقه في الدين والنظر في التوراة، وقد نبهه الكتّاب المقدس إلى نبي يظهر بمكة، يختم الله به الرسالات، وكان الحصين شديد الشوق للقاء هذا النبي المنتظر، والإيمان به.

ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، وتناهت أخباره إلى مسامع الحصين بن سلام، أخذ يقارنها بمعارفه التوراتية، فتيقن من صدقه، وبقي ينتظر هجرته، ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وسمع به الحصين، هتف من فوره قائلا: **الله أكبر.. الله أكبر.** وكانت عمته جالسة تحت شجرة ـ وتدعى خالدة بنت الحارث ـ فقالت له: خيبك الله... والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما فعلت شيئًا فوق ذلك.. فقال لها الحصين: أي عمة: إنه والله، أخو موسى بن عمران، وعلى دينه... وقد بعث بما بعث به... فسكتت...

يقول الحصين: ثم مضيت من توي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فرأيت الناس يزدحمون ببابه، فزاحمتهم حتى صرت قريبا منه، فكان أول ما سمعته منه قوله: (**أيها الناس افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.**) قال: فجعلت أتفرس فيه، وأتملى (أملأ عيني) منه، فأيقنت أن وجهه ليس بوجه كذاب، ثم دنوت منه، وتأملته فتحققت أنه هو النبي المنتظر، ثم قلت له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إليه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد إليها. فقال الحصين: أشهد أنك رسول الله حقا. (وتلك هي شهادة أحد علماء بني إسرائيل). فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما اسمك؟ فقال: الحصين بن سلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل **عبد الله بن سلام.** يقول، فقلت: نعم، عبد الله بن سلام... والذي بعثك بالحق ما احب أن لي به اسما آخر بعد اليوم.

وصار عبد الله بن سلام مضربا للمثل في التصديق بالحق، وقد قال المشركون واليهود عن القرآن قولا عظيما، فقال لهم الله: إن عالما من بني إسرائيل شهد على صدق القرآن وآمن به (ويعني عبد الله بن سلام) وأنتم استكبرتم وأعرضتم: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿10﴾ ﴾[الاحقاف: 10].

وعبد الله بن سلام ومن أسلم من أهل الكتّاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، وكانوا على الحق المبين، فلما بعث آمنوا به، وأنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ

يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[القصص: 52]. وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعته، وصفته، وبعثته في كتابهم، كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان، فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[البقرة: 146].

قال عبد الله بن سلام: لأنا أشد معرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذاك يا ابن سلام؟ قال: إني اشهد أن محمدا رسول الله حقا يقينا، وأنا لا أشهد بذلك على ابني، لأني لا أدري ما احدث النساء. فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام.

انصرف عبد الله بن سلام بعد اعلان اسلامه إلى بيته، فدعا أهل بيته فأسلموا جميعا، وأسلمت معهم عمته خالدة وكانت عجوزا، ثم قال لأهله: اكتما إسلامكم على اليهود حتى آذن لكم، ورجع من فوره إلى رسول الله وقال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهتان وباطل، وإني احب أن تدعوَ وجوههم إليك، وأن تسترني عنهم في حجرة ثم تسألهم عن منزلتي عندهم قبل أن يعلموا باسلامي، ثم تدعوهم إلى الإسلام.

فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا يجادلونه بالباطل، وعبد الله بن سلام يسمع في الداخل. فقال لهم رسول الله: ما منزلة الحصين بن سلام فيكم؟ فقالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا وابن حبرنا وعالمنا.

فقال: أفرأيتم إن أسلم أفتسلمون؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم، أعاذه الله من أن يسلم. فخرج إليهم عبد الله بن سلام وقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به محمد، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله، وتجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، وإني أشهد أنه رسول الله وأومن به، وأصدقه، وأعرفه. فقالوا: كذبت، والله إنك لشرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا، ولم يتركوا عيبا إلا عابوه به.

وبعد اسلام عبد الله بن سلام، ورفض اليهود، حدثت قطيعة بين الطرفين، فوجد نفسه وحيدا بين قومه مما جعله يعرض حاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله، إن قوما من قريظة والنضير، قد هاجرونا، وفارقونا، واقسموا الا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل، وشكى ما يلقى من اليهود، فنزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[المائدة: 55]. فقرأها عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عبد الله: رضينا بالله، وبرسوله، وبالمؤمنين اولياء. واقبل عبد الله على الإسلام اقبالا كبيرا، واشتد اهتمامه بالقرآن الكريم، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم.

وشق طريقه في الدعوة إلى الله، واتجه إلى قومه وأهله الأقربين من اليهود، فدعا ابني أخيه: سلمة، ومهاجرا إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبيا

اسمه أحمد، فمن آمن به، فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة، وأبى مهاجراً وأصر على الكفر، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿130﴾ ﴾[البقرة: 130].

ومضى عبد الله في عبادته لربه، وكان مثابرا على الحق، وقد بشره الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بجنة عرضها السماوات والأرض، فسعى إليها حتى لقي الله تعالى، في سنة **43هـ / 663م** بالمدينة المنورة.

عبد الله بن عثمان (أبو بكر الصديق)

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿33﴾ ﴾[الزمر: 33].

هو عبد الله بن عثمان (المكنى بأبي قحافة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أميرالمؤمنين وأول الخلفاء الراشدين. وقد لقبه النبي صلى الله عليه وسلم عتيقاً، وقال له: **أنت عتيق الله من النار.** ولقبه أيضا **بالصديق،** لتصديقه بخبر الإسراء والمعراج، فغلب اللقب على الإسم. وكان صادقا في كل شيء، صادقا مع الله، ومع رسوله، ومع الناس، حتى كتب عند الله صديقا، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فصدقه أبو بكر، فأنزل الله مثنياً عليه بقوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿33﴾ ﴾[الزمر: 33]. وتبقى الآية مستمرة في كل صادق من عباد الله المتقين.

وكان أبو بكر صاحبا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ولما أرسله الله إلى الناس، كان أبو بكر أول مسلم من الرجال، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم طول حياته. وهو أعلم العرب بأنسابها، واتصف بكريم الأخلاق، وكان قاضيا للدماء في الجاهلية، واشتغل بالتجارة كسائر قومه، وازدادت مكانته بين قومه لما أسلم، وكانت منزلته عند الصحابة في المنزلة الثانية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**"رواه **الترمذي.**

وقد كابد أبو بكر المصاعب وتحمل في سبيل الدعوة إلى الله كثيرا من العنت، وصمد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقاوم المشركين. وذات يوم بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق النبي فخنقه خنقا شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (**أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله**). وأنفق مالا كثير في عتق المستضعفين

من المسلمين، فقال له والده أبو قحافة: يا بني، إني أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جَلدة يمنعونك، ويقومون دونك. فقال أبو بكر: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد، فانزل الله فيما دار بينه وبين والده في قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾ [الليل: 5-21].

وبذل الصديق كل ماله في سبيل الله، ولما سأله النبي صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قال: ابقيت لهم الله ورسوله. وقد أنزل الله في حقه: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ ﴾ [الحديد: 10].

قال الكلبي: نزلت في أبي بكر لأنه أول من أسلم، وأول من أنفق ماله في سبيل الله، وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال النسفي في تفسيره: وفيه دليل على فضله وتقدمه.

ودخل على يديه نفر من المبشرين بالجنة في بداية الدعوة، كما قال ابن عباس: إن أبا بكر الصديق، آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وصدقه، فجاء عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، فسألوه، فأخبرهم بايمانه، فآمنوا، ونزلت فيهم: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾ قال: يريد من أبي بكر الصديق: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝١٨ ﴾ [الزمر: 17-18]. ثم اتجهوا إلى رسول الله، فآمنوا وصدقوا، فنزل القرآن يثني على من إتبع سبيل الحق، في أثر أبي بكر: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥ ﴾ [لقمان: 15].

وكان رضي الله عنه، يرد على المشركين، بقول حكيم، ورأي سديد، وعقيدة صادقة، فعن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وذلك أن المشركين قالوا: ربنا الله، وعزير ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا.

وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، واستقام. والآية المقصودة هي: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ [﴾ فصلت: 30]. وعند الهجرة حظي الصديق بالصحبة، فكان ثاني اثنين، وأقام في غار ثور، ووصل رجال قريش إلى الغار، ولكن الله أخذ أبصارهم، وكان سبب حزن أبي بكر، هو خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد روى **الطبري**، عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه قال: " بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار، وأقدام المشركين فوق رؤوسنا فقلت يا رسول الله: لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا. فقال: **"يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما"** ، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) ﴾[التوبة: 40].

وكان شديد الخوف من يوم الحساب، وصدرت عنه أقوال كثيرة، تدل على مدى خوفه، وورعه، فقد رأى طائرا، فقال وهو يتأمله في طيرانه: والله لوددت أني كنت مثلك تقع على الشجر وتأكل من الثمر، ثم تطير وليس عليك حساب ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة في جانب الطريق مر علي جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني. وقال عطاء: أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة، والموازين، والجنة، والنار. فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر تأتي عليَّ بهيمة تأكلني، وإني لم أخلق ؛ فنزلت: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (46) ﴾[الرحمن: 46].

وكان شديد التدبر لكتاب الله تعالى، وظهر ذلك لما نزلت الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (56) ﴾[الأحزاب: 56]. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيرا إلا أشركنا فيه، فنزلت الآية الكريمة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) ﴾[الأحزاب: 43].

وظل أبو بكر في سعيه وعطائه، وقد اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم صاحبا وخليلا، ومساعدا ووزيرا. روى **مسلم** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إن أمنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلا، لأتخذت أبا بكر خليلا، ولكن اخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة الا خوخة أبي بكر** ".

وكان أبو بكر صاحب مواقف عظيمة، وتبرز في المواطن الهامة، عندما تبحث الأمة عن ثباتها، واتضح ذلك في موقفه العظيم يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، عندما قال عمر بن الخطاب: " والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، " وكان الناس بين مصدق للخبر وغير مصدق، فلما عاد أبو بكر من السنح (وهي العالية) فكشف عن وجه رسول الله فقبله وقال:

بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقرأ:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الزمر: 30]. ثم قرأ بعدها: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران: 144]. فأجهش الناس بالبكاء.

قال ابن عباس: (والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات. واستخلف المسلمون أبا بكر، ليكون خليفة النبي صلى الله عليه وسلم، فقام بالأمر فما بدل ولا غير، فكان عادلا ينتهج الصراط المستقيم، ولكن خلافته كانت قصيرة، ففي شهر جمادى الآخرة، حان مرض الوفاة، وعندما احتضر كانت عنده عائشة رضي الله عنها فرأته وهو يقاسي سكرات الموت فتمثلت بقول الشاعر:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى * إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فنظر إليها أبو بكر كالغضبان ثم قال: ليس كذلك، ولكن: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[ق: 19]. وكان آخر ما تكلم به: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف: 101].

ـ **وفاته:** وكانت وفاته ليلة الثلاثاء في **22جمادى الآخرة سنة 13هـ، وعمره 63 سنة.** وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة، ودفن في حجرة عائشة، وجعل رأسه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم، والصق لحده بلحد النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل قبره مثل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسطحا. وارتجت المدينة بالبكاء، وأصاب الناس ذهول مثلما حدث يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

أبوعبيدة بن الجراح

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿22﴾ ﴾[المجادلة: 22].

هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي، وغلبت على اسمه كنيته: **ويكنى بأبي عبيدة.** وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وهو خامس خمسة أسلموا من الرعيل الأول مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل دخوله إلى دار الأرقم. وقد هاجر إلى الحبشة بعد معاناته الظلم من قومه. وهاجر إلى المدينة ليكون من المجاهدين مع رسول الله في كل المشاهد، وكان بلاؤه حسنا. واختاره النبي صلى الله عليه وسلم أكثرمن مرة أميرًا لبعض السرايا والامدادات.

وكان موقفه في غزوة بدر عظيما، وقلبه كبيرا، عندما أعلن ولاءه لله ورسوله وللؤمنين، والذي حدث في الغزوة أن والده عبد الله بن الجراح كان مشركا يقاتل في صف قريش، وأخذ يتتبع ابنه أبي عبيدة يريد قتاله، ولكن الإبن أخذ يتحاشاه، فأصر الأب على القتال، فقاتله أبو عبيدة، وانتهت الحادثة بقتل والده في بدر، فأنزل الله في حقه قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿22﴾ ﴾[المجادلة: 22].

ودافع في يوم أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاع المستميت، ولما أراد أبو بكر أن ينزع حلقتي المغفر من وجنتي رسول الله، أبى عليه أبو عبيدة، وقام بنزعهما، ولكنه نزع معهما ثنيتيه، فصار أبو عبيدة أهتم الثنايا (الأهتم من انكسرت أسنان مقدم فمه) ، وقال أبو بكر: " وكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما ".

ولما قدم وفد نصارى نجران على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله ابعث لنا رجلا أمينًا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ائتوني العشية أبعث معكم القويَّ الأمين). واختار لهم أبو عبيدة وقال له: (اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه). وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إن لكل أمة أميناً وإن أميننا ايتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح)** رواه **الترمذي.**

وقضى بقية أيامه مجاهدا في سبيل الله في بلاد الشام، حتى فتحت، وبلغ الفرات شرقا وآسيا الصغرى شمالا. ولكن أعظم موقف سجله في تاريخه هو التواضع، وحسن تقدير الأمور، فعندما بعث عمر أثناء معركة اليرموك كتابا إلى أبي عبيدة، ليكون قائداً عاما للجيوش كلها في الشام، أخفى أبو عبيدة الكتاب،

وترك خالد بن الوليد يواصل قيادته للمعركة، حتى حقق الله النصر للمسلمين، حينئذ أظهر كتاب عمر، فتلقى خالد بن الوليد أمره بالرضا والقبول.

ولما وقع طاعون عمواس ببلاد الشام، أرسل إليه عمر خوفا عليه، فاعتذر لأنه ربط مصيره بجنده المخلصين، واستمر هناك حتى اختاره الله، على اثر إصابته بالطاعون، وتوفي في السنة **الثامنة عشرة للهجرة** عن عمر يناهز **58عاما** ، وقد استخلف على الجند معاذ بن جبل رضي الله عنه. ولما هيّء للدفن صلى عليه معاذ، ودخل إلى قبره ومعه عمرو بن العاص والضحاك بن قيس، وبعد دفنه قال معاذ بن جبل: " يا أبا عبيدة، لأثنين عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقني بها من الله مقتُ: كنت ـ والله ـ ما علمتُ من الذاكرين الله كثيرا، ومن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، ومن الذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا، وكنت والله من المخبتين المتواضعين، الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الخائنين المتكبرين ".

عتبة بن أبي لهب

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (17) ﴾[عبس: 17].

هو عتبة بن أبي لهب، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته رقية، ولكنه لم يدخل بها وطلقها عندما اشتدت عداوة أهله للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما نزلت سورة النجم قال مستخفًّا بالقرآن، كفرت برب النجم. فأنزل الله فيه: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (17) ﴾[عبس: 17].

قال القرطبي: أي لعن عتبة حيث كفر بالقرآن. ودعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم: (اللهم سلط عليه كلبك أسد الغاضرة.) فخرج من فوره بتجارة إلى الشام، فلما وصل إلى الغاضرة تذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل لمن معه ألف دينار إن هو أصبح حيا، فجعلوه في وسط الرفقة، وجعلوا المتاع حوله، فبينما هم على ذلك أقبل الأسد، فلما دنا من الرجال وثب، فإذا هو فوق عتبة، فمزقه، فمات من حينه، فبكاه والده أبو لهب وندبه وقال: ما قال محمد شيئًا قط إلا كان.

عثمان بن طلحة

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا (58) ﴾[النساء: 58].

هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة هو عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري. وأمه هي ام سعيد من بني عمرو بن عوف. قتل والده طلحة وعمه

عثمان بن أبي طلحة جميعا يوم أُحُدْ كافرين. فقتل علي بن ابي طالب طلحة، وقتل حمزة بن عبد المطلب عثمان مبارزة. كما قتل في الغزوة كل اخوة عثمان بن طلحة وهم مسافع والجلاس والحارث وكلاب، وماتوا على الكفر. وعدد الذين ماتوا من بني عبد الدار دفاعا عن لواء قريش كانوا عشرة رجال منهم الستة المذكورون آنفا من نسل أبي طلحة.

وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة صاحب الكعبة، حيث شارك ابن عمه عثمان في سدانتها، وقد منَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وأمهله، فبقي على شركه، وخرج معه إلى حنين، وأسلم في الغزوة وحسن اسلامه، وقاتل فيها وأظهر ثباتا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي بمكة سنة **59هـ.**

والجدير بالذكر أن اللواء والحجابة كانتا لبني عبد الدار، واللواء كانت الحرب لا تعقد الا به، والحجابة هي سدانة الكعبة والإشراف عليها، وحمل مفاتيحها، وفتح الكعبة في موسم الحج، ولا يتم ذلك الا بأمر السادن الذي يأذن للناس، ولا تقام الشعائر الا بمعرفته. وكانت السدانة في أيدي بني عثمان بن طلحة بن عبد الدار، وآلت إلى أولاد أبي طلحة ثم أحفاده، وهما عثمان بن طلحة، وشيبة بن عثمان.

وقد أسلم عثمان بن طلحة في السنة **8هـ** في زمن الهدنة بعد صلح الحديبية، حينما هاجر ورافق في الطريق عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: القت اليكم مكة افلاذ كبدها (يعني أنهم وجوه أهل مكة) ، وأقام عثمان بن طلحة في المدينة، وشارك في غزوة فتح مكة وكان له فيها الدور البارز. وهناك إشارات أخرى ترجع زمن إسلامه إلى يوم الفتح.

وعندما دخل النبي يوم الفتح إلى المسجد الحرام، طاف بالبيت، ثم دعا بني أبي طلحة وطلب منهم مفتاح الكعبة، فأراد شيبة بن عثمان أن يمنعه، ثم وافق وقال: **خذه بأمانة الله.** فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالكعبة ففتحت، فدخلها وصلى بها، ولما عزم على الخروج نزل عليه جبريل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿58﴾ ﴾[النساء: 58].

فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجه (لا اله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، أَلا كل مأثرة او مال أودم فهو تحت قدمي هاتين، الا سدانة البيت، وسقاية الحاج...)

وعندما جلس صلى الله عليه وسلم في المسجد، قام اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك، وفي رواية أن الذي قال ذلك هو العباس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين عثمان بن طلحة؟ فقدم ومعه ابن عمه شيبة، **فقال: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء.** ثم قال: **" خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم**

إلا ظالم. ثم قال: يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف ".
وفي رواية أخرى أنه قال لهم: **خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه وتعالى، فاعملوا فيها خالدة تالدة لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم ".** وقد أقام عثمان بن طلحة بالمدينة في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما توفي عليه الصلاة والسلام، رجع إلى مكة فأقام بها حتى مات سنة **42هـ**، وقيل أنه استشهد يوم اجنادين سنة **13هـ/ 134م.**
قال الواقدي: كان عثمان بن أبي طلحة يلي فتح البيت إلى أن توفي فدفع ذلك (أي المفتاح) إلى شيبة بن عثمان ابن أبي طلحة وهو ابن عمه، فبقيت الحجابة في ولد شيبة، وبقي شيبة حتى ادرك خلافة يزيد بن معاوية.

عثمان بن عفان

﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴿18﴾﴾ [الفتح: 18].
هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين. ويتصل نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أمه: أروى بنت كريز وقد أسلمت، وأمها هي البيضاء بنت عبد المطلب، وهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم، ويتصل نسب أبيه وأمه ويلتقيان عند عبد مناف. وكان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو، وكني في الإسلام باسم ولده الذي أنجبه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأبي عبد الله.
ولد عثمان رضي الله عنه بعد عام الفيل بست سنوات، وكانت مهنته في الجاهلية، وبعد الإسلام هي التجارة، فكان يدفع ماله مضاربة على النصف، فصار من الأغنياء، واشتهر بشدة الكرم والسخاء.
وقد أسلم في الرعيل الأول، وصبر للأذى الشديد، عندما أخذه عمه الحكم بن العاص، فربطه وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين. فلما رأى صلابته وإصراره تركه لشأنه. ثم هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية رضي الله عنها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط.
واتصف بشدة الحياء، وحدث يوما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع صاحبيه أبوبكر وعمر، وكان كاشفا عن ساقيه، فاستأذن عثمان بالدخول، فسوى ثيابه وأذن له. ولما سألته عائشة عن الذي فعله مع عثمان وحده دون صاحبيه قال: إن عثمان رجل حيي وإني خشيت ان أذنت له على تلك الحال ان لا يبلغ في حاجته. وفي رواية أخرى: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة.
كما كان شديد التواضع، فينام القيلولة في المسجد وهو أمير المؤمنين، ويقوم وأثر الحصى بجنبه، ويطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته ليأكل الخل والزيت، وهو أمير المؤمنين، وأغنى المسلمين، ولكن

التواضع والتقلل من الدنيا، وتربية النفس على العفة جعلته يتجه إلى ذلك السلوك القيم. وشهد عثمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، ما عدا غزوة بدر، لأنه شغل عنها بتمريض زوجته **رقية** رضوان الله عليها، وبعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من بدر وجدها فارقت الروح فحزن عليها حزنا شديدا. وواسى عثمان على مصابه، وعده من أهل بدر، وجعل له سهما في غنائم الغزوة، ثم زوجه من ابنته الثانية " **أم كلثوم** " فدعاه الناس " **ذا النورين** ".

ولما وصل النبي إلى الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، وكان يريد زيارة بيت الله الحرام، خرجت قريش بجيش لصده عن البيت، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثماناً، ففاوض قريشا ودعاها إلى الله، ولكنها حبسته ثلاثة أيام، فبلغ الأمر إلى رسول الله أن عثمانا قد قتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا نبرح حتى نناجز القوم؛ وطلب من الناس أن يبايعوا على القتال والثبات وألا يفروا حتى النصر أو الشهادة، فتدافع الصحابة وبايعوا تحت الشجرة، وعرفت البيعة ببيعة الرضوان، لأن الله رضي عن المبايعين، وكان سبب ذلك هو عثمان رضي الله عنه، ومن شدة حب النبي صلى الله عليه وسلم له، فقد بايع نفسه عن عثمان وقال: إن عثمان قد ذهب في حاجة الله ورسوله، فأنا ابايع له، فضرب بيمينه على شماله. ونزل القرآن الكريم ليبارك المبايعين، ويبشر بالفتح المبين: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾﴾[الفتح: 18].

وإذا تأملت في عبادته، وجدته مجتهدا، كثير الصلاة والصيام والحج والقيام، وكثير التلاوة للقرآن الكريم، وخاصة وقت قيام الليل، فأثر عنه أنه كان يقوم الليل بركعة واحدة يقرأ فيها القرآن كله. فعن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: رأيت عثمان عند المقام ذات ليلة قد تقدم فقرأ القرآن في ركعة، ثم انصرف، فقلت يا أمير المؤمنين: إنما صليت ركعة، قال: هي وتري. ويكفي شهادة له من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: (**هو من الذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا ثم اتقوا** ولم يختم الآية) ، وقرأ علي بن أبي طالب ذات يوم شطر الآية التالية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴿١٠١﴾﴾[الأنبياء: 101]. ثم قال: منهم عثمان.

وعرف عثمان بمواقفه السخية في تاريخ الدعوة والجهاد، فقد جهز جيش العسرة بأكمله، وأعد للجهاد ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وفرح النبي صلى الله عليه وسلم وقال: " **ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم... ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم...** ". وبعد نزول النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر، بعث إليه عثمان من منزله مع النوق ألف دينار ذهبًا، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بين يديه ويقول: " **غفر الله لك يا عثمان ما أسررت، وما أعلنت... وما كان منك، وما هو كائن...** ". كما قام بشراء بئر رومة

وتصدق بها على المسلمين، وتصدق بالقوافل الكاملة على فقراء المسلمين، وكان يعتق كل جمعة رقبة منذ اسلامه، ويتجاوز عن بعض ديون الناس.

ولما تولى الخلافة بعد عمربن الخطاب، قام بالأمر، ونشر الإسلام في بقاع الأرض، وبلغت الفتوحات في عهده إلى أرمينية والقوقاز، وخراسان، وقبرص، وجزءا هاما من افريقية، وغيرها من البلدان، ولقي الناس في عهده من الرخاء ما لم يعرفه شعب على الأرض يومئذ، كما ذكر الحسن البصري رضي الله عنه.

ومن أعظم أعماله وأجلها، كتابة المصحف وفق العرضة الأخيرة التي درسها جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في آخر حياته، وسبب ذلك ذكره ابن كثير في - البداية والنهاية - أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق، ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وجعل من لا يعلم يسوغان القراءة على سبعة أحرف، يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطأ الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشر الكلام السيء بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين ادرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم. وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في الأمر، وعزم على كتابة مصحف على حرف واحد يجتمع عليه الناس، وشرع في التنفيذ، فطلب المصحف الأول من أم المؤمنين حفصة ـ وهوالمصحف الذي جمعه زيد بن ثابت بأمر من الصديق، وبعد وفاته آل إلى عمر بن الخطاب، وبعد استشهاده حفظته حفصة رضي الله عنها ـ وكلف عثمان زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي، ويكون ذلك بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش. وتم الأمر كما أراد عثمان وأنجز المصحف الجديدبخط زيد بن ثابت رضي الله عنه، ولكن الآمر هو عثمان، ـ فاشتهرت المصاحف من ذلك الوقت إلى اليوم باسم **المصاحف العثمانية**، نسبة إلى خلافته ـ ثم نسخ على ذلك المصحف عدة نسخ، فأرسل نسخة إلى الشام وأخرى إلى مصر وثالثة إلى البصرةورابعة إلى الكوفة، وأرسل مصحفا إلى مكة وآخر إلى اليمن، وأبقى واحدا في المدينة (وتعرف كلها **بالمصاحف الائمة**) ثم امر الصحابة بجمع المصاحف التي يمتلكها الصحابة وأمر بحرقها، ووافقه الجميع، فكان عمله جبارا صان كتاب الله من كل فتنة، ووحد الأمة على أمر جامع.

ومات عثمان رضي الله عنه شهيدا في بداية الفتنة وهو يتلو القرآن الكريم عند سورة البقرة، وسقطت قطرة من الدم على قوله تعالى (**فسيكفيكهم**) من الآية: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ

﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿137﴾ ﴾[البقرة: 137]. وكان ذلك في يوم الجمعة **18ذي الحجة 35هـ، عن عمر يناهز 82**عاما، وكانت مدة خلافته اثنى عشر عاما الا اثني عشر يوما.

عثمان بن مضعون

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴿87﴾ ﴾[المائدة: 87].

هو عثمان بن مضعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو القرشي الجمحي، ويكنى بأبي محمد، وقيل أبو السائب (بابنه السائب). آمن عثمان بن مضعون مع النفر الأوائل من المؤمنين بمكة، لأنه كان صاحب نفس كريمة، تكره أخلاق الجاهلية، فقد حرم على نفسه الخمر قبل اسلامه، وكان يقول: لا أشرب شرابا يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي.

وقال ابن عباس: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالسا، اذ مر به عثمان بن مضعون، فأشَّر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: الا تجلس؟ فقال عثمان: بلى؛ فجلس إليه مستقبله، فبينما هو يحدثه اذ شخص بصره إلى السماء، فنظر ساعة، وأخذ يضع بصره حتى وضع على عتبة في الأرض، ثم تحرف عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره،... وفعل ذلك مرة أخرى .... وأقبل على عثمان لجلسته الأولى، فقال عثمان: يا محمد، فيما كنت أجالسك، وآتيك ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة؟ قال: ما رأيتني فعلت؟ قال: رأيتك تشخص بصرك إلى السماء حتى وضعته على يمينك، فتحرفت إليه، وتركتني، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستنقه (أي تستفهم) شيئًا يقال لك. قال: أَوفطنت إلى ذلك؟ قال عثمان: نعم. قال: أتاني رسول الله جبريل - عليه السلام- آنفا، وأنت جالس. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿90﴾ ﴾[النحل: 90]. يقول عثمان بعد سماعه الآية، فذاك حين استقر الإيمان في قلبي، وأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم.

وخرج عثمان في عتمة الليل في جمع من أهله للقاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهم زوجته خولة بنت حكيم، وصفية بنت الخطاب زوج أخيه قدامة، وإخوته قدامة وعبد الله ابناء مضعون، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الإسلام، فنطقوا بشهادة الحق.

وعندما اشتدت عداوة المشركين، هاجر عثمان إلى الحبشة ومعه عشرة من الرجال، وأربع نسوة، وكان هو أميرهم في رحلته، فأقاموا بالحبشة ثلاثة أشهر ثم رجعوا إلى مكة؛ ولم يلبث عثمان أن هاجر مرة أخرى إلى الحبشة مع أهله فعاشوا فيها آمنين يقرأون القرآن ويتدارسونه، فبلغهم أن قريشا اسلمت،

فرجعوا مسرعين، فوجدوا قريشا على شركها، فدخل عثمان بن مضعون إلى مكة في جوار الوليد بن المغيرة؛ ولكنه سرعان ما رد عليه جواره، لأنه كره أن يتميز عن إخوانه المؤمنين المضطهدين، وأعلن ذلك في المسجد الحرام، فقال الوليد: هذا عثمان، قد جاء يرد عليَّ جواري... قال عثمان: صدق، ولقد وجدته وفيا كريم الجوار، ولكني أحببت الا أستجير بغير الله.. ثم جلس عثمان في مجلس من مجالس قريش، وكان الشاعر لبيد بن ربيعة ينشد، فقال: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.. قال عثمان معلقا: صدقت. فواصل لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل.. فقال عثمان: كذبت... نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقام رجل من القوم فلطم عين عثمان بن مضعون فأصابها ـ وكان الوليد بن المغيرة حاضرًا ـ فقال الوليد: اما والله يا ابن أخي ان كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة وجوار.

فقال عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله.. وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس. ورجع عثمان إلى داره وهو يتغنى بشعر ارتجله في طريقه، وهو يقول:

فإن تكُ عيني في رضا الله نالها * لا يَدا مُلْحِدٍ في الدين ليسَ بمهتدي
فقد عوَّض الرحمنُ منها ثوابه * وَمَنْ يُرْضِهِ الرحمن يا قوم يَسْعدِ
فإني وإن قُلتُم غَوِيَّ مُضَلَّلُ * لأَحيا على دين الرسول محمدِ
أُريدُ بذاك اللهَ، والحق ديننا * على رغمِ من يبغي علينا ويعْتَدي

وكان عثمان بن مضعون زاهدا عابدا متبتلا، طلق الدنيا، وأقبل على العبادة، وترك الرفث إلى زوجته، فناداه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: " **إن لأهلك عليك حقا** ".

وبلغ من زهده وخوفه من الله، أن اتفق مع بعض الصحابة ومنهم أبو ذر الغفاري وعلي بن أبي طالب وغيرهم، واجتمعوا في بيت عثمان بن مضعون، وقرروا أن يتبتلوا ويختصوا، واتفقوا أن يصوموا النهار ويقوموا الليل، ويتركوا اللحم، ويترهبوا، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن في حقهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (87) وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ (88) ﴾[المائدة: 87-88]. فقال عثمان وأصحابه ـ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا ـ وكيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها، فأنزل الله: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ

﴿ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ ﴿٨٩﴾ ﴾[المائدة: 89]. ولما حرمت الخمر أتى وهو بالعوالي فقيل له: يا عثمان قد حرمت الخمر. فقال عثمان: تبًا لها قد كان بصري فيها ثاقبا.

وتوفي عثمان بن مضعونسنة **2هـ / 624م**، وكان أول من مات من المهاجرين بالمدينة، وقد دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فانكب عليه ثم رفع رأسه فرأى الصحابة أثر البكاء في عينيه، ثم حنى النبي عليه ثانية، ثم رفع رأسه فرأوه يبكي، ثم حنى عليه الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق، فبكى الصحابة لبكائه، قال صلى الله عليه وسلم: " **رحمك الله أبا السائب، خرجت من الدنيا، وما أصبت منها، ولا أصابت منك".** وكان عثمان بن مضعون أول من دفن من المهاجرين بالبقيع، ووضع النبي عليه الصلاة والسلام، عند رأسه حجراً وقال: هذا قبر فرطنا. وظل يذكره عند فقد الأحبة، فلما مات إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " **الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مضعون".**

العجـوز

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾﴾[هود: 72].

العجوز: هي المرأة المسنة التي بلغت من الكبر عتيا، وأطلقت في القرآن على امرأتين من نساء الأنبياء هـن:

* **زوجة إبراهيم عليه السلام:** وهي **سارة،** عندما جاءت الملائكة إلى بيت الخليل- وهي في طريقها لإهلاك قوم لوط- فبشرته باسحاق، فتعجبت سارة وقالت: كيف ألد في هذه السن وأنا عجوز كبيرة، وكان عمرها يومئذ **99 سنة**، وعمر زوجها الخليل **120 سنة**، ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾﴾[هود: 72]. فأخبرتها الملائكة أنها قدرة الله، وهو على كل شيء قدير: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾[هود: 73].

وكانت سارة عقيما، فلطمت وجهها على عادة النساء عند تعجبهن، وقالت كيف ألد وأنا امرأة عقيما؟ وكان توجيهها دوما إلى قدرة الله: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾[الذاريات: 28-30]

* **زوجة لوط:** وكانت عجوزا، واختلف في اسمها فقيل كانت تسمى **هلسفع** وقيل **واعلة**، وكانت مصرة على الكفر فأهلكها الله مع الظالمين من قوم لوط: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿133﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿134﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿135﴾ ﴾[الصافات: 133-135].

وصفة ذلك أن لوطا خرج بقومه من المؤمنين ليلا، وأمرهم ألاَّ يلتفتوا وراءهم، ولكن امرأته لما سمعت هدَّة العذاب التفتت وقالت: واقوماه، فأدركها حجر فقتلها: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿81﴾ ﴾[هود: 81].

الأعجمي

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴿103﴾ ﴾[النحل: 103].

الأعجمي: هو الذي لا يتكلم اللغة العربية. قال الفراء: الأعجم الذي في لسانه عجمة وإن كان من العرب.

والعجمي: الذي أصله من العجم.

وورد اللفظ في القرآن الكريم في معرض الحديث عن القرآن الموحى إلى النبي العربي صلى الله عليه وسلم، ولكن المشركين كانوا يفترون الكذب، ويروجون عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن القرآن كان يتلقاه من الفتى الرومي، وكان يدعى " **جبر الرومي** "، وكان غلاما نصرانيا يجلس عند المروة، وكان يتقن قراءة الكتب السماوية، فادعى المشركون وأقسموا أن جبراً هو الذي علمه القرآن، فأفحمهم القرآن وأنزل في شأنهم آيات تبين أن لسان جبر أعجمي، وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، كلامه عربي مبين في غاية الفصاحة والوضوح، ومما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿103﴾ ﴾[النحل: 103].

ومن شدة تعنت الكفار، كانوا يقولون: هلا نزل القرآن بلغة العجم. فقال لهم الله: لو نزلناه بلغة العجم، لقلتم لو نزل بلغة نفهمها؟ ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿44﴾ ﴾[فصلت: 44].

وزادهم الله إفحاما، فقال لهم: فلو أنزل هذا القرآن على أحد الأعاجم، واحسن قراءته على أهل مكة، ففهموه، فإن العناد يجعلهم يستمرون في كفرهم، ويختلقوا أعذاراً أخرى، والغرض منها التعجيز والعناد: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿198﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿199﴾ ﴾[الشعراء: 198-199].

العــدوة

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴿42﴾ ﴾[الأنفال: 42].

عدوة الوادي: هي جانب الوادي وشفيره. وردت في القرآن وصفا لمواقع المسلمين وعدوهم في غزوة بدر، فكان ذلك على ثلاثة مواقع:

1) العدوة الدنيا: وهي موقع جيش المسلمين، ومكانهم في المعركة بجانب الوادي القريب من المدينة المنورة، أي هم أدنى إلى بلادهم من غيرهم.

2) العدوة القصوى: وهي موقع جيش المشركين (قريش) وهم بجانب الوادي الأقصى، أي الأبعد عن المدينة، وعن مكة المكرمة.

3) الركب الأسفل: وهي عير قريش (القافلة) ، وكانت بقيادة أبي سفيان، وقد أفلتت، وصارت في أسفل مكان بالنسبة لموقع المؤمنين في بدر، فهي في موقع مما يلي ساحل البحر في اتجاه مكة المكرمة.

المعذرون

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴿90﴾ ﴾[التوبة: 90].

وهم الأعراب المنافقون من أهل الباديةممن حول المدينة، الذين تخلفوا عن الجهاد في غزوةتبوك في السنة **9 هـ**، وبحثوا عن الأعذار الواهية، والتي جعلتهم في صف المقصرين، واختلف في تحديدهم:

ـ قيل هم قوم عامر بن الطفيل: قالوا يا رسول الله لو غزونا معك أغارت أعراب طي على حلائلنا وأولادنا ومواشينا، فعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ وقيل كانوا اثنين وثمانين رجلا من بني غفار، اعتذروا، فلم يعذرهم الله، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، لعلمه أنهم كاذبون.

ـ وقيل هم قبائل أسد وغطفان، وقد استأذنوافي التخلف واعتذروا بالجهد وكثرة العيال.

ومهما كانت صفتهم، فإن النفاق ظهر في سلوكهم، وتخلفوا لأنهم لا يريدون تحمل تبعات الجهاد، ولما استأذنوا كانوا مصرين على التخلف، وقد قالوا: فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا. وعاتب

الله نبيه على الإذن لهم، ولكنه عفا عنه بلطف كما ورد في الآية: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾[التوبة: 42-44].

عربي

﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النحل: 103].

نسب الله القرآن الكريم إلى العرب لأنه نزل بلسانهم، وأرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم، نبيا عربيا بلسان قومه (اللغةالعربية) ، وتلك سنة الله في الرسالات: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾[إبراهيم: 4]. فأنزل القرآن في كمال الفصاحة والبلاغة، لأنه أنزل على أهل البلاغة، وأرباب الكلمة القوية، فكان معجزا، وأقام الله به الحجة عليهم: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزمر: 27-28]. وقوله تعالى وهو يدعوهم إلى التذكر: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾[طه: 113]. وإن عروبة القرآن تيسر لهم فهمه، بعقولهم الراجحة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾[الزخرف: 3]. وأنزله الله عربيا، وقص عليهم القصص لعلهم يفهمون أحوال الناس التي تجري على الجميع، ولا يدرك كنهها إلا الذين حكموا عقولهم، وهم أولوا الألباب: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[يوسف: 2]. وكلف الله محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغ الكتاب للعرب أولا في مكة المكرمة، وما حولها في الآفاق الرحبة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴿٧﴾﴾[الشورى: 7].

وتوحي لنا الآيات السابقة عن القوم الذين نزل القرآن بلسانهم، وهم العرب، وكان لهم تاريخ حافل بالذكريات مع الأنبياء، وموطنهم الأصلي هو شبه الجزيرة العربية، وقسمهم المؤرخون إلى ثلاثة أقسام، بحسب سلالاتهم:

* **العرب البائدة:** وهم أقدم السلالات العربية، وقد بادوا وهلكوا، ولم يبق على وجه الأرض أحدًا من نسلهم، وهم قبائل كثيرة منها: قبيلة طسم وجديس، وأميم، وعبيل، وجرهم الأولى، وحضرموت، وذكر في القرآن قوم عاد، وخبر نبيهم هود عليه السلام، وقوم ثمود، وخبر نبيهم صالح عليه السلام.

* **العرب العاربة:** أو القحطانيون أو عرب الجنوب، وينحدر نسبهم من يعرب بن يشجب بن قحطان، وكان موطنهم الأصلي بلاد اليمن، ومن يعرب تشعبت القبائل، وتركزت في فرعين كبيرين هما:

ـ **كهلان:** وأشهر بطونها الأزد ومنهم الأوس والخزرج، وأولاد جفنة (الغساسنة ملوك الشام) ، وطيء، ومذحج، والنخع، وعنس، وهمدان، وكندة، ولخم. وهاجرت بطون كهلان في أنحاء الجزيرة العربية، قبيل سيل العرم.

ـ **حِمْيَر:** وأشهر بطونها قضاعة، وزيد الجمهور، والسكاسك. واستقرت في بلاد اليمن.

* **العرب المستعربة: (أو المعرَّبة):** وهم عرب الشمال العدنانيون، وانحدروا من نسل إسماعيل عليه السلام، وسموا بالعرب المستعربة، لأن إسماعيل كان يتكلم السريانية أو العبرية، فلما هاجرت قبيلة جرهم العربية اليمنية (القحطانية) ، واستقرت بمكة، عاش معهم وتزوج منهم، فتعلم هو وأبناؤه اللغة العربية، فسموا (العرب المستعربة) ، ويضم هذا القسم جميع القبائل العربية المستقرة في الشمال، في أواسط الجزيرة العربية، وخصوصا بلاد الحجاز، وتمتد مواقعهم إلى بادية الشام، وهاجر إليهم عرب اليمن بعد خراب سد مأرب.

وأنجب إسماعيل عليه السلام اثنى عشر ولدا تناسلوا وكثرت ذراريهم، ومنهم قيدار بن إسماعيل، الذي تناسل أبناؤه فكان منهم عدنان وولده معد، وعدنان هو الجد الحادي والعشرون في سلسلة النسب النبوية، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب فبلغ عدنان يمسك ويقول: كذب النسابون، فلا يتجاوزه، ولكن بعض العلماء ضعفوا الحديث وأجازوا رفع النسب فوق عدنان. وقد تشعبت الأنساب من نسل نزار بن معد إلى أربعة قبائل عظيمة هي: إياد، وأنمار، وربيعة، ومضر...

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ [الحجرات: 14].

العرب: جنس من البشر يقال لأحدهم عربي، وينتمي إليهم سكان البدو ويقال لهم الأعراب، والواحد منهم يسمى أعرابي، وهم يغضبون من هذه الكلمة، بينما يفرحون إذا قيل لأحدهم يا عربي، والمهاجرون والأنصار عرب وليسوا أعرابا.

وأخبر الله أن الأعراب سكان البادية فيهم الكفار والمنافقون والمؤمنون، ولكن بسبب بعدهم وانعزالهم، وعدم إقبالهم على العلم، تفشى فيهم الجهل، فكانوا أشد كفرا ونفاقا من سكان الحضر: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ ﴾ [التوبة: 97].

وهؤلاء الأعراب ممن كان حول المدينة المنورة، وهم قبائل كثيرة منهم: مزينة، وجهينة، وأشجع، وغفار، وأسلم، والديل، ويمكن تحديد أقسام الأعراب كما وردت في الآيات:

* **المنافقون من الأعراب:** وكانوا حول المدينة، ولهم منازل قريبة: ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ ١٠١ ﴾ [التوبة: 101]. وقد تخلفوا عن الجهاد في عدة مرات واختلقوا الأعذار الواهية، فقالوا عند تخلفهم عن الحديبية، إن سبب تخلفنا هو أننا شغلنا بأمر أولادنا وأموالنا، وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، ولكن قلوبهم تبطن الكذب والنفاق، وقد فضحوا يومئذ في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ١١ ﴾ [الفتح: 11]. وتكرر التخلف في غزوة تبوك: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ ٩٠ [التوبة: 90]. وقد عاتبهم الله عن تخلفهم، حتى يتضح كيدهم للناس جميعا: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ١٢٠ ﴾ [التوبة: 120]. ولكن خبث نفوسهم التي طبعت على النفاق، وتمكن الجهل منها، جعلتهم يعتبرون كل نفقة في سبيل الله خسارة كبيرة، وغرامة لا داعي لها، ويتمنون هلاك المسلمين وانهزامهم حتى يتخلصوا من تبعات

الجهاد والإنفاق: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿98﴾ ﴾[التوبة: 98].

* **المؤمنون من الأعراب:** أما المؤمنون الصادقون من الأعراب، فهم يسابقون إلى الجهاد والبذل في سبيل الله، لأن نفوسهم طيبة، ويرجون الجزاء الأوفى عند الله، الذي وعدهم بجنات النعيم: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿99﴾ ﴾[التوبة: 99].

ومنهم فئة من بني أسد قدموا إلى المدينة في سنة مجدبة، ونطقوا بالشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وفلان، فاعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله فيهم: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿14﴾ ﴾[الحجرات: 14].

ونبهم الله إلى الإسلام الحقيقي الذي يكون استسلاما في القلوب، ويصدقه العمل والسلوك الظاهري، وعلمهم أن يشكروا الله على الهداية، وأن يتركوا المنَّ على الإسلام، فلا يستحق ذلك مكافأة، وإنما صدق الإيمان، والعمل الصالح يستوجب مكافأة عند الله وهي الفوز بالجنة والرضوان: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿17﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿18﴾ ﴾[الحجرات: 17].

عــرفــات

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴿198﴾ ﴾[البقرة: 198].

عرفات أو (عرفة): اسم لموضع واحد في مكة المكرمة، والمسافة من جبل عرفات (ذات السليم) إلى المسجد الحرام نحو 22 كلم. وحدها من الجبال المشرفة على عرفة وتمتد في فضاء ينتهي عند الجبل المشرف على بطن وادي عُرَنة. وذكر في سبب تسميتها عدة أقوال منها:

1) قيل سميت عرفة لأن الناس يتعارفون بها، وآدم عليه السلام لما هبط وقع بالهند، وحواء بجدة، فاجتمعا بعد طول الطلب بعرفات في يوم عرفة.

2) وقيل أن جبريل عليه السلام عرَّف إبراهيم المناسك، فلما وقفه بعرفة قال له: عرفت؟ قال نعم، فسميت عرفة.

3) وقيل هي مأخوذة من" العرف " وهو الطيب قال الله: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ ﴾[محمد: 6]. أي طيبها فهي طيبة، بخلاف منى التي بها الفروث والدماء، فلذلك سميت عرفات. (ذكره القرطبي).
وعرفات هي الموقف الذي يقف به الحجاج بعد الظهر من اليوم التاسع من ذي الحجة إلى فجر اليوم العاشر منه، فمن حضر لحظة فأكثر يتم حجه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " **الحج عرفة** " رواه **أحمد والترمذي وهو صحيح**. وكانت قريش في الجاهلية تميز نفسها عن الناس ويسمون أنفسهم " الحُمْس "فتقف في المزدلفة وتفيض منها، وقد خالف النبي قريشًا قبل البعثة، فوقف مع الناس بعرفات، وبعد البعثة أبدل الله عادات الحُمْس، وصارت الإفاضة للجميع من عرفات، فقال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٩ ﴾[البقرة: 198-199].

العــرم

﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ۝١٦ ﴾[سبأ: 16].
العرم: لفظ ارتبط بالسيل الذي هدم سد مأرب ببلاد اليمن في عهد الفترة قبل الإسلام، واختلف في معنى العرم بحسب الإضافة، ما بين كلمتي السيل والعرم:
1) وصف السيل: ذكرت كلمة العرم وصفا للسيل، من العرامة وهي الشدة والقوة، عند تدفق المياه.
2) اسم السيل: وهو السيل المائي الذي اندفع بقوة، وحمل في طريقه الحجارة، فوجد في السد تشققات كثيرة ساعدت الماء على الاندفاع فتخرب السد عن آخره.
3) اسم السد: وقيل العرم هو اسم لسد مأرب أي البناء الذي أقيم بين جبلين في بلاد اليمن.

العراء

﴿ فَنَبَذْنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾[الصافات: 145].

العراء: هو المكان القفر الخالي من المعالم والشجر والجبال، ويمثل فضاء ممتدا، وهو المكان الذي ألقى فيه الحوت سيدنا يونس عليه السلام، بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط في إحدى ضفافه، والراجح أنها في بلاد الشام كما يدل على ذلك استقراء الأحداث السابقة في قصة يونس عليه السلام، لأن وجهته كانت نحو الغرب.

وكانت عناية الله ترعاه، فأنبت الله بجانبه شجرة من يقطين (القرع) فظللته، ومنعت عنه حر الشمس في ذلك الفضاء الخالي: ﴿ فَنَبَذْنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾[الصافات: 145-146]. وقد بسط الله عليه نعمته فجعله من الصالحين: ﴿ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القلم: 49-50].

عـــزيـــر

﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴿٢٥٩﴾ ﴾[البقرة: 259].

ـ **نسبه:** قال ابن عساكر: هو عزير بن جروة، ويقال ابن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزيا بن عرى بن تقي بن اسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران. ويعرف عند اليهود باسم عزرا، وكان بين سليمان وعيسى عليهما السلام.

ـ **قصة عزير مع بعث أجساد الموتى:** وكان عزير عبدا صالحا حكيما، وعالما جليلا، وعارفا بالتوراة من قومه بني إسرائيل، ولما اعتدى الملك البابلي بختنصر على بيت المقدس وخربها سنة **586 ق. م.** وسبى أهلها من اليهود، عاش عزير خارجها، ثم أتى بيت المقدس على حماره، ومعه سلة فيها الطعام، وكان تينا وعنبا وعصيرا، فنظر إلى خراب بلاده وهي خاوية من أهلها، وقد تهدمت جدرانها، وصارت أطلالا بالية، فتساءل، وذُكر تساؤله في القرآن: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿٢٥٩﴾ ﴾[البقرة: 259]. وقال ذلك تعجبا، فبعث الله ملك الموت فقبض روح عزير، وأماته الله مائة عام. وقد عمرت بيت المقدس بعد مضي سبعين عاما بعد موت عزير، وتكامل بناؤها، ورجع إليها أهلها من بني إسرائيل بعد فك أسرهم من بابل.

وبعد مضي مائة سنة، بعث الله عزيرا، وأحياه: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259]. فوجد البلاد قد تغير حالها عما تركها عليه منذ قرن من الزمان قبل موته؛ فبعث الله إليه ملكًا، فأحيا فيه عينيه لينظر بهما كيف يحي الله الموتى، فنظر إلى تركيب الله لعظمه وكيف كُسِيَ باللحم والجلد والشعر، فلما استكمل أمره، واستوى جالسا، قال له الملك: ﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259]. وكان موت عزير في أول النهار، وبعثه الله في آخر النهار، فلما رأى الشمس باقية، ظن أنها شمس ذلك اليوم؛ فقال له الملك: بل لبثت مائة عام، ودلل له على ذلك بحال طعامه وشرابه: ﴿قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259]. وقد بقي العنب والتين والعصير على حاله الأول، فلم يتغير طعمه ولم يتخمر. وحتى يزداد يقينا، بعث الله الحمار بين يديه، وهو ينظر إليه، فقال له الملك: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259]. فنظر إلى الحمار وقد بليت عظامه وصارت نخرة، فتشكلت العظام، وكسيت لحما، ونفخ فيه الروح، فقام رافعا رأسه وأذنيه إلى السماء: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259]. فجعل الله عزيرا آية للناس ودليلا باهرا على المعاد، فقال عزير لما عاين تلك المشاهد الصريحة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259]

ثم ركب حماره وأقبل على أهله وبيته، فلم يعرفه أحد. قال الضحاك: عاد إلى قريته وأولاده وأولاد أولاده، فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية. فلما أخبرهم بحاله، قال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه، فكشف عن كتفيه، فوجدوه عزيرا حقا.

ـ **اعتقـاد اليهود في عزير:** قالت بنو إسرائيل: فإنه لم يكن أحد حفظ التوراة ـ فيما أُخْبرنَا ـ غير عزير، فنزل شهابان من السماء حتى دخلا جوفه، فتذكر التوراة، فجددها لبني إسرائيل، حينئذ قال اليهود: **عزير ابن الله..** وقد أنكر الله على بني إسرائيل ذلك الادعاء الفاسد، لأنه لا يجوز في حق الله الولد، ونزل في ذلك القرآن: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: 30]

وصار عزير آية للناس من قومه، فكان يجلس مع أبنائه وهم شيوخ وهو شاب، لأنه مات ابن أربعين سنة، فبعثه الله في نفس العمر شابا، بينما كبر أبناؤه وأصبحوا شيوخا، وأنشد أبو حاتم السجستاني قائلا:

وأسودِ رأسٍ شابَ من قبله ابْنُهُ * ومن قبلِهِ ابن ابْنِهِ فهوَ أكبرُ
يرى ابنه شيخا يدبَّ على عصا * ولحيته سوداء والرأس أشقرُ
وما لابنه حَيْلُ ولا فضل قوة * يقوم كما يمشي الصبي فيعثر
يعُدَّ ابنهُ في الناس تِسْعينَ حِجَّةً * وعشرينَ لا يجري ولا يتبختر
وعمر أبيه أربعون أمرها * ولابن ابنه تسعون في الناس عبَّرُ
فما هو في المعقول إن كنت داريا * وإن كنت لا تدري فبالجهل تُعذرُ

وذكر ابن عساكر: أن قبر عزير بدمشق.

العزيز

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴿٧٨﴾ ﴾[يوسف: 78]

العزيز: هو الوزير في مصر على عهد نبي الله يوسف عليه السلام، واطلقت على من يتولى وزارة الخزينة والإقتصادوالتجارة والتموين، حسب ما ورد في السياق القرآني، وتحدث القرآن عن أصحاب هذا المنصب وهما:

1) قطفير بن روحيب: وقيل (اطفيربن رجيب) ، وقيل اسمه (فوطيفار) ، ومعناه بالعبرية رئيس الشرطة في مصر، في مدينة (صان الحجر) ببلاد الشرقية قرب بحيرة المنزلة، وكانت عاصمة الهيكسوس وتدعى (أفاريس) أو (تانيس). وقيل هو كبير الوزاء، ووصل إلى يديه نبي الله يوسف، وكان غلاما، فاشتراه، واوصى به زوجته، فقال لها: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف: 21].

وكانت ليوسف مكانة كبرى عند عزيز مصر، إذ جعله رئيس الخدم في بيته، فصارت له الكلمة العليا بعد سادته. وظل يوسف يعترف بفضل سيده، ويتذكر ما خصه به من إكرام وحسن رعاية، والواجب يقتضيه أن يظل مخلصا له طول حياته، وهذا الذي حصل، عندما قال لسيدته: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[يوسف: 23].

وعندما راودته سيدته عن نفسه، وفر يوسف منها التقى بالعزيز زوج المرأة عند الباب: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ ﴿٢٥﴾ ﴾[يوسف: 25]. ولما حقق العزيز

في الأمر، تأكد من براءة يوسف عليه السلام، وهو يعرف أخلاقه العالية، فأراد أن ينهي الأمر بيسر، فطلب من يوسف أن ينسى الأمر، وينزعه من ذهنه، وأمر زوجته بالتوبة: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿29﴾ ﴾[يوسف: 29]. ورغم محبة العزيز ليوسف، فإنه اضطر تحت ضغط الواقع أن يسجنه لأن أمره شاع في المجتمع، وحتى يبعده عن هذا الجو، وافق على تلك العقوبة الظالمة.

ومات العزيز بعد مدة، وثبتت براءة يوسف، وتولى يوسف الوزارة في مصر، نخلف سيده (قطفير) في منصبه الحكومي، وصار عزيزا أعظم من سيده.

2) **يوسف العزيز:** لما ثبتت براءة يوسف عليه السلام، واخرج من السجن على الفور، عينه الملك بمرسوم سريع في حكومته، وشهد له بالمكانة والأمانة: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿54﴾ ﴾[يوسف: 54]. فطلب منه يوسف أن يوليه وزارة الإقتصاد والتموين لأن البلاد مقبلة على أزمات لا يقدر على التسيير فيها إلا الأقوياء: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿55﴾ ﴾[يوسف: 55].

وجاء اخوة يوسف إلى مصر للتزود بالطعام، فوجدوه وزيرا كبيرا، فلم يعرفوه، وخاطبوه بلفظ **العزيز** في موطنين من القرآن، الأول عندما أمسك يوسف أخاه بنيامين، قال له اخوته مستعطفين: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿78﴾ ﴾ [يوسف: 78]. والمرة الثانية بعد عودتهم من عند يعقوب، وهو الذي أمرهم أن يتحسسوا الأمر: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿88﴾ ﴾[يوسف: 88].

امـرأة العـزيز

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴿21﴾ ﴾[يوسف: 21].

وهي راعيل بنت رعابيل أو (رعاييل) ، ولقبها **زليخا**. وهي ابنة أخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر، وكان زوجها قطفير كبير الوزراء في المملكة، فكانت غاية في الجمال والشباب، فضلا عن المنصب والمال والمكانة الإجتماعية، ولكنها افتتنت برئيس الخدم في قصرها الواسع، يوسف عليه السلام دون غيره من الخدم، وراودته عن نفسه، فاستعصم ورفض الخيانة، وفضل السجن. ولكن الله أظهر براءته،

واعترفت زليخا بفعلتها وأوضحت أن يوسف بريء، وقد سجن ظلما وعدوانا منها: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾ [يوسف: 51-53].

ويظهر النص القرآني توبة المرأة، وبوحها بالخطأ، ولم يمنعها ذلك من الإيمان، لأن سلوك يوسف ترك فيها أثرا طيبا، وازداد تعلق قلبها به، وعبرت عن ذلك بصدق العقيدة، وانتظرت ما تكشف عنه الأيام الحبالى، وقد ولدن الجديد بعد موت العزيز، فقد زوج الملك يوسف من زليخا ـ كما تذكر بعض الأخبار ـ فولدت له ابنين هما: افرايم ومنشا.

العصبة

﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ۝٧٦﴾ [القصص: 76].

العصبة: هي الجماعة، وتطلق على فئة بلغت عشرة أو زاد عددها حتى بلغ الأربعين. وذكرت في القرآن في عدة مواضع هي:

1) **اخوة يوسف:** وقد عبروا عن أنفسهم بالعصبة، اذ أن والدهم ميز أخويهم يوسف وبنيامين عنهم: ﴿قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: 8]. كما وصفوا جمعهم بالعصبة حينما استعطفوا والدهم يعقوب أن يسمح ليوسف بمرافقتهم، ويتكفلوا بحمايته لأنهم عصبة: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤﴾ [يوسف: 14].

2) **أصحاب الإفك:** وهم الذين خاضوا في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانوا صنفين: منافقون أصروا على الفسق والفجور بزعامة عبد الله بن أبي بن سلول، ومؤمنون غفلوا عن الله، فاستحوذ عليهم الشيطان، فوقعوا في الخطأ، فجلدوا ثمانين جلدة وهم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ۝١١﴾ [النور: 11].

3) **رجال قارون:** وهم الجماعة التي تحمل مفاتيح خزائن قارون، وكان يحملها معه إذا ركب على سبعين بغلا: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص: 76].

عقبة بن أبي معيط

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الفرقان: 27].

هو عقبة بن أبي معيط "أبان" بن أبي عمرو بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، أحد سادات قريش، وكان عقبة حليفا لأبي بن خلف، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشراف قومه، وهو يكثر من مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم من سفر ذات يوم، فصنع طعاما، فدعا الناس، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه، فلما قَرَّبَ الطعام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**". فشهد عقبة، فأكل رسول الله من طعامه، وكان أبي بن خلف غائباً، فلما أخبر بقصته، قال: صبأت يا عقبة، فقال: والله ما صبأت، ولكن دخل عليَّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت، فطعم، فقال أبي: ما أنا بالذي رضي منك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ عنقه، ففعل ذلك عقبة، فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف**". ونزلت في عقبة وأبي بن خلف الآية: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفرقان: 27-29].

قال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، عاد بزاقه في وجهه، فتشعبت شعبتين، فأحرق خديه، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت. وكان عقبة أُحَيْمِراً أزرق العينين، وقد شبهه النبي بقاتل ناقة صالح، قُدار بن سالف.

وصارمن أشد المشركين أذىً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي وضع سلى الجزور بين كتفي رسول الله وهو يصلي عند الكعبة، ورجال قريش يضحكون، حتى جاءت فاطمة - وكانت صغيرة السن - فنحَّتْه عن رسول الله، ونالت من عقبة سباً.

وأُخذ عقبة أسيرا في غزوة بدر، وأعتبره النبي من مجرمي الحرب، فلما كان راجعًا إلى المدينة، أمر بقتله، فقال عقبة: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي أفلح الأنصاري، بمكان يدعى عرق الظبية.

وصدق الله لما قال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴿٩٥﴾ ﴾[الأنعام: 95]. قال ابن عباس: **يخرج المؤمن من الكافر**. وهذا ما حدث لعقبة بن أبي معيط، فقد أسلم أبناؤه وهم أخوة " **عثمان بن عفان** " وأمهم جميعا

هي " **أروى بنت كريز**" وأمها هي " **أم حكيم**: **البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم** " وهي توأمة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم، وأبناء عقبة من الصحابة هم:

ـ **أم كلثوم بنت عقبة:** أسلمت بعد صلح الحديبية، وهاجرت فور اسلامها، وكانت أول امرأة هاجرت إلى المدينة، وقد أوصلها إليها رجل من خزاعة، وفي اليوم الموالي لحق بها أخواها " **عمارة** " و " **الوليد**" فقالا: " **يا محمد شرطنا أَوْفِ به...** ويعنون شرط الصلح الذي يقضي بارجاع كل من أسلم من أهل مكة.

ولكن الله نقض العهد مع المشركين في شأن النساء، ومنع أن يرددن إلى المشركين، وأنزل الله آية الإمتحان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ ﴾[الممتحنة: 10]. وكانت أول مسلمة تعرضت للإمتحان، وكان يقول لهن: والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال، فإذا قلن ذلك تركهن ولم يرددن إلى أهلهن. وقد روى **البزار** أن النبي صلى الله عليه وسلم كلف عمر بن الخطاب، فكان يحلفهن. وقد سئل ابن عباس عن صفة الإمتحان، فقال: " كان يمتحنهن: باللَّهَّ ما خرجتُ من بغض زوج؟ وباللَّهَّ ما خرجتُ راغبة عن أرضٍ إلى أرضٍ؟ وباللَّهَّ ما خرجتُ التماس دنيا؟ وباللَّهَّ ما خرجتُ إلا حبا لله ولرسوله. " رواه **ابن جرير**.

ونجحت أم كلثوم في الإمتحان، واستقرت في المدينة، وكانت عاتقا (أي بدون زواج) ، فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم " **زيد بن حارثة "،** فلما استشهد في مؤتة تزوجها " **الزبير بن العوام** " فولدت له "زينب" ثم فارقها، وأوصاها رسول الله أن تتزوج عبد الرحمن بن عوف فقال لها: " **أنكحي سيد المسلمين عبد الرحمن بن عوف**"، وتم زواجها منه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فولدت له " إبراهيم" و " حميداً "، ثم مات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرا وماتت في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا الزواج المتكرر من الصحابة يدل على كريم أخلاقها التي جعلتهم يرغبون في الزواج منها، فضلا عن مواساة العرب للصاحب والوفاء للإخ بخلفه في أرملته بخير، وأفضل الخلف هو الزواج وفيه الستر والمعاشرة بالحسنى.

ـ **الوليد بن عقبة:** وكنيته: أبو وهب. أسلم الوليد مع أخويه عمارة وخالد يوم الفتح بمكة، وتولى عدة أعمال منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أرسله إلى بني المصطلق ليأتيه بزكاة أموالهم ـ وكانت بين الوليد والقوم عداوة في الجاهلية ـ فلما سمع القوم تلقوه تعظيما فهابهم، ورجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب النبي، وهمَّ أن يغزوهم، وأرسل إليهم خالد بن الوليد، فتثبت من الأمر، وتبين بطلان قول الوليد بن عقبة، ونزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ⑥ ﴾[الحجرات: 6]. قال ابن عبد البر: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أنها نزلت فيه.

ويظهر أن الوليد كان متمتعا بمواهب أهلته لتولي عدة مسؤوليات، ففي عهد أبي بكر الصديق كان موضع السر في الرسائل الحربية التي دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد في وقعة المذار مع الفرس سنة **12هـ،** كما وجهه مدداً إلى قائده عياض بن غنم الفهري، وفي سنة **13هـ** كان الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاعة، وعندما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص، فوجه عمرو إلى فلسطين، والوليد بن عقبة إلى شرق الأردن. وكان في عهد عمر بن الخطاب **(15هـ)** أميرًا على بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة، وكان يحمي ظهور المجاهدين في شمال الشام، وتحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم. وجعله عثمان بن عفان والياً على الكوفة، فكان من خير ولاتها عدلا ورفقا وإحسانا، وكانت جيوشه في مدة ولايته تسير في أنحاء البلاد فاتحة الأرض للمسلمين. ثم عزله عثمان عن الولاية، لأنه قيل أنه شرب الخمر وصلى بالناس الصبح أربعًا، فأقام عليه عثمان حد الشرب وعزله، وعين مكانه سعيد بن العاص. ولكن المحققين ذكروا أن تلك الأخبار هي إفتراءات لفقها قوم كان الوليد قد أقام على ذويهم حد القتل - لأنهم قتلوا رجلا ظلما وعدوانا - وكانت تلك الأمور كذبا من أهل الكوفة.

وكان الوليد سخيا يقسم الأموال على الولائد (الرقيق) والعبيد، فلما عزل وعين مكانه على الكوفة سعيد بن العاص، كان يُسْمِعُ للعبيد كلاما ينم عن حدادٍ وحزنٍ، ومما يقلنه في الوليد:

يا ويلتنا قد عزل الوليد * وجاءنا مُجَوِّعًا سعيد
ينقص في الصاع ولا يزيد * فَجَوَّعَ الإماء والعبيد

واقام الوليد بالرقة إلى أن مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة **60هـ (680م).**

ـ **عمـارة بن عقبة:** أسلم يوم الفتح، وأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه، فقبض النبي يده، فقال بعض القوم، إنما يمنعه هذا الخلوق الذي في يدك (الخلوق هو نوع من الطيب أهم مكوناته الزعفران)

فذهب عمارة فغسل الخلوق من يديه، فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم. وجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام بالكوفة، وفيها عَقِبَهُ (أي ذريته). وقال في مدح أخيه عثمان:

ذكر بني أخي ابن عفان * فالليل لدى ذكره غاية طوال
عصمة الناس في الهنات إذا * جِيئَت دواهي الأمور والزلزال
وثمال الأيتام في الجدب والأرامل إذا هبت ريح الشمال
والوَصُولِ للقربى إذا قحط القطر قديما وعزت الأشوال

ـ **خالد بن عقبة:** أسلم يوم الفتح، وجاهد في الله حق جهاده، ونزل الرقة، وبها عقبه (وهم ذريته وأحفاده) ، وله أثر في يوم حصار عثمان يوم الدار، وإليه يشير أزهر بن سحبان بقوله:

يلومونني أن جلتُ في الدار حاسرًا * وقد فر منها خالد وهو دارع

العلماء

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿28﴾﴾ [فاطر: 28].

العلماء: وهم الذين بلغوا درجة من العلم النافع بعد القراءة المتأنية باسم الله، وجعلوا القلم أداتهم في التعلم، ووظفوه بعد ذلك للدفاع عن الحق، ومحاربة الجهل والأمية، ورفع التخلف عن الأمة الاسلامية: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿3﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾﴾ [العلق: 1-5].

ويتصف العلماءبسمات بارزة للعيان، والتي يمكن حصر بعضها:

1) **التقوى:** وهي المدد الرباني الذي ينير البصائر، ويسهل التعلم، وييسر التلقي، ويبارك في المعارف: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿282﴾﴾ [البقرة: 282].

2) **الربانية:** فقد دعا الله العلماء إلى التحلي بخلق الربانية، ويُكتسب هذا الخلق بالإقبال على العلم، ودراسة الكتاب، والفقه الواسع في الدين، والتصدي بعد ذلك لتعليم الناس، وإعطاء القدوة الصالحة: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿79﴾﴾ [آل عمران: 79]. قال ابن عباس في ذلك: حكماء، علماء، حلماء.

3) **الخشية:** وهي خوف الله بدافع المحبة والطاعة، ومرجع ذلك هو المعرفة الحقيقية لله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿28﴾﴾ [فاطر: 28].

4) فهم الآيات: والعلماء الراسخون في العلم هم الذين يدركون معاني الآيات، ويفهمون بعمق أمثال القرآن وأحكامه بعقولهم الراجحة، فوظيفتهم هي إدراك كل ما جاء من عند الله: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (43)** ﴾[العنكبوت: 43]. فالذين درسوا الكتب السماوية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، مثل ورقة بن نوفل، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام، تهيأت نفوسهم للإيمان، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أنكر المشركون نبوته، ضرب الله لهم المثل بعلماء بني إسرائيل: ﴿ **أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (197)** ﴾[الشعراء: 197]. والمقصود في الآية علماء اليهود أمثال عبد الله بن سلام، لأنه وجد صفة النبي صلى الله عليه وسلم صريحة في التوراة؛ وأمر الله قريشا، ومن كان على شاكلتها، أن يسألوا العلماء بالتوراة والإنجيل، وهم أهل الذكر، فيخبرونهم أن الأنبياء كانوا كلهم بشراً: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾[النحل: 43].

5) المرجعية: وعلماء الإسلام هم مرجعية الأمة في كل مسألة تخص الشريعة، أو العقيدة، أو شؤون الحياة، فعندهم يكون الجواب الشافي، وبواسطتهم يُنار الطريق بالحق والعدل: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)** ﴾[الأنبياء: 7]. وقد ميز الله العلماء عن غيرهم، ورفع درجتهم، وجعل ذلك عبرة لأصحاب العقول: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (9) ﴾[الزمر: 9].

علي بن أبي طالب

﴿ **ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)** ﴾[البقرة: 274].

وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، والده أبو طالب كان زعيم مكة، وأمه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. ويكنى **بأبي الحسن**، ويكنى أيضا **بأبي تراب.** وله اسم آخر وهو **حيدرة،** ومعناه الأسد.

ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل البعثة بعشر سنوات تقريبا، وتربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول من أسلم من الصبيان، وكان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم، يخرج معه إلى شعاب مكة فيصليان، وترعرع في رحاب الدين، ونهل من فيض سيد المرسلين، ونام في فراش النبي صلى الله

عليه وسلم ليلة الهجرة، وخاطر بنفسه فداء للنبي صلى الله عليه وسلم، وتكفل بمهمة جليلة، وهي رد الأمانات إلى أصحابها، فقام بالأمر على أكمل وجه، ثم توجه شطر المدينة المنورة، وهاجر إلى الله ورسوله، وتشققت أقدامه في الطريق وسالت دما، ولما رآه النبي صلى الله عليه وسلم رق لحاله، ودمعت عينه رحمة به.

وعندما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، جاءه علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" أنت اخي في الدنيا والآخرة "**.

وكان مجاهدا شجاعا، وبطلا مغوارا، وقد شهد كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا غزوة تبوك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبقاه في المدينة ليخلفه في أهله، ولما راجعه في ذلك، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: **" ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"**. واختاره النبي صلى الله عليه وسلم سفيرا، وأرسله في مهمة عظيمة، فعندما نزل مطلع سورة التوبة، كلفه أن يحملها ليبلغها للناس في موسم الحج، ويقرأها على مسامعهم، في حضرة أمير الحج في ذلك العام، وهو أبو بكر الصديق، فقام بالأمر خير قيام.

ومما زاده شرفا زواجه من فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان زواجه منها بعد الهجرة، وكان زواجا مباركا، وقد دعا لهما النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: **" بارك الله لكما وعليكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب "**. فاستجاب الله لنبيه، وانجبت له فاطمة، الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

وكانت أخلاقه عظيمة، وقد رسم لحياته منهجا في الزهد، وتقلل من الدنيا، فكان زاهدا في طعامه وشرابه، وملبسه وفراشه، حتى قال فيه عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب. وقد أضاف إلى الزهد خصلة الكرم والسخاء التي فاقت كل تصور وخلدها الله في كتابه الكريم، عندما عمل عليٌّ في يومه يَسْقي النخل، وقبض أجرته من الشعير، فطحن في البيت، وأعد ثلثه طعاما، فطرق الباب مسكينا، فسلمه كل الطعام، ثم أعد الثلث الثاني فطرق الباب يتيما، فأطعموه، ثم طرق الباب أسيرا من المشركين، فأطعموه بقية الطعام، فآثروا الجميع على أنفسهم، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ [الإنسان: 8-9].

وكان ذات يوم لا يملك غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حملك على هذا؟ قال: حملني أن أستوجب على الله الذي وعدني؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إن ذلك لك، فأنزل الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم

بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274) ﴾[البقرة: 274].

واشتهر علي بن أبي طالب بغزارة العلم، ورجاحة العقل، وحسن الفهم للقرآن الكريم؛ وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " **إني أمرت أن أدنيك، ولا أقصيك، وان أعلمك، وأن تعي؛ وحق لك أن تعي** ". فنزلت الآية الكريمة: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12) ﴾[الحاقة: 12]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(سألت ربي أن يجعلها أذنك يا علي)** قال علي: فو الله ما نسيت شيئا بعده، وما كان لي أن أنسى.

وكان علي رضي الله عنه محل استشارة النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المسائل، لأنه كان صاحب وعي وإدراك، ومن ذلك: أن الصحابة كانوا يأتون النبي ويكثرون مناجاته، وكره النبي ذلك من طول جلوسهم، ومناجاتهم، فأمرهم الله أن يقدموا صدقة عند المناجاة؛ وشق ذلك على الصحابة. وقد روى **الترمذي**، وحسنه، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ (12) ﴾[المجادلة: 12]. قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلت: بشعيرة (يعني وزن شعيرة من ذهب). قال: إنك لزهيد، فنزلت: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13) ﴾[المجادلة: 13]. قال علي: فَبِي خفف الله عن هذه الأمة.

وكان علي رضي الله عنه يقول: سلوني، سلوني، وسلوني عن كتاب الله تعالى، فو الله ما من آية إلا وأنا اعلم أنزلت بليل أو نهار. وكان فقيها في كتاب الله فقد جعل أقل مدة تحمل فيها المرأة ستة أشهر، واستند في ذلك إلى الجمع بين الآيات من قوله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا (15) ﴾[الاحقاف: 15]. ومن قوله تعالى: ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ (14) ﴾[لقمان: 14]. فيكون الفرق هو مدة الحمل، وهي ستة أشهر، إذ العامان أربعة وعشرون شهرا.

وبعد استشهاد عثمان بن عفان، جلس علي بن أبي طالب في بيته يراقب الأمر، ولكن كبار الصحابة، وأهل الشورى، دخلوا عليه وفي مقدمتهم طلحة والزبير وقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، وألحوا عليه أن يقبل الإمارة، فقبلها بعد إلحاحهم الشديد، فبايعه الناس في المسجد يوم الجمعة **25ذي**

الحجة سنة 35هـ، فتولى شؤون المسلمين، وأقام بينهم العدل، وتعفف عن مال المسلمين، فكان يرضى الخشن من الثياب، والقليل من الطعام، وينفق الكثير من المال، وهو أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين.
وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يمشي في الأسواق وحده وهو وَال، يرشد الضال، وينشد الضالة، ويعين الضعيف، ويمر بالبائع والبقال، فيقرأ قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿83﴾ ﴾[القصص: 83]. ثم يقول: " **نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر الناس**".
ونال الخليفة علي بن أبي طالب الشهادة في سبيل الله، عندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف، عند مسجد الكوفة وهو ينادي الناس لصلاة الفجرفي يوم **الجمعة 15 رمضان 40هـ**، فحمل إلى بيته، وبقي يمرض حتى حانت وفاته، فأوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الآداب الإسلامية. وكان يكثر من قول لا إله إلا الله، ولا يتلفظ بغيرها، وكانت آخر كلمة له هي قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿7﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿8﴾ ﴾[الزلزلة: 7-8]. وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها في يوم الأحد **17 رمضان 4هـ**، بعد أن مضي على خلافته أربع سنين وتسعة أشهر إلا أياما، وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن في السحر بالكوفة، وكان عمره نحو **65 سنة**.

عمـار بن ياسر

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴿106﴾ ﴾[النحل: 106].
هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الرذيم بن ثعلبةبن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عبس بن مالك العنسي اليمني. وكنيته هي: **أبا اليقظان**.
وكان "ياسرا" حليفا لأبي حذيفة بن المغيرة، فزوجه إحدى إمائه وهي سمية بنت خباط، وقيل "خياط"، فأنجبا عمارًا، فأسلمت الأسرة مبكرا، فتولى بنو مخزوم تعذيبهم، فكانوا يخرجون ياسرا، وسمية، وعمارا، كل يوم إلى رمضاء مكة، ويذيقونهم أشد العذاب. وكانت آيات القرآن تتنزل في مكة كالبلسم الشافي على قلوب المؤمنين المضطهدين، تثبتهم وتعدهم بجنات النعيم: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿2﴾ ﴾[العنكبوت: 2]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إليهم ويثبتهم، ويعدهم

بجنات النعيم، وذات يوم ناداه عمار: يارسول الله: لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ. فناداه النبي صلى الله عليه وسلم: " **صبرا أبا اليقظان.. صبرا آل ياسر.. فإن موعدكم الجنة..** "

ولم يطل الأمر بوالديه، فاستشهدا بين ناظريه، إذ مر أبو جهل بأمه سمية وهي تعذب، فشتمها، فاستخفت به، فطعنها في قبلها، فكانت أول شهيد في الإسلام، ومات ياسر تحت التعذيب وهو يردد الشهادة. وشددوا العذاب على عمار، كما قال عمرو بن ميمون: "أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به، ويمر يده على رأسه ويقول: **يا نار كوني بردا وسلاما على عمار، كما كنت بردا وسلاما على إبراهيم** "، وبلغ به العذاب مبلغًا، حتى كان لا يدري ما يقول، فقالوا له: أذكر آلهتنا بخير، فردد وراءهم ذلك القول. ولما فطن من غيبوبته، أخذ يبكي، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله وكيف تجد قلبك يا عمار؟ فقال: أجده مطمئنا يا رسول الله. فقال: " **لا عليك وإن عادوا إلى مثلها، فعد إلى مثل ما قلت** ". وأنزل الله في شأنه قرآنا يطمئن كل مسلم من بعده: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾[النحل: 106].

وشتان بين أبي جهل الذي عذب عمارا وغيره من المؤمنين، وبين عمار بن ياسر الذي طمأنه الله في الدنيا ورفع عنه الحرج، ويوم القيامة يكون آمنا مطمئنا في جنات النعيم، وقد أنزل فيهما قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴿٤٠﴾ ﴾[فصلت: 40].

وبعد الهجرة كان عمار بن ياسر من أقرب الصحابة إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وجعله قدوة للمؤمنين فقال فيه: " **اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر... واهتدوا بهدي عمار** ".. وكان صلى الله عليه وسلم يبادله حبا بحب، فإذا أقبل عليه قال: " **جاء الطيب المطيب** ".

وشهد عمار مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، فكان نعم المجاهد في سبيل الله، وظل في جهاده بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وأبلى بلاء حسنا في معركة اليمامة حتى قطعت أذنه، وبقيت عالقة برأسه، فقال مناديًا: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون... إليَّ... إليَّ يا معشر المسلمين... ثم مضى أمامهم في تلك الحالة، وأذنه تتدحرج على خده، فحملوا جميعا على المرتدين، حتى قتل مسيلمة الكذاب، وانتصر المسلمون.

وقد ولاه عمر بن الخطاب ولاية الكوفة، وجعل معه عبد الله بن مسعود، وكتب إلى أهلها يقول: " أما بعد.. فإني قد بعثت إليكم عمارا أميرا، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرًا... وهما من نجباء أصحاب نبيكم

صلى الله عليه وسلم، فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما.. " ثم أقصي عمار بعد مدة، فلما لقيه عمر قال له: أساءك ما فعلته معك؟ فقال: والله لقد ساءتني الإمارة أكثر مما ساءني الإقصاء عنها.

ومات عمار بعد بلوغه الثالثة والتسعين، في خلافة علي رضي الله عنه، أثناء أحداث معركة صفين، فصلى عليه علي بن أبي طالب والمسلمون، ودفن في ثيابه بأرض صفين بسورية قرب الفرات، سنة **37 هـ/ (657م)**

عمر بن الخطاب

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴿14﴾ ﴾ [المؤمنون: 14].

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى كعب بن لؤي القرشي العدوي، وكنيته ابو حفص، ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق، لقوله الحق في كل أحواله. وكان في الجاهلية صاحب مركز مرموق، فقد أوكلت له قريش منصب السفارة، فكانوا يبعثونه أثناء الحروب سفيرا، ومفاخرا عندما يكون لهم شأن مع غيرهم.

عاش أيام الإسلام الأولى في إعراض، بل اشتد تعذيبه للمسلمين، ومع ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يطمع في إسلامه، فدعا الله أن يهديه للإسلام فقال: " **اللهم أعز الإسلام بعمر** " رواه **الحاكم في مستدركه.**

وعندما عزم عمر على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وخرج متوشحا سيفه، متجها إلى دار الأرقم، لقيه نعيم ابن عبد الله، فقال له: أين تريد ياعمر؟ قال أريد محمدا هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتبعا محمدا على دينه، فعليك بهما؛ فرجع إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة، فيها: سورة " **طه** " يقرئهما اياها، فلما أقبل أخفت أخته الصحيفة، ودخل خباب إلى مخدع في الدار، فبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت أخته لتكفه عن زوجها، فضربها حتى أسال دمها، فقالا له: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. عندئذ ندم عمر لما رأى الدم يسيل من أخته، فرق قلبه، وقال لأخته أعطني هذه الصحيفة، فقالت له يا أخي إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر. فقام فاغتسل، فأعطته الصحيفة، فقرأ صدرًا من سورة " **طه** " وقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فخرج إليه خباب، فطلب منه أن يدله على مكان النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه إليه فأسلم من حينه، وكان إسلامه فتحا كبيرًا. قال عبد الله بن مسعود: " ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه".

وبعد الهجرة إلى المدينة شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غزواته، وأرسله أميرًا على بعض السرايا، وسلمه الراية يوم خيبر، فقاتل في كل المعارك قتال الأبطال بشجاعة فائقة.

واتصف عمر بأنبل الصفات وأجلها، فكان متواضعا في كل مراحل حياته، زاهدا في الدنيا وملذاتها، مقبلا على الآخرة ونعيمها، ينفق في سبيل الله، ويبذل المال للفقير والمحتاج، ولا تهمه الدنيا فقد اختار منها ما قل من الطعام وقال ناصحا الأمراء: "**... وإني وإن شئت لكنت أطيبكم طعاما، وأرقكم عيشا... ولكني سمعت الله عيَّر قومًا بأمر فعلوه، فقال:** ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴿20﴾﴾ [الأحقاف: 20]**... يا معشر الأمراء أما ترضون لأنفسكم ما أرضى لنفسي** ".

كما كان عمر ـ رضي الله عنه ـ شديد الورع، يخشى الله ويخافه آناء الليل وأطراف النهار، وكان يصلي من الليل ما شاء الله، فإذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاة الصلاة. ثم يتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿132﴾ ﴾[طه: 132].

وكان يتأثر كثيرا عند تلاوة آية من القرآن الكريم، فيجهش بالبكاء، أو يخر مغشيا عليه، فقد قرأ يوما سورة: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿1﴾ وانتهى إلى قوله تعالى﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿10﴾ ﴾[التكوير: 1- 10]. خرَّ مغشيا عليه.

وكان ذات يوم يتفقد أحوال الناس بالمدينة، فمر بدار كان صاحبها يتلو مطلع سورة الطور، فوقف يستمع، فلما بلغ القارىء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿7﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿8﴾ ﴾[الطور: 7-8]. نزل عن حماره، واستند إلى حائط، ورجع إلى بيته، فمرض شهرا، والناس يعودونه ولا يدرون سبب مرضه.

وكان له شأن عظيم مع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وافق القرآن في عدة آيات بينات، وهي عبارة عن أماني كان عمر يريدها أن تحقق، وتساؤلات يطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم، أو أدعية يطلقها سائلا المولى سبحانه أن ينزل فيها بيانا شافيا للناس، فاستجاب الله ونزلت عدة آيات كان لعمر بن الخطاب معها شأن يذكر.

فكان يكره الخمر، ويريد في شأنها رأيا قاطعا فقال داعيا ربه: " **اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا** " فأنزل الله تحريمها، وصفة ذلك رواها **الإمام أحمد**، عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية في **البقرة**: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴿219﴾ ﴾[البقرة: 219]. فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التي في سورة **النساء**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟

ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴿43﴾ ﴾[النساء: 43]. فقال: فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال: حي على الصلاة نادى: لا يقربن الصلاة سكران؛ فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التي في **المائدة**، فدعي عمر فقرئت عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿90﴾ ﴾[المائدة: 90]. فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿91﴾﴾[المائدة: 9]. قال عمر: **انتهينا انتهينا**.

وقد شغله أمر الحجاب، فقال: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿59﴾ ﴾[الأحزاب: 59].

وكان الوحي يوافق قول عمر بعد وقوع الحوادث، مثلما كان في شأن أسرى بدر؛ فقد شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فيهم، فقال أبو بكر بالعفو عنهم مع الفداء. وقال عمر بضرب أعناقهم، فنفذ النبي صلى الله عليه وسلم رأي أبي بكر، فنزل القرآن موافقا لرأي عمر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿67﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿68﴾ ﴾[الأنفال: 68].

وكذلك الشأن في الصلاة على المنافقين، فقد **روى مسلم** في صحيحه عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إنما خيرني الله فقال:** ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿80﴾ ﴾[التوبة: 80]. **وسأزيد على السبعين**، قال إنه منافق، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿84﴾﴾[التوبة: 40].

ولما وقع بعض الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم ونسائه، كان لعمر قولاً خُلِّدَ في القرآن الكريم في سورة **التحريم**. فقد روى **البخاري**: عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ ﴿5﴾ ﴾[التحريم:

5]. فنزلت الآية من سورة **التحريم**. موافقة لعمر. وبلغه ذات يوم أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق نساءه، واعتزل في مشربة له، فجاءه عمر وقال: يا رسول الله: ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل، وأبوبكر وعمر معك، فنزلت الآية موافقة لكلامه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿4﴾﴾[التحريم: 4].

وكان عمر شديد القرب من النبي صلى الله عليه وسلم، يحاوره ويدلي برأيه في مختلف المسائل، فقد حدث جابر بن عبد الله عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر: هذا مقام أبينا؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله آية كريمة ـ لبت رغبة الفاروق، لتكون الصلاة عند المقام سنة خالدة ـ وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴿125﴾﴾[البقرة: 125].

ويروى أن عمر بن الخطاب لما نزل صدر الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿12﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿13﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿14﴾﴾[المؤمنون: 12-14]. فقال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿14﴾﴾[المؤمنون: 14]. ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **هكذا نزلت يا عمر**. تولى عمر خلافة المسلمين بعد وفاة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فكان مثالا خالدا في العدل وحسن السياسة، وانتشر المسلمون في عهده في مشارق الأرض ومغاربها، ففتحوا البلدان، وأوصلوا نور الحق إلى ممتلكات الروم في الغرب، وبلاد فارس في الشرق. كما سن للمسلمين صلاة التراويح، في رمضان سنة **14هـ**، فجعل للناس بالمدينة قارئين: قارىء يصلي بالرجال هو أبي بن كعب؛ وقارىء يصلي بالنساء هو سليمان بن أبي حثمة، وقد استحسن الناس عمله. فقد روى **ابن اسحاق** الهمداني قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أول ليلة من رمضان، والقناديل تزهر وكتاب الله يتلى فقال: " **نورك الله يابن الخطاب في قبرك كما نورت مساجد الله بالقرآن** ". ومن شدة اهتمامه بالقرآن الكريم وجه موعظة لحامليه بقي أثرها خالداً. ومما كتبه قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم (من عبد الله عمر إلى عبد الله بن قيس ومن معه من حملة القرآن، سلام عليكم، أما بعد: فإن هذا القرآن كائن لكم أجرًا وكائن لكم شرفا وذخرا، فاتبعوه ولا يتبعنكم؛ فإنه من اتبعه القرآن زخ في قفاه ـ يعني دُفع ـ حتى يقذفه في النار، ومن تبع القرآن ورد به القرآن جنات الفردوس، فليكونن لكم شافعا إن استطعتم ولا يكونن بكم ماحلا ـ يعني خصما مجادلا ـ فإنه من شفع له القرآن دخل الجنة، ومن محل به القرآن دخل النار. واعلموا أن هذا القرآن ينابيع الهدى وزهرة العلم، وهو أحدث الكتب عهدا بالرحمن، به يفتح الله أعيناً عمياً وآذانًا صما وقلوبا غلفا. واعلموا أن العبد اذا قام

من الليل فتسوك وتوضأ ثم كبر وقرأ، وضع الملك فاه على فيه ويقول: اتلُ اتلُ فقد طبت وطاب لك، وإن توضأ ولم يستك حفظ عليه ولم يعد ذلك. ألا وإن قراءة القرآن مع الصلاة كنز مكنون وخير موضوع، فاستكثروا منه ما استطعتم، فإن الصلاة نور، والزكاة برهان، والصبر ضياء، والصوم جنة، والقرآن حجة لكم أو عليكم، فاكرموا القرآن ولا تهينوه؛ فإن الله مكرم من أكرمه ومهين من أهانه، واعلموا أنه من تلاه وحفظه وعمل به واتبع ما فيه، كانت له عند الله دعوة مستجابة؛ إن شاء عجلها له في الدنيا وإلا كانت له ذخرًا في الآخرة، واعلموا أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون).

وامتدت خلافة عمر إلى عشر سنوات وستة أشهر وأربعة أيام، وكان استشهاده على يد فارسي يدعى فيروز، ويكنى بأبي لؤلؤة، وحدثت الوفاة ليلة **الإربعاء 26 ذي الحجة سنة 23هـ**، وعمره **63 سنة**، ودفن بكرة يوم الإربعاء في حجرة عائشة مع صاحبيه، وصلى عليه صهيب الرومي حسب وصيته.

عــمــران

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿35﴾ ﴾ [آلعمران: 35].

هو اسم أطلق على رجلين من بني إسرائيل في عهدين مختلفين ـ والفترة الفاصلة بينهما أكثر من ألف سنة ـ وقد ارتبط نسبهما بأنبياء من بني إسرائيل، والرجلين هما:

1) **عمـران بن يصهر:** وهو والد نبي الله هارون، وموسى عليهما السلام وأختهما مريم، وينتهي نسبه إلى نبي الله يعقوب عليه السلام.

2) **عمـران بن ماثان:** وهو والد مريم البتول، وجد المسيح عيسى عليه السلام، وليس له ولد يدعى هارون، وما ذكره الله في قصة مريم بعد ولادة عيسى، على لسان قومها بذكر أخيها هارون، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿28﴾ ﴾[مريم: 28]. والمقصود به رجل من عباد بني إسرائيل يدعى هارون، واشتهر في زمانه بالدين والصلاح والخير، فذكروها به، ونسبوها إليه لأنها أخته في الإيمان، وأخته في الصلاح والعبادة (أي تشبهه في التقوى).

آل عـمـران

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾[آل عمران: 33].

آل عمران: أسرة من بني إسرائيل، تنتمي إلى عمران بن ماثان، وينتهي نسبه إلى سليمان بن داود عليه السلام، وكان عمران رجلا عظيما بين العلماء في بني إسرائيل، وقيل كان صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وهو والد مريم البتول، وجد سيدنا عيسى عليه السلام، والظاهر من السياق القرآني في كفالة زكريا لمريم، أن عمران قد توفي وابنته لا تزال صغيرة في مهدها تحتاج إلى من يكفلها.

امرأة عـمران

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ ﴾ [آل عمران: 35].

وهي **حنة بنت فاقود** بن قبيل، من العابدات، وهي جدة المسيح عيسى عليه السلام. وكانت حنة امرأة عاقر، فبينما هي في ظل شجرة إذ نظرت إلى طائر يطعم فرخا، فتحركت شهوتها للولد، فالتجأت إلى الله وتوسلت إليه، وسألته في ضراعة أن يهبها مولودا، فلما حملت نذرت إن رزقها الله صبيا أن تجعله وقفا على طاعة الله، وخدمة الهيكل في بيت المقدس: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ ﴾[آل عمران: 35].

فقال لها زوجها " **عمران** " ويحك ماذا صنعت؟ أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى، والأنثى عورة لا تصلح لذلك، فأصابهم هم من ذلك، ولم يلبث عمران أن توفي قبل ولادة زوجه، واستجاب الله دعاء "**حنة** " ولكنه رزقها بنتا سمتها "**مريم** "، ثم توجهت إلى الله كالمعتذرة، قائلة: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ ﴾[آل عمران: 36].

ولفت حنة إبنتها مريم في خرقة وأخذتها إلى المسجد، فسلمتها إلى رعاة الهيكل وهم الأحبار أبناء هارون، ولما كانت مريم إبنة إمامهم عمران، وصاحب صلاتهم، تنازعوا في من يكفلها، وكل واحد كان يريد أن يحصل له شرف الكفالة دون غيره، وحسم الخلاف بالقرعة، فألقوا أقلامهم في الماء عدة مرات فكان قلم نبي الله زكريا عليه السلام هو المرتفع، فكفلها زكريا، وكان من أقاربها، لأنه زوج خالتها، **إيشاع**

بنت فاقوذ أم يحي عليه السلام. وقال الله في ذلك: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) ﴾[آل عمران: 44].

مـريـم ابنـة عـمـران

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (12) ﴾[التحريم: 12].

هي مريم ابنة عمران، رمز الطهر والعفاف، وقد سمتها أمها " **مريم** " وتعني في لغتهم، العابدة والخادمة، وكانت عليها السلام من أجمل النساء وأطهرهن في زمنها. وقد مرت حياتها بعدة أطوار منها:

ـ **كفالة زكريا:** ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا (37) ﴾[آل عمران: 37]. وضمها إلى أهله (وهي خالتها أم يحي) واسترضع لها، ولما بلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا - أي غرفة في المسجد، وجعل بابها إلى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم - فلا يصعد إليها غيره، فكانت تعبد الله في محرابها، وتقوم بما يجب عليها من رعاية البيت كلما جاءت نوبتها، وفي بقية الوقت تشتغل بالعبادة حتى بلغت منزلة ظاهرة في بني إسرائيل، فضرب بها المثل في الطهر والعفة والصلاح، وخصها الله بالكرامات الظاهرة، التي شاهدها زكريا عليه السلام عند دخوله عليها، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في فصل الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيتعجب ويسألها: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ (37) ﴾[آل عمران: 37]. فتجيبه مريم التي تشعر بفضل الله عليها: ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) ﴾[آل عمران: 37].

ـ **تبشير الملائكة لمريم:** وتعددت البشارة ومنها:

1) البشارة الأولى: أخبرتها الملائكة أن الله أختارها واصطفاها من دون خلقه على نساء العالمين، وخصها بالطهارة، وحثها على مواصلة العبادة، وفي ذلك تثبيت لها في أمر الولادة، وحتى تشعر في المستقبل أن الله معها: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (42) يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (43) ﴾[آل عمران: 42-43].

2) البشارة الثانية: أن الله سيهب لها ولداً بدون زواج، بل يخلقه بكلمة " **كـن** "، واسم الولد " **عيسى بن مريم** " وجعل الله له مكانة وشرفا في الدنيا، ويكون في الآخرة من المقربين- وحتى تطمئن نفسها - أخبرتها الملائكة عن بعض أحوال الولد، ومنها أنه يكلم الناس في مهده وهو صغير، وأن الله جعله من

الصالحين: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿45﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿46﴾ ﴾[آل عمران: 45-46]. فتعجبت مريم الطاهرة من البشارة، وهي لم تتزوج، فأخبرتها الملائكة بقدرة الله: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿47﴾ ﴾ [آلعمران: 47].

ـ **مريم الحامل بالمسيح:** كانت مريم في مكان منفرد في المعبد، فأرسل الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام، وظهر لها على صورة آدمي، حتى لا يصيبها الهلع من صورته، ولكنه أصابها هلع وخوف آخر، فحسبته رجلا يريد بها السوء، فقالت له إني أستجير بالله، وأستعين به عليك، وأسأله أن يصون عفتي وطهارتي، وذكرته بالله، وقالت له: إن كنت تخشى الله فابتعد عني: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿16﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿17﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿18﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿19﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿20﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿21﴾ ﴾ [مريم: 16-21].

وبأمر الله حملت مريم الطاهرة بعيسى، ليكون آية للناس: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿91﴾ ﴾[الأنبياء: 91]. وصفة النفخ إعجاز إلهي، مثل خلق آدم عليه للسلام: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿59﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿60﴾ ﴾[آل عمران: 59-60]. فلما نفخ فيها الملك، حملت بعيسى، ولكنها خافت من كلام الناس، فاعتزلت في مكان بعيد، وكانت تتحاشاهم والخجل يتمالكها بكرة وأصيلا: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿22﴾ ﴾ [مريم: 22].

ـ **ولادة عيسى:** وبعد تمام عدة الحمل، بدأها المخاض، عند جذع نخلة ببيت لحم بأرض فلسطين، فقالت مريم: يا ليتني مت قبل هذا الأمر، ونُسِيَ حالي فهو خير لي من هذه الفضيحة: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿23﴾ ﴾ [مريم: 23]. ولكن عناية الله كانت تكلؤها، فأرسل لها الحق سبحانه وتعالى، الملك جبريل، فضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء

عذب، وجرت منها ساقية نحوها، ثم ناداها جبريل من تحت النخلة قائلا: لا تحزني يا مريم، فقد جعل الله لك هذا الجدول المائي لتشربي ماء عذبًا، وتأكلي رطبا شهيا، بمجرد تحريك النخلة المجاورة، وطّيبي نفسك بهذا المولود الكريم: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿24﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿25﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴿26﴾ ﴾ [مريم: 24-26]. وأمرها أن تواجه كلام الناس وتساؤلاتهم، بالصمت والتقرب إلى الله: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿26﴾ ﴾ [مريم: 26].

فالتزمت بالأمر الرباني، وحملت عيسى بين يديها، وأقبلت على قومها، فلما رأوها تحمله، استنكروا ذلك، وذكروها بفضاعة الجرم - في نظرهم - وقالوا لها: يا مريم الطاهرة، لقد خيبت ظننا، وأتيت شيئا منكرا عظيما، وكنت مثالا للطهر، لا يشبهك في العفة والخلق والعبادة إلا الرجل الصالح هارون، فضلا على أن والدك وأمك كانا أشرف القوم وأطهرهم: ﴿ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿27﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿28﴾ ﴾ [مريم: 27-28]. فأشارت إلى الصبي، فاستنكروا ذلك منها، وظنوا أنها تتهرب منهم، أو تهزأ بهم: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿29﴾ ﴾ [مريم: 29]. وفعلا تكفل الصبي بالإجابة المفحمة، فبمجرد أن أشارت إليه تكلم وكشف عن صفته، وشرح لهم عناصر رسالته المستقبلية في كلمات موجزة:

1) عرفهم بنفسه، وبين لهم أنه عبد الله، خلقه بقدرته بدون أب: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴿30﴾ ﴾ [مريم: 30].

2) عرفهم برسالته، بأن الله أعده ليكون نبيًا، وأيده بالكتاب - وهو الإنجيل - وجعل البركة تلازمه في حله وترحاله: ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿30﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ ﴿31﴾ ﴾ [مريم: 30-31].

3) **عرف لهم الشعائر التعبدية**، ـ كالصلاة والزكاة ـ التي أوصاه الله بها في حياته، وهم مكلفون بها، عندما يبعث إليهم: ﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿31﴾ ﴾ [مريم: 31].

4) وعرفهم بأخلاقه الكريمة، وهي بره بوالدته - مريم - والإحسان إليها، وأن الله جنبه في حياته كل خلق فيه تكبر على البشر: ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿32﴾ ﴾ [مريم: 32].

5) أخبرهم أنه بشر، خلقه الله، وجعله في كنفه، وأفاض عليه بالسلام، منذ ولادته إلى يوم بعثته، ولا يضره شيء في كل ذلك: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿33﴾ ﴾ [مريم: 33].

وقد حفظ الله مريم وابنها في فترة الصبا، فساقهم الله إلى مكان طيب مستقر، يتوفر على الأمن، والماء الطاهر العذب، والنبات النضر - واختلفت الأخبار في اسم المكان الذي أويا إليه - فقيل دمشق أو الرملة أو مصر أو بيت المقدس... ولعلها أماكن قصدتها في مرحلة طفولة عيسى - عليه السلام- واكتفى القرآن بذكر الربوة (أي المكان فقط) دون تحديد: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿50﴾ ﴾ [المؤمنون: 50].

وتذكر الأناجيل أن المسيح رحل مع أمه ومعهم يوسف النجار إلى مصر (عين شمس) لأن الملك هيرودس أمر بقتل كل طفل في بيت لحم، وأقاموا بضاحية المطرية واستظلوا بشجرة هناك وعرفت فيما بعد (شجرة العذراء) ، وعادوا إلى بلدة الناصرة في الجليل، بشمال فلسطين، بعد زوال الخطر السابق (أي موت هيرودس).

والجدير بالذكر أن الأناجيل لم تتحدث عن عمره في الفترة ما بين (**12 إلى 30 سنة**) ، وقد التقى في المرحلة الأخيرة بابن خالته نبي الله يحي، فقام بتعميده في نهر الأردن، وبعدها أرسله الله للناس.

ـ **وفاة مريم:** أما أمه مريم، فبقيت معه، وعندما تآمر عليه اليهود ورفعه الله إليه، تكفل بمريم رجلين من أصحابه فكانت في حمايتهما، ثم قبظها الله إليه بعد إبنها عيسى عليه السلام. قال ابن عساكر: وبلغني أن مريم بقيت بعد رفع عيسى خمس سنين، وكان عمرها ثلاثا وخمسين سنة، ويقال أن قبرها بالنّيرب، ولم يصح. (النَّيرب قرية مشهورة بدمشق). واختلف المسيحيون في أمرها، فالأرثوذكس يرون أنها دفنت في بستان الزيتون في مدينة القدس، ولكن الله بعثها بعد أيام، وصعدت إلى بارئها بجسدها وروحها. أما الكاثوليك فيرون أن مريم لم تمت، بل رفعها الله إليه بجسدها وروحها. بينما يرى المسلمون، أنها ماتت كسائر البشر، ولكن قبرها غير معروف بالتحديد. والله أعلم بالصواب.

عمير بن سعد

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴿74﴾ ﴾ [التوبة: 74].

هوعمير بن سعد بن أبي عبيد بن النعمان بن قيس بن عمر بن عوف، وقيل عمير بن سعد بن شهيد بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد الأوسي الأنصاري. شهد والده سعد القادسية ويقال له سعد القاري وهو الذي كان الجلاس بن سويد زوج أمه، وقد ربى عميرًا وأحسن إليه. فسمعه عمير في غزوة تبوك وهو يقول: إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير. فقال عمير: اشهد أنه لصادق وإنك شر من الحمير، وقال والله إني لأخشى إن كتمتها عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل القرآن وأن اخلط بخطيئة، ولنعم الأب هو لي، فلم تمنع عمير تربية الجلاس له من قول الحق.

فأخبر عمير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الجلاس أنكر، وتحالفا في الأمر، فنزل الوحي ببراءة عمير وصدقه الله فيما قال: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿74﴾ ﴾[التوبة: 74].

فقال الجلاس: أتوب إلى الله ولقد صدق، وكان الجلاس قبل ذلك قد حلف الا ينفق على عمير، فأرجع إليه النفقة وهي علامة توبته. قال عروة: فما زال عمير في علياء بعد هذا حتى مات. قال ابن سرين: لما نزل القرآن أخذ النبي صلى الله عليه وسلم باذن عمير وقال: **يا غلام وفت أذنك وصدقك ربك.**

وكان عمر بن الخطاب قد استعمل عمير بن سعد واليا على حمص، فكان مثالا في العدل والتعفف والزهد في الإمارة، وطلب من عمر أن يعفيه منها فوافق عمر. وكان عمر شديد الحب لعمير، وكان يقول عنه أنه نسيج وحده (وهي كلمة تطلق على الفائق) وكان عمر يقول أيضا: وددت لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد استعين به على اعمال المسلمين. ومات عمير في زمن عمر بالمدينة وقيل بالشام.

عوف بن مالك الأشجعي

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾ [الطلاق: 2-3].

هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، يكنى بأبي عبد الرحمن، يقال أبو حماد، وقيل أبو عمرو. وأول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم فتح مكة.

جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، إن ابني أسره العدو، وجزعت أمه، فماذا تأمرني؟ قال: آمرك، وإياها أن تستكثرا من قول: **لا حول ولا قوة إلا بالله.** فقالت المرأة: نِعْمَ ما أمرك، فجعلا يستكثران منها، فغفل عن إبنهما العدو، فساق بين يديه غنم العدو، وجاء بها إلى أبيه، فنزل في حقه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ۝٣ ﴾ [الطلاق: 2-3].

وسكن عوف بن مالك في بلاد الشام ووفد إلى مصر، وكانت وفاته بدمشق **سنة 73هـ.**

المعوقين

﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ ۝١٨ ﴾ [الأحزاب: 18].

المعوقين: هم المثبطون، والكلمة مشتقة من الفعل عاق عن الشيء إذا صرفه عنه. وهي صفة وصف الله بها أهل النفاق في المدينة المنورة أثناء غزوة الخندق، عندما جد الجد، قاموا يثبطون العزائم، ويعوقون الناس ويصدونهم عن الجهاد في سبيل الله، ويصرفونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، ووجدوا مؤازرة من إخوانهم في الكفر والنفاق، فأقنعوهم بترك رسول الله وصحبه حتى يهلكوا ولا يقاتلوا معهم، فنزل القرآن فيهم، وفضحهم على رؤوس الأشهاد، وجعلهم عبرة للخلق، وصار سلوكهم مثالا يضرب لكل معوق بعدهم، والآية التي نزلت فيهم: ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ ﴾ [الأحزاب: 18].

عيسى بن مريم ـ عليه السلام

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿34﴾﴾ [مريم: 34].

ـ **نسبه وولادته:** هو نبي الله عيسى بن مريم ابنة عمران، ويتصل نسبه بداود عليه السلام، وعيسى من سبط يهوذا، وكانت ولادته في بيت لحم بفلسطين يوم **الثلاثاء 24 كانون الأول**، وعاش ما بين **(1 إلى 33 م)**.

وهو آخر رسل بني إسرائيل، واسمه في القرآن (عيسى) ولقبه (المسيح) وكنيته (ابن مريم) وصفته (عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه). واسمه بالعبرية (يسوع أو يشوع) أي المخلص لكثير من الضلال.

عاش عيسى عليه السلام مع أمه الطاهرة البتول في بلدة الناصرة في الجليل (شمال فلسطين) ، وهاجرت أسرته لمصر، ثم عادت إلى الناصرة، فشاهد في تلك الأثناء أحوال بني إسرائيل، وقد انحرفوا عن الصراط السوي، فانتهكوا المحارم، وأكلوا الحرام، وتعاطوا الربا، فعاقبهم الله وحرم عليهم كثيرا من الطيبات: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿160﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿161﴾﴾[النساء: 160-161]. كما أنكر فريق من اليهود القيامة والبعث والحساب، وأسرفوا في الشهوات، فأرسل الله إليهم المسيح عيسى عليه السلام نبيا هاديا إلى الصراط المستقيم.

ـ **دعوة عيسى عليه السلام:** لما بلغ ابن مريم سن الثلاثين، بعثه الله نبيا إلى بني إسرائيل، وأيده بالوحي، وعلمه التوراة، وأنزل عليه الإنجيل: ﴿**وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ** ﴿48﴾ **وَرَسُولًا** إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿49﴾﴾[آل عمران: 48-49]. وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿46﴾﴾[المائدة: 46]. ومعنى الإنجيل "**البشارة** "، وهو الكتاب المقدس الذي تضمن الهدى والنور، والدعوة إلى عبادة الله وحده، وفصّل الأحكام الشرعية للناس، وقد ارتكزت دعوة المسيح عيسى عليه السلام على عدة أصول:

1) توحيد الله تعالى: إذ أخبر قومه، أنه بشر أرسله الله إليهم بالهدى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴿6﴾﴾[الصف: 6]. ولكنهم خالفوا أمره، وألّهوه، واخترعوا عقيدة التثليث، فأنكرها عليهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ

﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) ﴾[النساء: 171].

2) **تبليغ الشريعة الغراء:** التي حددت لهم مواطن الاختلاف في أمر الحلال والحرام، فجاءهم عيسى بالحلال الطيب، ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (64)** ﴾[الزخرف: 64].

3) **التبشير ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم:** وهو عنده اسمه (أحمد) وكان يعبر عنه عند عيسى بلفظ: (النبي) أو (مسيا) أو (فارقليط) ، وعبر عنه القرآن باسم " **أحمد** " ﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** (6) ﴾[الصف: 6]. ولكن قومه جحدوا ما جاءهم به من الحق، وأنكروا البينات، ووصفوا قوله بالسحر الظاهر المبين: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (6) ﴾[الصف: 6].

4) **سلوك منهج السلام في دعوته:** قامت دعوته على مبدأ السلام، وهو القائل: (**لكني أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداء كم، أحسنوا إلى مبغضيكم 27، باركوا لاَعِنِيكُمْ، وصلوا لأجل الذين يسيؤون إليكم 28، من ضربك على خدك فاعرض له الاخر أيضا، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا**). **إنجيل لوقا الإصحاح السادس.**

كما عرف عنه العفو والتسامح في معاملة المذنبين، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه **البخاري**، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني**).

ووصلت معاملته السمحة إلى عالم الحيوان، فقد روى **مالك** أنه بلغه عن يحي بن سعيد، أن عيسى عليه السلام مر بخنزير على الطريق، فقال له: **انفُذْ بسلام**. فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال: " **إني أخاف أن أعوّدَ لساني النطق بالسوء** ". وهو يوجه أصحابه إلى الأمر النافع، ويقدم لهم المواعظ الشافية، كما ذكر مالك بن دينار قال: مر عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا: ما أنتن ريحها فقال: " **ما أبيض أسنانها** " لينهاهم عن الغيبة.

5) **حث الناس على الزهد والتقلل من الدنيا:** كان عيسى عليه السلام يحث الحواريين ويبصرهم بأمر الدنيا، ويأمرهم أن يتركوها لأصحابها من الملوك، فيول: " **كما ترك لكم الملوك الحكمة، فكذلك فاتركوا**

لهم الدنيا". ثم يرسم لأتباعه منهجا في الزهد يقوم على أسس واضحة، فيقول: " **كلوا خبز الشعير، واشربوا الماء القراح، واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم، أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، وأن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وأن عباد الله ليسوا بالمتنعمين، بحق ما أقول لكم أن شرّكم عالم يؤثر هواه على علمه، يود أن الناس كلهم مثله** ". وبين للناس أن السعي وراء الدنيا لا ينتهي، فقال: " **طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله** ".

ـ **عيسى يدعوا رجال الدين إلى الحق:** وقد عارض دعوته مجموعة من اليهود يعرفون " **بالصدوقيين** " الذين أنكروا اليوم الآخر والحساب والجزاء، وكذلك رجال الدين المنحرفين والكهنة الذين جادلوه، فأفحمهم بالحجة الواضحة، ولكنهم أصروا على الكفر، فنادى في الناس، من أنصاري، فاتبعه طائفة من التلاميذ عرفوا بالحواريين: ﴿ **فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿52﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿53﴾** ﴾[آل عمران: 52-53]. فأرسل الحواريين لتبشير الناس بالرسالة في آفاق الأرض، فأحس رجال الدين المنحرفين، بالخطر المحدق بمصالحهم الدنيوية، وخافوا على مراكزهم الاجتماعية، فطالبوا عيسى بدلائل قوية تؤيد رسالته، وكان قصدهم تعجيزه، ولكن الله أيده بالمعجزات العديدة وهي:

1) تشكيل طير من الطين، ثم ينفخ فيه، فيصير طائرا في السماء بإذن الله تعالى.

2) يمسح الأكمه - وهو الأعمى الذي يولد على تلك الصفة - فيعود إليه بصره بإذن الله.

3) يمسح عيسى عليه السلام، جلد الأبرص، فيشفيه الله تعالى بإذنه، وتعود إلى الجلد نضارته وحسنه.

4) ينادي عيسى على الميت أو يلمسه بيده، فيحييه الله تعالى بإذنه، فيقوم حيا بين الناس.

5) يخبر الناس بأمور غيبية يطلعه الله عليها، ومنها ما يأكلون أو يدخرون في بيوتهم. وذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿49﴾** ﴾[آل عمران: 49].

6) إنزال مائدة من السماء، بطلب من الحواريين، حتى تطمئن قلوبهم، ويثبتوا بها على الإيمان: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿112﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ

ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥ ﴾[المائدة: 112-115].

ـ **تآمر اليهود على عيسى:** ولما أقام عليهم الحجة بتلك المعجزات الباهرة، فكروا في الكيد، وبدأوا يحرضون الرومان، واشعروهم أن دعوة عيسى كفيلة بزوال ملك قيصر من الأرض، فأوغروا صدر الملك (هيرودس الصغير) ، فأصدر حكمه بالقبض على عيسى، وإعدامه صلباً، وبث جنده للبحث عنه، وتآمر معهم أحد المنافقين ويدعى " **يهوذا الاسخريوطي** " فأرشدهم إلى مكانه، فألقى الله على يهوذا شبه عيسى، فالقوا القبض على يهوذا وأعدموه، وحاق المكر السيء بأهله: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ ﴾[النساء: 157-158].

أما السيد المسيح " عيسى عليه السلام " فقد نجاه الله، ورفعه إليه، وأخبره الله أنه منجيه من كيدهم: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥ ﴾[آل عمران: 54-55].

وذكر أغلب المفسرين أن الله رفع عيسى بجسمه وروحه، وأنه ينزل إلى الأرض، ويكون احدى علامات الساعة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾[الزخرف: 61]. ويكون نزوله ببلاد الشام في الأمة الإسلامية، فيقتل المسيح الدجال، ثم يأتي بيت المقدس ويصلي العصر خلف إمام المسلمين على دين محمد صلى الله عليه وسلم، ويقتل الخنازير، ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويحكم بشريعة الإسلام، ويقيم كتاب الله (القرآن)، وأنه سوف يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا.

﴿ حرف الغين ﴾

الغـروب

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) ﴾[ق: 39].

الغروب: هو وقت اختفاء الشمس كل يوم، وغيابها من الجهة الغربية من الأرض، المقابلة للجهة الشرقية.

والمقصود من السياق القرآني، الدعوة إلى عبادة الله، وإقامة الصلاة، والمحافظة عليها قبل وقت الغروب، وهي صلاة العصر. قال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا (130) ﴾[طه: 130].

المغـرب

﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (142) ﴾[البقرة: 142].

المغرب: هو الجهة التي تغرب فيها الشمس كل يوم، وعرفت عند الناس في تحديد المواقع والإتجاهات، والدلالة على الأماكن والبلدان، ورسم المواقع باسم " **الغرب** "، وذكرها الله في عدة آيات، ونبه الناس إلى قدرته تعالى التي تظهر جليا في غروب الشمس، والتي يحتاجون إليها في تحديد الأماكن (مثلما سميت البلاد الواقعة في شمال قارة إفريقية باسم بلاد المغرب الإسلامي أو العربي). وفي قصة الملك ذي القرنين، وصل في رحلته إلى أقصى الجهة الغربية من الأرض، وسماها القرآن بالمغرب، في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا (86) ﴾[الكهف: 86]. وجعل الله في الجهات، وحركة الشمس حجة لعباده، وأيد بها الأنبياء، فاتخذوها آية في دعوة الناس إلى الحق، مثلما فعل الخليل إبراهيم عليه السلام مع الملك النمرود، عندما طلب منه أن يغير طلوع الشمس إلى الجهة الغربية، فبهت الملك، وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) ﴾[البقرة: 258]. وذكرها الله في قصة فرعون عندما سأل موسى عليه السلام عن رب العالمين، أجابه موسى بالحجة البالغة: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (28) ﴾[الشعراء: 28].

وعندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم، أمره الله في بداية دعوته أن يتوكل على الله، الذي هو رب الكون الفسيح، ورب المشرق والمغرب، وبيده ملكوت كل شيء، ويشعره أنه يأوي إلى ركن شديد: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿9﴾﴾ [المزمل: 9].

وعندما ذكر الله القبلة، نبه العباد في مشرق الأرض ومغربها، أن المقصود من توجههم ليس المكان، بل الله وحده: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿115﴾﴾ [البقرة: 115]. ونفس الأمر عند فعل الخيرات: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴿177﴾﴾ [البقرة: 177].

المغربين

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿17﴾﴾ [الرحمن: 17].

المغربين: المقصود هو رب مغرب الشمس، ومغرب القمر، ورب مشرقهما، وتقدم في السياق القرآني في نفس السورة (**الرحمن**) ذكر الشمس والقمر، وأنهما يخضعان لنظام دقيق، وحساب ثابت، ومنازل محددة، وهما تسبحان في الكون الفسيح: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿5﴾﴾ [الرحمن: 5].

المغارب

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿40﴾﴾ [المعارج: 40].

وردت الكلمة في موضعين من القرآن الكريم هما:

1) المغارب المتعددة: وهي المغارب الدالة على مغرب الشمس، ومغرب القمر، فضلا عن مغارب سائر الكواكب التي لا يعلم عددها إلا الله، وهي مواطن الإعجاز الإلهي، فأقسم الله بها: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿40﴾﴾ [المعارج: 40].

2) الجهات والنواحي في بلاد الشام: وهي الأرض المباركة التي وهبها الله لبني إسرائيل، بعد مرحلة الذلة والهوان: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴿137﴾﴾ [الأعراف: 137].

الـغـربي

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿44﴾ ﴾ [القصص: 44].

الغربي: هو الجانب الغربي لجبل الطور الذي جعله الله ميقاتا لموسى عليه السلام، والخطاب موجه لمحمد عليه الصلاة والسلام، إذ قال له الله، إنك لم تكن بجانب ذلك الجبل البعيد عن بلاد الحجاز، وفي إخباره بما حدث إعجاز قرآني، لا ينتبه له إلا من كان له قلب يتدبر.

الـغـــار

﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿40﴾ ﴾ [التوبة: 40].

الغـار: هو فجوة في الصخور الجبلية، وقد ارتبطت حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل البعثة بغار حراء، وأثناء الهجرة إلى المدينة بغار ثور، فأنزل الله عليه فيهما السكينة، وحلت فيهما البركة والخير، وصفة تلك الإقامة هي:

* **غـار حـراء:** هو غار يقع على قمة جبل يسمى جبل النور في أعلى (شمال) مكة المكرمة. فهو غار، وجبل مبارك، وحلت البركة في المكان لما سعد بجوار سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فقد تحنث في الغار طويلا، وغرق في ملكوت ربه متأملا في خشوع، وداوم على التحنث لمدة ثلاث سنوات، فإذا حل شهر رمضان يأخذ شيئا من الطعام والماء، ويقصد الغار، ويمكث فيه عدة ليالي، وقد يكمل الشهر، فيطعم من جاءه من المساكين، ويستغرق في عبادته، ويتفكر مليا في الكون الفسيح، وفي مبدعه. واستمر على ذلك حتى بلغ الأربعين، فنزل عليه روح القدس بكلمة خلدها الله في كتابه، فكانت منبع النور المبين، وبداية الذكر الحكيم، وصارت على مر الزمان سراجا ساطعا في العالمين. فقد شهد الغار أعظم حدث في تاريخ الإنسانية قاطبة، عندما نزلت كلمة " **اقرأ** " في غار حراء، فجعلته قبلة المسلمين في انتمائهم إلى أعظم دين، باقتفاء أثر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، والتوجه الدائم للتلقي من ذلك النبع الكريم.

روى الإمام **البخاري** عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تصف بداية الوحي، فقالت: (أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك

(أي جبريل) فقال له اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾[العلق: 1-5].

فصار لكل ما حول الغار قدسية، فقد حمل المكان (**الغار**) قدسية بنزول ـ **اقرأ** ـ وبدء الوحي، وصار للزمـان (شهر رمضان) قدسيته بنزول القرآن في تلك الليلة المباركة " **ليلة القدر** ": ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿1﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿2﴾ ﴾[القدر: 1-2]. وتكرم المكان والزمان بفضل المنزل عليه " **محمد**" عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

*__غـار ثـور:__ هو غار يقع في جبل ثور بأسفل (جنوب) مكة على طريق اليمن. فهو غار وجبل آوى إليه سيد المرسلين، برفقة صاحبه الصديق " **أبو بكر** "، فصار المكان مباركا، لأنه ضم اثنين ثالثهما رب العالمين، فسكب في قلب الحبيب المصطفى أمنا وطمأنينة، وبعث في نفسه راحة وسكينة، فقام يثبت صاحبه، بأبلغ العبارات: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿40﴾ ﴾[التوبة: 40]. فقد أقاما فيه ثلاثة أيام مباركات، فكان الغار نزلا كريما، وملاذا آمنا، لأن رعاية الله تحرسه بالأمان، ومعية الله تظلله بالسلام، وهدايته ترافقهم في رحلتهم المباركة من الغار إلى الدار في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وعندما بلغ عمر الدعوة الإسلامية ثلاثة عشر سنة، عزمت قريش على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره الله بالهجرة إلى الله ورسوله، فخرج مع صاحبه أبي بكر الصديق، واقاما في غار ثور ثلاثة أيام، وفي تلك الأثناء وصل كفار قريش إلى باب الغار، وخاف أبو بكر من كيدهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته قائلا: " **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** "

وقد روى الإمام **أحمد**، عن أنس: أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال صلى الله عليه وسلم: " **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**". وقد أنزل الله في ذلك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿40﴾ ﴾[التوبة: 40].

الغازلة الحمقاء

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴿٩٢﴾ ﴾[النحل: 92].

هي امرأة حمقاء، عاشت بمكة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تغزل ثم تنكث الغزل، فضربها الله مثلا لمن يحلف ويبرم العهود ثم ينكثها، واختلف في اسمها وصفتها، فقيل هي " ريطة بنت عمرو" وقيل تدعى " سُعيرة الأسدية "وسوف نورد كلا القولين في شأنها:

1) **ريطة الحمقاء:** وهي ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن مرة، وكانت امرأة حمقاء بمكة، تشتغل سحابة نهارها، وتجهد نفسها في الغزل وتحكم فتله، وفور انتهائها منه، تقوم بحله، وتنقض خيوطه، ولا تبالي بسبب حمقها، وقلة عقلها، وفساد رأيها، وكان أهل مكة يقولون: ما أحمق هذه المرأة. وضربها الله مثلا لكل مسلم يتهاون في خلق " **الوفاء** "، فيعاهد الناس، ويبرم معهم العقود، ويمتن المواثيق، ثم لا يبالي بذلك فينكثها، ويلغيها بدون مبرر، فيكون شأنه مثل ريطة المكية في الحمق، وأشد منها خسة في النكث والغش والخديعة. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ [النحل: 91-92].

2) **سُعيرة الأسدية:** كانت تعيش بمكة تجمع الصوف والشعر والليف فتغزل كبة عظيمة فإذا ثقلت عليها نقضتها، فأنزل الله فيها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ۖ ﴿٩٢﴾ ﴾[النحل: 92]. فقال: **يا معشر قريش لا تكونوا مثل سُعيرة فتنقضوا أيمانكم بعد توكيدها.**

وجاءت سعيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن بي هذه (تعني الريح ـ أي الجنون) فادع الله أن يشفيني مما بي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم" **إن شئت دعوت الله يعافيك ويثبت لك حسناتك وسيئاتك، وان شئت فاصبري ولك الجنة** "فقالت سعيرة: اخترت الجنة.

وعن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس أنه قال له: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فأراني حبشية صفراء عظيمة قال: هذه سعيرة الأسدية.

غزية بنت جابـــر

﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: 50].

هي غزية (أوغزيلة) بنت جابر بن حكيم الدوسية، وكنيتها " **أم شريك** " وزوجها يدعى أبو العسكر الدوسي. وقد شرح الله صدرها للإسلام بمكة، وبدأت تدعوا إلى الله، وتدخل إلى بيوت قريش وتدعوا النساء سرا وترغبهن في الإسلام، ففطن لها مشركوا مكة فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا بك ولكن سنردك إليهم.

وهاجر زوجها أبو العسكر مع عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة) إلى المدينة وتركها، فجاءها أهله وقالوا لها: لعلك على دينه؟ فقالت غزية: أي والله إني لعلى دينه. فقالوا: لا جرم، والله لنعذبنك عذابا شديدا. وتصف أم شريك ما لحق بها من عذاب فتقول: فارتحلوا بنا من دارنا ونحن كنا بذي الخلصة (بين مكة واليمن) وهو موضعنا، فساروا يريدون موضعا (أي مكانا) وحملوني على جمل ثقال شر ركابهم وأغلظه ليس تحتي شيء، يطعموا الخبز بالعسل ولا يسقوني قطرة من ماء حتى انتصف النهار وسخنت الشمس ونحن قائظون، فنزلوا فضربوا أخيمتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري، ففعلوا ذلك بي ثلاثة أيام فقالوا لي في اليوم الثالث: اتركي ما أنت عليه.. فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة فأشير بأصبعي إلى السماء بالتوحيد، فوالله إني لعلى ذلك وقد بلغني الجهد إذ وجدت برد دلو على صدري فأخذته فشربت منه نفسا واحدا ثم انتزع مني فذهبت أنظر فاذا هو معلق بين السماء والأرض فلم أقدر عليه، ثم دلي إليّ ثانية فشربت منه نفسا، ثم رفع فذهبت أنظر فاذا هو بين السماء والأرض، ثم دلي إلي الثالثة فشربت منه حتى رويت وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي.. فخرجوا فنظروا فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟ فقلت لهم: إن عدوة الله غيري؛ من خالف دينه، وأما قولكم من أين هذا؟ فمن عند الله رزقا رزقنيه الله. فانطلقوا سراعا إلى قربهم... فوجدوها موكأة لم تحل فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، وأن الذي رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع الإسلام. فأسلموا جميعا، وهاجروا جميعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفون فضلي عليهم وما صنع الله إليّ.

وكانت لها كرامات، فقد وضعت عكة لها في الشمس ـ وكانت فارغة ـ فامتلأت سمنا.. فكانت تهدي منه للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان الناس يقولون: ومن آيات الله عكة أم شريك.

وأقبلت أم شريك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت امرأة صالحة وجميلة وقد أسنت فقالت: إني أهب نفسي لك وأتصدق بها عليك. فنزل فيها قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ

أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴿50﴾ ﴾[الأحزاب: 50]. فكانت أم شريك تقول: **أنا الذي سماها الله مؤمنة.**

فقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم قبلها ودخل عليها. والذي عليه كثير من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل أي واحدة منهن، والواهبات عدة نساء، وقال ابن عباس: لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له. وبقيت أم شريك بدون زواج حتى ماتت.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار من اللائي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول: أتهب المرأة نفسها، فلما أنزل الله: ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ﴿51﴾ ﴾[الأحزاب: 51]. قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. والراجح أنه زوج اللواتي وهبن أنفسهن له من رجال آخرين من الصحابة الكرام.

المغضوب عليهم

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴿7﴾ ﴾[الفاتحة: 7].

المغضوب عليهم: هم اليهود، وقد أمر الله المسلم أن يقرأ يوميا عشرات المرات الآية السابقة في صلواته، ويدعو الله أن يجنبه مصير المغضوب عليهم من اليهود، ومن كان على شاكلتهم من أصحاب الظلم والعدوان. ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿5﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴿6﴾ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿7﴾ ﴾[الفاتحة: 6-7].

الـغـلام

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿8﴾ ﴾ [مريم: 8]

الغلام: كلمة تطلق على الولد الصغير، والشاب، والعبد والأجير. وردت الكلمة في القرآن بتلك المعاني في حياة الأنبياء الكرام:

* **الولـد:** أطلقت على الصبي قبل ولادته، عندما بشرت الملائكة الخليل إبراهيم بابنه اسحاق في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿53﴾ ﴾[الحجر: 53]. كما بشّر زكريا بيحي عليه السلام:

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ ﴾ [مريم: 7]. وبشر جبريل مريم بعيسى عليه السلام بلفظ الغلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩ ﴾ [مريم: 19].

*الطفل الصغير: قبل سن البلوغ مثلما ورد في قصة الغلام الذي قتله الخضر، وقد طبع كافراً، ويدعى حيثور: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ۝٨٠ ﴾ [الكهف: 80]. وكذلك شأن الأيتام في قصة موسى مع الخضر، فهم في حاجة إلى رعاية قال القرطبي: " هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليتم، واسمهما **أصرم وصريم**، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **(لا يتم بعد بلوغ)** هذا هو الظاهر، وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ إن كانا يتيمين، على معنى الشفقة عليهما.. "وقال تعالى فيهما: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ۝٨٢ ﴾ [الكهف: 82].

* **العبد:** كما أطلق على العبد، وورد ذلك في قصة يوسف، لما أخرجته السيارة من البئر: ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ ۝١٩ ﴾ [يوسف: 19].

﴿حـرف الـفـاء﴾

أصحـاب الفترة

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴿19﴾ ﴾[المائدة: 19].

الفترة: هي المدة الزمنية الفاصلة بين رسالة عيسى بن مريم، وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وبلغت **نحو 600 سنة،** كما قال قتادة. وعرفت بالفترة لأن الوحي انقطع فيها، ولم يرسل خلالها أي نبي إلى الناس، وذكر بعض المفسرين عند تفسير آية المائدة، أنه كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام أربعة أنبياء، ثلاثة من بني إسرائيل، وواحد من العرب ويدعى خالد بن سنان العبسي، وهو دفين بلدة سيدي خالد بالزاب الجزائري، وأخذت البلدة اسمه. وعن ابن عباس قال: ذكر خالد بن سنان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **(ذاك نبي ضيعه قومه)** رواه **البزار**. والثابت في **صحيح البخاري** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إن أولى الناس بابن مريم لأنا، ليس بيني وبينه نبي** ".

أما أصحاب الفترة: فهم الناس الذين عاشوا في تلك المدة، ومنهم أهل الكتاب، والحنفاء، وعباد الأصنام وغيرهم، في مختلف أنحاء الأرض، وأمرهم إلى الله وهو يتولاهم: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿15﴾ ﴾[الإسراء: 15].

الـفـئـة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿45﴾ ﴾ [الأنفال: 45].

الفئة: هي الجماعة من الناس، وليس لها واحد مثل الرهط والنفر. وأكثر ذكرها في القرآن في موضوع القتال، قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿249﴾ ﴾[البقرة: 249]. وقد جعل الله لليهود عبرة في غزوة بدر، وهي آية ظاهرة في فئتين: فئة المؤمنين، وعددهم قليل (نحو **314 مجاهد**) ، وفئة المشركين، وعددهم مضاعف مرتين (نحو **1000 مقاتل**) ، وقد أيد الله المؤمنين بنصره المبين، فقال تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ

تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿13﴾ ﴾[آل عمران: 13].

الفئتان

﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ ﴿48﴾ ﴾[الأنفال: 48].

الفئتان: هما جيش المشركين من قريش (فئة الشيطان) وجيش المسلمين (فئة المؤمنين) ، والتقوا في غزوة بدر، وقد زين الشيطان للمشركين عملهم، ولكنه لما رأى الملائكة تقاتل مع المسلمين، تبرأ من فئة المشركين. قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة " **سراقة بن مالك** " فقال الشيطان للمشركين: " لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم" فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله قبضة من التراب فرمى بها وجوه المشركين، ولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه ـ وكانت يده في يد رجل من المشركين ـ انتزع يده ثم ولى مدبرا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله، وكذلك عدو الله فإنه علم أنه لا قوة له ولا منعة وذلك حين رأى الملائكة. وقيل فر الشيطان وألقى نفسه في البحر. وقد ورد في الحديث" ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر، ولا أحقر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، إلا يوم **بدر**، فإنه رأى جبريل يزع الملائكة " رواه **مالك في الموطأ**. وقد أنزل الله: ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿48﴾ ﴾[الأنفال: 48].

الـفـئتيـن

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴿88﴾ ﴾[النساء: 88].

رجع عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة أحد بثلث الجيش (**300 رجل**) وبقي مع النبي صلى الله عليه وسلم (**700 رجل**) فاختلف المؤمنون في شأن المنافقين المعتزلين. فعن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى احد فرجع ناس ممن معه، فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين، فقال بعضهم نقتلهم، وقال بعضهم لا، فأنزل الله: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿88﴾ ﴾[النساء: 88]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الحديد). أخرجه **البخاري**.

الـفـتى

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿60﴾ ﴾[الأنبياء: 60].

الفتى: هو الشاب الحدث، مثناه فَتَيَانِ، وجمعه فِتْيَان وفِتْيَة، وأطلق في القرآن على الطفل البالغ، والغلام الخادم، والشاب الذي يرافق سيده، ووردت الكلمة في شأن الأنبياء، ومنهم:

* **الفتى إبراهيم:** عندما حطم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه، تساءلوا فيما بينهم عن الفاعل، فقالوا سمعنا شابا يذكرها بسوء: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿60﴾ ﴾[الأنبياء: 60]. وعن ابن عباس قال: " ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿60﴾ ﴾[الأنبياء: 60].

* **فتى موسى:** هو **يوشع بن نون**، وهو صاحب موسى، وكان يخدمه خلال الرحلة: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿60﴾ ﴾[الكهف: 60]. والفتى في كلام العرب هو الشاب، ولما كان الخادم في أغلب الأحيان في مرحلة الفتوة، سمي الخدم فتياناً، وذلك من حسن الأدب، وقد حببت الشريعة في هذا السلوك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي**).

* **الفتى يوسف:** وهو نبي الله يوسف عليه السلام، وكان في سن الفتوة، ويعيش في قصر سيده رئيسا للخدم، فنعت بالفتى، أي الخادم: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (30)﴾[يوسف: 30].

الفتية

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13)﴾[الكهف: 13]

وردت كلمة الفتية، والفتيان في موضعين هما:

* **أصحاب الكهف:** وكانوا فئة من الشباب المؤمنين الذين فروا إلى الله وسألوه الثبات: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10)﴾[الكهف: 10]. فثبتهم الله وجعلهم آية للناس.

* **عمال العزيز:** وهم الغلمان الذين كانوا تحت إشراف عزيز مصر " **يوسف عليه السلام** " وكانت مهمتهم كيل الطعام، وقد أمرهم يوسف أن يرجعوا لإخوته بضاعتهم: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62)﴾[يوسف: 62].

فتيان

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ (36)﴾[يوسف: 36].

دخل مع يوسف عليه السلام إلى سجن مصر فتيان (أي غلامان) وهما من خدام ملك مصر الوليد بن الريان:

ـ أحدهما يدعى **مجلب** وهو صاحب الطعام، ومهمته إعداد الطعام للملك فعرف بخباز الملك ؛ والثاني يدعى **بيوص** وهو صاحب الشراب، ومهمته إعداد الشراب وعصره للملك فعرف بساقي الملك.

وسبب سجنهما هو التآمر على الملك، ومحاولة قتله بالسم، فلما كشف أمرهما، حكم عليهما الملك بسنة سجنا، وبقيا تلك المدة في السجن مع يوسف عليه السلام.

فـرعون

﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا ﴿4﴾ ﴾ [القصص: 4].

فرعون: هولقب اطلق على عدد من الملوك الذين حكموا مصر قديما، وهم ينتمون إلى ما لا يقل عن **26 أسرة حاكمة.** ويرجع ابن خلدون زمنهم إلى عهد الخليل إبراهيم عليه السلام، حينما زار مصر والتقى بفرعونها يومئذ ويدعى " **خرطيش** " الذي تزعم القبط أنه أول الفراعنة. بينما ورد لفظ فرعون في القرآن الكريم في عدد من الآيات، والمقصود بها فرعون الأب الذي تزامن مع عهد موسى عليه السلام، وابنه الذي خلفه على عرش مصر، وكان له شأن كبير مع موسى وبني إسرائيل، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

* **فرعون التسخير:** وعرف عند الأقباط وفي اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) باسم **رعمسيس الثاني** (أو رمسيس الثاني) ، وترجمه المؤرخون المسلمون إلى " **الوليد بن الريان** " وقد حكم مصر لمدة **67 عاما**، وكان يكره الشعوب الآسيوية، وقد حارب تسع سنوات خارج مصر، وعرف بكرهه الشديد لبني إسرائيل وعمل خلال حكمه على قتلهم وتسخيرهم، وذاقوا أشد أنواع العذاب في عهده المديد.

وقد اهتم كثيرا بتجسيد ذاته المتألهة، فسخر عددا هائلا من المهندسين وذوي الخبرة في البناء، وكلفهم بانجاز المعابد والتماثيل والقصور الشاهقة، ونصب الأوتاد: ﴿ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿10﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿11﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿12﴾ ﴾ [الفجر: 10-12].

وقد أملى الله له، واستدرجه، وعاش عمرا طويلا بلغ **95 عاما**، لم ير فيها مكروها، مما زاده طغيانا وتجبرا، ولكن رؤيا منامية افزعته، وأشعرته بالخطر الداهم الذي يهدد ملكه بالزوال. فقد رأى وكأن نارا محتدمة قد أقبلت من الأرض التي جاء منها رعاياه من بني إسرائيل، وبالتحديد من بيت المقدس، ثم اجتاحت بيوت القبط في مصر، فأحرقتها عن آخرها، وتركت بيوت بني إسرائيل فلم تمسها بضرر. فاستدعى السحرة والمنجمين، ففسروها بسرعة ـ لأنهم كانوا يسمعون من بني اسرائيل، أنه ورد في كتبهم ما بشرهم به نبيهم يعقوب، وابنه يوسف عليهما السلام، بقرب ظهور نبي يسودون به العالم وتخضع الأمم والشعوب لشريعته، ويكون من سبط لاوى بن يعقوب ـ ففسروها بأن النار هي النبوة التي تظهر في بني إسرائيل، فتقضي على فرعون ورعاياه. فأمر الفرعون رمسيس الثاني، بتنفيذ مخطط خاص ببني إسرائيل في مصر، وتمثلت بنوده فيما يلي:

1) ذبح كل طفل من بني إسرائيل بعد ولادته مباشرة وكلف القابلات بمراقبة المواليد الذكور من بني إسرائيل والإخبار عنهم في الحين.

2) تسخير الذكور صغارا وكبارا على حد سواء في أشغال الدولة أو أعمال المواطنين الأقباط، وتفرض الجزية على العجزة من المرضى أو الشيوخ من بني إسرائيل.
3) إستغلال نساء بني إسرائيل في مختلف الأعمال ـ وكأنهن عبيدا ـ ويخدمن في بيوت الأقباط فيرضعن ويربين أطفالهم، ويسخرن للعمل في المزارع، ويعتدى على أعراضهن في بعض الأحيان.
وهكذا شملت السخرة بني إسرائيل جميعا بدون استثناء، وعاشوا في ذلة وضعف، وقد عبر القرآن الكريم عن حالهم، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿4﴾ ﴾[القصص: 4].
وكان فرعون يسكن في مدينة منف، فوقع شجار بين إسرائيلي وأحد الأقباط، فتدخل موسى ووكز القبطي فمات من فوره، ولما كشف أمر موسى خاف من القصاص، فهرب إلى أرض مدين ـ لأن القانون عندهم لا يتسامح، وإن كان الفاعل هو ابن رمسيس بالتبني ـ وأثناء غياب موسى توفي فرعون وتولى مكانه ابنه **منفتاح** (شقيق موسى بالتبني) ، والذي عرف بفرعون موسى، وقد أرسله الله إليه بعد عشر سنوات تقريبا.
* **فرعون الخروج:** وعرف عند الأقباط وفي اللغة المصرية القديمة باسم **مرن بتاح** (أو منفتاح) ، وترجمه المسلمون إلى" **مصعب بن الوليد بن الريان**" وعرف كذلك باسم **فرعون موسى**، لأن الله أرسل موسى اليه. وأمه هي المرأة الصالحة آسيا بنت مزاحم.
وقد اختاره والده رمسيس الثاني وليا للعهد، ووريثا شرعيا للعرش الفرعوني بمصر خلفا لأخيه المتوفى (خع مواست) في العام الخامس والخمسين من حكمه، فشغل منفتاح كل الوظائف العليا في البلاط الفرعوني، مثل كاتب الفرعون والقائد الأعلى للجيش. ولما توفي والده رمسيس الثاني، توج منفتاح على حكم مصر، وعمره آنذاك يناهز الستين، وقضى في الحكم نحو عشر سنوات، منها ثمانية أعوام هادئة مستقرة، والعامين التاليين رجع فيهما موسى، وهو يحمل صفة جديدة (**النبوة**) ويسعى لإخراج بني إسرائيل من البلاد، لأن فرعون جعلهم عبيدا، وموسى يريد أن يخرجهم إلى البرية لعبادة ربهم:
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿104﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿105﴾ ﴾[الأعراف: 104-105]. ولكن فرعون كان طاغيا جبارا، وأهم صفات طغيانه:
1) **إدعاء الألوهية والإصرار عليها:** ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴿38﴾ ﴾[القصص: 38]. واردف ذلك بادعاء الربوبية: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿24﴾ ﴾[النازعات: 24].

2) **الإستخفاف بقومه**: فأطاعوه لأن طبيعتهم اعتراها الفساد وتمكن من نفوسهم الفسق والفجور: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿54﴾ ﴾[الزخرف: 54].

3) **العناد والإصرار على الباطل**: وتمثل في عجزه عن مواجهة موسى بمعجزاته الباهرة، فاستعان بالسحرة ليبطل سحر موسى ـ كما زعم ـ ونسي أنه إله، فكيف يعجز عن ذلك بنفسه. ولما حشر السحرة في الميدان، أخبرهم موسى أن الله سيبطل السحر ويرد كيدهم: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿81﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿82﴾ ﴾[يونس: 81-82].

4) **إنهزام فرعون وتصميمه على قتل موسى**: فطلب من أصحاب الحل والعقد أن يوافقوه على قتل موسى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿26﴾ ﴾[غافر: 26]. وجمع الجموع لقتال موسى وبني إسرائيل ولاحقوهم في عرض البحر، فأغرق الله فرعون وجنوده: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿90﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿91﴾ ﴾[يونس: 90-91]. وقد جعله الله آية على مر الزمن، فقذفه البحر على الشاطىء القريب، وبقيت جثته في قبر وعثر عليها في الحفريات سنة **1900** في قبر (أمنحتب الثاني) في الأقصر وهي محفوظة في المتحف المصري إلى اليوم. وقد نجاه الله ليبقى آية للناس، لعله يكون عبرة لكل حاكم جبار، معتد على العقيدة الإسلامية.

آل فرعون

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴿49﴾ ﴾[البقرة: 49].

آل فرعون: هم خاصة فرعون وأهل بيته الذين تجري في عروقهم دماء سلالة فرعون. وهم من المقربين نسبا وشرفا وتوليا لأعلى المناصب في الدولة. وقد أغرقهم الله بسبب ذنوبهم: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿54﴾ ﴾[الأنفال: 54].

قوم فرعون

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿17﴾ ﴾[الدخان: 17].

وهم شعب فرعون ـ رجالا ونساء ـ الذين يقومون بأمره، ويخضعون لسلطانه وإرادته، ولا يحق لهم أن يخالفوا أوامره، وقد استخف بعقولهم، واستولى على قلوبهم، فأطاعوه في كل صغيرة وكبيرة، ومن يخالفه يكون مصيره الهلاك مثلما وقع للسحرة عندما آمنوا برب موسى وهارون، فتوعدهم بالتمثيل والقتل، فاختاروا الجنة: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿70﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿71﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿72﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿73﴾ ﴾[طه: 70-73].

وسماهم القرآن الكريم بالظالمين، وقد أرسل الله إليهم موسى، فكذبوه وقاتلوه مع فرعون: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿10﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿11﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿12﴾ ﴾[الشعراء: 10-12].

امرأة فرعون

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴿11﴾ ﴾[التحريم: 11].

ـ **امرأة فرعون الأولى: وهي الملكة نفرتاري** زوجة رمسيس الثاني، وأم موسى بالتبني: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿9﴾ ﴾[القصص: 9].

فعندما عثرت وصيفات القصر على التابوت في ضفاف النهر في قصر فرعون، وجيء به إلى الملكة نفرتاري وفتح أمامها، فإذا به صبي لا يتجاوز عمره يوما أو أكثر مستلقي على ظهره يمص إبهامه، ووجهه يشرق جمالا وحسنا، فاسترعى إنتباه الملكة، وملك عليها قلبها فأحبته وسألت زوجها أن يمسكه ويحفظه حتى يكون لهما أنيسا.

ـ **امرأة فرعون الثانية: وهي است نفرت،** وعند العرب تدعى **آسيا بنت مزاحم،** وهي زوجة فرعون الثانية، وتزوجها رمسيس الثاني بعد زوجته الأولى، أي بعد توليه مقاليد الحكم وأنجبت له ثلاثة أبناء هم: **رعمسسو، وخع مواست، ومنفتاح** (فرعون موسى) ، فتولى **خع مواست** ولاية العهد إلى يوم وفاته. وتولى رِع مسسو قيادة الجيش، واعتلى منفتاح الحكم بعد موت والده رمسيس الثاني، وعندما انتقل فرعون إلى عاصمته الجديدة **(بر رِع مس سو)** بقيت آسيا في العاصمة القديمة **(منف)** واعتزلت فرعون إلا أنها كانت مؤمنة بالله، ودعت الله أن ينجيها من كفره وطغيانه فاستجاب دعاءها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ⑪﴾ [التحريم: 11].

مـؤمـن آل فـرعـون

﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ㉘﴾ [غافر: 28].

واختلف في اسمه، فقيل هو حزقيل، وقيل اسمه شيمون، أو شمعون، والراجح عند بعض المحققين، أنه برامون أو (سامون) ، وهو من آل فرعون وأقرب الناس إلى فرعون موسى نسبا ورحما، فوالده هو (خع مواست) ، وجدته هي آسيا بنت مزاحم، وقد اختار الإيمان على الكفر بعد يوم الزينة، ولكنه كتم إيمانه على عمه (منفتاح) إيثارا للسلامة والعافية. ولكن إيمانه دفعه في آخر الأمر إلى الجهر بالحق في وجه عمه عندما عزم على قتل موسى، فقال لهم كيف تقتلون رجلا لأنه يقول الحق ويعترف لله بالربوبية والعبادة: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ㉘ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ㉙﴾ [غافر: 28-29]. ونصحهم باتباع موسى فيكون لهم شرف حكم الأرض، فعلم فرعون أنه المقصود بهذا الأمر، فأمر القوم بعدم الإستماع إلى ابن أخيه، فقال: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ㉙﴾ [غافر: 29].

ولكن الرجل المؤمن استمر في دعوته لقومه، فذكرهم بالأقوام الذين سبقوهم، وكيف كان مصيرهم عندما كذبوا الأنبياء، ومنهم يوسف عليه السلام الذي بعث في بلادهم مصر، وظنوا أن لن يبعث من

بعده رسولا، فبعث الله موسى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ (30) مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ (31) وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ (32) يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ (33) وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ (34) ﴾[غافر: 30-34]. ولكن فرعون خاف من لغة الإقناع، فقال لحاشيته ووزرائه: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي (38) ﴾[القصص: 38]. ثم أمر وزيره هامان أن يشيد له صرحا حتى يتطلع إلى إله موسى، وهو يكذّبُ مسبقا بوجوده. حينئذ توجه الرجل المؤمن بنصائحه إلى قومه، وبين لهم أنه يدعوهم إلى سبيل الرشاد، وهو **الجنة**، التي أعدها الله لمن عمل الصالحات وهو مؤمن بالله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (38) يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ (39) مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ (40) ﴾[غافر: 38-40]. ولمس من قومه بعض الإعراض، فواصل نصائحه، لأنه يريد الخير لقومه، ويبتغي بنصائحه وجه الله، وفي كل ذلك يعتمد على ربه ويتوكل عليه: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ (41) تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ (43) فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ (44) ﴾[غافر: 41-44].

ولكن فرعون تدارس أمر ابن أخيه مع وزرائه، وكان قرارهم النهائي هومعاقبته لأنه يهدد أمن الدولة مثلما فعل موسى، ولكن الله حفظ المؤمن الصادق من كيدهم: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ (45) ﴾[غافر: 45]. وكان جزاء هذا المؤمن عند الله عظيما، فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالصديق فقال عليه الصلاة والسلام: " **الصديقون ثلاث، حبيب النجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، والثالث أبو بكر وهو أفضلهم.** "

الفـرقة

﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾[التوبة: 122].

الفرقة: هي الجماعة الكبيرة مثل القبيلة، والطائفة هي الفئة الصغيرة التي يمكن عدها بسرعة، وقد يصل عددها إلى الرجلين. وقد دعا الله أهل الاسلام أن تتعلّم جماعة منهم أمر الدين، ويقوموا بشؤون البقية من الفرقة الكبيرة، وعلى هذا يكون طلب العلم فرض كفاية: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾[التوبة: 122].

الفـريق

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: 109].

الفريق: اسم جمع ليس له واحد من لفظه، وجمعه في أدنى العدد أفرقة، وفي الكثير أفرقاء. والمقصود بالفريق في السياق القرآني، جماعة أو طائفة من جماعة كبيرة تميز بعمل ظاهر، ويمكن تصنيفها إلى مجموعات هي:

1) فريق من اليهود: كانوا بالمدينة، وهم علماء وأحبار أهل الكتاب، عرفوا الحق فأعرضوا عنه: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة: 75]. وقد نبذوا الحق وراء ظهورهم، بسبب كفرهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة: 101]. وقد كذبوا طائفة من الرسل، وقتلوا طائفة أخرى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾[البقرة: 87]. وقد حكم سعد بن معاذ في يهود بني قريظة لما نقضوا العهد، بقتل الرجال وسبي النساء: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ

فَرِيقًا ﴿26﴾ ﴾ [الأحزاب: 26]. ومعنى: **فريقا تقتلون**: الرجال، وقد قتل منهم المسلمون ما بين (**800 ـ 900**) **يهودي**. ومعنى: **وتأسرون فريقا**: وهم النساء والذرية، وحكم عليهم بالأسر.

وقد حذر الله المسلمين من كيد اليهود، ونهاهم عن السماع لطوائفهم الماكرة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿100﴾ ﴾ [آل عمران: 100].

2) فريق من المسلمين: وكانوا في مكة قبل الهجرة، وتمنوا قتال المشركين، فأمرهم الله في تلك المرحلة أن يكفوا أيديهم ويقيموا الصلاة، فلما كتب عليهم القتال لاحقا، كرهوا ذلك خوفا على أنفسهم من الموت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿77﴾ ﴾ [النساء: 77].

ولما التقى المسلمون بقريش في بدر، كره بعض المسلمين القتال، وحجتهم عدم الإستعداد: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿5﴾ ﴾ [الأنفال: 5].

3) فريق من المنافقين: الذين استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، وطلبوا منه الإنصراف إلى بيوتهم، واخترعوا الأعذار الواهية، وغرضهم التهرب من الجهاد وتبعاته: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿13﴾ ﴾ [الأحزاب: 13].

فريقان

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿45﴾ ﴾
[النمل: 45].

فريقان: جماعتان من قوم نبي الله صالح عليه السلام، فريق من المؤمنين برسالته، والفريق الثاني كذب بها وأعرض عنها، وأخذوا يتنازعون في أمر الدين، بعد بعثة صالح إليهم. وقال الله فيهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿45﴾ ﴾ [النمل: 45].

الفريقين

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ [هود: 24].

الفريقين: فريق من المؤمنين يحفهم التواضع، وفريق من الكفار تمكن من نفوسهم الكبر، فلما سمعوا الآيات القرآنية، وعجزوا عن الرد بالحسنى، أخذوا يفتخرون على المؤمنين، بحالهم من الرخاء في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [مريم: 73]. وقال لهم الله إن كثيرا من الفرق كانت أكثر تنعما منهم فأهلكهم الله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ [مريم: 74]. وقد شبه الله الفريقين بحالة الإنسان المريض، والسليم، وهما لا يستويان:

ـ **فريق الكفار:** شبهوا بالأعمى الذي لا يبصر الحق، والأصم الذي لا يسمع.

ـ **وفريق المؤمنين:** شبهوا بالإنسان السليم الحواس، الذي يبصر الحق، ويسمع الآيات، ويهتدي بالحق.

وأخيرا دعا إلى التذكر والإعتبار مما ضرب من أمثال: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: 24].

فنحاص اليهودي

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية: 14].

وهو أحد يهود المدينة، فعندما نزلت الآية الكريمة: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: 245]. قال فنحاص متهكما: احتاج رب محمد. فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب أخذ السيف، وعزم على قتل فنحاص، وخرج يبحث عنه. فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن ربك يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية: 14].

وقال له جبريل: واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه، وخرج في طلب اليهودي، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه، فلما جاء، قال: ياعمر، ضع سيفك. قال عمر: صدقت يارسول الله، أشهد أنك أرسلت بالحق. قال: فإن ربك يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: 14]. قال: لاجرم، والذي بعثك بالحق، ولا يرى الغضب في وجهي.

أصحاب الفيل

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾[الفيل: 1].

أصحاب الفيل: هم جنود أبرهة الأشرم، وكان ملكا على اليمن ـ في **القرن السادس الميلادي** ـ من قبل ملك الحبشة، فبنى أبرهة كنيسة عظيمة في صنعاء سماها " **القليس** " وأخبر بذلك نجاشي الحبشة، وقيصر الروم، وجلب لها الرخام والفسيفساء، والصناع المهرة، وزخرفها، فلما اكتمل البناء، أراد أن يصرف إليها حج العرب، وتناقل الناس ذلك، فغضب أحد العرب من بني مالك، فسافر إلى اليمن لينتقم من أبرهة، فدخل إلى القليس في غفلة القوم، وقعد فيها ليلا (أي تغوط، وتبرز) ولطخ جدرانها بالنجاسة احتقارا لها، فغضب أبرهة وأقسم أن يسير إلى الكعبة فيهدمها. وفعلا خرج أبرهة ـ **سنة 571م** وهو العام الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بجيش عظيم من الفيلة، يتقدمها فيل كبير عظيم، فلما وصل إلى مكة فَرَّ أهلها إلى الجبال، خوفا من جند أبرهة، بينما تمسك عبد المطلب بباب الكعبة، ومعه نفر من قريش، وهم يدعون الله ويستنصرونه على جيش أبرهة، وقد فوض عبد المطلب الأمر لله ومما قاله يومئذ:

لا هــــم إن العـــبد يمنع رحـله فامـــنع رحـــالك

لا يغلبـن صليبـهم * ومحالهم غدوًا محالك

إن كنـــت تاركـهم وقبلتـــنا فأمـــر ومـــا بـــدالك

ولما أراد أبرهة أن يدخل إلى مكة، رفض الفيل التقدم نحوها خَرَنَ، ثم برك، فإذا وجهوهُ إلى اليمن أو الشام، يسير نحوها مهرولاً، فقد جعل الله كيدهم في نحورهم: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ ﴾[الفيل: 2].

ثم أرسل الله عليهم أسرابا من الطير الأبابيل (كل طائر يحمل ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجليه) والحجارة من سجيل (طين متحجر) ، فكان الحجر يدخل في رأس الرجل ويخرج من دبره، فيجعله جثة هامدة، مثل الزرع بعد حصاده، فتلعب به الريح نحو اليمين، وذات الشمال: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾[الفيل: 3-5].

وأصابت أبرهة، ولكنه بقي حيا ورجع إلى صنعاء ـ وصغر جسمه حتى صار مثل الفرخ ـ وكان في رجوعه عبرة لقومه، فانصدع قلبه من صدره ومات.

﴿حـرف الـقاف﴾

قـابيـل وهـابيـل

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿27﴾﴾ [المائدة: 27].

قابيل وهابيل: وهما ولدا آدم عليه السلام، وذكرت قصتهما في القرآن اجمالا وفيها عبرة للمؤمنين:

* **قابـيل:** هو ابن آدم الأكبر، الذي ولدت معه أخته التوأم وتدعى " **إقليمياء**" وكانت في غاية الحسن والجمال، وكان قابيل فلاحا يزرع الحنطة، ولكنه ذو شخصية سيطر عليها الشر، وتمكن منها حب الإنتقام.

***هابـيل:** وهو ابن آدم الأصغر، الذي ولدت معه أخته التوأم وتدعى "**ليـوذا**" وكانت أقل جمالا من أخت قابيل. وكان هابيل يمتهن رعي الغنم ويمتلكها، ويتحلى بالأخلاق الفاضلة والتقى، والحب والتسامح.

وكان آدم كلما ولد له توآم، يزوج غلام هذا البطن من أنثى البطن الثاني، فأراد قابيل أن يخالف تلك القاعدة، لأن أخته أحسن من أخت أخيه من البطن الثاني، ويرى أنه أحق بها من غيره. فقال لهما آدم عليه السلام، قربا قربانا، فأيكما قبل قربانه زوجتها منه. فاختار هابيل أحسن شاة من غنمه وجعلها قربانا، بينما اختار قابيل قربانا من الحنطة الرديئة، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل ـ وهو دليل على تقبل قربانه ـ وتركت قربان قابيل على حاله، فحسد قابيل أخاه وعزم على قتله؛ وقد قال تعالى مبينا ذلك في الآيات الصريحة لتكون محل عبرة للناس: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿27﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿28﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿29﴾﴾ [المائدة: 27-29]. وبلغ به الحسد مبلغا عظيما، فعمي عن الحق، وعصى ربه، وزين له الشيطان قتل أخيه، فأخذ يتحين فرصة غياب والده؛ فقد أمر الله آدم بزيارة بيت الله بمكة، فترصد قابيل لأخيه الصغير هابيل ـ وكان عمره آنذاك **عشرين سنة** ـ فقتله قرب جبل ثور بمكة، وقال ابن عباس: بل عند عقبة حراء.

ولما نفذ جريمته ندم على فعلته الشنيعة، وصار من الخاسرين: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿30﴾﴾ [المائدة: 30].

ثم قعد قابيل يبكي عند رأس هابيل، ولا يدري ماذا يفعل، فبعث الله له غرابان فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، ثم حفر حفرة فدفنه فيها، فقام قابيل من فوره فواراه (دفنه) التراب ثم هرب إلى أرض عدن ببلاد اليمن: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿31﴾﴾ [المائدة: 31].

وتعد أول جريمة قتل وقعت في الأرض، فكل جريمة بعدها يكون لقابيل منها الوزر لأنه أول من سن القتل، فقد قتل نفسا واحدة، ولكنه عند الله كأنما قتل الناس جميعا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿32﴾﴾ [المائدة: 32].

والجدير بالذكر في هذا المجال: يوجد بجبل قاسيون المشرف على مدينة دمشق من جهة الشمال مغارة تدعى (مغارة الدم) يعتقد العامة أن قابيل قتل أخاه هابيل عندها. كما يوجد على يمين الطريق ما بين دمشق والزبداني وبلودان، وعند منطقة (التكية) جبل مشرف على وادي نهر بردى، به قبر طوله نحو خمسة عشر مترا، يعتقد بعضهم أنه قبر هابيل.

القبلة

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴿143﴾﴾ [البقرة: 143].

القبلة: هي موضع اتجاه المسلم أثناء أداء العبادة، وهي الصلاة وغيرها، وقد مرت في حياة المسلمين بمرحلتين:

ـ **القبلة الأولى: نحو بيت المقدس:** فقد أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أثناء العهد المكي باستقبال الصخرة في بيت المقدس بفلسطين، فكان يصلي بين الركنين، فكانت الكعبة بين يديه، وفي نفس الوقت يستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهما، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، فكانت الكعبة خلفه، فكان يتمنى أن يوجه إليها لأنها قبلة إبراهيم عليه السلام. ولكن الذي أحزن النبي صلى الله عليه وسلم، تلك الأقاويل الصادرة من سفهاء اليهود، فكانوا يقولون: " **إن محمدا يخالف ملتنا ويتبع قبلتنا** " فضاق صدره صلى الله عليه وسلم، وأخذ يقلب وجهه في السماءمتضرعا بدعائه إلى الله

أن يوجهه نحو الكعبة، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴿١٤٤﴾ ﴾[البقرة: 144].

روى **البخاري** عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا. وقد صرفت القبلة نحو الكعبة المشرفة في يوم الاثنين النصف من شهر رجب في السنة الثانية من الهجرة.

ولكن أراجيف اليهود والمشركين، أخذت تشكك في هذا التحول، وقد رد الله كيدهم، وبين القرآن الكريم، أن المقصود من التوجه هو ابتغاء وجه الله، كما أمر، ونزلت الآية الكريمة: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[البقرة: 142].

وجعل الله تحويلها إلى المسجد الحرام، إمتحانا فقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة: 143].

ـ **القبلة الثانية: نحو الكعبة المشرفة:** وهي القبلة الخالدة، والتي جعلها الله قبلة الصلاة، وجعل استقبالها واجب على كل مسلم مع الأمن والقدرة، وهي شرط في صحة الصلاة، والناسي لوجوب الإستقبال، يعيد الصلاة أبدا.

ويتوجه إليها المسلم في أي بقعة من الارض، فقد روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **البيت (أي الكعبة) قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي** ".

ويندب للمسلم أن يستقبل القبلة عند الوضوء وأثناء الغسل، إن أمكنه ذلك بدون مشقة، وعند الأذان، وأثناء شخوص بصره في وقت الإحتضار، وأثناء الدعاء، وعند تلاوة القرآن، ويطالب بها عند ذبح الأنعام، ويحرم عليه استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة إن كان في الفضاء الخارجي.

قبلة اليهود

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿87﴾ ﴾[يونس: 87].

مرت قبلة بني إسرائيل بمرحلتين، وأول إتجاه كان نحو قبلة إبراهيم:

ـ **القبلة الأولى: نحو الكعبة:** قال القرطبي: " قال أكثر المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة، فلما أرسل الله موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذوا لبني إسرائيل بيوتا بمصر، أي مساجد، ولم يرد المنازل المسكونة.. " ولكن التوجه في كل الحالات كان نحو الكعبة، قال ابن عباس: وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه. قال مجاهد: ﴿ وَاجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴿87﴾[يونس: 87]. لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة، أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا.

ـ **القبلة الثانية: نحو بيت المقدس:** ولما خرجوا من مصر واستقروا في الأرض المقدسة، تحولت قبلتهم نحو بيت المقدس وهي قبلتهم إلى اليوم.

أصحاب القرية

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿13﴾ ﴾[يس: 13].

القرية هي مدينة **أنطاكية** ببلاد الشام، أرسل الله إلى قومها ثلاثة من الرسل لهدايتهم، اثنين في أول الأمر وهما " **صادق** " و" **مصدوق**" فكذبوهما فأرسل لهم رسولا ثالثا هو " **شمعون**" وقيل هم رسل عيسى عليه السلام، وكانوا مؤيدين بالمعجزات ومنها إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، ومع ذلك وجدوا الجحود والإعراض من أهل أنطاكية: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿13﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿14﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿15﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿16﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿17﴾ ﴾[يس: 13-17].

ورفض أهل القرية ترك عبادة الأوثان، وتشاءموا من دعوة المرسلين وهددوهم ـ إذا لم يكفوا عن الدعوة ـ أن يرجموهم بالحجارة حتى يموتوا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾[يس: 18-19].

ولكن الله ساق إليهم رجلا يدعى " **حبيب النجار**" آمن على أيدي المرسلين، ونصرهم على قومه، ودافع عن دعوتهم، ولكنهم قتلوه ففاز بالشهادة وأدخله الله الجنة: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾[يس: 25-27].

أما أهل أنطاكية فعاقبهم الله على كفرهم وظلمهم، فصاح بهم جبريل صيحة واحدة، فإذا هم ميتون، وصاروا كالنار الخامدة: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾[يس: 28-29]. وختم الله القصة بتنبيه البشر إلى موطن العبرة والعظة مما يسمعون، لأن تكذيب الرسل والدعاة على مدار الزمان يؤدي إلى الهلاك، ويبعث الله الناس يوم القيامة، ويحضرهم ويعذبهم عذابا شديدا: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾[يس: 30-32].

القرية

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ [الأعراف: 94].

ـ **القريـة:** هي المدينة أو العمران البشري، وذكرت نعتا لبعض البلدان تصريحا أو تلميحا، ويمكن تحديد ذلك في الكتاب الكريم، حسب الأمثلة التالية:

*__مكة المكرمة:__ وسماها القرآن " **القرية الآمنة المطمئنة** " فقد خصها الله بالأمن والإستقرار، وبسط على أهلها الأرزاق تأتيهم من كل مكان، فكفروا بنعمة الله، وكذبوا محمداً رسول الله، فأصابتهم الأزمات السياسية، والإقتصادية، والحرمان من الطعام والشراب، وغلاء المعيشة. قال الرازي: "... ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فكفروا به وبالغوا في إيذائه، فعذبهم بالقحط والجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام". وقال الله فيهم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ

مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿112﴾ ﴾[النحل: 112].

كما سماها الله في موطن آخر **بالقرية الظالم أهلها**، بسبب ظلم المؤمنين وتعذيبهم ومنعهم من الهجرة، والتآمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصميم على قتله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿75﴾ ﴾[النساء: 75]. وأخبر القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قرى أشد ظلما وطغيانا من أهل مكة، فأخذهم الله بظلمهم، وأهلكهم، وجعلهم عبرة للعالمين، ونزلت الآية الموالية، لبعث الأنس في قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وفي نفوس أصحابه، فقال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿13﴾ ﴾[محمد: 13].

* **بيت المقدس:** التي أمر الله بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر ـ مع موسى عليه السلام ـ أن يدخلوا الأرض المقدسة وهي ميراث أبيهم إسرائيل، ليقاتلوا من فيها من العماليق، ولكنهم ضعفوا واستكانوا، فرماهم الله في التيه عقوبة لهم: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿58﴾ ﴾[البقرة: 58]. وأمرهم أن يسكنوا بيت المقدس ويأكلوا من ثمارها، ويقدموا التوبة عند دخولهم إليها، ولكنهم كانوا من المعرضين: ﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿161﴾ ﴾[الأعراف: 161].

كما ذكرت في قصة عزير عندما مر على بيت المقدس بعدما خربها بختنصر: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴿259﴾ ﴾[البقرة: 58].

* **أيـلة:** وهي تقع على شاطئ بحر القلزم (البحر الأحمر)، وحدثت بها قصة أصحاب السبت: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴿163﴾ ﴾[الأعراف: 163].

***نينوى:** وهي قرب الموصل ببلاد العراق، وقد بعث الله إليها يونس عليه السلام، فكذبوه، ولما خرج من عندهم رجعوا إلى أنفسهم فآمنوا فنفعهم إيمانهم، وهم القرية الوحيدة التي نفعها إيمانها: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ

﴿قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿98﴾﴾ [يونس: 98].

*مصر: ووردت في قصة يوسف، عندما طلب اخوته من أبيهم ان يسأل أهل مصر الذين كانوا عندهم، وذلك معنى القرية: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿82﴾﴾ [يوسف: 82].

* أنطاكية: وهي في شمال بلاد الشام، وهي المدينة التي قصدها موسى مع الخضر عليهما السلام، وأقام بها الجدار: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾﴾ [الكهف: 77]. وسماها المدينة في الجزء الثاني من القصة: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴿82﴾﴾ [الكهف: 82]. وهي نفس المدينة في قصة حبيب النجار: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿13﴾﴾ [يس: 13].

* مدين: ببلاد الشام شرق خليج العقبة، وقد أرسل الله لهم شعيبا فكذبوه، وأرادوا إخراجه فأهلكهم الله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿88﴾﴾ [الأعراف: 88].

*سدوم: وهي عاصمة القرى التي بعث إليها لوط عليه السلام، ففسقوا وكفروا بالله، فأرسل الله الملائكة إلى إبراهيم وأخبروه بوجهتهم وهي إنزال العذاب بقوم لوط: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿31﴾﴾ [العنكبوت: 31]. ونجى الله لوطا: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿74﴾﴾ [الأنبياء: 74]. وكانت قريش تمر في تجارتها إلى بلاد الشام بقرية سدوم، التي أهلكت بحجارة من السماء، فهل كانت قريش تأخذ العبرة من ذلك المرور: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿40﴾﴾ [الفرقان: 40]. قال ابن عباس: كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط. وذكّر الله قريشا وهم يمرون على قرى قوم لوط ليلا ونهارا: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿137﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿138﴾﴾ [الصافات: 138].

وقارئ القرآن، وهو يتلو الآيات، ينبغي أن يأخذ العبرة من وقائع كل قرية، وما حدث لها، وكيف عامل الله قومها، حتى نتجنب كل مزالق وأخطاء السابقين، ونبني حضارة بنور القرآن الكريم.

القـريتيـن

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿31﴾ ﴾[الزخرف: 31].

القريتين: وهما ببلاد الحجاز، وقد تمنى مشركوا قريش أن ينزل الله القرآن على أحد رجلين، من إحدى البلدتين:

***مكـة:** ويعنون **الوليد بن المغيرة.**

***والطائف**: ويعنون **عروة بن مسعود الثقفي.**

واستبعدوا أن ينزل القرآن على **محمد صلى الله عليه وسلم**، لأنه فقير يتيم، وقد أنكر الله عليهم هذه القسمة بقوله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿32﴾ ﴾[الزخرف: 32].

الـقـــرى

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿96﴾ ﴾
[الأعراف: 96].

ذكر الله القرى في القرآن بصيغة الجمع لتذكير البشر بقدرته على اسباغ النعم على الدول والبلدان التي تقدم الإيمان وتذعن بالطاعة لله، وفي المقابل يكون انتقام الله شديدًا من اهل القرى والمدن الكافرة بأنعم الله. وقد وضع الله ضوابط للناس في بلدانهم، وأمرهم أن يتذكروا، حتى تجري عليهم سنة الله بالعدل التام، ومنها:

1) دعوة القـرى إلى الله تعالى: فأرسل الله الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، وأيدهم بالكتب، وفوض الأمر من بعدهم لأتباعهم من الدعاة، فمن استجاب نجح ومن أعرض هلك. وضرب الله لأهل مكة مثلا، وأخبرهم عن حال من كان بجوار بلادهم فأُهلكوا بسبب كفرهم وضلالهم، وهي قرى عاد وثمود وسبأ ولوط، فقد دمروا تدميرا، وقال الله فيهم: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿27﴾ ﴾[الأحقاف: 27].

2) **تنزيل الخيرات في القرى الملتزمة بالحق:** فتنزل الخيرات من السماء، وتتفجر البركات من الأرض بقدرة الله، وتمسك عنهم الخيرات إذا ظلموا أنفسهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)﴾[الأعراف: 96].

3) **عاقبة الظالمين هي الدمار:** اقتضت حكمة الله أن القرى الظالمة يكون مآلها الدمار﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)﴾[هود: 102]. ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (59)﴾[الكهف: 59].

* وورد في القرآن ذكر بعض القرى، وما حدث لها، وهي:

ـ **أم القرى:** وهي مكة، وكانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هي تبليغ مكة ومن حولها أمر الله: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92)﴾[الأنعام: 92]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7)﴾ [الشورى: 7].

ـ **القرى الظاهرة:** وهي قرى كثيرة كانت معروفة، وتمتد ما بين اليمن وبلاد الشام، بلغ عددها نحو أربعة آلاف وسبعمائة قرية بورك فيها بالشجر والثمر والماء: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18)﴾ [سبأ: 18]. وكانت الطريق آمنة ما بين هذه القرى المتواصلة، والتي تقاربت إشجارها وكثرت ثمارها، حتى أن المسافر لا يحتاج إلى حمل زاده، فكلما نزل وجد الماء والثمار. قال الحسن: كانت المرأة تخرج معها مغزلها وعلى رأسها مكتلها ثم تلتهى بمغزلها فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء مكتلها من الثمار. ولكن أهلها نسوا شكر النعمة فمزقهم الله وجعلهم أحاديث، ومحل عبرة للعالمين: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)﴾ [سبأ: 19].

ـ **قـــرى اليهـود:** وموقعها ببلاد الحجاز وأطرافها، والتي جعلها الله غنيمة للمسلمين بدون قتال: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ (7)﴾[الحشر: 7]. قال ابن عباس: هي قريظة، والنضير، وفدك، وخيبر.

قبيلة قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾ [قريش: 1].

قريش: هم أهل مكة، وأكبر قبيلة سكنتها، وهي تنتمي إلى خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر من عرب الشمال العدنانية، وسميت بهذا الاسم لعدة إعتبارات منها:

1) هو نسبة لاسم جدها الأعلى ويدعى النضر بن كنانة. قال ابن هشام: النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي.

2) نسبة إلى **كنانة** التي اشتغلت بالتجارة وعملت على جمع مال كثير، والجمع والكسب يدعى **التقريش.**

3) وقيل نسبة إلى **فهر**، لأن فهر بن مالك بن النضر كان له ثلاثة أولاد، فتفرقوا ثم تجمعوا، فقالت بكر: (تقرش بنو جندلة) أي تجمعوا، وجندلة بنت الحارث بن مضاض هي أمهم.

4) وقيل إن اسم قريش مشتق من كلمة **التقريش** أي التجميع لأن قصي بن كلاب جمع بطون كنانة وناهض بهم خزاعة وانتزع منها حكم مكة وسدانة البيت، فسمي لذلك مجمعا، وفي ذلك قال حذافة بن غانم العدوي:

قصي لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وكان قصي أول رؤساء مكة من قريش، ويدعى زيدا، وكانت قريش في عهده قسمين:

ـ **قريش البطاح:** لأن قصيا جمع بطون قريش في الأبطح من مكة، فجعلوا منازلهم في الشعب بين جبل أبي قبيس والذي يقابله، وهو باطن مكة وفي وسط الكعبة، وكانوا عدة بطون منهم بنو هاشم وبنو أمية، وبنو عبد الدار، وبنو عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب. وكانوا أصحاب القوافل والتجارة والجاه في مكة، مع رعاية البيت الحرام.

ـ **قريش الظواهر:** وهم الذين لم يُدخلهم قصي الأبطح، فسكنوا في أطراف مكة خارج الشعب، وكانوا من بطون قرشية مختلفة، ويمارسون الغزو والغارات، وهم اقرب إلى البداوة، وسكن معهم بعض العرب وتحالفوا معهم. ومنهم بنو معيص، وتيم، والحارث وغيرهم.

ووضعت قريش مقاليد الحكم في يد قصي الذي أسس دار الندوة، وأشرف على أمر الحجاج، فكانت في يده سدانة البيت والسقاية والرفادة واللواء، فلما كبر سلم ذلك إلى أكبر أولاده ويدعى عبد الدار، وبعد وفاته اتفق أمر قريش على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف، والحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، واستمر ذلك إلى زمن البعثة، فنزلت سورة قريش تدعوا القوم إلى التآلف والتجمع على الحق،

وعبادة الله وشكر نعمته لأنه وفر لهم الأمن وبسط لهم الرزق: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾[قريش: 3-4].

كما أكرمهم الله بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى هاشما من قريش، واصطفاني من بني هاشم**". قال أبو عمر بن عبد البر: يقال بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنو هاشم فخذه، وبنو عبد مناف بطنه، وقريش عمارته، وبنو كنانة قبيلته، ومضر شعبه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين.

قارون

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۝٧٦ ﴾[القصص: 76].

ـ **نسبه:** وهو من بني إسرائيل، وكان قريب النسب من موسى عليه السلام، وذكر كثير من المفسرين أنه ابن عم موسى فقالوا: " هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب ". قال قتادة: كنا نتحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله.

ـ **نفوذه السياسي:** صار قارون من أشراف المجتمع الفرعوني ـ رغم نسبه الإسرائيلي ـ لأن فرعون جعله رئيسا على بني إسرائيل، وملكه عليهم، وكلفه بتولي شؤونهم، والفصل في قضاياهم، واختاره فرعون بسبب قدرته على خدمة الدولة وحسن الولاء للحكم. وتحول إلى شريك في الحكم، فخاطبه الله مع فرعون، في إشارة قرآنية صريحة، تنبيها إلى نفوذه في سدة الحكم. فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤ ﴾[غافر: 23-24]. وأضاف إلى التكذيب بموسى، الاستكبار والتعالي في الارض، قال تعالى: ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝٣٩ ﴾[العنكبوت: 39].

ـ **نفوذه الاقتصادي:** وضرب الله قارون مثلا لكل غني يطغى بماله الكثير: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ ﴾[العلق: 6-7]. فقد منحه الله أموالا تعجز العصبة على حمل مفاتيح خزائنها: ﴿إِنَّ

﴿قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴿76﴾﴾[القصص: 76].

ولما ظهر منه التعالي والتجبر في الأرض، نصحه قومه وذكروه، ونهوه عن التكبر لأن مآله الهلاك: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿76﴾﴾[القصص: 76]. ودعوه إلى السير وفق مبدأ التوازن في سياسته المالية، ويرتكز هذا المبدأ على الأسس التالية:

1) أن تكون الآخرة مبتغاه الأساسي: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ ﴿77﴾﴾[القصص: 77].

2) أن يأخذ نصيبه الكافي من الدنيا، ويتمتع بحلالها الطيب. قال الحسن: أي لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ ﴿77﴾﴾[القصص: 77].

3) أن يحسن إلى الخلق، بانفاق المال في السبل التي تفيد العباد والبلاد، ويتذكر فضل الله عليه في إنعامه بتلك الأموال الطائلة، ويكون شكر الله بحسن الإنفاق: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴿77﴾﴾[القصص: 77].

4) أن يتجنب الفساد في الأرض، لأن الله يبغض المفسدين الذين يستغلون المال والجاه والسلطان في التسلط على الناس: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿77﴾﴾[القصص: 77].

ولكن قارون تمادى في غروره، وصم آذانه عن النصائح الغالية، وتنكب للمنهج القويم، وأجاب قومه بلسان القول والحال: فقال أن المال قد كسبه بعلمه وفطانته، وأن الله أعطاه المال لأنه عنه راض: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ ﴿78﴾﴾[القصص: 78]. فرد عليه الله بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿78﴾﴾[القصص: 78].

ـ **حياة الغرور والترف:** وخرج قارون ذات يوم في زينة عظيمةومعه أتباعه وخدمه وجواريه وغلمانه، تحيط بهم مظاهر الزينة الباهرة، يلبسون ثيابا من الحرير الخالص مزينة بالحلي والذهب، ويركبون الخيول الموشحة بالذهب وهم في موكب حافل بمظاهر الزينة والتكبر. فأخذ ذلك بألباب الضعفاء فتمنوا أن يكون لهم المال مثل قارون، فنصحهم أهل العلم والدين، بأن ذلك ظل زائل، وإنما ينفع ثواب الله المتقين الصابرين: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ

قَارُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ (79) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ (80) ﴾ [القصص: 79-80].

ـ **هلاك قارون:** وكان مصيره الهلاك، فخسف الله به وبداره الأرض، فضاع كل شيء في طرفة عين، وجعله عبرة للناس، فندم الضعفاء، وحمدوا الله على نجاتهم: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ (81) وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ (82) ﴾[القصص: 81-82].

ـ **العبرة من قصته:** وختم الله قصة قارون بعبرة خالدة، مفادها أن العاقبة السعيدة يوم القيامة تكون لأهل التقى الذين يغلبون القيم على المادة، فتسموا نفوسهم، فيفوزون بالرضوان الرباني، ويتمتعون بالنعيم في الدنيا، والخلود في جنات النعيم: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ (83) ﴾[القصص: 83].

القسيسين

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ (82) ﴾[المائدة: 82].

ـــ **القس، أو القسيس:** هو اسم لرئيس النصارى في وسطهم الديني، وهي رتبة دينية بين الأسقف والشماس. وتجمع قسيسون أو قسوس أو قساوسة، وهم الخطباء والعلماء من النصارى. وذكر القرآن أنهم أقرب مودة للمؤمنين لأن منهم علماء وعبادا، يتأثرون بالقرآن فتفيض أعينهم من الدمع بسبب تذكرهم، مثلما حدث للنجاشي وأصحابه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (83) ﴾[المائدة: 83].

قيس بن صرمة الأنصاري

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴿187﴾﴾ [البقرة: 187].

وقيل قيس بن مالك بن أوس بن صرمة المازني. **أخرج البخاري** عن البراء بن عازب قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته، ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال: هل عندك طعام؟ فقالت: لا، ولكن أنطلق، فأطلب لك؛ وكان يومه يعمل، فغلبته عينه، وجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه؛ فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴿187﴾﴾ [البقرة: 187]. ففرح بها الصحابة فرحا شديدا. فقد أباح الله الأكل والشهوات من وقت المغرب إلى طلوع الفجر، رحمة من الله بعباده، وتخفيفا في الدين، ورفعا للحرج على المسلمين في شهر الصيام.

﴿ حرف السين ﴾

سارة بنت هاران

﴿ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿71﴾ ﴾ [هود: 71].

وهي زوجة الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ وتدعى سارة بنت هاران (أوهازان) بن ناحور (أو باحور) بن ساروع... وقيل هي بنت فوهن بن باحور... وقيل أيضا هي سارة بنت بثويل بن ناحور... وقيل هي ابنة ملك حران طعنت على قومها في الدين فتزوجها إبراهيم، والأرجح أنها إبنة عم إبراهيم وهو "هاران بن ناحور".

وقد تنقلت مع زوجها في الأرض مهاجرة إلى بلاد الشام، ومنها إلى مصر، وبعد عشرين سنة من إستقرار زوجها في فلسطين - وكانت آيسًا من الإنجاب ـ فوهبت لزوجها مملوكتها هاجر القبطية، وقالت له: " لعل الله يرزقك منها ولدا ". فاستجاب الله دعاء سارة، فولدت هاجر إسماعيل، فتأججت الغيرة عند سارة وطلبت من إبراهيم أن يخرج هاجر، فاستجاب للأمر بوحي من الله، واسكنها بمكة المكرمة. وبقي مع زوجه سارة، ولكنه يتعهد زوجته وابنها في مكة بالزيارة فقط لأن سارة اشترطت عليه عدم الإقامة هناك.

ولما بلغت سارة من العمر تسعين سنة جاءتها البشرى من الملائكة، الذين أرسلهم الله تعالى بعذاب قوم لوط وهم (جبريل ومكائيل وإسرافيل) ، وفي طريقهم نزلوا ضيوفا على الخليل إبراهيم فأحسن الضيافة، فأتاهم بعجل مشوي بحر الحجارة من غير أن تمسه النار، وكانت زوجته سارة في خدمة الضيوف (الملائكة) وزوجها جالس. ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿24﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿25﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿27﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿28﴾ ﴾ [الذاريات: 24-28]. فلما سمعت البشرى ضحكت سرورا لأن إبراهيم عليه السلام فرح بالولد منها، ولطمت وجهها تعجبا على عادة النساء، وقالت كيف ألد في هذه السن وزوجي صار شيخا كبيرا؟ فكان جواب الملائكة الكرام لها ـ وفي قصتها عبرة للناس من بعدها ـ كيف تعجبين من أمر الله وهو على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء، وهو يقول للشيء كن فيكون: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿71﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ

وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: 71-73]. وكانت ولادة اسحاق بعد إسماعيل.

ـ **وفاتها:** توفيت سارة وهي ابنة **127سنة** بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان في قرية حبرون من بلاد بني حبيب، فقد طلب إبراهيم منهم مقبرة ليدفن فيها زوجته سارة، فوهبه عفرون بن صخر مغارة كانت في مزرعته، فامتنع من قبولها إلا بالثمن، فوافقه الرجل، فاشتراها ابراهيم منه باربعمائة مثقال من الفضة، ودفنها في المغارة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أولاد المسلمين في جبل في الجنة وكفلهم إبراهيم وسارة، فإذا كان يوم القيامة دفعوهم إلى آبائهم"** أخرجه الحاكم في مستدركه.

فلما ماتت سارة تزوج إبراهيم بامرأة من الكنعانيين تدعى قطورا (أو قنطورا) بنت يقطان الكنعانية، فولدت له ستة أولاد هم: زمران، ويقشان، ومدان، ومدين، وأشيق، ووشوخ. وتزوج بامرأة أخرى من العرب، هي حجون بنت أهيب، فولدت له خمسة بنين هم: كيسان، وفروخ، وأهيم، ولوطان، ونافس. فكان مجموع أولاد إبراهيم بما فيهم إسماعيل واسحاق، ثلاثة عشر ولدا.

قوم سبأ

﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ ﴿١٥﴾ ﴾ [سبأ: 15].

أطلق اسم سبأ على ارض باليمن، لها مدينة تدعى مأرب، وسميت بهذا الإسم لأنها كانت منازل قبيلة من ولد جدهم سبأ (عبد شمس) بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان له عدة أولاد منهم: حمير وكهلان وعمرو وأشعر وعاملة، وجميع قبائل عرب اليمن وملوكها من ولد سبأ ؛ وجميع تبابعة اليمن من ولد حمير بن سبأ ما عدا عموان وأخيه مزيقيا فإنهما أبناء عامر بن حارثة.

وذكر في سبب تسميته بهذا الاسم **(سبأ)** عدة أقوال، منها أنه أول ملك من العرب سبى السبي وأدخل تلك السبايا إلى بلاد اليمن؛ وقيل هو الذي بنى مدينة سبأ و (سد مأرب) ، وعندما حدث سيل العرم في مأرب تفرق أهل أرض سبأ في البلاد، وسارت كل طائفة من القوم إلى جهة من الأرض، فضربت العرب بهم المثل في تفرقهم فقيل: **ذهب القوم أيدي سبأ**، وأيادي سبأ، أي متفرقين.

وقامت مملكة سبأ في جنوبي غربي الجزيرة العربية منذ سنة **950 ق م**؛ واحكمت سيطرتها على بلاد الحبشة، وكانت عاصمتها **مأرب**، وأشهر ملوكها، الملكة **بلقيس بنت الهدهاد**، التي أسلمت مع سليمان لله

رب العالمين، وهي التي أخبر الهدهد أنها تحكمهم: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿22﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿23﴾﴾ [النمل: 22-23].

واشتهرت مملكة سبأ بحضارتها وعمرانها، وازدهرت حياة الناس بعد الإيمان بالله، فوهبهم أرضا خصبة ومكنهم من السيطرة على مياه الأمطار التي شيدوا لها سدا منيعا بين جبلين ويعرف بسد مأرب، وساهم ذلك السد في الرخاء الإقتصادي للبلاد التي أنتجت الثمار والفواكة من مختلف الأنواع والأشكال، واحتوت على بساتين في جانبي السد تروى بمياهه العذبة وتنتج أحسن الثمار، وسماها القرآن بالجنان: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴿15﴾﴾ [سبأ: 15].

وكانت الحياة رغدة ميسرة، قال قتادة: كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار، تسر الناس بظلالها، وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتّل أو زنبيل، فيتساقط من الأشجار ما يملؤه من غير كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه. وأمرهم الله بشكر النعم التي أسداها لهم ومنها البلدة الطيبة، والرزق الحسن، والهداية إلى الصراط المستقيم، والعفو عن الزلات وغفران الذنوب: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿15﴾﴾ [سبأ: 15]. ولكنهم غفلوا واغتروا، وقابلوا تلك النعم بالجحود فعاقبهم الله بالحرمان، وخرب بلادهم بسيل العرم، فتحولت إلى أرض جرداء قاحلة. وانهارت هذه الدولة في حدود عام **115 ق. م.**

الأسباط

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴿136﴾﴾ [البقرة: 136].

الأسباط: جمع سبط، وهو الولد أو ولد الولد (أي الحفيد)، ويطلق السبط على ولد البنت ايضا، ولكن في القرآن وكلهم من نسل يعقوب بن اسحاق، وقد ذكر في صفتهم عدة أقوال:

* **أبناء يعقوب:** كان ليعقوب عليه السلام أربع زوجات، رزق منهن باثني عشر ولدا هم الأسباط:

- فزوجته (**ليئة**) ولدت له: رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون.
- وزوجته (**راحيل**) أنجبت له: يوسف عليه السلام، وبنيامين.
- وزوجته (**بلهة**) ولدت له: دان، ونفتالي.
- وزوجته (**زلفا**) ولدت من الأبناء: جاد، وأشير.

* **أحفاد يعقوب:** وجميع بني إسرائيل هم من نسل أولاد يعقوب الاثنى عشر، وقد أصبح كل ولد من أولاده أبا لسبط من أسباط بني إسرائيل. قال الزمخشري في الكشاف: الأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثنى عشر.

* **الجماعة أو القبيلة:** فكل رجل من أولاد يعقوب عليه السلام، ولد أمة من الناس أو شعبا، فعرفوا بالأسباط، والسبط على هذا الرأي هو الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد. قال القرطبي: وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة. وفي السبط معنى الكثرة، ومنه السبط وهو الشجر الذي تعلفه الإبل، والشجرة الواحدة سبطة. وقال الخليل بن أحمد: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل. (أي قبائل العرب). وكانوا في عهد موسى عليه السلام موزعين إلى قبائل شتى، وبلغ العدد بالتحديد إثنى عشر قبيلة: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: 160]. ولما استولى عليهم العطش في التيه، أوحى الله إلى موسى فضرب الحجر بالعصى، فانفجر من الحجر اثنتا عشرة عينا من الماء على عدد أسباط بني إسرائيل، فاتجهت كل قبيلة إلى العين التي خصصت لهم، حتى يتجنبوا الهرج والفوضى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف: 160].

وأمر الله أهل الإسلام أن يؤمنوا بالأنبياء وخاصة الأسباط الذين كانت فيهم النبوة متتابعة: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: 136]. وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بقول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾[آل عمران: 84]. وظهرت النبوة في بطون بني إسرائيل المتشعبة من ذرية يعقوب عليه السلام كما يلي:

- **سبط لاوى:** ظهرت فيهم النبوة في الأنبياء: موسى، وهارون، والياس، واليسع.
- **سبط يهوذا:** ظهرت فيهم النبوة في الأنبياء: داود، وسليمان، وزكريا، ويحي، وعيسى.
- **سبط بنيامين:** ظهرت فيهم النبوة في نبي واحد هو: يونس عليه السلام.
- **أما يوسف عليه السلام:** فهو النبي الوحيد من أولاد يعقوب، كما ورد في قصة المؤمن الذي نصح قومه بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾[غافر: 34]. وقال ابن عباس: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا

عشرة: نوحا، وشعيبا، وهودا، وصالحا، ولوطا، وإبراهيم، واسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، ومحمد صلى الله عليه وسلم.

أصحاب السبت

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴿163﴾ ﴾ [الأعراف: 163].

وهي قرية على شاطىء البحر، واختلف العلماء في تحديدها، فقال الزهري: هي طبرية. وقال ابن عباس: هي مدين بين أيلة والطور. وقال قتادة وزيد بن أسلم: هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينون، يقال لها مقناة. والقول الراجح أنها قرية " **أيلة** " الواقعة في شمال خليج العقبة، كانت مسكنا لقوم من بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام، وقد حرم الله على أهلها صيد الحيتان وسائر العمل في يوم السبت، وأمرهم الله أن يتفرغوا لعبادته سائر اليوم، وابتلاهم الله يوم السبت بحضور الأسماك بكثرة قرب الخليج، فَيظهرن الخراطيم خارج الماء، فإذا مر يوم السبت يتفرق السمك، ويدخل إلى عرض البحر، ولا يبقى منه إلا قليلا. ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿163﴾ ﴾[الأعراف: 163].

ولكن بعض أهل القرية غفلوا عن الله، ونسوا أمر الإمتحان، وعمدوا إلى الحيلة، فكانوا يلقون الحبال(أوالشباك) في البحر يوم الجمعة، فتقع فيها الأسماك يوم السبت فيتركوها على حالها، فإذا دخل يوم الأحد، يأخذوا كل السمك المتجمع في الحبائل. وذكرت لهم طريقة أخرى في الصيد الممنوع، وتمثلت في حفر حياض حول البحر، وربطوها بقنوات، فإذا حلت عشية الجمعة، فتحوا تلك القنوات فيدفع الموج بالحيتان إلى الحياض العميقة، فترسب الأسماك في تلك الحياض لعمقها وقلة الماء فيها، وفي يوم الأحد يقومون بجمعها.

وكان أهل القرية نحو**70 ألف نسمة،** وانقسموا إلى ثلاثة أصناف: قسم من السكان أمسكوا عن الصيد وقاموا بنهي المعتدين، وقسم أمسكوا ولكنهم تخلوا عن النصح: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿164﴾ ﴾[الأعراف: 164]. والقسم الثالث هم المجرمون الذين انتهكوا حرمة السبت، ورفضوا

قبول النصيحة، فقال الناهون والممسكون: والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة، ثم قسموا القرية بينهم بجدار، ومكثوا على ذلك عدة سنين، ولعن الله المجرمين على لسان داود عليه السلام، وذات يوم أنزل الله عليهم العذاب ومسخهم قردة وخنازير: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝١٦٥ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝١٦٦﴾[الأعراف: 165-166]. قال قتادة: صار الشباب قردة، والشيوخ خنازير.

ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم، وأهلكهم الله بعد ثلاثة أيام. قال ابن عباس: "لم يعش مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل ". ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم في البحر.

وجعل الله قصتهم عبرة للناس اجمعين: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝٦٥ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٦٦﴾[البقرة: 65-66].

وحذر الله اليهود من المسخ، مثلما مسخ أصحاب السبت، في الزمن الغابر، والله على كل شيء قدير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ۝٤٧﴾[النساء: 47].

المسجد

﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ ۝٧﴾[الإسراء: 7].

المسجد: المسجَد (بفتح الجيم) هي جبهة الرجل لأنها تصيب الأرض عند السجود، أما **المسجِد** (بكسر الجيم) وجمعها مساجد فهي الموضع الذي يسجد فيه المصلي، وأطلقت على كل موضع يتعبد فيه، وصارت الأرض كلها مسجداً للمسلم، وهي مما اختص الله به هذه الأمة دون غيرها، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**... وجُعلت لي الأرض طهورا ومسجدا...** "**رواه مسلم.**

والمسجد هو أول بيت بني لعبادة الله في الأرض، وقد أمر الله برفع المساجد، ودعا عباده إلى تعميرها والإشتغال فيها بذكر الله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦﴾[النور: 36].

وقد أثنى القرآن الكريم على عمّار المساجد، وأكد على الصفات الحسنة التي تقربهم من الله في بيته: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿18﴾﴾[التوبة: 18]. ودعاهم إلى التوجه الصادق عند كل مسجد: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿29﴾﴾ [الأعراف: 29]. وحذر الله البشر من الإعتداء على المساجد، لأنها أشد أنواع الظلم في الأرض: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿114﴾﴾[البقرة: 114]. مثلما فعل الرومان من النصارى في بيت المقدس بالهدم، أو بتعطيلها من العبادة كما فعل كفار قريش في المسجد الحرام. قال قتادة: أولئك أعداء الله النصارى حملهم إبغاض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس. وروي أن ذلك التخريب بقي إلى زمن عمر رضي الله عنه.

وجعل الله تعالى من مقاصد تشريع الجهاد في سبيل الله، هو حماية العقيدة ومنع الظلم عن أماكن العبادة لكل الأديان ومنها مساجد المسلمين: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿40﴾﴾[الحج: 40].

المسجد الحرام

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿27﴾﴾[الفتح: 27].

وهو أول مسجد بني لعبادة الله في الأرض بمكة المكرمة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: " **المسجد الحرام...** " رواه **الجماعة**. وهو المسجد الذي به الكعبة المشرفة، ومقام إبراهيم، وبئر زمزم، والمسعى بين الصفا والمروة. وقد أطلق لفظ المسجد الحرام في القرآن على عدة أوجه منها:

* **الكعبة المشرفة:** عندما أتخذت قبلة المسلمين في عبادتهم: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴿144﴾﴾[البقرة: 144].

***مكة المكرمة:** وذكر ذلك في الآية التي أشارت إلى القتال في الشهر الحرام وصد الناس عن المسجد الحرام (مكة)، وإبعاد أهله من البلد الحرام وهو أشد أنواع الفتنة: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ

﴿ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ﴾[البقرة: 217]. وكذلك في حادثة الإسراء من مكة الى بيت المقدس، ولكنه أكد على المساجد في كل من البلدين.

* **الحرم المكي:** فقد يطلق لفظ المسجد الحرام ويقصد به الحرم بأكمله، ويظهر ذلك جليا في منع الله المشركين من الحج والعمرة، وأوصد عليهم باب الدخول إلى الحرم لأنهم انجاس بالكفر، واشترط عليهم الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾[التوبة: 28]. والمراد بالمسجد الحرام: الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به. قال ابن عباس: الحرم كله مسجد.

ـ وخص الله المسجد الحرام بفضائل تميزه عن غيره من المساجد:

1) أول المساجد التي تشد لها الرحال، ويقصدها الزوار من كل بقاع الأرض، لعبادة الله وتوحيده. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"**. رواه **البخاري ومسلم وأبو داود.**

2) تقام فيه كل مناسك الحج والعمرة من طواف وسعي ووقوف بعرفات، ورمي الجمار بمنى، ويتم ذلك في حدود الحرم المكي التي يشملها المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾[البقرة: 196].

3) يحصل المصلي في المسجد الحرام على ثواب عظيم يزيد عن باقي المساجد بمائة ألف مرة. ورد في حديث جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**... وصلاة في المسجد الحرام، أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه** " رواه **أحمد بسند صحيح.**

المسجد الأقــصى

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ① ﴾ [الإسراء: 1].

هو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وثاني مسجد بني لعبادة الله في الأرض بجنوبي شرقي القدس الشريف. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: **المسجد الحرام،** قلت ثم أي؟ قال: **المسجد الأقصى.** قلت: كم بينهما؟ قال: **أربعون سنة ".** رواه **الجماعة.** وقيل أن أول من أسس المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام، ليكون قبلة لبعض ذريته، وما قام به الخليل إبراهيم ومن بعده يعقوب، كان رفعا للقواعد، بينما جدده داود عليه السلام في زمنه، وأتم البناء إبنه سليمان عليه السلام.

وقيل كان الشروع في البناء في زمن اسحاق وابنه يعقوب عليهما السلام، ولكن بناءه النهائي كمل في عهد سليمان عليه السلام. قال الطبري: كان داوود عليه السلام قد هم ببنيانه فأوحى الله تعالى إليه " **إنما يبنيه ابن لك طاهر اليد من الدماء.** " ثم صار المسجد بعده خرابا لا يصلي فيه أحد ؛ ولما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في ذلك المكان بناء يعرف بالمسجد الأقصى، وإنما سمي في الآية بالمسجد لأنه مكان العبادة، فلما جاءه النبي صلى الله عليه وسلم تقررت مسجديته في القرأن. ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى رحاب الأقصى في ليلة الإسراء صلى متجها إلى الصخرة، وكانت مكة خلفه أثناء الصلاة. وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام بمكة المكرمة، ويقع هذا المسجد الشريف بالقدس، واختلف في تحديد مجاله على ثلاثة أوجه هي:

* **الحرم الشريف:** ويقع جنوب شرقي القدس الشريف داخل سور حجري طوله حوالي **500**م وعرضه **300**م، وللسور نحو عشرة أبواب منها في الشرق: باب الرحمة، وفي الشمال باب الأسباط، وحطة، وفيصل، وفي الغرب باب الغوانمة، والناظر، والحديد، والقطانين، والسلسلة، وباب المغاربة. و يضم الحرم جميع المساجد بداخل السور، وهي المسجد الجامع (الأقصى) ، ومسجد قبة الصخرة.

والجدير بالذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وجد زبالة عظيمة وضعها النصارى إهانة للصخرة لأن اليهود كانوا يصلون إليها، فقام عمر ـ رضي الله عنه ـ ومن كان حاضرا من الصحابة، فنظفوا المكان حتى ظهرت صخرة المعراج فصلى عندها عمر واختط مسجده حولها، وبُنِيَ المسجد بالخشب أولا ثم تطور بناؤه، وعرف المسجد بقبة الصخرة وهي مثمنة الشكل وبها رواقان، وتضم في مركزها

صخرة المعراج. وبنيت مع المسجد الجامع في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة **72هـ / 692م**، وتقع في الفضاء المبارك للمسجد الأقصى.

* **بيت المقدس:** وهي مدينة القدس أو إيليا (أي بيت الله) ، وهي أرض الأقصى التي جعلها مباركة، وتلك أجل صفات القدسية التي خصها الله بها. وذكر ذلك الحافظ بن كثير.

* **المسجد الجامع (الأقصى):** وهو المسجد الواقع جنوب مسجد قبة الصخرة، وفيه سبعة أروقة طولية، وشرع في تعميره الخليفة عبد الملك بن مروان وأتمه ولده الوليد سنة **74هـ / 694م.**

ـ وخص الله المسجد الأقصى بفضائل تميزه عن غيره من المساجد:

1) أحد المساجدالمقدسةالتي تشد لها الرحال، ويقصدها الزوار من كل بقاع الأرض، لعبادة الله وتوحيده. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".** رواه **البخاري ومسلم وأبو داود.** وذكر الإمام ابن تيمية في الفتاوى كلاماً عن زيارة بيت المقدس فقال: " إتفق العلماء على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف ".

2) يتضاعف ثواب المصلي في المسجد الأقصى عن باقي المساجد ـ ماعدا المسجد الحرام والمسجد النبوي ـ بخمسمائة صلاة. كما ورد في حديث أبي الدرداء، قال صلى الله عليه وسلم: (**فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي هذا ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة).** أخرجه البيهقي، وسنده صحيح.

3) كان أول قبلة للمسلمين، وقد صلى إليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام خلال الفترة المكية، فقد روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم (كان يصلي بين الركنين وبين يديه الكعبة مستقبلا بيت المقدس حتى هاجر إلى المدينة، وكان يصلي إلى بيت المقدس مستدبرا الكعبة). واستمر على ذلك بعد الهجرة بنحو ستة عشر شهرا، فكانت المدة **15 سنة** كاملة من حياته، ثم حولت القبلة إلى بيت الله الحرام في السنة **الثانية من الهجرة** ما بين شهري رجب ورمضان، وقيل كان التحويل في شهر شعبان، فيكون توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس نحو **15 سنة**، وإلى الكعبة نحو **ثماني سنوات**؛ وهذا يجعل للمسجد الأقصى مكانة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجهه في صلاته شطر الأرض المباركة لتكون عبرة للمسلمين على مر الزمن.

المسجد النبوي

﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾[الجن: 18].

وهو ثاني الحرمين الشريفين، وثاني مسجد بني بالمدينة المنورة بعد مسجد قباء، وهو المسجد الجامع الذي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم في يوم دخوله المدينة، وكان يوم الجمعة **12 ربيع الأول سنة 1هـ الموافق 27 سبتمبر622م**، وكان راكبا على ناقته، وكل واحد من سكان المدينة يريد أن ينزل عنده المصطفى عليه السلام، ولكنه قال لهم عن الناقة: " **خلوا سبيلها، فإنها مأمورة** "، فلما وصلت الناقة بالقرب من دار بني مالك بن النجار بركت في مربد (الموضع الذي يجفف فيه التمر) كان ملكا لغلامين يتيمين من بني النجار، وكان أسعد بن زرارة قد اتخذه مصلى للمسلمين قبل الهجرة، فكان يصلي بأصحابه فيه، لأنه كان وصيا على الغلامين؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقام المسجد في الموضع الذي بركت فيه الناقة، وكان الغلامان يريان التنازل عنه لله، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أشتراه منهم، بنحو عشرة دنانير، وكان في المربد شجر غرقد ونخل وقبور قديمة لبعض المشركين، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت، وبالنخيل والشجر فقطعت، وصفت في قبلة المسجد، وكانت القبلة إلى بيت المقدس، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى المؤخرة مائة ذراع، والجانبان في حدود ذلك تقريبا، وكان أساسه نحو ثلاثة أذرع، واتخذت أعمدته من جذوع النخل، وسقف بالجريد، بينما شيدت الجدران باللبن (الحجارة) والطين، وفرشت أرضه بالرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب، وشارك

النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في البناء، وكان ينقل الحجارة ويردد:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فأغفر للأنصار والمهاجرة

وزاد ذلك في نشاط الصحابة وكانوا يترنمون بنشيدهم الخالد:

لئن قعدنا والنبي يعمل * لذاك منا العمل المضلل

ولما كمل البناء على تقوى من الله، صار معبداً للمؤمنين يؤدون فيه الصلاة، ومدرسةً يتلقون فيها أحكام الإسلام وتعاليمه، ومنتدًى لتمتين أواصر الأخوة وزرع المحبة في القلوب، فضلا عن ممارسة الشؤون السياسية والقضائية وغيرها. وتلك المكانة جعلت الجن يتشوقون إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وتمنوا رغم بعد مواطنهم أن يشاركوا المسلمين في صلواتهم. فعن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله، ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾[الجن: 18]. فأمرهم أن يصلوا وحدهم ولا يختلطوا بالناس. وظل المسجد النبوي محافظا على شكله طوال عهد أبي بكر، ثم حدث تحسين في عهد الفاروق عندما جدده في نفس الموضع باللبن

والجريد، وجعل أعمدته من الخشب. أمافي عهد عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة والجص.

ـ وللمسجد النبوي عدة فضائل تميزه عن غيره من المساجد هي:

1) هو ثاني المساجد التي تشد لها الرحال، ويقصدها الزوار من كل بقاع الأرض، لعبادة الله وتوحيده. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".** رواه **البخاري ومسلم وأبو داود.**

2) يتضاعف ثواب المصلي في المسجد النبوي عن باقي المساجد ـ ماعدا المسجد الحرام ـ وتسن زيارته قبل الحج وبعده. قال صلى الله عليه وسلم: (**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.**) رواه **مسلم.**

3) يستحب لمن زار المسجد النبوي أن يصلي في الروضة الشريفة لأنها من رياض الجنة، وموضعها ما بين المنبر النبوي والقبر الشريف. قال صلى الله عليه وسلم: (**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**) رواه **البخاري.** وعند الفراغ من الصلاة يندب الوقوف أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم، والسلام عليه، ثم يسلم على الصديق، وبعده يلقى السلام على عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبعد الإنتهاء من السلام، يتوجه المسلم إلى القبلة، ويكون حينئذ مستدبراً القبر الشريف، ويدعو الله ما شاء، ويسأله من فضله العظيم، فإنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويكشف السوء، وهو على كل شيء قدير.

مسجد قبـاء (مسجد التقوى)

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: 108].

عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم في يوم هجرته إلى مشارف المدينة المنورة، نزل بقباء عند بني عمرو بن عوف في يوم **الإثنين 8 ربيع الأول سنة 1هـ الموافق 23 سبتمبر 622م**، وأقام ضيفاً عند كلثوم بن الهدم، وقيل عند سعد بن خيثمة، وكان استقبال القوم له عظيما، وهم يكبرون الله ويلقون عليه التحية والسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم تغشاه السكينة، وتحف موكبه الشريف ملائكة الرحمان، ويتنزل عليه الوحي مثبتا: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: 4].

ومكث النبي صلى الله عليه وسلم بقباء أربعة أيام هي الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس أول مسجد بالمدينة في قباء، وكان رسول الله أول من وضع حجرا في قبلته ـ وعين له جبريل عليه السلام جهة القبلة ـ ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه إلى جانب حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ الناس في البنيان، وصلى النبي فيه لأنه أول مسجد في الإسلام أسس على التقوى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ ﴿108﴾﴾[التوبة: 108]. ثم أثنى على عماره من المؤمنين الصادقين، المتطهرين ظاهرا وباطنا: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿108﴾﴾[التوبة: 108]. قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء: (**إن الله سبحانه قد أحسن عليكم الثناء في التطهر فما تصنعون؟**) قالوا: إنا نغسل أثر الغائط والبول بالماء. رواه **أبو داود.**

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا هو وغيره من الصحابة، فيصلي فيه ركعتين ـ وصارت زيارته سنة يثاب فاعلها ـ فعن أسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **الصلاة في مسجد قباء كعمرة**". رواه **الترمذي.** وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة**". رواه **أحمد والنسائي وابن ماجة.**

ولما جدد الخليفة عمر بن عبد العزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، قام بتجديد مسجد قباء، فوسعه، وبنى جدرانه بالحجارة والجص، وأقام فيه الأساطين من الحجارة بينها أعمدة الحديد والرصاص، ونقشه بالفسيفساء، وشيد له منارة.

مسجد القبلتين

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴿144﴾﴾[البقرة: 144].

وهو مسجد يقع في شمال حرة الوبرة، وجنوب ثنية الوداع بالمدينة المنورة، في حي بني سلمة. وأخذ تسمية مسجد القبلتين لأن صلاة الظهر (وقيل العصر) صليت فيه مجزأة إلى القبلتين، فالركعتين الأولى، كان اتجاه المصلين نحو بيت المقدس، وتحولوا في الركعتين الأخرى نحو القبلة الجديدة (الكعبة المشرفة) وحدث ذلك يوم الإثنين في منتصف رجب **سنة 2هـ**، وقبيل غزوة بدر الكبرى بشهرين، عندما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية تأمره بتحويل قبلة الصلاة نحو بيت الله الحرام: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ

وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴿١٤٤﴾ ﴾[البقرة: 144].

واختلف في كيفية ذلك بالنسبة لهذا المسجد على قولين:

1) ذكر بعض المفسرين أن تحويل القبلة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة: فسمي (مسجد القبلتين). قال محمد بن جابر: صرفت القبلة ونفر من بني سلمة يصلون الظهر في المسجد الذي يقال له مسجد القبلتين، فأتاهم آت فأخبرهم وقد صلوا ركعتين، فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة، فبذلك سمي مسجد القبلتين.

وأما أهل قباء فلم يصلهم الخبر إلا في اليوم الموالي وهم في صلاة الصبح، كما ورد في الصحيحين، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: " بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة " أخرجه **الشيخان**.

2) وهناك من ذكر أن الأمر حدث بعد صلاة النبي في مسجد القبلتين أو مسجد بني حارثة أو مسجد قباء. والراجح أن ذلك حدث في مسجد القبلتين، لبقاء ذلك منقولا بالتواتر، وصار المسجد يحمل تلك التسمية إلى اليوم. وأما الروايات الواردة في ذلك منها. أخرج أبو نعيم عن البراء قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم، صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه قبلته قبل البيت، وأنه صلى صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان يصلي معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَلَ البيت.

وعن نويلة بنت مسلم قالت: صلينا الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة، فاستقبلنا مسجد (إيلياء) فصلينا ركعتين، ثم جاء من يحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام، فحدثني رجل من بني حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أولئك رجال يؤمنون بالغيب ".

مسجد الضــرار

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: 107].

وهو المسجد الذي بناه المنافقون بقباء قبيل غزوة تبوك في سنة (9هـ) ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز للغزوة فقالوا: يا رسول الله، قد بنينا مسجدا لذي الحاجة، والعلة والليلة المطيرة، ونحب أن تصلي لنا فيه وتدعوا بالبركة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إني على سفر وحال شغل فلو قدمنا لأتيناكم وصلينا لكم فيه ". وكان الذين بنوه إثنى عشر رجلا وهم: خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الضرار، ومعتب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعباد بن الأزعر، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مجمع وزيد أبناء جارية، ونبتل بن الحارث، وبخرج، وبجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت، وثعلبة بن حاطب ـ مذكور فيهم ـ قال أبو عمرو بن عبد البر، وفيه نظر لأنه شهد بدرا.

فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك، أتوه (أصحاب مسجد الضرار) وقد فرغوا من بنائه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فنزلت عليه الآيات من سورة التوبة تخبره بحقيقة القوم ونواياهم الخبيثة: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨ ﴾ [التوبة: 107-108]. حينئذ دعا النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشيا قاتل حمزة فقال: " انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه وأحرقوه ". فخرجوا مسرعين، واضرم مالك بن الدخشم من منزله شعلة نار، وقاموا باحراقه وهدمه، وحولوه إلى مزبلة تلقى فيها الجيف والقمامة، زيادة في إهانته. وقد بينت الآيات المنزلة في شأنه، أهداف المنافقين ونواياهم السيئة ومنها:

1) شيد المسجد بغرض الإضرار بالمسلمين، والكيد للإسلام، والإصرار على الكفر ونصرته، والتآمر على الجماعة المسلمة في المدينة، وجعلوه مركزا لتدبير المكائد، واستقبال الجواسيس: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا ﴾ [التوبة: 107].

2) تفريق الصف الإسلامي، وصرف المصلين عن مسجد قباء المجاور لهذا المسجد، وغرضهم واضح جلي يتمثل في تمزيق وحدة أهل الحي في بني عوف. وقد قال تعالى فاضحا سلوكهم: ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[التوبة: 107].

3) جُعِلَ مركزاً للمنافقين يستقبلون فيه أعوانهم، وكانوا يترقبون قدوم أبي عامر الفاسق(الراهب) الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، وهو الذي أمر عصابة المنافقين ببنائه ليكون معقلا له عند رجوعه من بلاد الروم. وقد قال الله في شأنه معهم: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴿١٠٧﴾﴾[التوبة: 107].

وأبو عامر الراهب: رجل من الخزرج كان يعيش في الجاهلية بالمدينة على دين النصارى، وقد قرأ علم أهل الكتاب ومارس عبادتهم، وكان له شرف كبير عند قومه الخزرج، ولكن هجرة المصطفى واقبال الناس على دعوته، وانتصاره يوم بدر، جعلت من أبي عامر عدوا لدودا للمسلمين ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد دعاه إلى الله، وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيدا طريدا. ودفعته العداوة إلى الفرار إلى كفار قريش وتآمر معهم ضد المسلمين، وشارك معهم بقوة في أُحد، وتولى بنفسة حفر الحفائر التي وقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجرح وجهه، وكسرت رباعيته، وشج رأسه صلى الله عليه وسلم. وحاول أبوعامر أن يستميل قومه من الأنصار للوقوف معه ضد المسلمين، ولكنهم تفطنوا لكيده، فردوا عليه بشدة فقالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله. ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر.

وبعد أحد ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على المسلمين، فوعده ومناه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من المنافقين من قومه، يعدهم ويمنيهم أنه سوف يقدم عليهم بجيش يقاتل به النبي ويغلبه؛ وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يستقبلون فيه الرسل الذين يحملون اليهم رسائله المتبادلة معهم، فبنوا مسجد الضرار لكل تلك الأغراض.

4) إتخاذ المنافقين مظاهر الدين (بناء المسجد) وسيلة للمكر، وأكدوا على صدق نواياهم بالقسم الكاذب الذي كشفه الله للناس: ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[التوبة: 107].

وبين الله سبحانه أن كل عمل يؤسس بغرض الكيد للإسلام، يكون مآله في النهاية الإرتكاس بأصحابه في جهنم: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[التوبة: 109]. ولكنهم ازدادوا

بغضا للمسلمين، بعد هدم المسجد وتخريبه، ولن يزول ذلك من قلوبهم الضالة إلا بالموت، وتلك طبيعة النفاق التي يعلمها الله، وبينها في كتابه لتكون قصصهم عبرة، وذكرى لمن كان له قلب يتحرك: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿110﴾ ﴾[التوبة: 110].

مسجد أصحاب الكهف

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾ ﴾[الكهف: 21].

عندما قبض الله أرواح أصحاب الكهف، وقع نقاش كبير بين الناس في مصيرهم، فقال بعض القوم: ابنوا عليهم الكهف وسدوه، واتركوهم على حالهم، فأمرهم إلى الله: ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴿21﴾ ﴾[الكهف: 21]. ولكن غالب أهل البلد، وأصحاب السلطان منهم، أرادوا أن يبقى شأن الفتية حاضراً في حياة الناس، وتم ذلك بوضع معلم يشير إليهم، وهو الذي أشار إليه القرآن بالمسجد. واختلف في أمر المسجد على عدة أقوال منها:

1) المقصود به معبدا على طريقة اليهود والنصارى في تشييد المعابد على قبور الأنبياء والقديسين. واقترح هذا طائفة من الكفار فقالوا: نبني بيعة أو مضيفا، فعارضهم المسلمون وقالوا نبني عليهم مسجدا.

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ـ على اليهود والنصارى ـ تشييدهم المعابد على قبور الأنبياء والصالحين، وفي ذلك تحذير ضمني للمسلمين حتى يتجنبوا ذلك. فقال صلى الله عليه وسلم: " **لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد "**. ذكره ابن كثير في التفسير.

2) المقصود به مسجدا للصلاة وعبادة الله، يتخذ على باب الكهف، وقال ذلك المسلمون الذين كانوا على دين الفتية. وقال العلماء: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد. وقد ورد في الموطأ والصحيحين عن عائشة وغيرها أن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: **"قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** وروي لُعِنَ مكان قَاتل.

الساحــر

﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿69﴾ ﴾[طه: 69].

هو الإنسان (رجلا أو امرأة) الذي يتعامل بالأمور الغيبية، التي فيها خداع للحواس، أوإحداث ضرر بالناس في أجسادهم ونفوسهم وعقولهم، أو العمل على تفرقة الشمل بين الأزواج والأحباب، وفيه تعامل مع الجن والشياطين، وحكمَ عليه كثير من أهل العلم بالكفر، فقال: أبو حنيفة ومالك وأحمد بكفر متعلم السحر أو مستعمله.

وورد اللفظ في القرآن في كثير من المواضع، وفي سياق يختلف بين الحقيقة أو المجاز، ومن تلك المعاني:

1) أطلقه أهل الضلال على بعض الأنبياء والمرسلين زورا وبهتانًا، مثلما قال فرعون وقومه عن موسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿36﴾ ﴾[القصص: 36]. وقال ذلك الذين جحدوا نبوة عيسى وأنكروا المعجزات التي أيده بها المولى سبحانه: ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿110﴾ ﴾[المائدة: 110]. ونفس الحجة واجه بها المشركون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا عن القرآن " **سحر يؤثر** ": ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿24﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿25﴾ ﴾[المدثر: 24-25]. أو قالوا: " **سحر مبين** ": ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿14﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿15﴾ ﴾[الصافات: 14-15]. وقالواعن الآيات الكونية ": **سحر مستمر**" مثلما وقع عند انشقاق القمر، فقال كفار قريش: هذا سحر دائم سحر به محمد أعيننا، فقال الله رادا عليهم: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿1﴾ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿2﴾ ﴾[القمر: 1-2]. وقالواعن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم: " **ساحر مجنون** " وقد أنزل الله عليه قرآنا يسليه ويبين له مـاوصف به الأنبياء من قبله: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿52﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿53﴾ ﴾[الذاريات: 52-53].

2) واطلق (الساحر) حقيقة على السحرة الذين يخدعون الحواس بخفة أيديهم مثلما فعل سحرة فرعون، ويسمى سحر التخييل: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿115﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿116﴾ ﴾[الأعراف: 115-116].

ويطلق معنى الساحر على الذي يحدث ضررا بالناس، ويستخدم فيه الساحر طلاسم وتعويذات وتمائم، والضرر الذي يحدثه هو التفرقة بين الأزواج، وبث الخلاف بين الناس، وجعل المسحور في حالة رهيبة

من الجنون، أو العقد النفسية، والله قادر على إبطال مفعوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ (102)﴾[البقرة: 102]. والساحر مجرم خطير، وعذابه عند الله كبير، ولا يرى فلاحا أبدا إلا أن يتوب: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ (69)﴾[طه: 69].

الساحل

﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ (39)﴾[طه: 39].

الساحل: هو شاطىء أو ضفة نهر النيل بمصر؛ فقد ألهم الله أم موسى أن تجعله في صندوق، وتقذف به في اليم (وهو نهر النيل) ، وقدر سبحانه أن يلقيه النهر بالساحل (وهو شاطئ النيل) ، في احدى ضفافه المطلة على قصر فرعون. قال تعالى: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (38) أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ (39)﴾[طه: 38-39].

السد

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا (94)﴾[الكهف: 94].

السد: هو كل حاجز بين شيئين، ومنه ما ورد في شأن الكفار، فقد جعل بينهم وبين الإيمان مثل السد الذي يحجبهم عن الحق فهم لا يبصرون، ولا يهتدون: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ (9)﴾[يس: 9].

وأطلق السد على الردم الذي أقامه ذو القرنين لدفع خطر **ياجوج وماجوج** ما بين جبلين في آسيا، ويعتقد أن مكان إقامة السد كان في منطقة ما بين أرمينية وأذريجان، واستعمل في بنائه تقنية علمية راقية، وتمثلت في صهر الحديد بالنار المرتفعة ما بين الجبلين، ثم صب فوقها النحاس المذاب، فالتحمت وتماسكت بشدة متناهية، وصار السد بمثابة جبل صلب يصعب على الناس خرقه بسهولة.

سد مأرب

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴿15﴾ ﴾[سبأ: 15].
كانت مدينة مأرب عاصمة مملكة سبأ في بلاد اليمن، وهي على جانب عظيم من الحضارة والتقدم، وخصوصا في فن البناء والهندسة، والزراعة والري، كما ذكر القرآن: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴿15﴾ ﴾[سبأ: 15]. وشرع في بناء السد الملك سبأ ، وهو أول ملوك اليمن ولم يتمه، فأتمه إبنه حمير، أما الملكة بلقيس فكان دورها ترميم السد وبناء خزانات من حوله.
وقد بني السد في مضيق بين جبلين يسمى كل منهما باسم (بلق) ، فهما البلق الأيمن والبلق الأيسر. وفي واد يسمى (وادي أذنة) الذي كانت تندفع منه السيول نحو الشمال الشرقي، ومكانه يبعد بمسيرة ثلاث ساعات عن مأرب. وقد بني من الحجارة الضخمة، ويرتكز عند طرفيه على الجبلين حيث صنعت له فتحتان في الجانبين، وتتسرب منهما المياه في قنوات خاصة حتى تصل إلى الجنتين، وجعلوا للفتحات أبواب من الخشب والحديد، وتفتح عندما يحين وقت السقي.

سعد بن أبي وقاص

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴿8﴾ ﴾ [العنكبوت: 8].
هو سعد بن مالك بن أهيب (أو ابن وهيب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وكنيته أبو اسحاق بن أبي وقاص، وهو احد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتاً، وأمه هي حمنة بنت سفيان بن أمية، بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية. وهو من بني زهرة، وهم أهل: آمنة بنت وهب ، أم النبي صلى الله عليه وسلم، وجده أهيب بن عبد مناف، عم السيدة آمنة بنت وهب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتز بقرابته، ويداعبه بها في المجالس، وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع نفر من أصحابه فرأى سعد بن مالك مقبلا، فقال لمن معه: "**هذا خالي... فليرني أحدكم خاله** ".
أسلم سعد بن أبي وقاص مبكرا، وله من العمر سبعة عشر سنة، وكان من أوائل المؤمنين، وقال عن نفسه: "**... ولقد أتى عليَّ يوم، وإني لثُلُثُ الإسلام** ". ولما أسلم قالت له أمه: يا سعد ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك... والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعَيَّرَ بي، فيقال: يا قاتل أمه. قلت: لا تفعلي يا أماه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. قال: فمكثت يوما لا تأكل، فأصبحت قد جهدت. قال: فمكثت يوما آخر، وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها. قال: فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين يا أمَّاه لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني

هذا لشيء، إن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت ، فأنزل الله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿8﴾ ﴾ [العنكبوت: 8].

وكان سعد من أبطال الإسلام وشجعان المسلمين، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، في أول سرية بعثها النبي صلى الله عليه وسلم، واستطاع سعد بن أبي وقاص أن يحمي المسلمين بنباله، في واقعة رابغ، وكان أول قتال في الإسلام، فقال سعد:

ألاَ هل أتى رسول الله أني * حميت صحابتي بصدور نبلي

فما يعتد رام في عدو * بسهم يا رسول الله قبلي

وفي غزوة " بدر " قتل أخوه " عمير " وكان فتى صغيراً لم يبلغ الحلم إلا قليلاً، فانتقم له بقتل سعيد بن العاص، وأخذ سيفه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري من المشركين، هب لي هذا السيف ، فقال: هذا ليس لي، ولا لك، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يُبلي بلائي، فجاءنا الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يعني بعد مدة ـ فقال: إنك سألتني، وليس لي، وإنه قد صار لي، وهو لك. قال: فنزلت: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ ﴿1﴾ ﴾[الأنفال: 1].

وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد لأنه بقي ثابتا في الميدان، يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان لا يرمي رمية إلا أصابت من مشرك مقتلا، ولما رآه النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **"ارمِ سعد... ارمِ فداك أبي وأمي ".** فظل سعد يفتخر بها طوال حياته ويقول: ما جمع الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد أبويه إلا لي... وذلك حين فداه بأبيه وأمه معا. ولما عزم عمر على قتال الفرس، اختاره لقيادة الجيش، فخاض معركة القادسية، وبدأها بخطبته في جيشه وقد استهلها بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿105﴾ ﴾[الأنبياء: 105].

وبعد فراغه من خطبته، صلى بالجيش صلاة الظهر، ثم استقبل جنوده مكبراً أربعا " **الله أكبر...** " ثم صاح في جنوده: هيا على بركة الله. ولكنه صعد إلى شرفة الدار واستلقى على صدره فوق وسادة، لأنه لا يطيق القتال بسبب دمامل تكسوا ظهره، وهولا يبالي من الألم في سبيل الله ونصرة الإسلام، وكان صوته مدوياً في الجيش يوجه لهم الأوامر، ويقدم للجنود النصائح، ويوجههم لأحسن الأعمال، وتحقق على يديه نصر كبير. وواصل سعد المسير حتى فتح المدائن عاصمة الفرس، وخرج منها ملكها يزدجرد هاربا، ودخلها سعد وفيها من الذخائر النفيسة شيئًا عظيما، ونزل في القصر الأبيض وهو يتلوا قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿25﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿26﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿27﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا

قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الدخان: 25-28]. وتولى سعد بعد الفتح واليا على بلاد العراق، فبنى الكوفة، ثم عُزِلَ، وعاد واليا في عهد عثمان.

وامتاز سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بأخلاقه العالية وسلامة صدره ونقائه، واستجابة دعوته، وطيب مطعمه، وزهده في الحكم، واعتزاله الفتنة، وقد روى كثيرا من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولما حضرته الوفاة دعا بجبة من صوف بالية وقال: كفنوني في هذه فإني لقيت فيها المشركين يوم بدر، وإنما خبأتها لهذا اليوم. وكانت وفاته بالعقيق خارج المدينة سنة **ست وخمسين** للهجرة وقد جاوز الثمانين عامًا، وصلى عليه مروان بن الحكم، وأمهات المؤمنين، ودفن بالبقيع.

سعد بن الربيع

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴿٣٤﴾ ﴾[النساء: 34].

هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، أحد نقباء الأنصار. وكان كريم النفس، سخيا واسع العطاء، من الذين يؤثرون على أنفسهم، وتجسد ذلك في يوم الهجرة عندما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف فقال سعد: "... إني لأكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أطلقها، فإذا أنقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ ... " رواه **البخاري.**

وذات يوم نشزت زوجته (أي عصته في أمر) وهي: **حبيبة بنت زيد الأنصارية**، فلطمها سعد، فانطلق أبوها معها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " أفرشته كريمتي فلطمها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **لتقتص من زوجها** ". فانصرفت مع أبيها لتقتص منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارجعوا هذا جبريل أتاني، وأنزل الله عليه الآية الكريمة: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾[النساء: 34]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **أردنا أمرًا، وأراد الله أمرًا، والذي أراد الله خير** ". ورفع القصاص.

وقاتل سعد بن الربيع في غزوة أحد قتال الأبطال حتى نال الشهادة، وبلغ أصحابه رسالة الوفاء والثبات والنصح. كما كان سعد حبيبا إلى قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يطمئن عليه بعد المعركة، ويعرف الصحابة بفضله ومروءته.

فقد روى **مالك** في الموطأ، وذكر **ابن القيم** في زاد المعاد: أن رسول الله قال يوم أحد: من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟ فقال رجل أنا يارسول الله (قيل هو أبي بن كعب) ، وفي رواية أخرى ـ أنه بعث زيد بن ثابت ـ قال زيد بن ثابت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت:

يا سعد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أخبرني كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعني أذى) وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته. وكان يوم وفاته **السبت 7شوال سنة 3هـ.**

السفهاء

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿13﴾ ﴾[البقرة: 13].

السفهاء: هي جمع سفيه، وهو الجاهل، الضعيف الرأي، الذي تنقصه المعرفة، ولا يقدر أمور النفع والضرر، والسفه أيضا خفة العقل، وهو ضد الحلم. وأطلق في القرآن على عدة أطراف منها:

* **المنافقون:** وهم الذين ظنوا أنفسهم أحسن من فقراء المؤمنين، من أمثال صهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر وغيرهم، ووصفوهم بالسفه وقلة التقدير، فرد الله كيدهم، وأكد أن السفهاء هم أهل الزور والبهتان، وأتباع النفاق: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿13﴾ ﴾[البقرة: 13].

*المبذرون: وهم اليتامى الذين لايحسنون التصرف في أموالهم، وهذا تماشيا مع سياق الآية: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿5﴾ ﴾[النساء: 5]. كما اطلق وصفا للنساء والصبيان قال الحسن: (المرأة والصبي). وقال الطبري: لا تؤت سفيها ماله وهو الذي يفسده بسوء تدبيره، صبيا كان أو رجلا، ذكرا كان أو أنثى.

* **اليهود:** وقد أثاروا شكوكا كبيرة عندما كانت قبلة المسلمين نحو بيت المقدس، فكانوا يقولون: " **إن محمدا يخالف ملتنا ويتبع قبلتنا** " وضاق صدر النبي من كلامهم، وكان يقلب وجهه في السماء، ويتضرع بالدعاء، ويتمنى أن تكون القبلة نحو الكعبة المشرفة، فنزل القرآن موافقا لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (144) ﴾[البقرة: 144]. ولكن ألسنةالسفهاء من اليهود بقيت تثير الشكوك، وتبذرُ الفتن في المجتمع المسلم، فانزل الله قرآنا يفضح مكائدهم، وينعتهم بصفة السفه إلى يوم القيامة: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (142) ﴾[البقرة: 142].

***الأخيار من بني إسرائيل:** لما عبد بنو إسرائيل العجل عند غياب موسى عليه السلام، أمره الله أن يختار سبعين من بني إسرائيل، ليعتذروا عما بدر من قومهم، فأختارهم موسى من أفضل القوم، وأكثرهم خيرا: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا (155) ﴾[الأعراف: 155]. وأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا، ويطهروا أثوابهم، ثم خرج بهم إلى جبل الطور لميقات ربه، فلما سمعوا مناجاة موسى لربه، تجاوزوا حدود الأدب فاشترطوا على موسى أن يريهم الله جهرة، فلما وقعوا في السفه والحمق، أخذهم الله بالصاعقة فماتوا جميعا: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) ﴾[البقرة: 55-56].

ثم بعثهم الله بعد أن تضرع موسى، وسأل ربه العفو عمَّا صدر من سفهائهم، ودعا ربه أن لا يؤاخذ المجموع بما فعله بعض السفهاء، فغفر الله لهم بعد أن أعادهم إلى الحياة، وأخبر الله موسى بأن الرحمة والمغفرة يهبها الله لعباده وفق المشيئة، وسيكتبها للمتقين الذين يؤتون الزكاة، ويؤمنون بآيات الله: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) ﴾[الأعراف: 155-156].

سلمـان الفارسي

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحجر: 45].

أصله من أصفهان وهي بلاد في وسط بلاد فارس (إيران) ، وقيل كان نسبه قبل الإسلام: (مابه ابن بوذحشان بن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهوك من ولد آب الملك) ، وعاش في صغره في عائلة غنية لأن والده كان رئيس القرية وتدعى " **جيان** "، وهو من عبدة النار، وعلى دين المجوسية، ثم تركها واعتنق دين النصارى، وفر من أهله إلى بلاد الشام، وبدأ رحلته في البحث عن الدين الحق، وعندما كان مسافرا إلى بلاد العرب، اعتدى عليه أصحاب القافلة وباعوه إلى رجل من اليهود في وادي القرى، ثم اشتراه يهودي من بني قريظة، فعاش مع يهود يثرب وتعرف على دينهم، ولكنه كان ينتظر أمر النبي الذي يرسل في أرض العرب، ويبعث بدين إبراهيم، ويهاجر إلى أرض ذات نخل ما بين حرتين، وله علامات لا تخفى... فهو يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة... وبين كتفيه خاتم النبوة... وذكر له هذه الأخبار الراهب الذي عاش معه في عمورية. ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى " يثرب "، أخذ سلمان شيئًا من التمر وقدمه للنبي صلى الله عليه وسلم، صدقة فامسك يده وقال لأصحابه كلوا، فقال سلمان، هذه العلامة الأولى. وبعد تحوله من قباء إلى المدينة، جاءه سلمان بشيء من التمر، وقال له: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها... فأكل منها مع أصحابه. قال سلمان، فقلت في نفسي هذه الثانية... ثم جئت رسول الله وهو في"بقيع الغرقد " وكان يواري أحد أصحابه، فرأيته جالسا وعليه شملتان، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره لعلي أرى الخاتم الذي وصفه لي صاحبي في عمورية، فلما رآني أنظر إلى ظهره عرف غرضي؛ فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت فرأيت الخَاتِمَ، فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي. وقص على النبي صلى الله عليه وسلم قصته، وأسلم، ولكنه شغل بالرق عن غزوتي بدر وأحد. ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " **كاتب سيدك حتى يعتقك** "، فكاتبه، وأمر النبي الصحابة فأعانوه، فتحرر من رق العبودية، وشهد غزوة الأحزاب، وأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفرالخندق، وفي يوم الخندق وقف الأنصار يقولون: سلمان منا... ووقف المهاجرون يقولون: بل سلمان منا... فناداهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: " **سلمان منا آل البيت** ".

وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغزوات كلها. وعاش مع النبي صلى الله عليه وسلم مجاهدا عابدا، وكان وفيًا كريما، يتألم لأصحابه من النصارى، فقد قص على النبي صلى الله عليه وسلم، قصة أصحاب الدير، فقال: يارسول الله، كانوا يصلون، ويصومون، ويؤمنون بك، ويشهدون أنك تبعث نبيا، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سلمان، هم من أهل النار، قال سلمان:

فأظلمت علي الأرض، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿62﴾﴾[البقرة: 62]. قال سلمان: فكأنما كُشف عني جبل.

وكان سلمان شديد الخوف من الله، وسريع التأثر بآيات القرآن، وحدث ذلك عند سماعه لقوله تعالى عن مصير أتباع الشيطان: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿43﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿44﴾﴾[الحجر: 43-44]. حينئذ فر سلمان ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: يا رسول الله، أنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿43﴾﴾[الحجر: 43]. فو الذي بعثك بالحق، لقد قطَّعَتْ قلبي.. فأنزل الله بعدها، آية الترغيب في الجنة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿45﴾﴾[الحجر: 45].

وقد خرَّج ابن المنذر عن ابن جريج: أن سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ أكل ثم رقد، فنفخ (أي شخر)، فذكر رجل من الصحابة أكله، ورقاده، فنزل قوله الله تعالى في حقه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴿12﴾﴾[الحجرات: 12].

وعرف سلمان بعزوفه الشديد عن الإمارة، ولكنها فرضت عليه، وعين أميرا على المدائن، فلم يغير من سلوكه شيئًا، بل رفض أن يناله من مكافأة الإمارة درهم واحد... وظل يأكل من عمل الخوص بيده.. ولباسه كان عباءة قديمة، وحين أراد بناء بيته، قال له البناء، وكان يعلم زهده: " لا تخف... إنها بناية تستظل بها من الحر، وتسكن فيها من البرد، إذا وقفت فيها أصابت رأسك، وإذا اضطجعت فيها أصابت رجلك " فقال له سلمان: " نعم، هكذا فاصنع ".

هذا هو رجل القرآن، سلمان الفارسي، أبو عبد الله، ويعرف بسلمان الخير، كان من فضلاء الصحابة خلقا، وأشدهم زهدا، وكان يعتز بانتمائه للإسلام، فقد سئل عن نسبه فقال: **" أنا سلمان ابن الإسلام".**

وقد عاش عمرا طويلا، رحل فيه باحثا عن الحقيقة، التي وجدها في الإسلام، فختم حياته بالعمل الصالح، ولقي ربه في يوم مبارك، عندما رَشَّتْ زوجته المكان بالمسك الذي غنمه يوما في معركة جالولاء، فاستقبل بها ملائكة الرحمة، وصعدت روحه إلى ربها راضية مرضية، **سنة 35هـ** في المدائن ببلاد فارس.

بنو سلمة

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴿12﴾ ﴾ [يس: 12].

هم بنو سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج. وولد سَلِمة: كعب، وغنم. كانت منازلهم جنوب ثنية الوداع، غربي المساجد السبعة في المدينة المنورة، وحول مسجد القبلتين، ولما رأوا أن مكانًا بالقرب من المسجد النبوي قد فرغ من أهله، فكروا في الانتقال إليه، فبلغ خبرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: " بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد "، فقالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: " **يا بني سلمة: دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم** ".

وأنزل الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴿12﴾ ﴾ [يس: 12]. فأقاموا في أماكنهم. ولكنهم أقاموا مسجدا في حيهم، وعرف بمسجد القبلتين في السنة الثانية من الهجرة. قال قتادة: لو كان الله عز وجل مُغْفِلًا شيئًا من شأنك يا ابن آدم، أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو طاعة لله تعالى أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل.

المسلمون

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿132﴾ ﴾ [البقرة: 132].

الإسلام: هو دين الله الخالد الذي يمتد من آدم عليه السلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿19﴾ ﴾[آل عمران: 19].

والمسلمون: هم أتباع الدين الحق، الذي أرسل الله به أنبياءه ورسله إلى الناس، وأيدهم بالوحي، وكان لكل نبي شريعته، ولكن العقيدة واحدة، فمن خالفها يستحق العقاب الرباني: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿85﴾ ﴾[آل عمران: 85].

وقد أوصى إبراهيم عليه السلام أبناءه بالثبات على هذا الدين، وفعلَ مِثلهُ حفيدهُ يعقوب، الذي أوصاهم بالموت عليه: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿132﴾ ﴾ [البقرة: 132]. ولما حضرت الوفاة يعقوب عليه السلام، أكد على أبنائه أن يتمسكوا بعقيدة الإسلام، فأقرُّوا بذلك قائلين: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: 133].

وعندما اعترض اليهود على عيسى عليه السلام، أظهرأتباعه (الحواريون) إسلامهم في عزة قائلين: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[آل عمران: 52]. ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم، صار مصطلح المسلمين نعتا على أتباع الدين الجديد، الذي ختم الله به كل الشرائع والرسالات، وارتضاه للناس جميعا، دينا قويما، وصراطا مستقيما: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة: 3].

وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم، يؤمنون بالله، وما أنزله على أنبيائه السابقين، وينقادون إلى الله في كل شؤونهم: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[آل عمران: 84].

والمسلمون: هم الموحدون من الثقلين، آمنوا بمحمد وصدقوه، واتبعوا النور الذي أنزل إليه، وقد أخبر القرآن عن المسلمين في عالم الجن، الذين تحروا الرشد، وتمسكوا بالحق، وهم يقولون: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ ﴾[الجن: 14]. وقد حث الله المسلمين على التقوى حتى يلقوا الله على الإسلام، وذلك هو الفوز العظيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران: 102].

سليمـان عليه السلام

﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[ص: 30].

ـ **نسبه:** هو سليمان بن داود عليهما السلام، الذي أنعم الله عليه بالنبوة والملك ـ مثل والده ـ وأتاه الله الحكمة حتى لقب " **بسليمان الحكيم**". والجدير بالذكر أن داود كان له تسعة عشر ولدا، ولكن سليمان

هو الوحيد الذي ورثه في العلم والحكمة دون سائر أولاده بأمر من الله الذي قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ (16)﴾[النمل: 16].

ـ **نشأته ومكانته:** ظهرت علامات الفهم وحسن التقدير على سليمان منذ الصغر في عهد والده وكان والده يشاوره في كثير من أموره، ولما بلغ إحدى عشرة سنة برز موقف هام في حياته، وقد سجله القرآن في قصة أصحاب الحرث، ومفادها أن غنما مرت بالليل على مزرعة قوم فأفسدت زرعهم، فاحتكموا إلى داود، فلما تأكد من الأمر، وعلم أن ثمن الزرع متقارب مع قيمة الغنم، حكم بينهم، قائلا لأصحاب الغنم: ادفعوا أغنامكم لأصحاب المزرعة تعويضا لهم عن زرعهم الفاسد. وكان سليمان حاضراً، فاستأذن والده في إبداء الرأي، فقال: الرأي عندي أن يدفع أصحاب الغنم أغنامهم إلى أصحاب المزرعة فينتفع هؤلاء بأصوافها وألبانها ونتاجها، وأن يأخذ أصحاب الغنم المزرعة فيحرثوها ويزرعوها ويتعاملون بها، فإذا حان وقت الحصاد، يسلموها إلى أصحابها الذين يسلمون لهم أغنامهم، فرضي الجميع بهذا الحكم، وشكر داود إبنه على ذلك، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ (79)﴾[الأنبياء: 78-79].

وتولى سليمان عليه السلام مقاليد الحكم بعد والده في سن مبكرة، قيل لم تتجاوز ثلاثة عشر سنة، فتكون ولادته سنة **985 ق. م**، وتوليه الحكم في حدود **973 ق. م.**

ـ **صفات سليمان وأهم أعماله:** واستطاع بحنكته وتأييد الله له أن يدير ملكا واسعا، وقد أيده ربه بالمعجزات الباهرة، وخصه بالنعم الجليلة ومنها:

1) الملك العظيم: سأل سليمان ربه أن يهبه ملكا واسعا لايكون لأحد من بعده من البشر: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (35)﴾[ص: 35]. فاستجاب الله له، ومنحه ملكا واسعا، يمتد في الأرض مسافات بعيدة، واختلف العلماء في مساحةهذا الملك:

* فقيل هو ملك يمتد من بلاد الشام إلى بلاد العراق وفارس، فقيل: كان ملكه ما بين الشام إلى إصطخر (وهي مدينة إيرانية قديمة).

* وقيل شمل ملكه كل الأرض (والمقصود العالم القديم) ، وهذا هو الراجح، لأن الله سخر له قوى طبيعية مثل الريح، ومخلوقات متعددة، ومنها الحيوانات والجن، تساعده في مراقبة ملكه وإدارته بسرعة، وأثبتت الآيات القرآنية إتصاله باليمن، وآثارا أخرى تذكر كيف تمكن من إرسال وزيره إلى بلاد الهند. وقد

ساس ملكه بحكمته البالغة، فأدى حقوق الله، وعدل مع الخلق، وأقام الحدود، وعظم الشعائر، وأطاع الله وعبده، بالقول والعمل.

2) **العلم الواسع:** ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿15﴾ ﴾[النمل: 15]. وهو العلم الواسع الذي يشمل علوم الدنيا والآخرة، ويحقق لصاحبة السعادة في الدارين. قال الطبري: " وذلك علم كلام الطير والدواب وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه. " وكان سليمان يتحدث بنعمة الله عليه، وهي معرفة لغة الطير وأصواتها، وهو فضل من الله، كان يقابله دوما بالحمد والشكر، ويزداد به تواضعا على مر الأيام: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿16﴾ ﴾[النمل: 16]. ومعرفة لغة الحيوان من طيور ودواب وحشرات، عطاء من الله، يقتضيه ملكه الواسع البعيد، لأن الطير لها ميزة السرعة في الطيران إلى آفاق بعيدة، مثلما فعل الهدهد، والذي قطع مسافة طويلة تمتد من بلاد فلسطين عاصمة الملك، إلى بلاد اليمن، وعرف أخبار مملكة كانت مجهولة لدى سليمان، وفيها قوم يعبدون الشمس من دون الله، وحمل الهدهد رسالة إلى ملكة سبأ، وفي هذا إشارة لطيفة إلى المهام التي أنيطت بهذه المخلوقات، التي سخرت لنبي الله سليمان حتى يتمكن من تسيير هذا الملك العريض بيسر وسهولة منقطعة النظير، فكانت مؤسسة البريد، موكولة إلى الطيور: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿28﴾ ﴾[النمل: 28]. بينما كلف الجن بقطاع النقل والمواصلات، بنقل الأشياء من أماكن قصية، في أوقات قياسية سريعة، مثلما ورد في قصة نقل عرش سليمان من اليمن إلى فلسطين، فاقترح عليه عفريت من الجن أن يقوم بالمهمة في الفترة التي يجلس فيها سليمان للقضاء بين الناس: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿39﴾ ﴾[النمل: 39]. وكل ذلك مكنه من معرفة ما يجري في مملكته الواسعة من أحداث، وكانت تصله الأخبار في حينها حسب رغبته.

3) **تسخير الطبيعة والمخلوقات لخدمة ملك سليمان:** وهي نعم سهلت شؤون مملكته ومنها:

* **تسخير الريح:** وقد جعلها الله شديدة الهبوب: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿81﴾ ﴾[الأنبياء: 81]. ويملك سليمان أمر التصرف فيها، وتساعده على تسيير السفن، أو تنقله إلى أماكن بعيدة فوق البساط المعد للركوب، ويتم ذلك في مدة وجيزة، وهي مسافة تقطعها الإبل في شهر من الزمان، وتستند هذه الرواية إلى قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴿12﴾ ﴾[سبأ: 12].

* **تسخير الحيوانات:** مثل الطيور، ومنها " **الهدهد** "، الذي ذكر في القرآن على سبيل المثال، ومن مهامه الواضحة، جلب الأخبار، ونقل الرسائل، ويدله على المواضع الغنية بالماء، مثلما حدث في رحلة سليمان وجنوده، بعد عبورهم واد النمل، نزلوا في قفر من الأرض، فعطش الجيش، فسألوه الماء، فبحث عن الهدهد، فلم يجده لأنه كان في أرض سبأ اليمنية، فهو دائم التفقد للطيور، ويكلفها بما يحتاج من أعمال: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١ ﴾[النمل: 20-21].

***تسخير الجن:** وقد سخر الله له بعض الشياطين، يغوصون في أعماق البحار، ويستخرجوا له الجواهر واللآلىء، أو يدخلوا الى باطن الأرض ويستخرجوا منها الكنوز المخبوءة، ويعملون أعمالا أخرى كبناء المدن والقصور الشاهقة، ومهمتهم هي انجاز كل ما يعجز عنه البشر، وقد حفظهم الله له، فلا يهربون، وبرأهم من الفساد، وجنبهم العصيان، فصاروا طوع أمره في كل شيء: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝٨٢ ﴾[الأنبياء: 82].

4) **الإنجازات الحضارية:** أمده الله بعناصر المدنية، ومنها المواد الأولية التي تدخل في الصناعات، وهي مادة النحاس: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ ۝١٢ ﴾[سبأ: 12]. وجعل ذلك عينا سائلة من النحاس، فيسهل التعامل معه، فلا يحتاج إلى أفران لصهره أو إذابته، وهي معجزة خارقة للعادة، أيده الله بها مثلما أيد والده داود بإلاَنَة الحديد بيديه. ويتولى أمر الصناعة فريق من الجن: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ ۝١٢ ﴾[سبأ: 12]. وذكر الله نماذج من المنجزات الصناعية، التي تدل على الرقي الحضاري الذي بلغه المجتمع في عهد سليمان: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ۝١٣ ﴾[سبأ: 13]. ويمكن تحديدها:

* **المحاريب:** وهي تشييد القصور الشامخة أو دور العبادة، ومنها إتمام بناء المسجد الأقصى المبارك. ودور الشياطين بارز في بناء الصروح، وزخرفتها، بأنواع الرخام، وقطع الزجاج، وأنواع البلور: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ ﴾[ص: 37]. مثل القصر الذي شيد في وقت قصير لاستقبال " بلقيس " ملكة سبأ، وهو قصر من البلور أقيمت أرضيته فوق الماء، فظهر لها كأنه لجة مائية، فلما أمرها سليمان بالدخول، ظنت البلاط لجة من الماء، فشمرت عن ساقيها، فأخبرها أنه صرح مصنوع من الزجاج الصافي، وفي ذلك دلالة أكيدة على التقدم الحضاري في ذلك العصر الذي لم يسبقه فيه أحد من البشر، وأراد أن يستدرج به الملكة إلى رحاب الإسلام.

* **التماثيل:** وهي التحف العجيبة، من الخشب والنحاس والزجاج، وكانت مباحة في شريعتهم، وحرمت بعد ذلك في الشريعة الإسلامية.

***الجفان الضخمة:** وهي جفان (قصاع) ضخمة تشبه أحواض الماء الكبيرة، وتستعمل للطعام، وترافق الجيش في حله وترحاله.

* **القدور الراسيات:** وهي قدور ضخمة، تثبت في الأرض بسبب كبر حجمها، تستعمل لطبخ الطعام.

5) العبادة الدائمة والذكر المتواصل: كان سليمان عليه السلام من المخلصين في عبادة ربهم، وتجلى ذلك في أخلاقه العظيمة، التي نوه بها القرآن الكريم، لتكون سيرة صاحبها مثالا يحتذى، وقد وصف عليه السلام بها:

* **الأواب:** وهو كثير الرجوع إلى ربه بالتوبة والإنابة، والتكفير عما يصدر منه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿30﴾ ﴾[ص: 30].

* **المنيب:** وظهر هذا الخلق في قصته مع الخيل التي عرضت عليه، فاشتغل بها عن ذكر الله، حتى غابت الشمس وفات وقت ذكره، وكان إبتلاء وفتنة بالملك والسلطان، وقد تنبه سليمان من قريب، وأناب إلى ربه وتضرع إلية نادما مستغفرا: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿30﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿31﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿32﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿33﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿34﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿35﴾ ﴾[ص: 30-35].

* **الشاكر الكريم:** أمر الله آل داود بالإكثار من الشكر، لأن أعطياتهم كانت متميزة، وقد ملكوا الدنيا بأسرها: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿13﴾ ﴾[سبأ: 13]. وكان سليمان عليه السلام، مداوما على الشكر، ويتأكد هذا الخلق كلما عرضت بين يديه حادثة مؤثرة، أو قدمت له خدمة جليلة، او جَنَّبَهُ ربه من الوقوع في إحدى الشرور، ويشترك في هذا الخلق مع والده، وهما يقولان: ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿15﴾ ﴾[النمل: 15]. ويشكر سليمان ربه الذي علمه منطق الطير، وجعله يفهم من دون الناس لغة النمل، فيسمع قول النملة وهي تحذر أصحابها من تحطيم جنوده، وتأمرهم بالدخول إلى مساكنهم، فيتبسم ضاحكا، ويقابل هذه النعمة بالشكر لله على ما أنعم به عليه، وعلى أولاده، ويدعوا ربه أن يدخله الجنة جزاء عمله الصالح: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿19﴾ ﴾[النمل: 19]. وكذلك الشأن عندما أحضر عرش بلقيس بين يديه في طرفة عين، وأرجع ذلك إلى فضل الله وتوفيقه، وقابل ذلك بالشكر وازداد تواضعا لله: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿40﴾ ﴾[النمل: 40].

ـ **وفاة سليمان:** وذات يوم كان سليمان في محراب عبادته يصلي، وهو متكئ على عصاه، والجن يعملون من حول مكانه، ولا يتوقفون عن العمل الشاق، فأدركه الموت، ومكث متكئا على العصا، واستمرت الجن في العمل ظنا أن سليمان يراقبهم، حتى جاءت حشرة تدعى الأرضة، فنخرت العصا، فخر سليمان على الأرض، وحينئذ علمت الجن بموته، وتبين للناس أن الجن لا يعلمون الغيب، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿14﴾ ﴾[سبأ: 14]. وكانت وفاته في حدود سنة **933 ق. م** ودفن ببيت المقدس. وعاش نحو **53 سنة**، وكانت مدة ملكة **أربعين سنة.**

السامــري

﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿87﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴿88﴾ ﴾[طه: 87-88].

هو رجل من بني إسرائيل قوم موسى، واختلف في اسمه الحقيقي، فقيل هو رجل يدعى هارون السامري، وقال ابن عباس: " اسمه موسى ظفر، وكان رجلا منافقا قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فدخل في قلبه حب البقر.. " وقيل كان رجلا صائغا، واسمه منجا.

وبدأت قصته عندما عزم موسى ـ عليه السلام ـ على الذهاب لميقات ربه في جبل الطور، وأخبر قومه أن غيبته لن تطول أكثر من ثلاثين يوما مع مسافة الطريق، ولكن الله أمره أن يستأنف صوم عشرة أيام إضافية، فاستبطأ القوم موسى، فاغتنم السامري فرصة التأخر، وصرف فئة من القوم عن عبادة الله، وأقنعهم بعبادة العجل، وساعدته عدة ظروف منها:

1) استغلال رواسب الوثنية في بني إسرائيل، الذين عاشوا دهرا مع المصريين، وكانت ثقافتهم الدينية بسيطة، فسيطرت على حياتهم الجهالة، وتأثروا بعبادة المصريين للعجل المسمى" **أبيس** ". وظهرت رغبتهم في عبادة الأوثان، بعد خروجهم من مصر، عند مرورهم على قوم من العمالقة، وكانوا يعبدون الأصنام، طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلاها ملموسا مثل إله العمالقة: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ

قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿138﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿139﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿140﴾ ﴾[الأعراف: 138-140].

2) توفر الذهب عند بني إسرائيل، والذي استعاروه من المصريين قبل خروجهم من مصر لغرض التزين به في العيد، ولكنهم خرجوا دون إعادته، وقد أهلك الله فرعون وقومه، وبقي الحُلِي عند بني إسرائيل، فلما خرج موسى وخلف في القوم أخاه هارون قال لهم: إن حُلِي الأقباط الذي استعرتموه منهم يعد غنيمة للجميع، ولا يحل لكم أخذه، فاجمعوه في حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى من ميقاته فيرى فيه رأيه.

3) كان السامري يتقن فن صياغة الذهب وتصنيعه، فأخرج الحُلِي المدفون، وصاغ منه عجلا في ثلاثة أيام، وجعله من الذهب الخالص، ورصعه بقطع من الجواهر الكريمة، ثم قذف في جوفه بالقبضة التي أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام، عند هلاك قوم فرعون، وقد ادخرها السامري لمثل هذا الموقف، فصار العجل يخور مثل العجل الحقيقي. وقيل أن سبب الخوار، أن السامري صنعه بكيفية جعلت الريح تدخل من مؤخرة العجل، وتخرج من فمه فيصدر صوتا يشبه خوار البقرة، ولما أتم صنعه، أبرزه لهم: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿88﴾ ﴾[طه: 88]. وقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى، الذي أخطأ الطريق، فترك إلهه هنا وخرج يطلبه في جبل الطور، ولذلك أبطأ عليكم وأخلف الموعد. وكان العجل يخور، وهم يرقصون حوله فرحاً بمنظره، وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله، ونهاهم نبي الله هارون عليه السلام: ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿90﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿91﴾ ﴾[طه: 90-91]. فلما أصروا اعتزلهم هارون مع طائفة من القوم، وكانوا إثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل.

ولما رجع موسى وشاهد قومه حول العجل يرقصون، غضب وألقى الألواح: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿150﴾ ﴾[الأعراف: 150]. وأقبل موسى على أخيه هارون في شدة، وهو يجذبه من لحيته، ويشده من شعر رأسه، ويقول له: ما الذي منعك لَمَّا رأيتهم عبدوا العجل، أن تتبع أثري، وتلحق بي

لتخبرني بحالهم حتى أتدارك الأمر في حينه، فاعتذر هارون، وبين مقصده، وهو خوفه أن تنسب فتنة بني إسرائيل إلى تفريطه عندما يتركهم لوحدهم، ولكنه حرص على عزل فريق منهم عن السامري وذكر الله ذلك في قوله: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿92﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿93﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿94﴾ ﴾[طه: 92-94].

ثم أقبل موسى باللوم الشديد على السامري، ولكنه أصر على كفره ولم يعتذر عن خطئه وضلاله، فقال لموسى بصراحة: لقد عرفت ما لم يعرفه أحد، انك لست على الحق، وكنت قد اتبعتك، ثم تركت دينك وعدت إلى عبادة العجل، وهذا ما زينته لي نفسي: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿95﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿96﴾ ﴾[طه: 95-96]. وكانت عقوبة السامري، أن دعا عليه موسى، بأن لا يمس أحدا طول حياته، وأمر بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه حتى صار وحشيا، وكان إذا مس أحدا من الناس يقوم الشخص بقرض ذلك الموضع بالمقراض: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿97﴾ ﴾[طه: 97]. أما عذاب الآخرة فأشد وأبقى، وبقي السامري يعاني من العزلة عن المجتمع ويعذب نفسيا حتى هلك. وقام موسى بحرق العجل بالنار، وذر الرماد في البحر، وأمر بني إسرائيل أن يشربوا منه، فشربوا جميعا، فعلق الرماد بعابدي العجل واصفرت ألوانهم، ولم يقبل الله توبتهم إلا بالقتل، فأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفا، وألقى الله عليهم ضبابا حتى لا يعرف القريب قريبه، ثم مالوا عليهم قتلا، وبلغ عدد القتلى في صبيحة واحدة سبعين ألفا: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿54﴾ ﴾[البقرة: 54].

سهيل بن عمرو

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: 30].

هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري. يكنى: أبا يزيد، وقيل أبو زيد. وهو أحد سادات قريش، وأبرز خطبائها المشهورين، عاش أيامه الأولى محاربا للإسلام، وقد أسلم ولده عبد الله وابنته أم كلثوم، وهاجرا إلى الحبشة. وبعد عودة عبد الله لقي عذابا شديدا، وفتن عن دينه، حتى أظهر ارتداده عن الدين، تقية، حتى يفتح الله عليه، وكانت فرصته في غزوة بدر، عندما فر الفتى إلى صف المسلمين، ووقع سهيل أسيرًا في يد المسلمين، ويومها قال عمر ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو، فيندلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبداً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعه فعسى أن يقوم مقاما تحمده.

وفي يوم الحديبية اختارته قريشا لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم، وتم صلح الحديبية، الذي شارك سهيل في صنعه مع المسلمين. وكتب عقد الصلح، الذي كان كاتبه، علي بن أبي طالب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يملي عليه فقال:

(أكتب: بِسْمِ الله الرحمن الرحيم)... فقال سهيل بن عمرو، والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة ـ يعنون مسيلمة ـ أكتب: باسمك اللهم. فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: 30]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: (أكتب باسمك اللهم). ثم قال: (أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله). فقال سهيل: لو كنا نشهد أنك رسول الله لم نقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني... أكتب محمد بن عبد الله).

ولكن الأيام ولت وانتصر المسلمون بعد سنتين من الصلح، ودخلوا مكة فاتحين، وأسلم أهل مكة، فخاف سهيل على نفسه، وأرسل إلى ولده عبد الله، وقال له: اطلب لي جواراً من محمد، فإني لا آمن أن أقتل... فأخذ له الأمان، وخرج سهيل مع رسول الله إلى حنين وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة.

فأسلم وحسن إسلامه، ولم يكن بين من أسلموا بعد الفتح، من هو أكثر منه صلاة، ولا صوما، ولا صدقة، ولا رقَّةَ قلب، ولا كثرة بكاء من خشية الله. وأخذ يتردد على معاذ بن جبل يتعلم منه القرآن الكريم. وقد أحب سهيل كل شيء في الإسلام، وتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وتتبع آثاره.

وقد قارن أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بين سهيل بن عمرو يوم الحديبية، وسهيل بن عمرو الذي نهل من نبع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الصديق: (لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع

قائما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقدم له البُدْنَ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده الكريمة، ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم الحلاق فحلق رأسه... فنظرت إلى سهيل، وهو يلتقط الشعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم، ويضعها على عينيه... فتذكرت يوم " الحديبية "، وكيف أَبَى أن يكتب "**محمد رسول الله** "، فحمدت الله على أن هـداه.)

وقد أخذ على نفسه عهدا قال فيه: "والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت مع المسلمين مثلها، لعل أمري أن يَتْلُوَ بعضه بعضا ". ولعل أبرز موقف له يوم التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وارتدت العرب، وأراد بعض أهل مكة مخالفة الصديق، فقام فيهم سهيل خطيبا: **والله إني أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت؛ يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم، وأول من كفر.** وهكذا ثبت أهل مكة على إسلامهم، وهذا هو الموقف الذي أشار إليه النبي عندما أراد عمر أن ينزع ثنيتي سهيل.

ثم جمع أبناءه وأزواجه وحفدته، وتوجه بهم إلى بلاد الشام ليرابط في سبيل الله وهو يقول: والله لأبقين مرابطا في سبيل الله حتى أقتل شهيدا، أو أموت غريبا عن مكة. وقد بر بقسمه، فشارك في معركة اليرموك، وأبلى البلاء الحسن، وظل مجاهدا في بلاد الشام، إلى أن حدث بها طاعون" **عَمْوَاس** " سنة **18هـ،** فمات فيه سهيل بن عمرو، وكل من معه من أولاده وذويه.

سـودة بنـت زمعـة ـ أم المـؤمنين

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النساء: 128].

هي أم المؤمنين، سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ العامرية. وأمها هي الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو من بني عدي بن النجار.

تزوجها ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس (أخو سهيل بن عمرو) ، والذي أسلم مع زوجته بمكة مبكرا، وهاجرت معه إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وقد تركا فيها المال والأهل بسبب الاضطهاد، ولكنه مرض فعاد إلى مكة وتوفي بها، فترملت زوجته سودة، وعاشت في بيت والدها زمعة.

ولما توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم شريك (خولة بنت حكيم) إلى بيت سودة، تخطبها له، فلما فاتحتها في الأمر فرحت، وأمرتها أن تدخل على والدها وكان شيخا كبيرا، فقالت له: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة. فقال زمعة:

كفءُ كريم. فوافق على زواجها، وقال لها: مري رجلا من قومك يزوجك. فاختارت حاطب بن عمرو بن عبد شمس فزوجها، وأصدقها النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم. وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة، ودخل بها في مكة في شهر رمضان وقيل في شوال سنة **عشر من النبوة** ، وعمرها نحو **خمس وخمسون سنة**. وكانت تدير شؤون البيت النبوي، وقامت برعاية بناة النبي صلى الله عليه وسلم وهن: أم كلثوم وفاطمة.

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبنى مسجده وحجراته، بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فحملا زوجته سودة بنت زمعة، وأم كلثوم وفاطمة ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم أيمن امرأة زيد، وحمل عبد الله بن أبي بكر آل أبي بكر وعائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاجروا جميعا إلى المدينة.

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لسودة، والثاني لعائشة..وكانت راضية بعيشها مع رسول الله، وتسهر على خدمة بناته رغم ثقل جسمها، ولكنها كانت تدخل السرور على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، بخفة روحها؛ فقد رأت ذات يوم في وجه رسول الله شحوبا وأسًى، فقالت مداعبة: " لقد صليت وراءك بالأمس - يا رسول الله - وقد أطلت السجود... حتى أني شعرت بالرُعاف يزحمني في أنفي ". فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، وزال ما به من عبوس.

ثم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب، وبعدها زينب بنت خزيمة، ولكنها توفيت بعد ثمانية أشهر فكانت أول من دفن من أمهات المؤمنين. فتزوج بعدها أم سلمة (هند بنت أبي أمية) فسكنت في بيت زينب بنت خزيمة.

وكانت سودة تعلم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة، فكانت تحرص على خدمتها ورضاها، وبسبب كبرها خافت أن يفارقها النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها وليلتها لعائشة. فقد روى **الترمذي** عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: لا تطلقني وامسكني، واجعل يومي منك لعائشة، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴿128﴾ ﴾[النساء: 128]. فقد ألحَّت على النبي صلى الله عليه وسلم أن يبقيها في بيته زوجة معززة مكرمة، وهي تتطلع إلى المستقبل، فقالت: " **امسكني، ووالله ما بي على الأزواج من حرص، ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجا لك**".

وأخرج **البخاري** عن عائشة قالت: " خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها - وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها - فرآها عمر، فقال: يا سودة، أما والله، ما تَخْفَيْنَ علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، وإنه ليتعشى، وفي يده عِرق فدخلت،

فقالت: يا رسول الله، إنّي خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا. قالت: فأوحى اليه ثم رفع عنه ـ وإن العرق في يده ما وضعه ـ فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن ـ والآية التي نزلت في شأن الحجاب هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: 59].

وعاشت سودة حياتها في كنف البيت النبوي عابدة زاهدة، متصدقة متبتلة، وخرجت مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم وحجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع. ولكنها بعد إنتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، كان نساء النبي يحججن، إلا سودة لم تحج، وكانت تقول: لا أحج بعدها (حجة الوداع) أبدًا. وأمتد بها العمر إلى خلافة عمر بن الخطاب، ثم لحقت بالرفيق الأعلى، بعد أن ختمت حياتها بالتقوى.

سيـل العــرم

﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: 16].

كانت مياه السيول تتجمع في سد مأرب الشهير، الذي أقيمت بسببه حضارة عريقة في بلاد اليمن، وساهم في الرخاء الاقتصادي، وحقق للسكان رفاهية وتنعما في فترة الشكر والإنابة إلى الله، والتذلل إليه بالطاعة والخشوع: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: 15]. ولكن السد بدأ يتصدع فيما بعد ويرمم، ثم قلت العناية به، فأصابه التصدع وأنهار بسبب سيل عظيم، يدعى سيل العرم. واختلف في معناه على عدة أقوال هي:

* **وادي سبأ:** قيل العرم هو اسم الوادي الذي أقيم عليه السد. قال قتادة: العرم وادي سبأ، كانت تجتمع إليه المسايل من الأودية، قيل من البحر وأودية اليمن، فردموا ردماً ما بين جبلين وجعلوا في ذلك ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجتهم، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا، سلط الله عليهم الفأر فنقب الردم.

***المـاء الغزير:** قيل أن الله لما أراد عقاب قوم سبأ بإرسال العرم عليهم، هيأ للأمر، بإلهام الجرذ " أي الفأر"، فبدأ ينخر في جوانبه، فانهار عليهم أثناء اندفاع المياه الجارفة، عند فيضان الأنهار التي تمد السد بالماء، نخرب السيل ما بين الجانبين كل الأبنية والأشجار وغيرها من المعالم الحضارية.

* **الحجارة المتدحرجة:** وقيل أرسل الله على سد مأرب سيلاً جارفًا، وكان الماء يحمل العرم في طريقه وهي حجارة متدحرجة بقوة في جوانب السد، فحطمت جدرانه، وطغى الماء على البلدة فحولها إلى صحراء قاحلة، تنبت الأشجار البرية الخشنة، ذات الأشواك.
وقد ضرب الله هذا السد مثلا لكل أمة تنكب عن طريق الحق، فيبدل الله عزها إلى ذل، ويحول رخاءها إلى فقر، بسبب الإعراض عن الله: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿16﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿17﴾ ﴾[سبأ: 16-17].
ولا يعرف بالتحديد زمن خراب هذا السد، والظاهر أن سبب انهدامه، هو غفلة الملوك عن صيانته وترميمه، وانشغالهم بالحروب الداخلية، فتصدعت جدرانه، وهدمته مياه السيول، أما ما ذكر من تهديم الجرذان للسد، فهو من الخرافات المشهورة في كتب التفسير.

سيناء

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴿20﴾ ﴾[المؤمنون: 20].
سيناء: كلمة سيناء وهي المكان المبارك، وهي **سينين** الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿1﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿2﴾ ﴾[التين: 1-2].
وسيناء شبه جزيرة صحراوية تقع بين مصر في الغرب وبلاد الشام في الشرق، ويحدها البحر المتوسط من الشمال، والبحر الأحمر من الجنوب، وخليج السويس من الغرب وخليج العقبة من الشرق. وأهم مواقعها: العريش في الشمال، والتيه في الوسط، والطور في الجنوب.
جعل الله صحراء سيناء أرض التيه لبني إسرائيل، قضوا فيها أربعين سنة قبل دخولهم لأرض الميعاد، وقال الله في شأنها مخبرا موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿26﴾ ﴾[المائدة: 26].

﴿ حرف الـشيـن ﴾

شـاس بن قيـس اليهودي

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿100﴾ ﴾ [آل عمران: 100].

كان **شاس بن قيس** شيخا يهوديا شديد الكفر، يعيش في المدينة المنورة على كره مما يرى ويسمع من المسلمين، وقد حسد الأنصار على ما أعطاهم الله من وحدة، وما أنعم به عليهم من أخوة وألفة. وقد مر ذات يوم بنفر من الأوس والخزرج من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهم في مجلس لهم يتسامرون، فغاضه ما رأى من جماعتهم، وألفتهم، وصلاح ذات بينهم في الإسلام، وتذكر ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال: قد اجتمع ملأُ بني قيلة (هم الأنصار) بهذه البلاد، لا والله، ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه، فقال: اقعد إليهم، فاجلس معهم، ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ـ وكان بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ـ فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا، وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين أوس بن قيظي ـ أحد بني حارثة من الأوس ـ وجابر بن صخر ـ أحد بني سلمة من الخزرج ـ فتقاولا، وقال أحدهما لصاحبه: إن شئت رددتها جزعاً، وغضب الفريقان جميعا، وقالا: ارجعا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة، وهي حرَّة، فخرجوا إليها، فانضمت الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: **يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا، الله، الله..** فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، فأنزل الله عز وجل، آيات تخاطب الأوس والخزرج في وقتهم، وتخاطب المسلمين من بعدهم، وتحذرهم من الكيد اليهودي الحاقد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿100﴾ ﴾ [آل عمران: 100].

وتواصل التذكير للمؤمنين، والتحذير من كيد الحاقدين، ووجههم الله تعالى إلى السلوك العملي النافع في الدين وهو " **الأخوة في الله** " ودعاهم إلى شكر نعمته عندما ألف بين قلوبهم، فصاروا إخوانا، وهي

النعمة التي تحسدهم عليها اليهود على مر الزمان، ومنها ما فعله شاس بن قيس، ففضحه الله وحذر من أفعاله الخبيثة، وأنزل القرآن على قلوب المؤمنين، فكان عليها بردا وسلاما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: 102-103]. بينما أصاب شاس بن قيس اليهودي الخسران المبين، وباء بغضب من الله.

شجرة بيعة الرضوان

﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴿١٨﴾ ﴾[الفتح: 18].

وهي شجرة بايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الحديبية، في ذي القعدة سنة **6هـ.** وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عثمان بن عفان سفيراً إلى قريش في يوم الحديبية، فاحتبسته قريش، حتى يتشاوروا بينهم، فشاع عند المسلمين أن قريشا قتلته، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " **لا نبرح حتى نناجز القوم** " ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا يبايعونه على أن لا يفروا، وبايعه جماعة على الموت، وأول من بايعه أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات، في أول الناس ووسطهم وآخرهم، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه وقال: " **هذه عن عثمان** "، ولما تمت البيعة وجاء عثمان فبايعه، وحضر البيعة روح القدس جبريل عليه السلام، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يدعى: جد بن قيس.

وعرفت هذه البيعة باسم " **بيعة الرضوان** "، لأن الله رضي عن المؤمنين، وكان عددهم يومئذ ألفا وأربعمائة رجل، وقد رضي عنهم النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لهم: " **أنتم اليوم خير أهل الأرض". رواه البخاري.** وتم الرضوان تحت شجرة سمرة، وكان عمر آخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعقل بن يسار آخذاً بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستحقت الشجرة أن تخلد في القرآن لأنها ظللت النبي صلى الله عليه وسلم، وأفاضت على الصحابة الكرام الطمأنينة، فنزل القرآن: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ ﴾[الفتح: 18].

ولكن شجرة بيعة الرضوان صارت في مستقبل الأيام مقصدا للناس، وتحولت إلى مزار تشد إليه الرحال للتبرك بها، وعلم بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نخشي أن تعبد كما عبدت اللات والعزى فأمر بقطعها، فقطعت سدا للذريعة. ولكن المسلمين شيدوا في الحديبية مسجدا لعبادة الله وحده لا شريك له، وعرف بمسجد الرضوان، تفاؤلا ببيعة الصحابة، وتخليدا للذكرى الغالية على جميع المسلمين.

شجرة الطور

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[المؤمنون: 20].

وهي شجرة الزيتون التي تنمو حول جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وهي تنبت هناك بطور سيناء بقرب بلاد العرب، ولا تحتاج إلى كثرة الماء، وإنما يكفيها الماء المخزون في الأرض، وجعلها الله نافعة للناس بما تنتجه من دهن (الزيت) الذي يستخدم إداما للطعام، ويدهن به الخبز وغيره، فيكون بمثابة الصبغ البراق، وقد ورد في الحديث الشريف: (**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه شجرة مباركة**) رواه **أحمد.**

الشجرة المباركة

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[القصص: 30].

عندما كان موسى عليه السلام راجعا بأهله من أرض مدين إلى مصر، وقف في بقعة مباركة من أرض سيناء، في مكان كل ما حوله مبارك، وبه شجرة قيل هي شجرة العناب، أو العليق، أو العوسج، ولكنها كانت متميزة، وزادها الموقف جلالاً، بالنبي موسى عليه السلام، وتكليم الله له، وإرساله إلى فرعون وقومه، ليدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وأيده بالمعجزات الباهرة، في ذلك المكان المبارك بشجرته، وجبله، وأرضه، وكل ما فيها، إجلالا لله ورسوله موسى عليه السلام.

الشرذمة

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الشعراء: 53-54].

الشرذمة: هي كل طائفة صغيرة أو جماعة قليلة العدد. فعندما أرسل فرعون إلى المدن والقرى، لتجنيد الناس، وأعلن حالة الإستنفار العامة، وجمع جموعه لملاحقة موسى وقومه، حاول فرعون أن يتلاعب بالعواطف فقلل من شأن بني إسرائيل، فوصفهم بالشرذمة، وكان عددهم نحو **ستمائة وسبعون ألفا،**

وأخبر فرعون أنهم يفعلون أفعالا تغيضه، ولكنه حذر منهم وأشعرهم أنه متفطن لأعمالهم: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (53) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ (56) ﴾[الشعراء: 52-56].

المشرق

﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) ﴾[المزمل: 9].

المشرق: هو الجهة التي تشرق منها الشمس كل يوم، وعرفت عند الناس في تحديد الأماكن والإتجاهات، ورسم المواقع باسم " **الشرق**" وفي قصة مريم البتول، فإنها اعتزلت قومها في مكان شرقي بيت المقدس لتتفرغ لعبادة الله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) ﴾[مريم: 16]. وقد تحدى الخليل إبراهيم، الملك النمرود، وطلب منه أن يحول شروق الشمس إلى جهة المغرب، فبهت الكافر، لأن هذا الإتجاه فيه إعجاز لا يتصرف فيه إلا الله: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (258) ﴾[البقرة: 258].

ولما كلف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخالدة، دعاه الله إلى التوكل على رب المشرق والمغرب، وهو يلفت الإنتباه إلى عظمته وجبروته الذي يتجلى في مخلوقاته التي يراها الناس: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) ﴾[المزمل: 9].

كما ذكر المشرق عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، فذكَّرَ الله العباد أن كل الاتجاهات لله رب العالمين، والتوجه عند المسلم في حقيقة الأمر ليس للمكان، وإنما لرب المكان سبحانه الذي قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (115) ﴾[البقرة: 115].

المشرقين

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ (38) ﴾[الزخرف: 38].

والمقصود هنا **المشرق والمغرب**، قال الطبري: " وهذا من باب التغليب كما يقال: القمران، والعمران، والأبوان، فغَلَّبَ ههنا المشرق على المغرب ". وعندما يُربط الكافر بسلسلة مع قرينه من الشياطين يوم

القيامة، يقول له الكافر: أنت بئس الصاحب الملازم، يا ليت بيني وبينك بعد المشرق عن المغرب: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[الزخرف: 38].

أما في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ ﴾[الرحمن: 17]. فالمقصود: رب مشرق الشمس، ومشرق القمر، ورب مغربهما، وتقدم في السياق القرآني في سورة الرحمن ذكر الشمس والقمر، وأنهما تخضعان لنظام دقيق، وحساب ثابت، ومنازل محددة، وهما تسبحان في الكون الفسيح: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ ﴾[الرحمن: 5].

المشارق

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾[الصافات: 5].

وهي مشارق الكواكب والنجوم بما فيها الشمس والقمر. قال الطبري: واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالة الكلام عليه.

أما مشارق ومغارب الشمس والقمر والكواكب، فقد حدد الجهتين وأقسم بهما، إبرازاً لعظمة الله وقدرته: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾[المعارج: 40-41]. بينما قصد بها في سورة الأعراف تلك الجهات في منطقة محددة وهي بلاد الشام، وهي التي أورثها الله لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون، وكانت بجميع جهاتها من الجهة الشرقية إلى الحدود الغربية: ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[الأعراف: 137].

المشركون

﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف: 106].

- **الشرك:** ورد في لسان العرب لإبن منظور: اشرك بالله: جعل له شريكا في ملكه. وقال الجوهري: الشرك: الكفر. ومعناه في الشرع: الكفر، بإثبات شريك لله تعالى، ومن تلبس به فقد ضل عن الصراط السوي: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء: 116].

والمشرك: يحرم من المغفرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا (48) ﴾[النساء: 48]. ويحرم من دخول الجنة: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ (72) ﴾[المائدة: 72].

والمشركون: هم الكفار، أو الذين اتخذوا من دون الله أندادا، واتبعوا أهواءهم، فعبدوا الأصنام، والنجوم، فاشركوا بالله، وخالفوا أوامره التي أنزلها واضحة على أنبيائه ورسله الأبرار، وقد بين القرآن صورا للمشركين، ومنها:

* **المشركون من قوم نوح:** ظهر الشرك في الأرض قبل بعثة نوح عليه السلام، عندما توفي رجال صالحون، وهم ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، فاوحى الشيطان إلى قومهم، ان يقيموا في مجالسهم أنصابا، ويسمى كل صنم باسم صاحبه، والغرض حتى يتذكروهم، ولكن الأجيال التي خلفت الأجداد نسيت التوحيد الصحيح، فتسربت الوثنية إليهم، وعبدوهم من دون الله، فلما أرسل إليهم نوح عليه السلام، تمسكوا بشركهم، ودافعوا عن أوثانهم، بقولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا (23) وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا (24) ﴾[نوح: 23-24].

* **المشركون من قوم إبراهيم:** وبعد طوفان نوح تطهرت الأرض من الكفر، وخلصت للإيمان، ثم تعاقبت الأجيال، وعاد الشرك من جديد بأرض بابل بالعراق، عند الكلدانيين، وهم قوم إبراهيم الخليل عليه السلام، الذين كانوا يعرفون الله، ويشركون به الكواكب، ويتخذون لها الأصنام تماثيل، فقام إبراهيم بدعوة قومه إلى الإيمان الصادق، فناقش قومه قائلا: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (69) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (70) قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (71) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (72) أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (73) قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (74) ﴾[الشعراء: 69-74]. فقام إبراهيم بتحطيمها، وبين لقومه أنها أصنامًا عاجزة عن حماية نفسها: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ (91) مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ (93) فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ (95) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ (96) ﴾[الصافات: 91-96].

* **المشركون من العرب:** كان العرب يؤمنون بالله، ولكنهم يشركون معه آلهتهم ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، ويفتخرون على الناس أنهم على دين الحنيفية، وعلى ملة إبراهيم، فأثبت الله لهم ذلك،

ولكنه عرفهم أن إبراهيم يتبرأ من المشركين: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: 67].

وتسللت عبادة الأصنام إلى مكة من بلاد الشام، بواسطة رجل منهم يدعى عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، وهو أبو خزاعة، فقد مرض مرضا شديدا، وذهب للعلاج بالبلقاء ببلاد الشام فاستحم بها وشفي، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فسألهم عنها، فقالوا: نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو، فطلبها منهم، فأعطوه بعضا منها، فقدم بها مكة ونصبها عند الكعبة. وقد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: " **رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه [أي أمعاءه] في النار.** " رواه **البخاري.**

وعبادتهم للأصنام كانت جزء من العبادة، وحافظوا على بعض ما ورثوه من دين إبراهيم وإسماعيل، فكانوا يعظمون البيت، ويحجون، ويؤدون المناسك، ولكنهم غيروا وأدخلوا معتقدات الشرك والضلال، فكانت قبيلة نزار تقول في التلبية:

لبيك اللهم لبيك * لبيك لا شريك لك

إلا شريك هو لك * تملكه وما ملك

فكانوا يوحدون الله بالتلبية أولا، ثم يدخلون معه آلاهتهم وهي اللات والعزى ومناة وغيرها، ويجعلون ملكها بأمر الله، وقد أنزل الله على نبيه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: 106]. فيوحدون الله توحيد الربوبية، فيؤمنون بأنه الخالق الرازق، المدبر المهيمن، مالك السماوات والأرض: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: 9]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: 87]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31].

ولكنهم يشركون في العبودية، فيتقربون إلى الله بآلهتهم: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر: 3]. فاتخذوا الأصنام معبودا يطلبون بها الشفاعة عند الله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: 18].

* **المشركون من أهل الكتاب:** وهم اليهود والنصارى، فقد أطاع اليهود أحبارهم، والنصارى رهبانهم، فشرعوا لهم الأحكام من دون الله، فحرموا لهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فوافقوهم وتلك هي عبادتهم، وكان عملهم ذلك إشراكا بالله. وكذلك فعل النصارى فجعلوا من المسيح عيسى عليه السلام ربًا: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) ﴾[التوبة: 31].

وأهل الشرك عموما، عطلوا الأحكام، وكفروا بالبعث والنشور، وكذبوا بالحساب والجزاء، فلهم الويل على شركهم وكفرهم: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (6) ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (7) ﴾[فصلت: 6-7].

وكلهم أطاعوا الشيطان، وصاروا مشركين في عباداتهم وذبائحهم، وطعامهم وشرابهم، وكثير من مظاهر حياتهم، والشيطان لا يؤثر إلا على الذين أطاعوه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (100) ﴾[النحل: 100].

شاطئ الوادي الأيمن

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ (30) ﴾[القصص: 30].

الشاطئ: هو جانب الوادي مما يلي جبل الطور عن يمين موسى في إقباله، ولكنه من ناحية الجبل فهو في الجانب الغربي منه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (44) ﴾[القصص: 44].

ويظهر الإعجاز القرآني في هذا التحديد الدقيق لحركة موسى عليه السلام، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضرا، والله وحده الذي أوحى إليه بهذه الآية الكريمة، والتي تبين أن موسى عليه السلام قد اتجه نحو القبلة، وجبل الطور في جانبه الغربي عن يمينه، والنار التي قصدها تضطرم في الجبل مما يلي الوادي. ودل كل ذلك أن تلك التفاصيل الدقيقة هي وحي من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

شعـيب ـ عليه السلام

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ (36) ﴾[العنكبوت: 36].

ـ **نسبه وقومه:** هو النبي العربي الذي أختلف في نسبه كثيرا، فقال أهل التوراة: هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم. وقال محمد ابن اسحاق: هو شعيب بن ميكائيل (وقيل ميكيل) بن يشجر بن مدين بن إبراهيم. وعاش ما بين القرنين **16 ـ 15 ق م.**

وكان يسمى خطيب الأنبياء لفصاحته وبلاغته وحسن تبليغه لدعوة الله تعالى لقومه، وهم أهل مدين، وهي قرية تقع في أطراف الشام مما يلي بلاد الحجاز، وأرسله الله بعدها إلى قرية مجاورة لها، عرف سكانها بأصحاب الأيكة، وكان مصير القوم جميعا الهلاك بسبب الإصرار على الضلال والطغيان.

* **دعوته لأهل مدين:** إشتهر أهل مدين بتعاطي التجارة لأن مدينتهم كانت محطة للقوافل التجارية، وشهدت نشاطا إقتصاديا معتبرا، ولكنهم أفسدوا حياتهم العامة بالأخلاق السيئة. فأرسل الله إليهم رجلا منهم هو نبي الله شعيب عليه السلام، فأرشدهم إلى المسار الصحيح، وقد تجلت دعوته لهم في العناصر التالية:

أولا: تصحيح العقيدة: كان أهل مدين لا يؤمنون بالله، بل يعبدون الأوثان، ويتخذون الأصنام، وقد ورثوا كل ذلك عن آبائهم وأجدادهم الأولين، فدعاهم شعيب عليه السلام إلى عبادة الله وحده: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ (84) ﴾[هـود: 84].

ثانيا: إصلاح الإقتصاد: لأن معاملاتهم التجارية، وتصرفاتهم المالية، مبنية على الغش والتزوير، وقد أظهر الله نوعا واحدًا من تلك السلوكات السيئة، التي عبرت عن الفساد الإقتصادي في مجتمعهم، وهو " تطفيف المكيال والميزان": ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (84) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) ﴾[هـود: 84-85]. ونهاهم عن إنقاص حقوق الناس وبخسهم والإفساد في الأرض: ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (85) ﴾[الأعراف: 85]. ودعاهم إلى التعامل بالحلال، لأن الحرام يفتك بالأمم وينزع من حياتها البركة ويحرمها من الخير: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (86) ﴾[هـود: 86].

ثالثا: إصلاح الأخلاق: لأن أخلاق المجتمع سادها الفساد، وعمها الإنحراف، وقد ذكر الله تعالى أبرز تلك الصفات وهي " قطع الطريق " بقتل المسافرين، أو أخذ الضرائب من التجار، ونهب الأموال، فضلا عن ترصدهم في سبل المؤمنين برسالة شعيب وصدهم عن سبيل الله، وفتنتهم عن الدين، فنهاهم شعيب عن ذلك السلوك، وذكَّرهم بما أنعم الله عليهم من عزة بعد إستضعاف، وحذرهم من الفساد في الأرض، لأن سنة الله في خلقه تقابل المفسدين بالهلاك، وقد كُتب ذلك على الأمم السابقة: ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿86﴾ ﴾[الأعراف: 86]. ولكن القوم أصروا على الضلال، وردوا على شعيب بحجج واهية، واعتراضات سخيفة، ومنها:

1) الإستهزاء بالدين: فقد أنكروا عليه تدخله في معتقداتهم الدينية، ومعاملاتهم الإقتصادية، وتصرفاتهم المالية، وأكدوا لشعيب أن ذلك لا يصدر من الإنسان العاقل الذي خصه الله بالحلم والرشد ـ فهم يرفضون أن تكون هناك علاقة بين الدين والمعاملات الأخرى ـ ومن هذا المنطلق الفكري عارضوا شعيباً وحاربوا دعوته، وسلوكهم يتكرر في واقع الناس على مدار الزمن، وقد جعل الله ذلك عبرة لكل معتبر، فقال على لسان القوم: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿87﴾ ﴾[هـود: 87].

فرد عليهم شعيب عليه السلام، منبها إلى نعم الله عليه، فقد هداه إلى الصراط المستقيم، وأصلح حاله ـ وقد عرفوا ذلك من مخالطته قبل الرسالة ـ كما رزقه أموالا طائلة من الحلال الطيب، حتى صار قدوة للناس، وغرضه من الدنيا هو إرضاء الله تعالى الذي كلفه بالإصلاح بقدر استطاعته، وعليه وحده توكله، وبإرادته يكون التوفيق والسداد: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿88﴾ ﴾[هـود: 88].

وحذرهم من مغبة إصرارهم، لأنه سيحيق بهم العذاب كما حاق بمن سبق من الأمم، وهم قوم نوح، وقوم صالح، وقوم لوط، وهم أقرب الأمم إليهم في موطنهم، لأنهم يرون آثار الدمار باقية في بحيرة لوط، ومساكنهم التي ورثوها عنهم خير مثال: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿89﴾ ﴾[هـود: 89]. وختم موعظته لهم في هذه

المرحلة بدعوتهم إلى التوبة واستغفار الله الذي يتجاوز عن خطاياهم لأنه رحيم بالتائبين: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿90﴾ ﴾[هود: 90].

2) اتهموا شعيبا بالضعف وغموض الكلام ـ وهو خطيب الأنبياء ـ وأشعروه أنهم عزموا على رجمه بالحجارة، ولكنهم يحسبون حسابا لأتباعه، وأن أمره لا يعجزهم أبدا: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿91﴾ ﴾[هود: 91]. فأخبرهم شعيب مرة أخرى بفساد رأيهم لأنهم ينظرون إلى البشر ولا يقيمون وزنا لرب البشر، بل جعلوه وراء ظهورهم، وأعرضوا عن الحق، حينئذ هددهم بأن الله سوف يفصل بين الفريقين، فيجازي الظالمين بالعذاب الشديد: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿92﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿93﴾ ﴾[هود: 92-93].

3) تهديد شعيب والذين آمنوا معه بالنفي والإخراج من القرية، أو يرجعوا عن الدين: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿88﴾** ﴾[الأعراف: 88]. ولكن عزة المؤمنين قابلت التهديد بالصبر والثبات، والتوكل على الله وتفويض الأمر إليه، وهو يتولى الصالحين: ﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿89﴾** ﴾[الأعراف: 89].

ـ **هلاك قوم شعيب:** كتب الله العذاب على أهل مدين، ونجى شعيبا والذين أمنوا معه برحمته: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴿94﴾ ﴾[هود: 94]. وقد صب الله عليهم العذاب صباً في يوم واحد، وبشكل متعاقب، فأخذتهم صيحة، تلتها زلزلة عظيمة صرعتهم عن آخرهم؛ فقد صاح بهم جبريل صيحة، فخرجت أرواحهم من أجسادهم: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿94﴾ ﴾[هود: 94]. أما الرجفة، وهى الزلزلة العظيمة فقد حولت أجسادهم إلى جثث هامدة: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿91﴾ ﴾[الأعراف: 91]. فكان جزاءً

عادلاً، ولا يدعوا أمرهم إلى الحسرة والتأسف لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأعراف: 92-93].

*دعوة شعيب لأصحاب الأيكة: بعد هلاك أهل مدين، أرسل الله شعيبا عليه السلام إلى قرية قريبة تدعى"الأيكة" وكانت أرضا مزدهرة بالزروع، ومشهورة بالخصوبة، وتتوفر على الشجر الكثيف والماء العذب المتدفق بسخاء في نواحي القرية؛ ولكنهم قابلوا تلك النعم بالكفر والجحود، وكانت سيرتهم مماثلة لأهل مدين، فدعاهم نبي الله شعيب إلى تقوى الله تعالى وحثهم على الطاعة، وطمأنهم بدعوته الصادقة التي لا يأخذ عليها أجراً منهم، لأن الأجر ثابت عند الله. ودعاهم إلى التوحيد، والعدل في معاملاتهم الاقتصادية: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[الشعراء: 176-183].

فاتهموه بالسحر والكذب، ورفضوا دعوته، واعتبروه بشرا مثلهم، ولم يؤمنوا برسالته إليهم، وتحدوه ـ إن كان صادقا ـ أن يرسل عليهم عذاباً من السماء، فأجابهم أن الله قادر على ذلك: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[الشعراء: 184-188].

فبعث الله عليهم عذابا عظيما في يوم واحد، عرف بعذاب يوم الظلة؛ وبدأ بالحر الشديد الذي كتم أنفاسهم، وضيق عليهم الخناق، فخرجوا هاربين إلى البرية، طلبا للهواء النقي، فاستدرجهم الله إلى مهلكهم، فأرسل إليهم سحابة باردة، فسارعوا جميعا إلى التظلل تحتها، فلما التأم شملهم تحتها، أرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم جميعا، وجعل الله في سيرتهم عبرة لمن يعتبر: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾[الشعراء: 189-191].

ـ **وفـاة شعيب:** أما سيدنا شعيباً عليه السلام، فلا يعرف أمر وفاته، إلا ما ذكره ابن عساكر عن وهب بن منبه: أن شعيبا عليه السلام مات بمكة ومن معه من المؤمنين، وقبورهم غربي الكعبة من دار الندوة ودار ابن سهم. والله أعلم بالصواب.

الشـاعــر

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿41﴾ ﴾[الحاقة: 41].

ذكر لفظ الشاعر في القرآن الكريم على لسان المشركين الذين وصفوا به النبي صلى الله عليه وسلم تشهيرا، ووصفوا به القرآن إنتقاصا من قدره وتحقيرا، وشبهوا ذلك الهدي السماوي بكلام الناس.

فقالوا عن القرآن أنه مجرد أضغاث أحلام نسبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿5﴾ ﴾[الأنبياء: 5]. وكلما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وحده، يقول المشركون في استكبار وجحود: كيف نترك عبادة الأصنام لقول شاعر مجنون: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿35﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿36﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿37﴾ ﴾[الصافات: 35-37]. ثم قالوا نترك هذا الشاعر حتى يهلكه الدهر، فأمر الله نبيه أن يقول لهم انتظروا عذاب الله مثلما تنتظرون موتي: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿30﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿31﴾ ﴾[الطور: 30-31].

وقد رد عليهم الله في الكتاب الحكيم، بأن الشعر كلام موزون تغلب عليه الزخرفة اللفظية، وتزينه الخيالات والأوهام، وتدخل في أبياته المبالغات والكذب، وهو أمر معروف عند العرب، فهم يقولون في أمثالهم:

" **أعذب الشعر أكذبه** "، وهذا الذي أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وأرسل به إلى الناس كافة، قرآن مبين لا يأتيه الباطل، ولا يختلط به الشعر ـ كما يزعمون ـ ولا يصل إلى مقامه. ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿69﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿70﴾ ﴾ [يس: 69-70]. وفرق القرآن بين منهج الشعراء، ومنهج النبوة، لأن منهج النبوة هو هداية ربانية، بينما يرتكز منهج الشعراء على اللغو الباطل، لأن الشعراء فيهم النقص، ويعتريهم الكذب، ويتبعهم أصحاب الأهواء،

وأهل الغواية والفجور: ﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) ﴾[الشعراء: 224-226].

ولكن المنهج القرآني استدرك الشعر الحسن الذي يساهم في عملية البناء، ويفيد المجتمع المسلم، كما قال الشافعي: " **الشعر كلام، والكلام منه حسن، ومنه قبيح** ". وكانت للشاعر المسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رسالة دعوية، وكلامه هو نبع الكلمة الطيبة التي أيدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لشاعره حسان بن ثابت: " **اهجهم ـ أو قال هاجهم ـ وجبريل معك** " واعتبر الكلمة المؤثرة جهاداً، فعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم، إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل** "رواه أحمد. وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلو بني الكفار عن سبيله * خلو فكل الخير في رسوله

قد أنزل الرحمن في تنزيله * في صحف تتلى على رسوله

فقال عمر: يا ابن رواحة ؛ في حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل** ".

وكان صلى الله عليه وسلم يستريح للكلمة الطيبة ولو جاءت من غير مسلم، فقد روى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول: " **أصدق كلمة ـ أو أشعر كلمة ـ قالتها العرب قول لبيد: الا كل شيء ما خلا الله بطل**" أخرجه مسلم وزاد (**وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم**). وكان صلى الله عليه وسلم يسمع لشعر أمية بن أبي الصلت لأنه كان حكيماً.

قال ابن إسحاق: لما نزلت﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (224) ﴾[الشعراء: 224]. جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ (227) ﴾[الشعراء: 227]. قال: " **أنتم** " ﴿ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا (227) ﴾[الشعراء: 227]. قال: " **أنتم** "، ﴿ وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ (227) ﴾[الشعراء: 227]. قال: "**أنتم**".

واشتهرت فئة من الصحابة بالمنافحة عن العقيدة، والذود عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، أثناء الصراع مع الوثنية وأهلها، ومنهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، من شعراء الأنصار،

ومنهم عبد الله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكانا يهجوان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جاهليتهما، فلما أسلما حسن إسلامهما ومدحا رسول الله ونافحا عن الإسلام.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب شعر عبد الله بن رواحة، ويستزيد من السماع إليه، ولما أقبل عليه ذات يوم في مجلسه، قال له صلى الله عليه وسلم سائلا: " **كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول؟** " فأجاب عبد الله: " **أنظر في ذاك وأقول** ".. ومضى على البديهة ينشد:

يا هاشم الخير إن الله فضلكم * على البرية فضلا ما له غِيَر
إني تفرَّستُ فيك الخير أعرفُه * فراسةً خَالفتهم في الذي نظروا
ولو سألتَ أو استَنصَرت بعضهمو * في حلِّ أمرك ما رَدُوا ولا نَصَروا
فثبَّت الله ما آتاك من حَسَنٍ * تثبيت موسى ونَصْرًا كالذي نُصِرُوا

فسُرَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي وقال له: " **وإياك، فَثَبَّتَ الله** ". ومما سبق يفهم المسلم رسالة الشاعر الملتزم، الذي قال الله فيه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴿227﴾ ﴾[الشعراء: 227].

المشعر الحرام

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴿198﴾ ﴾[البقرة: 198].

أمر الله الحجاج بعد الوقوف بعرفات أن يتوجهوا إلى منىً، وأن يتوقفوا في طريقهم بالمزدلفة للصلاة وذكر الله والدعاء والتضرع لله، عند المشعر الحرام. قال القرطبي: وسمي مشعرا من الشعار وهو العلامة، لأنه معلم للحج والصلاة والمبيت به، والدعاء عنده من شعائر الحج؛ ووصف بالحرام لحرمته.

والمشعر الحرام في الحرم المكي، ولا يتجاوز موقع المزدلفة، ولكن أختلف فيه، فقيل:

* هو جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى اسفر جدًا. رواه **مسلم**. وعن نافع عن ابن عمر أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴿198﴾ ﴾[البقرة: 198]. فقال: هذا الجبل وما حوله. ورأى الناس يزدحمون على قزح فقال ابن عمر: علام يزدحم هؤلاء؟ كل ما ههنا مشعر.

* وقيل هو المزدلفة كلها، قال ابن عمر: المشعر الحرام المزدلفة كلها. وسميت بهذا الإسم لفعل أهلها، لأنهم يزدلفون إلى الله، أي يتقربون بالوقوف فيها. وقال قتادة: وقيل لإجتماع آدم فيه مع حواء، وازدلف إليها، أي دنا منها، وبه سميت المزدلفة. وعن عمرو بن ميمون، سألت عبد الله بن عمرو عن

المشعر الحرام، فسكت حتى إذا هبطت رواحلنا بالمزدلفة. قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هذا المشعر الحرام. ويعني المزدلفة.

شـمـويل ـ عليه السلام

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ (246)﴾[البقرة: 246].

كان لبني إسرائيل كثير من الأنبياء، يتتابعون في تاريخهم الطويل؛ ولما دخلوا إلى أرض فلسطين مع نبيهم **يوشع بن نون**، قسم لهم الأرضين، وبعد موته، بقوا بدون ملك لمدة **356 سنة** من بعد موسى عليه السلام، وكان يشرف على أمورهم حينئذ قضاة منهم، وصارت حالتهم عرضة لغزوات الأمم المجاورة لهم، كالعمالقة من العرب، والمديانيين، والفلسطينيين، والأراميين وغيرهم. وكان الأنبياء يرشدون القضاة ويقدمون النصائح والتوجيهات للحكام منهم، وفي بعض الأحيان يكون النبي قاضيا.

ولكنهم في أواسط المائة الرابعة دخلوا في حرب مع الفلسطينيين من سكان اشدود بالقرب من غزة، وأخذ اليهود معهم تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه التوراة، أي الشريعة ليستنصروا به، فغلبهم الفلسطينيون وأخذوا تابوت العهد، ودخلوا به إلى بيت داجون، وكانت هزيمة بني إسرائيل عظيمة، وكان لهم يومئذ نبي من قضاتهم، أختلف في اسمه ونسبه، فقيل هو شمعون من نسل هارون، وقيل اسمه صمويل، والمشهور هو شمويل: أو أشمويل (وهو بالعبرانية اسماعيل) ابن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة بن عزريا.

وقال أهل الأخبار: انه لما انقطعت النبوة في سبط " **لاوى** "، ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولدا ذكرا؛ فولدت غلاما فسمته " أشمويل " أي سمع الله دعائي؛ فلما ترعرع بعثته إلى المسجد، وأسلمته إلى رجل صالح فتعلم من خيره وعبادته؛ ولما كبر؛ جاءه جبريل، وقال له: إن ربك قد بعثك إلى قومك.

ولما أنهكت بني إسرائيل الحروب، وأذلهم الأعداء، اتجهوا إلى نبي الله شمويل، وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا، ليقودهم في المعارك ضد أعدائهم، كما ذكر تعالى في كتابه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (246)﴾[البقرة: 246].

ولكن شمويل يعرف طباع قومه، فحذرهم من الإعراض عن القتال عندما يكتب عليهم، فردوا عليه بقوة، قائلين: إن الأعداء أذلونا، فأخرجونا من ديارنا، وسبوا أبناءنا، فلا نملك إلا القتال أسلوبا للرد عليهم: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)﴾[البقرة: 246].

ولما عين لهم شمويل قائدا منهم هو طالوت، وولاه الملك عليهم، رفضوه ـ في بادئ الأمر لفقره ـ فأكد لهم النبي شمويل أن الإختيار من الله تعالى الذي ميزه بالعلم، ومنحه قوة جسمية، وأعطاه قدرة على إدارة الحروب: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿247﴾﴾[البقرة: 247]. وأخبرهم شمويل أن الله أيد طالوت، ودليل ذلك أن التابوت الذي أخذ منهم، سوف يعود إليهم قبل قيام الحرب مع أعدائهم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿248﴾﴾[البقرة: 248]. وكان ذلك حافزا قويا على القتال، وقام طالوت بالأمر وقاتل الفلسطينيين، وهزم جيش جالوت، وقتل داود عليه السلام، الطاغية جالوت، وصار داود صاحب مكانة عند صهره طالوت، ولكن شؤون الحكم سرعان ما أفسدت العلاقة، ووقع خلاف كبير بين الصهرين، وقدم النبي شمويل كل النصائح لطالوت، فلما أصر على موقفة، قاطعه، وأخبر داود أن الملك صائر إليه بعد موت طالوت؛ وفي تلك الظروف توفي شمويل عليه السلام، وقام في بني إسرائيل نبي آخر اسمه **جـاد.**

الـشـهـداء

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴿140﴾﴾[آل عمران: 140].

الشهيد: هو المسلم الذي مات في سبيل الله، فاختاره الله إلى جواره، وأكرمه بالشهادة لينعم في الجنة بالروح والريحان، والخير والرضوان. وله منزلة في الجنة مع النبيين والصديقين والصالحين، الذين قدموا الطاعة، فقال الله فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿69﴾﴾[النساء: 69]. وقد سقط الشهداء في ساحة المعارك، حينما قاتلوا بجانب النبي صلى الله عليه وسلم، ونوهت الآيات بخصالهم النبيلة، وأجرهم الكبير عند الله، ومنهم:

* **شهداء غزوة بدر الكبرى:** استشهد في الغزوة أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وكان الناس يقولون للقتيل في سبيل الله، مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله

الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (154)﴾ [البقرة: 154].

* **شهداء غزوة أحد:** اختار الله يوم أحد سبعين شهيدا أغلبهم من الأنصار، وعددهم خمسة وستون، منهم واحد وأربعون من الخزرج، وأربع وعشرون من الأوس، وقتل رجل من اليهود، واستشهد من المهاجرين أربعة رجال فقط.

ولما أبطأ الخبر على النساء بالمدينة، خرجن يستخبرن، فأقبل رجلان على بعير، فسألتهم امرأة: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو حي، قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، فنزل قوله تعالى مؤيدا لهذه المرأة الصادقة: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (140)﴾ [آل عمران: 140].

وسماهم الله الرجال، ووصفهم بالصدق، ومنهم من استشهد في غزوة أحد، كأنس بن النضر، وحمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير وغيرهم، ومنهم الذين ينتظرون الشهادة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وقد نزل فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا (23)﴾ [الأحزاب: 23]. وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية بعد انتهاء المعركة، فوق منبره بالمسجد النبوي، بعد تعزية المسلمين بما أصابهم، وأخبرهم بما ادخره الله للشهداء من الأجر، لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وبلغ النبي الناس، نيابة عن الشهداء، بوحي من الله تعالى.

روى الإمام **أحمد، وأبو داود، والحاكم** عن ابن عباس قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش؛ فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، وحُسْن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (171)﴾ [آل عمران: 169-171].

﴿ ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ ﴾[غافر: 67].

الشيخوخة آخر مرحلة في حياة الإنسان، وهي سن الهرم التي يبلغ فيها المرء من الكبر عتيا، فيوهن العظم، ويعم الشيب كامل الرأس، كما عبر سيدنا زكريا عليه السلام عندما قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾[مريم: 4]. وورد ذكر الشيخ الكبير في عدة مواضع من حياة الأنبياء ومنهم:

***إبراهيم عليه السلام:** وقد بلغ من العمر **120سنة**، فبشرت الملائكة زوجه سارة باسحاق، ومن ورائه يعقوب عليهما السلام، فتعجبت سارة من الأمر، وتساءلت كيف تلد وهي عجوز، وزوجها إبراهيم شيخا هرما: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾[هود: 72].

* **يعقوب عليه السلام:** عندما أخذ يوسف أخاه بنيامين، استعطفه اخوته، وسألوه أن يأخذ أحدهم بدله، لأن والدهم شيخ كبير، لا يستطيع فراق إبنه الصغير: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[يوسف: 78].

* **شيخ مدين:** والمقصود هو شيخ مدين الذي آوى موسى وزوجه من ابنته **صفورا**، عندما هرب موسى من بطش فرعون، ووصل إلى بلدة شعيب، فوجد امرأتين تخلفتا عن السقي دون القوم، فسأل عن أمرهما، فأخبرتاه، أن سبب تأخرهما هو الضعف، وليس لهما رجلا جلدا يقوم بالسقي لأن أبوهما شيخ هرم: ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾[القصص: 23]. فسقى لهما موسى عليه السلام، ثم جلس تحت ظل الشجرة، فجاءته الفتاة، تدعوه بأمر من والدها: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص: 25].

والجدير بالذكر أنه وقع خلاف في أمر الشيخ الكبير الذي صاهره موسى عليه السلام، ويمكن طرح الرأيين:

1) يعتقد كثير من المفسرين والمؤرخين أن هذا الشيخ هو نبي الله شعيب عليه السلام، قال ابن كثير: " وهذا هو المشهور عند كثيرين وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس، وجاء مصرحًا به في

حديث، ولكن في إسناده نظر، وصرحت طائفة بأن شعيبا عليه السلام عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته ". والحديث الشريف الذي ورد فيه، ولم يرق إلى درجة الصحة هو: " أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فأصابتا: إحداهما امرأة فرعون حين قالت: (**قرة عين لي ولك لا تقتلوه**) والأخرى بنت شعيب حيث قالت: (**ياأبت استأجره إن خير من اسأجرت القوي الأمين**). وهذه الشهرة جعلت الشعراء يستشهدون به، مثلما ورد عن أبي العلاء المعري، في مدح رجل، عندما زفت إليه عروسه:

كنت موسى وافته بنت شعيب * غير أن ليس فيكما من فقير

2) ويرى آخرون أن الشيخ يدعى " **يثرون** " وهو ابن أخي شعيب، وعند أهل الكتاب، يثرون هو كاهن مدين أي كبيرها وعالمها. وقيل هو رجل مؤمن من قوم شعيب.

والراجح ما صرح به القرآن الكريم، فنسبه إلى مدين، وموسى كان بعد زمن شعيب بزمن طويل، فقد يكون شعيب أو أحد آخر من قومه، والله وحده أعلم بالحقيقة.

﴿حرف الهـاء﴾

هـاجـر

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴿158﴾﴾[البقرة: 158].

بشر الله ابراهيم بغلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿101﴾﴾[الصافات: 101]. وهو ابنه إسماعيل من أَمَةٍ تدعى "هـاجر" أو " آجـر القبطية " التي أهداها ملك مصر لزوجة إبراهيم سارة، وهذه الأخيرة لمَّا تأخر حملها كثيرًا، وهبت أمتها هاجر إلى زوجها إبراهيم، فأنجبت له أول أولاده إسماعيل عليه السلام.

ولكن الغيرة جعلت سارة تطلب من زوجها أن يبعد عنها تلك الجارية وابنها الرَّضيع، فاستجاب إبراهيم لأمر الله بذلك الإبعاد ـ الذي أرادت به سارة شيئًا في نفسها ـ وأراد الله به إكرام هاجر وابنها إسماعيل.

ـ **هاجر أول من عمَّر البيت الحرام:** أسكن إبراهيم زوجه هاجر في البلد الحرام **"مكة"** مع وليدها الرَّضيع إسماعيل، وهي أرض صحراوية قاحلة يسود أرجاءها الجفاف، وكاد ولدها يموت من العطش لولا عناية الله التي جعلت الماء ينبع من تحت قدم إسماعيل؛ فحينما كانت الأم فوق الرابية القريبة تسعى وتهرول في سبعة أشواط وهي تبحث عن الماء أو الإنسان وقد خلد القرآن قصتها في مناسك الحج بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴿158﴾﴾[البقرة: 158]. وعند تلاوتك هذه الآية، عليك أن تتذكر هاجر وسعيها الأول الذي جعله الله شرعًا يُتبع ومنسكًا يُقام عند كل حج أو عمرة.

ـ **هاجر وتربية إسماعيل:** عكفت هاجر على تربية ولدها ورعايته، حتى صار يافعًا وتزوج من قبيلة جُرْهُم، وكَثُر نسله، لأن الله استجاب لدعاء إبراهيم وإسماعيل حينما قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿128﴾﴾[البقرة: 128]. وكلما مرت بك الآية السابقة، وفيها دعاء إبراهيم لذريته في تلك البقاع، فاعلم أنهم من نسل هاجر قبل أن يكونوا من نسل إبنها إسماعيل.

ـ **وفاة هاجر:** وبعد عمر مديد ماتت هاجر بمكة، ودفنت بالحِجر بجوار الكعبة المشرفة، فعن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: لما بلغ إسماعيل عشرين سنة توفيت أمُّه هاجر وهي ابنة تسعين سنة، فدفنها إسماعيل في الحِجر.

المهاجرون إلى الحبشة

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۝١٠٠ ﴾[النساء: 100].

عندما اشتد الأذى على المسلمين بمكة أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة لأن فيها ملكا لا يُظلم عنده أحد. فخرج أول وفد من الصحابة المهاجرين في **رجب سنة 5 من البعثة**، وكان الفوج مكوَّنًا من اثني عشر رجلا وأربع نسوة، وكان قائدهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال فيهما: " **إنهما أول بيتٍ هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام**". وفي شهر رمضان من نفس السنة خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحرم وقرأ على قريش سورة "**النجم**" فاستمعوا إليها بتمعن، ولما وصل في قراءته إلى السجدة في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۝٦٢ ﴾[النجم: 62]. سجد النَّبي صلى الله عليه وسلم، فلم يتمالك المشركون أنفسهم فخروا جميعا ساجدين. حينئذ وصل خبرهم إلى الحبشة، فظنَّ المهاجرون أن قريشًا أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شهر شوَّال من نفس السنة، ولكنهم وجدوا قريشًا تفتك بالمسلمين أكثر من ذي قبل، فهاجروا مرَّة ثانية وكان عددهم ثلاثة وثمانون رجلا، ونحو ثماني عشرة امرأة، وكانت الهجرة الثانية أشق عليهم من الأولى، فلاحقتهم قريش إلى الحبشة لإعادتهم، ولكنَّ الله سلَّم.

وذاق بعض المهاجرين العنت، فمنهم من قضى نحبه في الطريق مثل خالد بن حِزام بن خويلد الأسدي، أخو حكيم بن حزام، وابن أخي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، الذي هاجر إلى الحبشة مع الفوج الثاني فنَهشْتهُ حيَّة، فمات في الطَّريق، فنزل فيه ـ وفي أمثاله من المهاجرين إلى المدينة الذين تعذَّبوا كثيرا ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٠ ﴾[النساء: 100].

ومكث المهاجرون في كنف النجاشيّ في أمان وسعة، ورجعوا إلى المدينة بعد فتح خيْبر في السنة السابعة هجريَّة، وكانوا ستة عشر رجلا يقودهم جعفر بن أبي طالب، ومعهم ما بقي من نسائهم وأبنائهم، وبقية المهاجرين رجعوا إلى المدينة قبل ذلك. فأعطاهم الرسول نصيباً من غنائم غزوة خيبر إكرامًا لهم، ويومها قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقدِّر جعفر: (**والله ما أدري بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**).

المهاجرون إلى المدينة

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴿117﴾ ﴾[التوبة: 117].

المهاجرون: هم المسلمون من الصحابة (رجالا ونساء) الذين تركوا أرضهم بمكة، وسكنوا الأرض الجديدة بالمدينة المنورة، وقد مدحهم الله في كتابه فسماهم " الصادقين" فكان الرجل منهم يعصب على بطنه حجرا حتى يتغلب به عن الجوع، فانزل الله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿8﴾ ﴾[الحشر: 8].

وكان أول المهاجرين إلى المدينة أبو سلمة الذي هاجر قبل العقبة بسنة؛ وبعد العقبة الثانية في السنة الثالثة عشر من البعثة (**جوان 622م**)، أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة، وبعد شهرين وعدة أيام لم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي بن أبي طالب، وكل من حبسه المشركون كرها. ولمَّا تآمرت قريش على النبيّ صلى الله عليه وسلم، وصمموا على قتله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿30﴾ ﴾[الأنفال: 30]. وحاصروا بيته لتنفيذ الجريمة، أمره الله بالخروج، فخرج من بيته المحاصر وهو يتلوا قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿9﴾ ﴾[يس: 9]. وكانت هجرته من مكة ليلة **27 صفر سنة14 من البعثة.** وقد أنزلهم الله بالمدينة المنورة دارًا حسنة، ودار الآخرة خيرٌ لهم وأبقى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿41﴾ ﴾[النحل: 41].

وقد آخى النبي بين المهاجرين والأنصار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴿72﴾ ﴾[الأنفال: 72]. وأعطاهم الله ثوابًا عظيمًا بسبب إيمانهم وعملهم الصالح (الهجرة والجهاد): ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿20﴾ ﴾[التوبة: 20]. ونالوا رحمة الله وغفرانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿218﴾ ﴾[البقرة: 218]. ولم يرض الله لهم جزاء إلا الجنة، وذلك هو الفوز العظيم: ﴿ فَٱلَّذِينَ

﴿... هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿195﴾﴾[آل عمران: 195].

واستمرَّت الهجرة من مكة إلى المدينة إلى غزوة الفتح في السنة الثانية، فمُنِعت الهجرة لأن مكة صارت دارًا للإسلام. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنْفِرتم فانفروا**) متفق عليه.

هـاروت ومـاروت

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴿102﴾﴾[البقرة: 102].

هاروت وماروت: هما ملكان أنزلهما الله في أرض بابل (العراق) عندما تفشى السحر بين رؤساء اليهود، فانزلهما الله ليميزوا للناس بين معجزات الأنبياء، وبين سحر الكذابين. فكانا يعلمان الناس السحر ابتلاء وامتحانا: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴿102﴾﴾[البقرة: 102]. فعندما يُعَلِّمَان أحدًا من الناس يبذلان له النصيحة، فيقولان: إن هذا السحر إنما هو امتحان من الله لك وابتلاء، فلا تستعمله في الضرر بالناس، ولا تكفر بسببه. فكان من تعلم السحر ليدفع ضرره عن الناس قد نجا، ومن تعلمه ليلحق ضرره بالناس قد هلك وضل.

هـارون عليه السلام

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿142﴾﴾
[الأعراف: 142].

ـ **نسبه ورسالته:** هو هارون بن عمران أخو موسى، والذي ولد قبله بثلاث سنين، وبعثه الله رسولا مع موسى ووزيرا له يؤازره في رسالته ويعينه في دعوته. وبدأت قصة هارون تتجلى، عندما كلف الله موسى بالرسالة وهو بالوادي المقدس، فسأل الله تعالى أن يجعل أخاه هارون مساعدا ومعيناً له في مسيرته الكبيرة: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿29﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿30﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿31﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿32﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿33﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿34﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿35﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿36﴾﴾[طه: 29-36].

فاستجاب الله لموسى ووهب له هارون وأعطاه النبوة رحمة منه، فقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿53﴾ ﴾ [مريم: 53].

ولما قدم موسى إلى مصر والتقى بأمه وإخوته، أخبر هارون بأنه شريك له في الرسالة ومعين له على تبليغ الدعوة، وبدأت أوامر الله توجه إلى موسى وأخيه، ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿42﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿43﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿44﴾ ﴾ [طه: 42-44].

ـ **دور هارون عند غياب موسى في الطور:** كان هارون ملازما لأخيه، يشد أزره، ويعينه على تبعات الدعوة وتكاليفها ويخلفه في بني إسرائيل، ولاسيما عندما يذهب لمناجاة ربه، ويوصيه أن يكون مصلحاً لقومه، مثلما حدث ذات يوم كما قصه القرآن: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿142﴾ ﴾ [الأعراف: 142]. ولكن السامري فتن القوم وأخرج لهم العجل، وعجز هارون عن ردهم إلى الحق، وحينئذ فوضوا الأمر إلى موسى عند رجوعه من المناجاة: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿90﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿91﴾ ﴾ [طه: 90-91].

فلما رجع موسى، غضب غضبا شديدا، وأخذ برأس هارون ولحيته وأخذ يجره إليه ويقول الله: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿92﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿93﴾ ﴾ [طه: 92-93]. فأخبره هارون أنه حاول معهم بالحسنى، ولكنهم تغلبوا عليه وهددوه بالقتل، فأجل الأمر إلى رجوعه، خوفا من إشعال فتنة في بني إسرائيل: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿94﴾ ﴾ [طه: 94].

وذُكِرَ المشهد في آيات أخرى في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿150﴾ ﴾ [الأعراف: 150].

ولما تأكد موسى من براءة أخيه، سأل ربه أن يغفر لهما، ويرحمهما برحمته الواسعة: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿151﴾ ﴾ [الأعراف: 151].

ـ **وفاة هارون:** مات هارون في أرض التيه، قبل أخيه موسى بأحد عشر شهراً، ودفن في " هور " من جبال سيناء، وكان عمره حين توفي نحو **122 سنة**. فقد عاش ما بين **(1439 – 1317 ق م)**.

المستهزئون

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر: 95].

المستهزئون: جماعة من المشركين سماهم الله في كتابه بالمستهزئين، وكبيرهم وأشدهم أذى للمؤمنين، هو أبوجهل، عمرو بن هشام المخزومي، وقد تكفل الله بهم، ومنع شرهم عن النبي والمؤمنين، فأهلكهم وجعل كيدهم في نحورهم، وقال لنبيه: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الحجر: 95-96].

قال محمد بن إسحاق: كان عظماء المستهزئين خمسة نفر: وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم: فمنهم من بني أسد بن عبد العزى: **أبو زمعة**، ومن بني زهرة: **الأسود بن عبد يغوث.** ومن بني مخزوم: **الوليد بن المغيرة.** ومن بني سهم: **العاص بن وائل.** ومن خزاعة: **الحارث بن الطلاطلة.**

هلال بن أمية

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [النور: 6].

وهو هلال بن أمية الواقفي، شهد بدرًا، وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك وتاب الله عليه مع صاحبيه مرارة بن الربيع وكعب بن مالك. وكان أول رجل لاَعَنَ زوجته في الاسلام، وحدث ذلك في شعبان السنة **9 هـ**، وقد رمى زوجته خولة بنت عاصم واتهمها باقتراف الفاحشة مع شريك بن سمحاء.

أخرج البخاري عن ابن عباس: (أن هلال بن أمية) قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم (بشريك بن سمحاء) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: البينة أو حدٌّ في ظهرك. فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلا، ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: البينة أو حدٌّ في ظهرك. فقال هلال: والذي بعثك بالحق، إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل، وأنزل الله عليه الآيات التالية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [النور: 6].

فأنصت النبي صلى الله عليه وسلم إليهما، فجاء هلال فشهد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟) ثم قامت زوجته "خولة "فشهدت، فقال لها النبي صلى الله

عليه وسلم: (الرجم أهون عليك من غضب الله) ، فلما كانت الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة، فتلكأت ونكصت، قال ابن عباس: حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت. ففرق النبي بينهما بعد الملاعنة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين، خدلَّجَ الساقين (أي ممتلئا لحمًا) فهو لشريك بن سمحاء، فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لولا ما مضى من كتاب الله، لكان لي ولها شأن.

هـامـان

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القصص: 8].

هامان: هو أحد الأشراف من قوم فرعون، وأصحاب النفوذ في البلاط الفرعوني، واسمه مشتق من كلمة **(آمون)** التي تدل على العلو والعظمة، لأنه كان كاهن آمون الأعظم، او كبير كهنة آمون. وكانت الكهانة أكبر سلطة دينية في الدولة والمجتمع، حتى أن فرعون يحتاج إلى رضا الكاهن الأعظم ليرقى في العرش ويثبت فيه. وصار الكاهن الأعظم صاحب سلطة واسعة، وقوة سياسية مستقلة عن فرعون، وهذه السلطة خولته الاشراف المباشر على الحياة الدينية والدنيوية، وصار وزيرا لفرعون، وذا نفوذ قوي في دولته.

ورد ذكره في بناء الصرح، فقد كلفه فرعون ببناء قصر منيف، رفيع البناء، بالطين والآجر، وأن يكون شامخا في السماء، وقال فرعون وهو يتهكم، لعلي أطلع من الصرح إلى إله موسى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ [القصص: 38]. اما نهايته، فقد مات غرقا مع فرعون وقومه في البحر الأحمر.

الذين هـادوا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة: 69].

ـ **الذين هـادوا:** هم اليهود من أتباع موسى عليه السلام، وقد جعل الله الفوز العظيم لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر، وعملوا بالطاعات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة: 69].

ولكن فريقا منهم حرفوا الكلم عن مواضعه، وعصوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وألغوا أحكام الرجم، كما وردت في التوراة، فقال الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا ﴿46﴾﴾[النساء: 46]. فعاقبهم الله بسبب ذنوبهم، فحرم عليهم أنواعا من الطعام: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿160﴾﴾[النساء: 160]. ومما حرمه الله عليهم، لحوم الإبل والأنعام، وشحوم البقر والغنم، ما عدا الشحم الذي علق بالظهر، والأمعاء، وما اختلط بعظم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿146﴾﴾[الأنعام: 146]. وأكد على ذلك مرة أخرى بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿118﴾﴾[النحل: 118].

وذكر الله من صفاتهم السيئة؛ سماع الأكاذيب والعمل بالأباطيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴿41﴾﴾[المائدة: 41]. وكانوا يدعون أنهم أولياء لله وأحباؤه، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم على لسان القرآن، أن يتمنوا الموت حتى يعبروا عمليا على محبتهم وشوقهم للقاء الله؛ ولكنهم متمسكون بالدنيا، مقترفون للمعاصي، ومن الظالمين الجاحدين: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿6﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿7﴾﴾[الجمعة: 6-7]. ولكن الله يفصل بينهم يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿17﴾﴾[الحج: 17].

هــودًا

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾[البقرة: 111].

ـ **هودًا: أي يهودًا**، وهي جمع هائد، والهائد: هو التائب الراجع عن ذنبه، واشتقت الكلمة من هاد إذا تاب، كما قال تعالى: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ١٥٦ ﴾[الأعراف: 156]. أي تبنا ورجعنا عن ذنوبنا.

واليهود ادعوا أنهم من أهل الجنة، وهي مجرد أماني كاذبة: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾[البقرة: 111].

وهم يَدْعُون الناس أن يتبعوا ملتهم اليهودية حتى يكونوا على الحق، فأخبرهم الله ان الملة الحنيفية السمحة هي ملة إبراهيم، الذي كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ ﴾[البقرة: 135].

هــود ـ عليه السلام

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ ﴾[الأعراف: 65].

ـ **نسبه وحال قومه:** هو من أجداد إحدى القبائل العربية البائدة، التي تنتسب إلى أولاد سام بن نوح عليه السلام، وهي قبيلة عاد الأولى ـ ولكن أختُلف في سلسلة نسبه، فمنهم من جعله قريب العهد بعاد فقال: هود بن شالخ بن أرنخشذ بن سام بن نوح، فيكون هود ابن عم والد عاد ـ ولكن الراجح هو النسب القريب العهد من زمن إبراهيم، لأن المشهور عن عاد أنهم بادوا بعد وجود إبراهيم وبناء البيت بمكة، وعلى هذا الأساس تكون سلسلة نسبه هي: هـــود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن **عــاد** ـ جد هذه القبيلة ـ ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام. وكانت مساكن قومه بالأحقاف شمال حضرموت، وجنوب شبه الجزيرة العربية: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ٢١ ﴾[الأحقاف: 21]. وموضعها اليوم صحراء رملية خالية.

وتميز قوم هود عليه السلام بعدة أوصاف منها:

1) عبادة الأصنام وانكار البعث: فقد عبدوا ثلاثة أصنام، يقال لأحدها: صداء، والآخر: صمود، والثالث، الهباء. وفي أثر منسوب لابن عباس، أضاف إليها صنما يدعى: الهتار. وكانوا ينكرون الدار الآخرة ويقولون لبعضهم: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (34) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (35) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) ﴾[المؤمنون: 34-37].

2) الانغماس في حياة الترف: كان قومه من المترفين في حياتهم، فقد امدهم الله بأنعام وبنين، وجنات وعيون، وألهمهم إلى اتخاذ مصانع لجمع المياه، وبناء قصور فخمة، ولكنهم غفلوا واغتروا بتلك المباني، وأخذوا يتباهون بها، واظهروا القوة والبأس. وقد نصحهم هود عليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) ﴾[الشعراء: 123-135].

3) الاستكبار في الارض والإعتداد بالقوة: فقد عُرفوا بالتجبر في الأرض، وشدة البطش بالناس دون أن تعرف قلوبهم ذرة واحدة من الرحمة والشفقة: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) ﴾[الشعراء: 130]. وكانوا يعتدُّون بقوتهم، لأنهم ذوي أجسام قوية ـ قيل كان الرجل ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده ـ وظنوا أن قوتهم تلك تدفع عنهم عذاب الله الشديد: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) ﴾[فصلت: 15]

ـ مراحل تبليغ الدعوة عند هود عليه السلام:

كانت دعوة هود عليه السلام تنساب بلطف داخل المجتمع، وتسير وفق منهج دعوي يؤمن بالتدرج، وتعدد الأساليب (الدعوة ـ التذكير ـ الحوار) وكانت مراحلها هي:

ـ **المرحلة الأولى: دعوة قومه إلى التوحيد والاخلاص في العبادة:** اذ دعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام، ووجههم إلى ثمرة الهداية، وهي تقوى الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿65﴾﴾ [الأعراف: 65].

وخوفهم من العذاب الشديد في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿21﴾﴾ [الأحقاف: 21]. ولكن القوم استخفوا بدعوته، ووصفوه بالسفه والطيش والكذب؛ ولكنه بقي معتزا بدعوته، وأكد لهم انه رسول من رب العالمين: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿66﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿67﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿68﴾﴾ [الأعراف: 66-68].

ـ **المرحلة الثانية: تذكير قومه بفضل الله عليهم:** ذكَّر هود قومه بما أنعم الله عليهم من خيرات كثيرة: فقد استخلفهم في الأرض بعد قوم نوح، ووهبهم قوة الابدان، وقوة السلطان. والواجب يحتم عليهم أن يقابلوا تلك النعم بالخير، لأن فيها سعادة الدنيا والآخرة؛ ومن نعم الله عليهم، انه أرسل إليهم هـودًا بشيرا ونذيرا: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿69﴾﴾ [الأعراف: 69].

ـ **المرحلة الثالثة: محـاورةقومه بالحجج الواضحة:** أصر قوم هود على عبادة الأوثان، وتمسكوا بها لأن نبيهم لم يأتهم بحجة واضحة تدعوهم إلى التصديق به، واتهموا هـودًا بالهذيان الذي أصابته به آلهتهم، عقوبة له على أفعاله معها: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿53﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿54﴾﴾ [هود: 53-54]. فرد عليهم هود عليه السلام، وتبرأ من شركهم وتعصبهم، وبين لهم أن آلهتهم لا تستطيع أن تضره لأنه لجأ إلى ربه القادر على كل شيء، والمتصرف في كل المخلوقات، والهادي إلى سواء السبيل. ثم ختم حواره ـ في تلك المرة ـ بتقديم نصيحة هي: أن ضلالهم لا يسبب له أي ضرر، وحذرهم من عقاب الله القادر على تدميرهم، واستخلاف قوم آخرين في أرضهم، مثلما حدث لقوم نوح من قبلهم: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿54﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿55﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿56﴾

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ ﴿57﴾ ﴾[هود: 54-57]. ثم لما لقوه في المرة الموالية، أظهروا تمسُّكًا كبيرًا بآلهتهم، وطلبوا منه أن يعجل لهم العذاب إن كان صادقًا في وعيده، فأكَّد لهم هود ـ مرة أخرى ـ عن صدقه، وما عليهم إلا أن ينتظروا العذاب، وإذا تأخر العذاب فالسبب هو إمهال الله لعلهم يرجعون عن ظلالهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿70﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٖ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿71﴾ ﴾[الأعراف: 70-71]. ولكنَّ القوم أصروا واستكبروا، ورفضوا المواعظ، واستعجلوا العذاب، فحاق بهم الهلاك، وحلَّ بديارهم الدَّمار، وجعلهم الله عبرة لكل معتبر: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿136﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿137﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿138﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿139﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿140﴾ ﴾[الشعراء: 136-140].

ـ **عقاب الله لقوم هود:** أنزل الله العقاب على قوم هود على مرحلتين هما:

*__مرحلة التخويف والإنذار:__ وبدأت بإمساك المطر عنهم لمدة ثلاث سنين، وأثناء الجفاف القاتل اشتغل هود بوعظهم وإنذارهم بقرب العذاب، وذكَّرهم أن رحمة الله واسعة، وأن طريق العودة إلى الحقِّ مازال مفتوحا، وعليهم أن يتوبوا إلى الله ويستغفروه، وحينئذٍ يُرسِل لهم المطر المتتابع، ويُنعِم عليهم بالخيرات، ويعمهم بالبركات: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارٗا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿52﴾ ﴾[هود: 52]. ولكن القوم اختاروا طريق الإجرام والمعصية عوض التوبة والهداية، فحلَّ بهم العذاب الشديد.

*__مرحلة الإستئصال والإبادة:__ كانت أوَّل بوادر العذاب، إقبال سحابةٍ نحو ديارهم، فظنُّوا أنها تحمل لهم الفرج ـ بعد قحط وجفاف دام ثلاث سنوات ـ ولكنَّ هودًا أخبرهم أن فيها مقدمات العذاب وسوف تتحول السحابة إلى ريح عاصفة تدمِّر كلَّ شيء من إنسان وحيوان وأموال: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضٗا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿24﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءِۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿25﴾ ﴾[الأحقاف: 24-25]. وأرسل الله إليهم

الريح العقيم المتتابعة، وإستمرت سبع ليال وثمانية أيام دون انقطاع، ومن شدَّتها صرعتهُم جميعًا: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞6 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞7 فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۞8 ﴾[الحاقة: 6-8].

قال ابن عباس: " أول ماجاءت الريح على قوم عاد، كانت تأتي على الرجال والمواشي فترفعهم من الأرض وتطير بهم إلى السماء حتَّى يُصبح الواحد منهم كالريشة، ثم تضربهم على الأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب، وصرعتهم ". وصاح بهم جبريل عليه السلام صيحة رجفت لها الأرض من تحتهم، فصاروا هلكَى لشدَّتها، وتحوَّلوا إلى غثاءٍ حقير يشبه غثاء السيل، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞39 قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۞40 فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞41 ﴾[المؤمنون: 39-41]. فاستأْصلهُم الله جميعا، وتحوَّلوا إلى جثثٍ هامدةٍ تشبه أعجاز النخل الخاوية، كما صارت ديارهم خاوية: ﴿ فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞25 ﴾[الأحقاف: 25].

ـ **نجاة هـود واللذين آمنوا معه:** وكانت نجاتهم رحمة من الله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞58 ﴾[هـود: 58]. أما كيفية النجاة، فلم يفصِّلها القرآن الكريم، وإنما ذكرتها بعض أخبار التاريخ ومفادها: أن هودًا اعتزل قومه بعد يأسه منهم وذهب مع الجماعة المؤمنة إلى مكة، فعاش بها حتى مات بعد زمن، ودُفِن بأرضها.

ـ **وفاة هود عليه السلام:** يوجد في أرض فلسطين قبرٌ يُنسبُ إلى هود ولكنَّ ذلك لا يصح؛ والرَّاجح في الخبر؛ ماذكره أهل حضرموت، أنَّ هودًا عليه السلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد، ومات ودُفِن في شرقي بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادي برهوت. وعاش هود نحو**150** سنة، مابين(**2500 ق م ـ 2350 ق م**).

﴿ حرف الـواو ﴾

وادي القـرى

﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ ﴾ [الفجر: 9].

هو واد بين الشام والمدينة المنورة، ويقع بين تيماء وخيبر، وبه قرى كثيرة، وبسببها سمي وادي القرى، ويسمى أيضا الوادي، وأهل الوادي. ويبعد عن المدينة المنورة بنحو **350** كلم من جهة الشمال. قال ياقوت الحموي: " وكان به قديما منازل ثمود وعاد، وبها أهلكهم الله، وآثارها باقية إلى الآن". وثمود قطعوا صخر الجبال، ونحتوا بيوتهم بوادي القرى.

الوادي المقدس

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ ﴾ [طه: 11-12].

هو الوادي المقدس الواقع في أسفل جبل طور سيناء، وقد كلم الله فيه موسى، وكلفه بالرسالة، وهو في جانب الوادي الأيمن عند الشجرة: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾ [القصص: 30].

وادي نخـلة (بطن نخلة)

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢٩ ﴾ [الأحقاف: 29].

أطلق هذا الاسم على واديين في الحجاز، ارتبط كل منهما بأحداث الدعوة الإسلامية ونزول بعض الآيات القرآنية، وهما:

- **وادي نخلة اليمانية:** وهو واد بين مكة والطائف على ليلتين من مكة **(يبعد عن مكة نحو 13 كلم)**. وهو الوادي الذي أقام فيه النَّبي صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من هجرته إلى الطائف، فأقام في بطن نخلة أيامًا لأن في الوادي موضعين يصلحان للإقامة هما (السيل الكبير والزِّيمة) ففيهما الماء والخصب، وخلال إقامته صلى الله عليه وسلم بعث الله إليهم نفراً من الجنّ، أتوا من بلاد بعيدة، وهم من عالم آخر، وقيل كانوا سبعة من جنّ **نصيبين:** (موقع بالجزيرة في شمال الموصل بين نينوى وحاران) فاستمع الجنّ لقراءة

النَّبي صلى الله عليه وسلم في بطن الوادي، وهو يقرأ في تهجُّده القرآن الكريم، فآمن النَّفر من الجنّ، وفي ذلك تسلية للنَّبي صلى الله عليه وسلم، فعندما أعرض أهله من سكان الطائف وتعرَّضوا له بالأذى الشَّديد، أشعره الله بالفرج بإيمان الجنّ، وأنزل قرآنًا يخلِّد الموضع الذي نزلت به الآيات المباركة: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾[الجن: 1-2]. ثم رجع النفر إلى قومهم دعاة للاسلام: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ㉙﴾[الأحقاف: 29].

ـ **وادي نخلة الشامية:** وهو واد يبعد عن مكة المكرمة في شمالها الشرقي بنحو **43 كلم** ويدعى (ذات عرق). وقد بعث النَّبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدي في جمادى الآخرة سنة **2 هـ** إلى بطن نخلة ومعه **12 رجلا** من المهاجرين، كلُّ اثنين يتعاقبان على بعير، والغرض هو رصد عير قريش ومعرفة الأخبار، وكانت عير قريش يقودها عمرو بن الحضرمي بمعية ثلاثة من رفاقه، فهاجمتهم سرية المسلمين في نخلة، وكانت النتيجة قتل القائد عمرو بن الحضرمي، وأسر اثنين من أصحابه، وأخذ القافلة بمن فيها إلى المدينة. وحدث القتال في أول يوم من شهر رجب (الشهر الحرام) وكانوا يظنُّونه آخر يوم في جمادى الآخرة، فلما قَدِموا أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوه وقال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. وقالت قريش قد استحلَّ محمد الشهر الحرام، وهو الشهر الذي يأمن فيه الخائف، ويسعى الناس لكسب معاشهم بطمأنينة، وكثُر حديث المشركين، فأنزل الله القرآن يردُّ عليهم بأن كفرهم وطغيانهم أكبر مما فعله المسلمون في الشهر الحرام: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة: 217].

وادي النمل

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل: 18] .

هو واد كثير النمل ببلاد الشام (فلسطين) ويقع بظاهر عسقلان بين أسدود وغزة، وشهد مرور سيدنا سليمان وجنوده، وحينئذ قالت نملة محذرة قومها من الخطر: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل: 18].

الوليد بن المغيرة

﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ ﴾ [القلم: 10-11].

هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي القرشي. رُوِيَ أن الوليد جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه، فتأثر قلبه بما سمع وكاد أن يسلم، فعيَّره رجل من المشركين وقال: تركت دين آبائك وضلَّلتهم وزعمت أنهم في النار؟ فقال الوليد: إني خشيت عذاب الله، فضمن له الرجل إن هو أعطاه شيئا من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله عز وجل، فأعطاه بعض الذي ضمن له ثم بخل ومنعه الباقي فانزل الله: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النجم: 33-34].

والوليد هو أحد سادات قريش الذين يعتقدون أنهم أحق بالنبوة من النَّبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال: " أينزِل (أي القرآن) على محمد وأُترك وأنا كبير قريش وسيدها؟ ويُترك أبو مسعود الثقفي سيد ثقيف؟ ونحن عظيما القريتين؟ " فنزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: 31-32]. وبنو مخزوم وبنو هاشم كانوا يتنافسون في صنع الأمجاد، فلما بُعث النَّبي صلى الله عليه وسلم فات بني مخزوم شرف النبوة، فاشتدَّت عداوتهم للنَّبي، وتولَّى أبو جهل المخزومي (عمُّه الوليد بن المغيرة) تلك العداوة، وقال أبو جهل لبني هاشم: أطعمنا الطعام فأطعمتم، واستقبلنا المجد كفرسي رهان، ثم قلتم: مِنَّا نبي.

وكان الوليد من أكابر قريش حتى لقب بالوحيد وريحانة قريش، ورزقه الله المال والبنين، وكان رزقه ممدودًا بين مكة والطائف، وله بستانٌ في الطائف لا ينقطع ثمره صيفًا ولا شتاءً، ووهبه الله عشرة أولاد

لا يفارقونه في سفر ولا حضر، منهم ثلاثة أسلموا وهم " خالد، هشام، والوليد". ورغم ذلك كفر بأنعم الله وحارب رسول الله.

وأنزل الله فيه تسع صفات ذميمة، آخرها أنه ابن زنى، فقال الله للنبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الآيات: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ ﴾[القلم: 10-15]. فلما نزلت الآيات جاء الوليد إلى أمه فقال لها: إن محمداً وصفني بتسع صفات، كلها ظاهرة فيَّ أعرفها غير التاسع منها يريد أنه (زنيم: **أي ابن زنا**) فإن لم تصدقيني ضربت عنقك بالسيف، فقالت له: إن أباك كان عنينا ـ أي لا يستطيع معاشرة النساء ـ فخفت على المال فمكنت راعيًا من نفسي فأنت ابن ذلك الراعي، فلم يعرف انه ابن زنا حتى نزلت فيه الآية وقال الله في القرآن: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦ ﴾[القلم: 16]. أي سوف تكون له علامة في أنفه يعرف بها إلى يوم موته، وفعلا حدث ذلك في غزوة بدر، فقد خُطِمَ بالسيف، وفي ذلك إذلال له في الدنيا، وفي الآخرة عذاب شديد.

وقيل إن قريشًا بعد إعلان النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة، وقبل حلول موسم الحج، خافوا من تأثيره في الناس، فاجتمعوا عند الوليد بن المغيرة، وتناقشوا فقال لهم الوليد: اجمعوا فيه رأيًا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا، قالوا فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله ماهو بكاهن، لقد رأينا الكهَّان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون. قال: ماهو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ماهو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ماهو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بشعر، قالوا: فنقول: ساحر. قال: ماهو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول؟ قال: **والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل.**

وتقول بعض الروايات: أن الوليد لما سألته قريش الرأي ردَّ عليهم كلما عرضوا كما سبق، ثم قال لهم أمهلوني حتى أفكِّر، وظلَّ يفكِّر أيامًا، ويقلب الأمور، ثم خرج برأيه الكاذب فقال: إنْ هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر. وأشار إليهم أن يأمروا عبيدهم وصبيانهم أن ينادوا رسول الله في مكة، فكانوا يقولون: إن محمدا ساحر، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله في الوليد: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ إِنَّهُۥ

﴿كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25)﴾[المدثر: 11-25].

ومات الوليد في السنة الأولى من الهجرة النبوية، ولما كان يحتضر جزع، فقال له أبو جهل: ما جزعُك يا عم؟ فقال: والله ما بي جزع من الموت، ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة (يعني رسول الله) بمكة، فقال له أبو سفيان: لا تخف إني ضامنُ ألاَّ يظهر. أما سبب هلاك الوليد، فقد وطئ سهماً، فخدش قدمه، فتورمت رجله، فمات بذلك شر ميتة.

وصدق الله لما قال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ (95)﴾[الأنعام: 95]. قال ابن عباس: **يخرج المؤمن من الكافر.** وهذا ما حدث للوليد بن المغيرة، فقد أسلم بعض ابنائه، وكان لهم البلاء الحسن في تاريخ الإسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، ومنهم:

ـ **هشام بن الوليد:** اختلف في صحبته، وقيل هو من المؤلفة قلوبهم، وشهد فتوح العراق مع أخيه خالد بن الوليد.

ـ **الوليد بن الوليد:** ظل على شركه، فلما قامت غزوة بدر، قاتل مع قومه، ووقع أسيرا، اذ أسره عبد الله بن جحش، واشترط في فدائه أربعة آلاف درهم، ولكن النبي طلب في فدائه شكة أبيه الوليد (والشكة هي سيف وبيضة ودرع فضفاض) فأقبل بالشكة خالد وأخوه هشام، فلما قبضها النبي أطلق سراح الوليد، فلما وصل مع أخويه إلى ذي الحليفة، أفلت منهما، وعاد إلى رسول الله مؤمنًا، وأعلن إسلامه، ثم عاد إلى أخويه، فقال له خالد: هل كان هذا منك قبل أن تفتدي، وتخرج مأثرة أبينا من أيدينا، فاتبعتَ محمداً، فأجاب الوليد: ما كنت لأسلم حتى أفتدي بمثل ما افتدى به قومي، وحتى لا تقول قريش إنما آمن واتبع محمدًا فراراً من الفدية. ولما أخذ إلى مكة عذب وحبس، وكان معه نفر من إخوانه المستضعفين قد سجنوا ومنهم: عياش وسلمة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع من الركوع في أخيرة صلاة العشاء يقنت ويقوا: (اللهم أُنج عياش بن ابي ربيعة، اللهم أُنج الوليد بن الوليد، اللهم أُنج سلمة بن هشام، اللهم أُنج المستضعفين من المؤمنين، الله اشدد وطأتك على مُضر، الله اجعلها سنين كسني يوسف). **رواه البخاري.**

فاستجاب الله دعاءه، فأفلت الوليد من سجنه ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم. وبعد مدة قال النبي من لي بعياش وسلمة؟ فقال الوليد: أنا يا رسول الله، فانطلق الوليد وحررهما من السجن خفية، وأركبهما في بعيره، ومشى على رجليه، فدميت رجله، وأوصلهما إلى المدينة، ولكن المرض تمكن منه، فتدهورت حاله، بسبب العذاب القديم، ووعثاء السفر، وجرحه الدامي، فمات رضي الله عنه، طاهرا مطهراً.

ـ **خالد بن الوليد:** وهو احد ابناء الوليد الذي تشرف بالإسلام، والذي جعل منه بطلا مغوارا، وقائداً محنكا. وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن الوليد قبل موته عن أخيه خالد، فقال له صلى الله عليه وسلم: لو أتانا لأكرمناه، فكتب الوليد إلى أخيه خالد وقال له: رسول الله يسأل عنك. فوقع الاسلام في قلب خالد، فهاجر إلى المدينة وأسلم قبل الفتح، وصار من أبطال الاسلام، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم: سيف الله المسلول بسبب بطولته في غزوة مؤتة، ورغم تأخر إسلامه فإنه قاد كثيرا من المعارك، وجاهد في الله حق جهاده حتى لقي ربه سعيدا بإسلامه.

ـ **فاطمة بنت الوليد:** وكانت مرافقة لزوجها الحارث بن هشام يوم أحد قبل إسلامها، وأسلمت يوم الفتح واتت النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته، كما اتت الشام مع زوجها، واستشارها أخوها خالد في بعض أمره، فأشارت عليه بالرأي السديد فقام فقبلها. وكانت في الشام تلبس الجِبَابَ الخزَّ ثم تَتزر فقيل لها: أما يغنيك هذا عن الإزار؟ قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالإزار. وولدت للحارث عبد الرحمن وأم حكيم. وقد تزوج عمر بن الخطاب أم حكيم بنت الحارث فانجبت له فاطمة.

ـ **فاختة بنت الوليد:** وهي زوجة صفوان بن أمية، وكانت تعين زوجها على الكفر والجحود، فعندما كان صفوان بن أمية يعذب مولاه أبا فكيهة في رمضاء مكة، كانت فاختة تقول لزوجها: زده عذابا حتى يأتي محمداً فيخلصه بسحره. ولكنها أسلمت يوم الفتح، وأقبلت مع النساء وبايعت رسول الله، ولما تأخر زوجها عن الإسلام ـ وكان مترددا يشاور نفسه، وقد أعطاه النبي تلك المهلة ـ فكانت تدعوه إلى الإسلام وتلح عليه، فقال لها صفوان: هل أنت خير منه؟ لقد قلتُ له أمهلني شهرين فأمهلني أربعة. ولما كان يوم حنين أسلم صفوان، ففرحت زوجته بإسلامه.

وكان لصفوان ست زوجات: هن فاختة بنت الوليد، وعاتكة بنت الوليد، وبرزة بنت مسعود بن عمرو، وفاختة بنت الأسود، وأمية بنت أبي سفيان، وأم وهب بنت أبي أمية بن قيس. فأمره الإسلام أن يمسك أربعا، ففعل، فطلق أم وهب بنت أبي أمية وقد آمنت، وفاختة بنت الأسود لأنها زوجة والده أمية بن خلف، وقد خلفه صفوان عليها بعد موته.

الأولياء

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس: 62].

الأولياء: هم جمع ولي، والولي هو الذي يتولى أمور الإنسان ومصالحه، والنصير هو المعين، والله تعالى هو الولي النصير: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾[البقرة: 107]. والناس أمام الولاية نوعان، أولياء الرحمان، وأولياء الشيطان:

ـ **أولياء الرحمن:** وهم أهل الإيمان، ويخبر تعالى أنهم أحباب الله وأولياؤه، ولهم الأمان في الآخرة، والفرح والسرور: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس: 62]. وبين سبحانه أنهم نالوا تلك الدرجة بعد توفر أسبابها، وهي الإيمان والتصديق بالله ورسوله، ثم الطاعة والتحلي بالتقوى، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ولهم البشرى من الملائكة بالرحمة والرضوان وفسيح الجنان: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: 62-64].

وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم جعل اللهَ وليَّهُ ونصيره وحافظه، فأنزل عليه القرآن فثبته به، وهو وحده سبحانه، الذي يتولى عباده الصالحين بالحفظ والتأييد: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: 196].

وعمل الصحابة بذلك، فجعلوا الله مولاهم. وفي سيرة الزبير بن العوام، يقول ابنه عبد الله، عن وصية له قبل موته. قال عبد الله: فجعل يوصيني بِدَيْنِهِ ويقول: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاي. قال: فو الله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربة من دَيْنِهِ إلا قلت: يا مولى الزبير أقض عنه دينه، فيقضيه. والسبب أنهم أيقنوا أن الله هو نعم المولى ونعم النصير، وتلك هي الولاية الحقيقية: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾[الأنفال: 40].

ـ **أولياء الشيطان:** وهم كل من يطيع الشيطان ويعصي الرحمان، يكون مصيره الخسران المبين: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾[النساء: 119].

والشرك يجعل صاحبه وليا للشيطان، وقد دعا إبراهيم أباه، ونصحه بترك الشرك والكفر، حتى لا يكون قرينا للشيطان فيورده مورد النار: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾[مريم: 44-45]. والكفار هم أولياء الشيطان، وقد نهى الله عن موالاتهم: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾[آل عمران: 28]. كذلك نهى عن موالاة اليهود والنَّصارى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾[المائدة: 51].

﴿ حرف اليـاء ﴾

يأجوج ومأجـوج

﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الكهف: 94].

هما قبيلتان من الترك، من نسل يافث بن نوح، كانوا أقوياء أولي بأس شديد، يشنُّون الغارات على من جاورهم فيقتلون ويسلبون، فهم مفسدون في الأرض، وقد طلب الناس من ذي القرنين أن يحبس عنهم يأجوج ومأجوج: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [الكهف: 94]. فاستجاب لهم ذو القرنين وبنى السد الذي منع فسادهم.

وعندما تقوم الساعة يتهدم السد، فتخرج قبائل يأجوج ومأجوج من كل مكان، فيفسدوا في الأرض مرة أخرى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنبياء: 96]. وحينئذ ينحاز المسلمون إلى المدن والحصون، ثم يدعو عليهم سيدنا عيسى عليه السلام والمؤمنون معه، فيستجيب الله، فيهلك يأجوج ومأجوج بوباء عام يصيبهم في رقابهم، ثم يرسل الله طيرا تحمل جثثهم وترميها حيث يشاء الله. ثم يرسل الله مطرا فتغسل الأرض، ويقال للأرض أنبتي ثمرك ودري بركتك، وثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة برواية مسلم وأحمد والترمذي.

يـثــرب

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: 13].

يثرب: هي المدينة المنورة، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم: طيبة، وقد ورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيَّر اسمها من يثرب إلى المدينة المنورة، ونهى عن استخدام اسمها القديم. ورَد في مُسند الإمام أحمد قوله صلى الله عليه وسلم: " **من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله**"وفي رواية"**من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل، هي طابة، هي طابة**"وورد في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: " هذه طابة " وكذلك طيبة. وسبب تغيير اسمها لأن معنى التثريب: هو الإفساد والتعيير وذكر العيب، كما ورد في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف: 92]. أي لا تعيير عليكم ولا عيب بما صنعتم. وتذكر المصادر أن يثرب اسم لرجل من أحفاد نوح عليه السلام، وهو الذي أسسها وسميت باسمه.

واختلف في عدد الأجداد بينه وبين نوح، فمنهم من يذكره في الجيل الثامن لقوله: هو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوص (أو عوض) بن إرم بن سام بن نوح. وفي رواية أخرى ذكرت الجيل الخامس: هو يثرب بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح. وتذهب رواية ثالثة أنه يثرب من بني عملاق بن أرنخشذ بن سام بن نوح، فيكون استيطان العماليق بها في وقت مبكر وهم أول من زرع بها النخل وعمَّروا الدور، ونزل بعدهم اليهود. أمَّا الأوس والخزرج فقد هاجروا إليها من اليمن قبل أو بعد سيل العرم، وهما قبيلتان قحطانيتان.

يــس

﴿ يسٓ ① وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ③ ﴾ [يس: 1-3].

يس: هو اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، في بعض الأقوال، واستدلوا في ذلك بالآية بعد ذكر الاسم: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ③ ﴾ [يس: 3]. وقال أبو بكر الوراق: معناه: يا سيد البشر. وقال ابن عباس: قال كفار قريش: لست يا محمد مرسلا، وما أرسلك الله إلينا، فأقسم الله بالقرآن العظيم المحكم أن محمدا صلى الله عليه وسلم من المرسلين.

يعقوب ـ عليه السلام

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ⑬② ﴾ [البقرة: 132].

ـ **نسبه ومعاني اسمه:** هو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وأمه تدعى رفقة بنت بتوئيل بن ناحور، وهي ابنة أخي إبراهيم، وسمي يعقوب، لأنه خرج من بطن أمه وهو آخذ بعقب أخيه التوأم، ويدعى عيصو (أو العيص).

وتذكر التوراة: أن الله سماه إسرائيل؛ وتفصيل الاسم فيه بعض الإختلافات، فالمعنى يجعل كلمة إسرائيل مركبة من مقطعين هما: **إسرا:** وتعني عبد أو صفوة أو إنسان أو مهاجر. **وإيل:** وتعني الله. فيكون معنى إسرائيل هو عبد الله أو صفوة الله، وقيل محارب أو جندي الله، وقيل معناه الأمير المجاهد مع الله.

ـ **حياة يعقوب بأرض حاران:** وُلد يعقوب عليه السلام في أرض فلسطين، وشبَّ في كنف والده إسحاق، ولكن الغيرة عكرت صفو الأخوة، ووترت العلاقة بين العيص ويعقوب، ووقعت خصومة بينهما، فأشارت الأم على ولدها يعقوب بالهجرة إلى خاله لابان بن بتوئيل بأرض حاران بالعراق، ونصحته بالمكوث بها مدة ريثما تهدأ ثورة الغضب التي تأججت في نفس أخيه.

استجاب يعقوب لأمر أمّه، وخرج مهاجرًا إلى خاله **(لابان)** وكان مقيما في بلدة **(فدَّان آرام)** من أرض حاران، وأقام بها سنين عددا، ومكث في خدمة خاله الذي زوجه من ابنته الكبرى **(ليئة)** فلمَّا أصبح يعقوب، راجع خاله قائلًا: إنما خطبت إليك **(راحيل)** وكانت الأصغر من أختها وذات حسن وجمال. فقال له خاله: ليس من سنَّتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى، فإن أحببت أختها فاعمل سبع سنين أخرى، فاستجاب يعقوب وتزوج راحيل، وكان ذلك جائزا في شريعتهم (أي الجمع بين الأختين).

وكان لكل زوجة جارية، فدخل بهما، وكانت **بلهة** جارية راحيل، **وزلفة** جارية ليئة، فولد ليعقوب من زوجاته الأربع، اثنا عشر ولداً عُرفوا بعد ذلك **بالأسباط**، وكلُّهم ولدوا بمهجره بالعراق، ماعدا **بنيامين** (ابن راحيل وأخو يوسف) الذي وُلد بأرض كنعان.

ـ **عودة يعقوب إلى أرض كنعان (فلسطين):** أقام يعقوب مدة عشرين سنة عند خاله لابان، ثم طلب منه أن يأذن له في الرجوع إلى أهله بفلسطين، فأذن له خاله وصهره بالعودة، وأعطاه نتاج سنة من الغنم ساقها يعقوب أمامه، ومعه زوجاته الأربع وأولاده، ولما وصل إلى أرض كنعان أرسل هدية ثمينة من الماشية إلى أخيه، ثم التقى به في الطريق، فذهب ما في نفس العيص من غضب دفين، ثم سار يعقوب إلى أبيه إسحاق، فأقام عنده ببلدة حبرون (الخليل) وعاش معه بقية حياته، ولما توفي إسحاق دفن مع الخليل إبراهيم في المغارة. كما ولدت راحيل ابنها الثاني بنيامين وماتت في فترة النفاس ودفنت ببيت لحم. وكان يعقوب عليه السلام نبيا من المصطفين الأخيار الذين أثنى الله عليهم في كتابه: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿45﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿46﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿47﴾ ﴾ [ص: 45-47].

ـ **مظاهر الابتلاء في حياة يعقوب عليه السلام:** كان يعقوب عليه السلام يحب أبناء راحيل (يوسف وبنيامين) محبة زائدة على محبته لبقية أولاده، وازداد يعقوب تعلقا بيوسف عندما علم بنبوته، وهو يقص عليه الرؤيا المنامية، والتي رأى فيها أحد عشر كوكبا والشمس والقمر وهم له ساجدين، فأوصاه يعقوب بكتمانها عن إخوته خوفا من الغيرة، ولكن معاملة الأب ملأت صدورهم حقدا على يوسف، فاحتالوا على يعقوب، وأخذوه معهم إلى المرعى، ثم ألقوه في الجب، ورجعوا إلى والدهم في العشاء يبكون، ولطخوا قميصه بدم شاة، ولكن يعقوب رأى القميص سليما، فعرف أنهم يكذبون، وما كان عليه إلا أن يتحلى بالصبر الجميل الذي لا تخالطه الشكوى ولا يرافقه الجزع، وتصحبه الاستعانة بالله على البلاء العظيم: ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿18﴾ ﴾ [يوسف: 18].

وظل يعقوب عليه السلام زمنا طويلا يعيش على ذكرى يوسف عليه السلام، حتى حدث قحط وجفاف كبير في أرض كنعان، فأرسل يعقوب أبناءه إلى مصر طلبا للطعام، وكان عزيزها يومئذ أخوهم يوسف، فعرفهم واستدرجهم لأخذ أخيه بنيامين، ونجح في ذلك. ولكن احتباس يوسف لأخيه زاد من حزن يعقوب عليه السلام، وذكره بالبلاء الأول في فقد يوسف، واخذ يبكي حتى فقد بصره، ولكنه كظم غيظه: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) ﴾ [يوسف: 83-84].

وخاف الأبناء على والدهم الحزين أن يموت حسرة وأسى، أو يصيبه مرض شديد، فذكروه وواسوه قائلين: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ (85) ﴾ [يوسف: 85]. فأخبرهم أنه يشكو إلى الله وحده، ويطلب منه الفرج لأنه لطيف بعباده وهو على كل شيء قدير: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86) ﴾ [يوسف: 86]. ثم أمر يعقوب أبناءه بالرجوع إلى مصر، ليتحسسوا من يوسف وأخيه ـ وكان له أمل كبير في الله ـ ونهاهم عن اليأس والقنوط، لأن ذلك من أخلاق الكفار: ﴿ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ (87) ﴾ [يوسف: 87].

فلما رجعوا إلى يوسف، وأخبروه بحزن والده الشديد، لم يتمالك نفسه، فأعلمهم أنه أخوهم يوسف، فطلبوا منه العفو والصفح، فعفا عنهم واستغفر لهم الله: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (92) ﴾ [يوسف: 91-92].

أعطاهم يوسف قميصه، وأمرهم أن يذهبوا به فورا، ويبشروا والده بخبره، ويدخلوا السرور على قلبه الحزين، وأعلمهم أن القميص يردُّ له البصر، وأمر إخوته أن يأتوا بأهلهم أجمعين: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) ﴾ [يوسف: 93].

فلما شدوا رحالهم نحو أرض كنعان، هاجت الريح، وحملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب عليه السلام، فحدَّثَ أهله بما يشعر، فلم يأبهوا لأمره؛ حتى جاءهم البشير ـ قيل هو ابنه يهوذا، وهو الذي حمل قميص الدم الكاذب، فقال اليوم أفرحه كما أحزنته ـ فلما ألقى القميص على وجه والده عاد بصيرا، وفرح كثيرا: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى

ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿95﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿96﴾ ﴾ [يوسف: 94-96]. وحينئذ طلب أبناؤه العفو والصفح، وسألوا والدهم أن يستغفر لهم الله: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿97﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿98﴾ ﴾ [يوسف: 97-98].

وقد أخر يعقوب الاستغفار إلى ساعة السحر ليكون أقرب للإجابة، وقيل تحرى في ذلك يوم الجمعة لأن فيه ساعة الإجابة. وهكذا صفت القلوب، فسامحهم يوسف، وعفا عنهم يعقوب، ولم تبق إلا الهجرة التي تلم الشمل، وتؤلف القلوب داخل أسرة الأنبياء عليهم السلام.

ـ **هجرة يعقوب بأهله أجمعين إلى مصر:** خرج يعقوب من أرض كنعان ومعه سبعين راكبا من بنيه وأهله، ولما وصل إلى بلبيس خرج يوسف ومعه ملك مصر لاستقبالهم، وكان لقاء فيه كثير من المشاعر العاطفية الحانية بعد فراق طويل، ويعجز القلم عن وصف تلك العواطف الغالية. ولكن يوسف ضم إليه والديه (وكانت أمه المربية له، وهي جارية أمه بلهة) ودخل بهم إلى دار الحكومة وأجلسهم بالقرب من كرسي حكمه، وكان تكريما لهم وتبادلوا التحية، وتحققت الرؤيا القديمة، وذكرهم بها يوسف بقوله على لسان القرآن الكريم: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿99﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿100﴾ ﴾ [يوسف: 99-100].

وقد أكرم ملك مصر آل يعقوب فأعطاهم أرضًا في بلدة بلبيس يسكنون بها وينتفعون، وعاشوا مع والدهم يعقوب في أمان لمدة سبعة عشر عامًا، ولمَّا قرب وقت الوفاة أوصى يعقوب أبناءه بالتمسك بالإسلام والثبات عليه بالحياة، وحتى زمن الموت: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿130﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿131﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿132﴾ ﴾ [يوسف: 130-133].

ـ **وفاة يعقوب عليه السلام:** أوصى يعقوب ابنه يوسف أن يدفنه في أرض كنعان مع والده إسحاق، ولمَّا مات يعقوب بكاه أهل مصر وحزنوا لفراقه، ثم أمر يوسف الأطباء فطيبوه، واستأذنوا من الملك فأذن

له بالخروج بوالده إلى فلسطين، وكان خروجه مع أكابر مصر وشيوخها، وعندما وصلوا حبرون (الخليل) دفنوه في مغارة (المكيفلة) مع جدِّه إبراهيم ووالده إسحاق. وكان عمره وقت وفاته نحو **147 سنة**. عاش منها بمصر(**17 سنة فقط**) وكانت مدة حياته تقريبًا مابين(**1800 ق م ــ 1653 ق م**).

اليـم

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿40﴾ ﴾ [الذاريات: 40].

اليـم: ورد ذكره في القرآن في ثنايا قصة موسى وفرعون، وأخذ المعنيين التاليين:

ـ **نهر النيـل:** أوحى الله إلى أم موسى، وألهمها بجعل الرضيع موسى في التابوت (الصندوق) وأمرها أن ترميه في نهر النيل بكل طمأنينة، لأن الله هو الحافظ له: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿38﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿39﴾ ﴾ [طه: 38-39]. وذكر في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿7﴾ ﴾ [طه: 7].

ـ **البحر الأحمـر:** وقد عبرهُ موسى، وجعل الله له طريقا يبسا في أعماق البحر، وعَبر معه بنوا إسرائيل، ولحق بهم فرعون وقومه، فأصابتهم الشدائد والأهوال في عمق البحر الأحمر: ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿78﴾ ﴾ [طه: 78]. وكان مآل فرعون وقومه الغرق في هذا البحر: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿136﴾ ﴾ [الأعراف: 136]. وهو البحر الذي نسف الله فيه عجل السامري، فتحول في البحر الأحمر إلى رماد منثور: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿97﴾ ﴾ [طه: 97].

يوسف ـ عليه السلام

﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ [يوسف: 7].

ـ **نسبه وشرفه:** هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ خليل الرحمن عليه السلام ـ فهو ذو أصل شريف، ونسب كريم. أخرج البخاري في صحيحه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس أكرم؟ فقال: " **يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**". وفي رواية **لأحمد** قال صلى الله عليه وسلم: " **الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن إبراهيم**".

ـ **مولده ونشأته:** ولد يوسف في فدان آرام بأرض حاران شمال العراق؛ ولما شب على الطوق رجع والده يعقوب من المهجر إلى أرض فلسطين. وكان شابا جميل الصورة، محببا إلى قلب والده بشكل ملفت للنظر، وازداد تعلق والده به عندما بلغ من العمر **سبع عشرة سنة،** ويومئذ رأى يوسف رؤيا منامية مثيرة للانتباه، فقصها على والده، فأعجب بها وأمره أن يكتمها عن إخوته، حتى لا يثيرهم ما ورد فيها من بشرى سارة، وحتى يتجنب الولد كل صورة للغيرة. فقد رأى يوسف أحد عشر كوكبا والشمس والقمر وكلهم في حالة سجود له: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: 04-05]. وعلم يعقوب من الرؤيا، أن ولده ينتظره مستقبل زاهر، وإكرام من الله بالنبوة دون سائر إخوته، فازداد تعلقه به، وتعمق الحب في وجدانه، وظهر على لسانه فذهب يخبره بالبشارات التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: 06]. وعاش يوسف نشوة السعادة التي لم تدم طويلا، فسقطت من قريب بسهام الغيرة والحسد والحقد، الذي طفح بقلوب إخوته، فرموه بتلك السهام النافذة التي حوَّلت حياته إلى سلسلة متتابعة من المحن، منذ خروجه من بيت والده.

ـ **المحن والابتلاءات في حياة يوسف عليه السلام:**

1) محنة الكيد والغدر: رأى إخوة يوسف العشرة تفضيل يعقوب ليوسف دون غيره، فكرهوا ذلك التصرف في قلوبهم، ثم صرَّحوا لبعضهم بذلك، وحملهم طيش الشباب على الكيد والمكر السيئ:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف: 07-09].

وعزموا على تنفيذ مكرهم، فتحايلوا على والدهم، وألحُّوا عليه أن يرسل معهم يوسف إلى البادية، ليرتع ويلعب في المراعي: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢﴾ [يوسف: 11-12]. وكان يعقوب شديد الخوف منهم، ومن الذئب، وكشف لهم عن ذلك بقوله المؤدب: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣﴾ [يوسف: 13]. ولكنهم عاهدوه على حمايته من كل مكروه: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤﴾ [يوسف: 14]

ووافق يعقوب على مرافقته لهم إلى المراعي، وخرج يوسف معهم، ولمَّا وصلوا إلى المراعي في البداية، بدؤوا في تنفيذ الخطة المتفق عليها مسبقًا، وهي إلقاؤه في الجب **(البئر)**: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف: 10]. فجردوا يوسف من قميصه الذي لطخوه بدم كذب، ثم ألقوه في البئر، ورجعوا إلى والدهم عشاء يبكون، فعلم يعقوب بكذبهم وعلل نفسه بالصبر الجميل: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف: 16-18].

أما يوسف فمكث في الجب فترة، ثم أدركته قافلة من السيارة، فأخرجوه من البئر وحملوه معهم إلى مصر، وباعوه في سوق النخاسة، وتولى بيعه مالك بن دعر بعشرين مثقالا، واشتراه عزيز مصر؛ وهكذا ذاق يوسف أول محنة في حياته، وهي محنة الغربة المؤلمة التي حملت في طياتها كيد إخوته، والغدر الآثم به، وأضيف إليها رق العبودية الذي لازمه فترة طويلة في أرض مصر، ولكنه قيْدُ لم يمنعه من استشعار العبودية الحقة لله تعالى، لأنه لجأ إلى العبادة فخففت عنه وطأة الأحزان، وأعانته على كل المحن والابتلاءات ـ في مستقبل الأيام ـ وسكبت في نفسه نور اليقين، وأنارت في وجدانه شعاع الإيمان،

فانبرى يبلغ الناس أمر الله الواحد القهار، ولسانه يلهج بالحق المبين: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: 39].

2) محنة القصر، وفتنة المرأة: دخل يوسف قصر العزيز (أطفير بن رجيب) وكان صاحب الوزارة بمصر، وقد أوصى زوجته (زليخا) بيوسف خيراً: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف: 21]. وجعله العزيز رئيسا للخدم، وكلفه بتسيير شؤون القصر، فصار الآمر الناهي. وما كاد يستقر به الحال في القصر حتى أحبته صاحبة القصر حبًا ملك عليها وجدانها، وتحول حبها إلى نار مستعرة في جوانحها، ولم تمالك نفسها حتى صارحت يوسف بما تشعر به نحوه، ثم راودته عن نفسه، وتحينت فرصة وجوده في غرفتها فغلقت الأبواب، ودعته لنفسها، ولكنه امتنع بقوة، ورفض الإغراء وصمد ضد تيار الشهوة، لأن إيمانه بالله كان جُنَّةً له من عذاب النار، فضلا عن حفظه للأمانة، بصون شرف سيده الذي أكرم مثواه: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: 23-24]. ولكن المرأة أصرت، وواجهت يوسف بقوة، فهرب منها نحو الباب، فلاحقته وأمسكت بثوبه فتمزق، وكشف الستر عن وجود سيده (زوج المرأة) عند الباب: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف: 25]. وفورا أسرعت المرأة إلى اتهام يوسف، ودفعت زوجها لمعاقبته بالسجن والعذاب، وهو تهديد ليوسف فقط، ولم تذكر القتل لأنها ما زالت متعلقة به، ولا تريد له المكروه، بسبب حبها الكبير ليوسف: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف: 25].

فرد يوسف بلطف، وهو يبرئُ نفسه أمام سيده الذي يعرف خلقه الحسن: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ ﴾، وامْتَنَعْتُ منها حتى لاحقتني وحدث الذي ترى في ثوبي، وحينذاك تدخل رجل حكيم من بني عمومتها كان حاضرا مع زوجها وقال: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يوسف: 26 -27].

وتبين للعزيز صدق يوسف، وصرح أمام زوجته بأن كيد النساء عظيم، وكان علاجه للموقف هادئاً، فأمر يوسف بكتمان ما حدث، وأمر زوجته بالاستغفار من ذنبها، وكانت العقوبة الوحيدة لها هي وصفها بالخاطئة المذنبة: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿28﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿29﴾ ﴾ [يوسف: 28 -29].

ولكن الخبر انتشر عند نساء الملأ من قومها، فتحدثن عنها باستخفاف، فجمعتهن في مجلس قصرها وأخرجت لهن يوسف، فلما رأينه قطعن أيديهن بدل تقطيع الفاكهة - التي كانت طعام الضيافة التي قدمتها لهن - وانبهرن بجمال يوسف وحسن صورته، ووصفنه بالملك الكريم: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿31﴾ ﴾[يوسف: 31].

حينئذ أكدت لهن ما حدث، وهددت يوسف بالسجن إذا بقي مصرًا على رفضه وتمنعه منها، ولم تبال بأي شيء، في سبيل إشباع رغبتها الجامحة: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿32﴾ ﴾ [يوسف: 32]. فكانت محنة يوسف كبيرة، ولكن الله سلمه منها، بالوقوع في محنة أخرى، اختارها على شدتها، صونا لعرضه، وحفاظا على عفته: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿33﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿34﴾ ﴾ [يوسف: 33- 34].

3) **محنة السجن:** رأى العزيز - رغم محبته ليوسف، واقتناعه ببراءته - أن أيسر سبيل لإسكات الرأي العام عن الخوض في عرضه، أن يدخل يوسف إلى السجن الذي هددته به المرأة تخويفا ليوسف، ولكن العزيز نفذه، فسجنه مع المذنبين من عمال القصر: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿35﴾ ﴾ [يوسف: 35]. ودامت مدة سجنه نحو سبع سنين، وكان أقرب السجناء إليه اثنان هما: خباز الملك وصاحب شرابه، ويظهر أنهما كانا يعرفانه في القصر معرفة عامة، وبعد معاشرته عن قرب اكتشفا نبل خلقه، وتمسكه بدينه، فوصفاه بالإحسان، وهو أفضل المقامات الإيمانية: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿36﴾ ﴾[يوسف: 36]. واستغل يوسف عليه السلام محنة السجن، وحول حياته بين جدرانه إلى مجال للعمل الصالح، بدعوة السجناء إلى الله وتعليمهم عقيدة التوحيد الصادقة، وشرح لهم معالم الملة الحنيفية السمحة التي كان عليها جده إبراهيم، وإسحاق، وهي دين والده يعقوب عليه السلام. كما قام

بتأويل الأحاديث، وتفسير المنام الذي رآه السجناء، والرؤيا التي رآها ملك مصر وكانت سببا في خروجه من السجن معززا: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝37 وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝38 يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝39 مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝40 ﴾ [يوسف: 37-40].

ـ المنح والخيرات في حياة يوسف عليه السلام:

خرج يوسف من السجن، وعاش في النعم التي أكرمه الله بها، ومنحه إياها جزاء وفاقا على تمسكه بدينه، وأهمها ثلاث منح جليلة، هي:

1) نعمة النبوة: أكرم الله يوسف عليه السلام بالنبوة، وورد ذلك في سياق قصة مؤمن آل فرعون، عندما ذكّـر موسى قومه برسالة يوسف: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝34 ﴾ [غافر: 34]. وسبق أن بشره والده بالنبوة في صغره، بأن الله اختاره نبيا على نهج أبويه إبراهيم وإسحاق، فأنعم عليهم بالرسالة، واصطفاهم لخدمة دينه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝6 ﴾ [يوسف: 6]. ولما بلغ سن الثلاثين، وصار مؤهلا لخوض غمار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع المصري، وداخل مؤسسات الدولة، أعطاه الله حكمة وعلما، وفقها في الدين وفهما، وهيأ له سبل النجاح: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝22 ﴾ [يوسف: 22].

2) نعمة تأويل الأحاديث: بدأ يوسف حياة الفتوة بتلك الرؤيا الصالحة التي كشفت لوالده يعقوب عن نبوته في مستقبله العظيم. ولما مكنه الله من العيش بأمان في أرض مصر، أعطاه الله منحة خاصة، وهي تأويل المنام (تفسر الأحلام) وهو تعليم رباني، وإلهام إلاهي، ومعجزة أيد الله بها نبيه في زمن

المحنة والابتلاء: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿21﴾﴾ [يوسف: 21]. وقابل يوسف النعمة بالشكر والثناء على مولاه بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿101﴾﴾ [يوسف: 101]. وقام يوسف بتفسير الرؤيا الأولى لصاحبيه في السجن، ثم فسر للقوم الرؤيا الثانية التي رآها ملك مصر، وبعد تأويلها فُتِحَ باب الفرج ليوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿43﴾﴾ [يوسف: 43]. ولكن أشراف القوم عجزوا عن تفسيرها، وتهربوا من تحمل السؤولية، ووصفوها بالأحلام الكاذبة: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿44﴾﴾ [يوسف: 44]. حينئذ تذكر ساقي الملك، صديقه يوسف الذي تركه منذ مدة في غياهب السجن، فطلب من الملك أن يرسله إليه: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿45﴾﴾ [يوسف: 45]. فلما قابله قال: يوسف أيها الصديق الطاهر، أخبرنا عن تأويل هذه الرؤيا الغريبة التي رآها ملك مصر، ولم يجد لها جوابا، فأرقته وشغلت باله، فقد رأى سبع بقرات سمان خرجت من نهر يابس، وخرجت في أثرهن سبع بقرات هزيلة، فابتلعت العجاف منهن البقرات السمان، ثم رأى أيضا سبع سنبلات خضر ناضرات، وسبع سنبلات يابسات، فالتوت اليابسات على الخضر فأكلتهن. وكان تفسير الرؤيا، يحتوي على أمور مستقبلية تعيشها مصر في عهد الملك، وتتضمن شرحا لخطة اقتصادية ملزمة، لمواجهة القحط المنتظر.

فقال يوسف: يجب الاهتمام بالزرع لمدة سبع سنين، بتخزين الإنتاج وتركه في سنبله لحفظه من آفة السوس، واستغلال القليل منه في معيشة الناس، والتشدد في التقتير والاقتصاد، لأنه يعقب تلك السنوات سبع سنين ثانية يعم فيها القحط، وحينئذ تستغل تلك المدخرات، ثم يعقب كل السنوات عام يظهر فيه الفرج والرخاء، والذي يصاحبه المطر، فيغاث الناس بالزروع، ويعصرون الأعناب، ويتمتعون بالأرزاق.

وصل ذلك التفسير إلى الملك، فطلب إحضار يوسف على جناح السرعة، ولكن يوسف رفض الخروج واشترط على الملك أن يفتح تحقيقا في سبب دخوله السجن، حتى يبرئَ ساحته من التهمة الكاذبة: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ

رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿50﴾ ﴾ [يوسف: 50]. فجمع الملك النسوة ومعهن امرأة العزيز، وسألهن، فاعترفن بعفة يوسف: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ ﴿51﴾ ﴾ [يوسف: 51]. حينئذ اعترفت امرأة العزيز(**زليخا**) بطهره من كل فاحشة، وسلامة ساحته من كل سوء: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿51﴾ ﴾ [يوسف: 51]. كما أشارت زليخا إلى عفتها أيضا، ولكنها لامت نفسها الأمارة بالسوء، وتوجهت إلى الله بالتوبة: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿52﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿53﴾ ﴾ [يوسف: 52-53].

وهكذا طويت صفحة الغواية، وخرج يوسف من السجن مرفوع الرأس موفور الكرامة، وتذكر بعض الأخبار أن الملك زوج يوسف من زليخا، بعد موت زوجها العزيز.

3) **نعمة الملك:** لما خرج يوسف من السجن، قابل الملك الريان، الذي عزم على جعل يوسف من خاصته المقربين: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿54﴾ ﴾ [يوسف: 54].

ثم تعرف الملك على يوسف من قرب، فوجده أحسن مما وصفوه له، بما حباه الله من حسن البيان، وطيب الكلام، وكمال العقل، فمنحه حرية اختيار أي عمل يريد توليه في مملكته، فقال: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿55﴾ ﴾ [يوسف: 55]. لأن يوسف بعد تفسير رؤيا الملك، رأى نفسه الأقدر على تطبيق الخطة الاقتصادية المقترحة، والتي رسمها بنفسه لمدة خمس عشرة سنة كاملة، فوافق الملك فورا وعينه في وزارة الاقتصاد، وأطلق يده في البلاد يفعل ما يشاء، فتمكن من أسباب الملك، وأخذ بنواصي السلطة التنفيذية، وشرع في العمل المثمر: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿56﴾ ﴾ [يوسف: 56].

وعندما شرع يوسف في تنفيذ الخطة المرسومة، أحاط عمله بالصرامة والحزم، وكان يقتصد في الطعام، ولا يتناول إلا وجبة واحدة في منتصف النهار، فقيل له: أتجوع وبيدك خزائن الأرض؟ فقال: " **إني أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع**". وأخذ يحسن إلى المحتاجين، فقصد الناس أرض مصر من كل النواحي يمتارون من الطعام المخزون، وكان لا يعطي كل فرد إلا حمل بعير واحد، وإن كان عظيما، تطبيقا لمبدأ العدل بين الناس، وتقسيطا حتى يحافظ على المؤونة لمستقبل الأيام الباقية، فتزاحم الناس من كل مكان، وقدم إخوته من أرض كنعان، وترددوا على أرض مصر مدة ثلاث سنين، في أحداث

أخيه ووالده حتى انتهى أمرهم بالهجرة بطلب منه، والإقامة معه في مصر، والدخول إليها بأمان. وصار يوسف حينئذ بمثابة الملك الحقيقي لمصر، بسبب نجاحه في مهمته، وصرح الخدم بذلك (في قصة إخوته عندما وضع الخدم المكيال المرصع بالجوهر في بضاعتهم، واتهموهم بسرقته) واستخدم الخدم لفظ " صواع الملك " وقالوا لهم: ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يوسف: 70-72]. ولكن إخوته كانوا ينادونه بالوزارة، بقولهم: **أيها العزيز.**

ـ **فضيلة الشكر عند يوسف عليه السلام:** قابل يوسف كل النعم التي أكرمه الله بها بالشكر الواسع، وكان يذكِّر نفسه بها، ومنها اجتماعه بأهله وذويه، ورفع أبويه على العرش، وسجود الأهل بين يديه، وتحقق الرؤيا التي رآها عندما كان صبيا: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: 100]. ثم أثنى على ربه، وشكره على نعمة الملك الواسع والعلم النافع الذي مكَّنه من تأويل الرؤى وتفسير الأحلام، ورسم الخطط السباعية، وتجنيب البلاد شر الأزمات الاقتصادية القاتلة: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: 101]. ومن كان الله مولاه تكون الجنة مأواه.

ـ **وفاة يوسف عليه السلام:** علم يوسف بعد تمام تلك النعم أن لقاء الله آت لا محالة، وأن ما عند الله خير وأبقى؛ فسأل الله أن يتوفاه مسلمًا موحِّدًا، ويلحقه بعباده الصالحين: ﴿ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: 101]. ولمَّا حضرته الوفاة أوصى إخوته أن يحملوه معهم إلى أرض كنعان عند خروجهم من مصر ويدفنوه مع آبائه. ولمَّا بلغ من العمر مائة وعشر سنين، توفَّاه الله، فقاموا بتحنيطه ووضعوه في تابوت، وختموا عليه، ودفنوه في بعض مجاري نهر النيل. وبقيت وصيَّتُه محفوظة عند بني إسرائيل إلى عهد موسى عليه السلام، فلمَّا عزم موسى على الخروج من مصر ببني إسرائيل، بحث عن الجثمان الطيب، فدلَّتهم عليه عجوز معمِّرة من بني إسرائيل، فنقل جثمانه إلى مدينة الخليل بفلسطين، ودُفن في مغارة (المكفيلة) مع والده وأجداده. وله مقامات أخرى نُسبت إليه أحدهما في نابلس (شكيم) والآخر قرب بلدة النَّبك في القلمون بسورية. وعاش يوسف عليه السلام في حدود **(1610 ق م ــ 1500 ق م).**

يوشع بن نون

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿60﴾ ﴾ [الكهف: **60**].

هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام. وهو **فتى موسى** الذي رافقه في رحلته مع الخضر عليه السلام. وهو أحد النقباء الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان (فلسطين) لتقصي أخبارها، فكان من أصحاب العهد، الذين حافظوا على السر. وعندما رفض القوم أن يدخلوا إلى فلسطين، وخافوا من قومها الجبارين، كان يوشع أحد الرجلين اللذين قدما النصح لهما: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿23﴾ ﴾[المائدة: 23]. ولكن بني إسرائيل خذلوا نبيهم، ونكصوا عن الجهاد في سبيل الله، وقالوا لموسى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿24﴾ ﴾[المائدة: 24]. ولمَّا قاربت موسى الوفاة عهد إلى فتاه يوشع بدخول الأرض المقدسة ببني إسرائيل، وأمرهم أن يسكنوا بها ويعملوا بالشريعة التي فُرِضَت عليهم؛ وقيل أن الله بعث يوشع بالنبوة بعد موسى وأمره بمقاتلة الجبارين.

وبعد موت موسى بنحو شهر، قادهم يوشع في القتال وسار بهم نحو بيت المقدس، وكان يحمل معه تابوت الميثاق، وعبر ببني إسرائيل نهر الأردن وسار بهم إلى أريحة، وقاتل العماليق الجبارين في يوم الجمعة، ولمَّا حان وقت غروب الشمس، سأل يوشع ربَّه، فوقفت الشمس حتى تمت هزيمة الكنعانيين الجبارين. وتمّ له فتح بيت المقدس، وأقام يوشع لبني إسرائيل كيانًا في فلسطين. وتوفي يوشع بعد موسى بسبع وعشرين سنة، وكان عمره نحو مائة وعشرين سنة. وقيل تولى بعده أمر بني إسرائيل الرَّجل الثاني الذي ذكرته الآية، وهو رفيق يوشع ويدعى: **كالب بن يوقنا** ختن موسى (أي زوج أخته مريم) وأقام فيها ثماني سنين. ثم ضيع بنو إسرائيل الشريعة، وبقوا بدون ملك نحو ثلاثمائة سنة، ثم طلبوا من نبيِّهم شمويل أن يبعث إليهم ملكا، فاختار لهم طالوت ملكا، ومن بعده داوود ملكًا ونبيا.

يـونـس ـ علـيه السـلام

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿139﴾ ﴾[الصافات: **139**].

ـ **نسبه وتسميته:** هو نبي من بني إسرائيل، ويتصل نسبه ببنيامين (أخو يوسف). ولم يذكر المؤرخون له نسبا متسلسلا، والمعروف عنه: أنه **(يونس بن متى)** واختلف في " **متى**" فقيل هو اسم والده، والمشهور أنه اسم أمه، ولم ينسب إلى أمه من الرسل غير يونس وعيسى عليهما السلام.

وعند أهل الكتاب: هو **يونس بن أمتاي.** وعرف في القرآن الكريم بلقبين هما: "**صاحب الحوت**"، واللقب الثاني يشبهه وهو " **ذو النون**" نسبة إلى الحوت الذي التقمه ويدعى "**النون**". وقد أرسل يونس عليه السلام إلى أهل نينوى بارض العراق.

ـ **الحياة الدينية القديمة عند سكان نينوى:** لقد أسس الآشوريون (وهم شعب من ولد سام) في بلاد ما بين النهرين، منذ **القرن 18 ق م** إمبراطورية واسعة، ازدهرت في القرن **14 ق م**، وسيطرت على بلاد الشرق ومعظم بلاد آسيا، وبلغت إلى شواطئ البحر المتوسط وفينيقيا ومصر، وكانت مدنها مهدًا للحضارة، وأهمها مدينتا: **آشور، ونينوى.** وصارت نينوى عاصمة للدولة في القرن **11 ق م؛** وهي تقع بالقرب من الموصل (بالعراق) وعاش بها نبي الله يونس عليه السلام في القرن **8 ق م.** وكانت**(نينوى)** من أغنى مدن الشرق يومئذ، وأدَّى الثراء الفاحش بأهلها إلى ارتكاب المعاصي والآثام، كما كانوا يعبدون الأصنام من دون الله، ومعبودهم صنم يُدعى**(عشتار)** وهو في اعتقادهم: إله الحرب والحب.

ـ **دعوة يونس أهل نينوى إلى عبادة الله وحده:** لما أرسل الله نبيه يونس إلى أهل نينوى، دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده، ونبذ عبادة الأصنام، والتوبة من الذنوب والمعاصي، ولكن القوم أصروا على الكفر والضلال، وأعرضوا عن الحق المبين، فوعدهم يونس بالعذاب الشديد ليوم معلوم، في غضون ثلاثة أيام، فلم يستجيبوا لوعيده، فظن أن مهمته انتهت، وأنه أعذر عند الله، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة. ثم خرج غاضبًا من عندهم قبل حلول العذاب المنتظر. والواجب على صاحب الدعوة في هذا المقام أن يصبر عليهم، وهذا المعنى غفل عنه يونس عليه السلام، فلما ذكر الله قصته للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، دعاهم الله إلى الثبات على طريق الدعوة، والتحلي بالصبر على الناس، والبقاء معهم (وهكذا مكث النبي صلى الله عليه وسلم في قومه صابرًا محتسبا 13 عاما قبل هجرته إلى المدينة). فكان محمد سيد الصابرين، وزاده الله ثباتا بقصة يونس، فضرب الله قصته مثلا له ولأتباعه من بعده، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿48﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ

بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القلم: 48-52].

ولما فارق يونس قومه، تأكدوا من نزول العذاب بهم، لأنهم رأوا مقدماته، وبرزت لهم النذر الدالة على وقوعه، فتيقنوا أن يونس صادق في وعيده، فقذف الله في قلوبهم الإيمان فتابوا إلى الله وندموا على ماضيهم السيئ، ولبسوا المسوح، وبكوا جميعا وتضرعوا إلى الله، وقاموا برد الحقوق إلى أصحابها، وخرجوا إلى ظاهر مدينة نينوى، وأخرجوا معهم الدواب والأنعام، ورجعوا إلى الله مخبتين متذللين، وشرعوا في البحث عن يونس في كل مكان قريب، ليعلنوا الإيمان على يديه، ويطلبوا منه أن يتضرع معهم إلى الله لعله يكشف عنهم العذاب، ولكنهم لم يعثروا له على أي أثر، وقد علم الله صدقهم، فتاب عليهم، وكشف عنهم العذاب، فعادوا إلى مدينتهم يغمرهم الاطمئنان، ويزين قلوبهم الإيمان، بعد توحيدهم لله، وإخلاص العبادة له بدون شريك.

وبلدة نينوى تميزت عن غيرها من القرى الظالمة، وهي الوحيدة التي كشف الله عن أهلها العذاب، وسجل ذلك القرآن لتكون عبرة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس: 98].

ـ **محن يونس عليه السلام في رحلته البحرية:** ترك يونس مدينة نينوى بعد يأسه من إيمان أهلها، دون أن يأذن له الله بتركها، وقد تملكه الغضب فهرب منهم، وسار في الأرض حتى وصل إلى ساحل البحر، فوجد سفينة في "**يافا**" فاستأذن أصحابها لحملوه معهم، وكانت وجهته أن يرحل إلى بلدة "**ترشيش**" المغربية (تونس الحالية). ولما قطعت السفينة مرحلة مهمة في عرض البحر، بدأت المحن تتوالى على نبي الله يونس، ومنها:

***محنة الرمي في البحر:** وسببها أن السفينة أصابتها ريح عاصف، وصاحبتها أمواج عاتية كادت تغرقها بمن فيها، فتحاور ربان السفينة مع الركاب، وقالوا: إن فينا صاحب ذنب، ولا بد من الاقتراع، ومن خرجت قرعته نقذفه في البحر، وتم الأمر كذلك، فوقعت القرعة على نبي الله يونس الذي أخبرهم بحاله مع قومه، فقالوا: هذا رجل صالح لا يعقل أن يكون مذنبًا، ولكن الله أراد ليونس غير ما أراد أصحاب السفينة، فأعادوا القرعة للمرة الثانية والثالثة، وكانت القرعة تخرج على يونس، فرموه في البحر، وهذه أول محنة في رحلته.

***محنة التقام الحوت ليونس:** أرس الله حوتا عظيما، فابتلعه، وكان في حال يلام عليها، لأنه خرج مغاضبا لقومه: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾

فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾[الصافات: 139-142]. وهي المحنة الثانية، وكانت أخطر من السابقة، ولكن الله سلم، فأمر الحوت أن لا يهضم له لحما، ولا يهشم له عظما.

***محنة الظلمات الثلاث:** وهي التي تراكمت على يونس في بطن الحوت، وهي ظلمة الليل الشديد، وظلمة بطن الحوت المفزع، وظلمة البحر العميق؛ فلما أفاق يونس من صدمته، ظن نفسه ميتا، ولكن أطرافه تحركت فأوحت له بالحياة، نخر من حينه ساجداً لله تعالى، وقال: " **يا رب اتخذت لك مسجدًا لم يعبدك أحد في مثله"**. وظل عدة أيام في ذلك الامتحان، وهو في حالة تسبيح ودعاء وتضرع إلى الله (قيل مكث ثلاثة أيام، وقيل أكثر من ذلك..). وأحس انه في كرب عظيم، فالتجأ إلى الله كاشف الكروب، وقد عَلَّمَنَا (يونس عليه السلام) دعاء الكرب الذي نطقت به الآية القرآنية: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء: 87-88]. وفصل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الدعاء. فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلاَّ فُرِّجَ عنه: كلمة أخي يونس صلى الله عليه وسلم** ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء: **87**]. رواه ابن السني.

وعن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له"** رواه الترمذي. وما رواه أنس بن مالك مرفوعا إلى رسول الله، أن يونس بعد دعائه بتلك الكلمات: (فأقبلت الدعوة تحنُّ بالعرش، فقالت الملائكة: يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال أما تعرفون ذلك؟ قالوا يا رب ومن هو؟ قال عبدي يونس الذي لم يزل يُرْفَعُ له عمل متقبل ودعوة مجابة؟ قالوا يا ربنا أولا ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فتنجيه من البلاء، قال بلى، فأمر الحوت فطرحه في العراء).

ـ **نجاة يونس وعودته إلى قومه:** خرج يونس من بطن الحوت وهو سقيم الجسم، فأنبت الله شجرة من يقطين (القرع) لتظلله من حر الشمس، ومكث مدة يرزقه الله من حيث لا يحتسب، ولما رجعت له عافيته، واطمأن قلبه، أمره الله بالعودة إلى قومه، وكان عددهم أكثر من مائة ألف، فدعاهم إلى الإيمان وأعانهم على تثبيته في نفوسهم، فكانوا من المهتدين، وعاشوا في رحاب الإيمان تغمر حياتهم السعادة ويغشاهم الهناء والطمأنينة: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذۡنَٰهُ

بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الصافات: 143-148].

ـ **موت يونس عليه السلام ومصير قومه من بعده:** عاش يونس مع قومه في عبادة الله، ثم خرج سائحا في أرض الله حتى اختاره الله إلى رحمته. ويوجد في بلدة (حلحول) قرب الخليل بفلسطين قبر يقال أنه قبر يونس، وقريبا منه من مكان آخر قبر يقال أنه قبر متى.

أما قومه فقد دبَّ الفساد في حياتهم بعد حين من الدهر، وضلوا عن الصراط المستقيم، فدمر الله بلادهم على أيدي الملوك الأشداء وهم، ملك **ميديا"سياكسار"(633-584 ق م)** ، وملك **بابل "نابويالاسرَّ" (625 – 605 ق م)**. وتم تدمير مدينتهم نينوى عن آخرها سنة**612 ق م**.

اليـهـود

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: 64].

اليهود: هم بنو إسرائيل وأتباع موسى عليه السلام، وقد أنزل الله عليهم التوراة، فكفروا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: **6**]. وقد فصل القرآن الكريم بذكر صفاتهم في شتى العصور، بعد التيه، وعند دخولهم لفلسطين، وأثناء عيشهم في المدينة المنورة، فكان القرآن ينزل على رسوله، فيكشف عن الوقائع القديمة، والحوادث الراهنة، وكل ذلك مخلد في كتاب حكيم، ومن صفاتهم:

1) قسوة القلوب: والتي دفعتهم إلى الإجرام، منذ تفكيرهم في قتل يوسف: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾[يوسف: **9**]. وقلوبهم قاسية، بل هي أشد قسوة من الحجارة: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾[البقرة: 74]. وتلك القسوة لازمتهم على مر التاريخ، ولعنهم الله على أفعالهم الإجرامية: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن

مَوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[المائدة: 13].

2) قتل الأنبياء: كفر اليهود برسالة الأنبياء، وقتلوا عدداً منهم بغير حق ولا ذنب، بل ظلما وعدوانا، وتلك هي أخلاق المستكبرين، وجرائم المكذبين: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[البقرة: 87]. وإنما هو إتباع الهوى، والتكذيب المرافق للإجرام: ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[المائدة: 70]. وبسبب ذلك جعل الله عذابهم أليما: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[آل عمران: 21].

3) المكابرة واضطراب المواقف: تتسم حياة اليهود بالتعالي على الله، فمرة يدَّعُونَ أنهم أبناء الله وأحباؤه، ومرة أخرى يصفونه بالبخل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ ﴿١٨﴾ ﴾[المائدة: 18]. وقد فضح الله أمرهم، وجعل أيديهم المغلولة: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴿٦٤﴾ ﴾[المائدة: 64]. والأدهى من ذلك، ادعاءهم أنهم أغنى من الله، ويصفون المولى بالفقر - تعالى الله عن ذلك - وعندما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ قال اليهود: (إن الله فقير يقترض منا) فانزل الله فيهم: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[آل عمران: 181].

4) إشاعة الفحشاء والمنكر: فمن صفاتهم الذميمة، ترويج المنكرات والفواحش - بشتى الطرق والوسائل - في كل المجتمعات، مع محاربة الفضيلة في كل مكان وزمان، وبسبب ذلك أوجب الله لهم اللعنة: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة: 78-79]. ولهم صفات أخرى ذكرت في مواضع عديدة من القرآن الكريم.

يـهود المدينـة

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ ﴾[الأحزاب: 26].

نزل اليهود في مدينة يثرب منذ وقت مبكر قبل وصول الأوس والخزرج، وكانت هجراتهم المتتالية إلى شبه الجزيرة العربية في حدود القرن الأول الميلادي، بعد حملة تتيوس (**تيطس**) على فلسطين سنة **70 م**، وتخريب الهيكل. وقد سالم اليهود العرب في أول الأمر وأحسنوا التعامل معهم، واشتغلوا بزراعة النخيل، وكانوا يتعاملون بالربا، ويبثون الشقاق بين الأوس والخزرج، حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم الدنيئة في السيطرة والاستغلال. وتلك المعاملات السيئة لم تشجع العرب على الدخول في اليهودية، بل كانوا يحتقرون اليهود ودينهم، ويفضلون عليه عبادة الأوثان. وقبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كان أحبار اليهود يتحدثون عن نبي يبعث في الجزيرة العربية وردت صفاته في كتبهم. وكانوا كلما نال منهم العرب ما يكرهون يقولون متوعدين: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عـاد وإرم. فلما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، آمن به العرب وآزروه، وكفر به اليهود وحاربوه، فنزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ ﴾[البقرة: 89-90].

ولما رأوا أُخُوَّةَ الأوس والخزرج وتفاهمهم، حسدوهم وتمنوا أن تعود العداوات والمعارك القديمة بينهم، فذكروهم بتلك الأيام الخالية، وكادت تقوم الحرب بين المسلمين، لولا عناية الله، فأنزل الله قرآنا يحذرهم من عدوهم الدائم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران: 100-101].

وازدادت فتن اليهود في المدينة، وتطورت إلى التآمر مع الأعداء، فأوجبوا على أنفسهم العقاب العادل من الله تعالى. واهم فرقهم، بنو قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، وكانت ديارهم داخل المدينة، وبنو

النضير، وبنو قريظة، كانوا حلفاء الأوس، وديارهم في ضواحي المدينة. وقد وادعهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته للمدينة، واشترط عليهم أن لا يعينوا عليه أحداً، بل ينصروه على عدوه.

ـ **يهود بني قينقاع:** بعد انتهاء غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة، بانتصار المسلمين، وهزيمة قريش؛ جمع النبي صلى الله عليه وسلم اليهود في سوق بني قينقاع وخاطبهم قائلا: " يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب قريشا". فقالوا: " يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قاتلت نفراً من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنَّا نحن الناس.. وأنك لم تلق مثلنا". فأنزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿12﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿13﴾ ﴾[آل عمران: 12-13].

فتركهم النبي حتى نقضوا العهد، وتعرضوا لامرأة مسلمة جلست في السوق إلى صائغ يهودي، فعقدوا ثوبها إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا، فصاحت المرأة، فوثب رجل من المسلمين فقتل الصائغ، فتجمع اليهود وقتلوا المسلم، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، ثم استسلموا وشفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول، فاكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بإجلائهم عن المدينة، وهو أقل عذاب وقع ليهود المدينة.

ـ **يهود بني النضير:** قصد النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه ديار بني النضير، وطلب منهم أن يساهموا في دفع دية قتيلين من بني عامر، لأن صحيفة العهد مع اليهود نصت على ذلك، فوافقوا ظاهرياً، واخذوا يتآمرون على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وكان وقتها جالسا خلف أحد جدرانهم، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟

وعلم النبي بالأمر، فعاد إلى المدينة، وأرسل إليهم محمدًا بن سلمة الأنصاري، يخبرهم بانكشاف مؤامرتهم، ويأمرهم بالجلاء عن المدينة في مدة عشرة أيام، ومن تخلف عن المهلة يكون مصيره القتل. ولكن المنافقين تعاطفوا معهم، وشجعوهم على البقاء في حصونهم، فنزل القرآن يفضح المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿11﴾ ﴾[الحشر: 11].

فلما أصروا على عنادهم، حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم ست ليال من شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، وأمر بقطع نخيلهم، وأحرق منها ست نخلات، فقالوا: يا محمد: ألست تزعم أنك نبي؟ وانك تنهى عن الفساد؟ فما بالك تأمر بقطع الأشجار وتحريقها؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم،

ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً. فنزل القرآن، فأقر المسلمين، ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ اَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اِ۬للَّهِ وَلِيُخْزِيَ اَ۬لْفَٰسِقِينَ ﴿5﴾ ﴾[الحشر: 5]. ثم قذف الله في قلوبهم الرعب، فوافقوا على الخروج من المدينة صاغرين، وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: نحن نخرج عن المدينة، ففرض عليهم الخروج عنها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح. فكانوا يخربون بيوتهم حتى لا يسكنها المؤمنون حسدا وبغضًا، وحملوا الأبواب والأوتاد وجذوع النخل، فقال تعالى مصورا مشهدهم حتى يكونوا عبرة لكل معتبر: ﴿ هُوَ اَ۬لذِےٓ أَخْرَجَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ مِنَ اَهْلِ اِ۬لْكِتَٰبِ مِن دِيٰرِهِمْ لِأَوَّلِ اِ۬لْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمُۥٓ أَن يَّخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اَ۬للَّهِ فَأَت۪ىٰهُمُ اُ۬للَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِے قُلُوبِهِمُ اُ۬لرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِے اِ۬لْمُومِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِے اِ۬لَابْصِٰرِ ﴿2﴾ ﴾[الحشر: 2].

وخرجوا يحملون أموالهم ونساءهم وصبيانهم فوق ستمائة بعير، ما عدا السلاح، ونزل أغلبهم أرض خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى بلاد الشام، وأسلم منهم رجلان فقط، هما: يامين بن عمرو، وأبو سعد بن وهب، فحافظا على أموالهما. وأنزل الله أحكام الفيء، وهو ما يغنمه المسلمون بدون حرب، ولا خيل، وبدون تعب، فالأمرُ للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ اَ۬للَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اَ۬للَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَّشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ قَدِيرٌ ﴿6﴾ ﴾[الحشر: 6]. فجعل الله حكم هذا الفيء لله يضعه حيث يشاء، ولرسول الله يصرفه على نفسه وعلى مصالح المسلمين: ﴿ مَّآ أَفَآءَ اَ۬للَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنَ اَهْلِ اِ۬لْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِے اِ۬لْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ اِ۬لسَّبِيلِ كَےْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ اَ۬لَاغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴿7﴾ ﴾[الحشر: 7]. وقسم النبي أموال بني النضير على المهاجرين الفقراء، ولم يعط الأنصار شيئا، لأنهم أغنياء، ما عدا أبو دجانة وسهل بن حنيف الأنصاريين، فقد أعطاهم لفقرهم وحاجتهم، وكان ينفق من ذلك الفيء على أهله نفقة سنة، وجعل الباقي في السلاح والمراكب لتكون عدة في سبيل الله. ولكن بعض الأنصار طالبوا بسهمهم في الفيء، فأنزل الله في حقهم: ﴿ وَمَآ ءَات۪يٰكُمُ اُ۬لرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَه۪يٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ إِنَّ اَ۬للَّهَ شَدِيدُ اُ۬لْعِقَابِ ﴿7﴾ ﴾[الحشر: 7].

- **يهود بني قريظة:** وهم الطائفة اليهودية الثالثة التي نقضت عهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، عندما رأوا عشرة آلاف مقاتل من الأحزاب في شمال المدينة، وظنوا أن ذلك الجمع من الكفار

سوف يقضي على المسلمين، فتحالفوا معهم، ولكن الله هزم الأحزاب، وردهم خائبين: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب: 25].

ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته، جاءه جبريل عند الظهر، وهو يغتسل في بيت أم سلمة، فقال: أوقد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتهم، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكب من الملائكة؛ وسار الجيش الإسلامي بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة الهجرية، وفرضوا حصاراً على حصون بني قريظة، ودام الحصار خمسا وعشرين ليلة. ولما نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حكَّمَ فيهم رجلاً من حلفائهم، هو زعيم الأوس سعد بن معاذ. فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات".**

ونزل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾ [الأحزاب: 26-27]. وكان عدد اليهود الذين قتلوا يومئذ ما بين الستمائة والسبعمائة من الرجال فقط، فضربت أعناقهم، بينما سبيت النساء والصبيان، وقسمت الأموال بين المسلمين، بعد أن أُخرج منها الخمس، فجعل للفارس ثلاثة أسهم، سهمان للفرس وسهم للفارس، وجعل سهم الرجل (من المشاة) سهما واحداً. وهكذا طهرت المدينة من اليهود، وكفى الله المؤمنين شرهم، وجعل كيدهم في نحورهم.

الخاتمة

إن تلاوة القرآن الكريم، والتدبر المستمر في آياته الحكيمة، ومدارسته والبحث في عمق معانيه، يدرُّ على النفس عطاءً إيمانيًا، ويسكب في القلوب الطمأنينة، ويبث فيها السكينة، وييسر للمؤمنين الاستقامة على المنهج القويم. ولقد كشفت مواد هذا المعجم المبارك عدة فوائد نرصد بعضها فيما يلي:

ــ **القرآن كتاب الواقع العملي والتطبيق الميداني:** فقد أظهرت دراسة الأعلام والمعالم القرآنية، ان القرآن عايش واقع الأقوام قديما، وتنزل منجما حسب الحوادث والوقائع التي كانت لصيقة بالصحابة وما حولهم من بشر في شبه الجزيرة العربية، وخارجها في آفاق الأرض، وضرب الله الأمثال لرسوله من قصص الغابرين، والتي زخرت بمعانيها، وأعطت للنبي صلى الله عليه وسلم العبر الجليلة، وسيبقى عطاؤها متواصلا إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فيتجدد خيرها كلما تلاها المؤمن في أصقاع الأرض، ولا يوجد أي حاجز يحول دونها من زمان او مكان.

وعلى سبيل المثال، فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى إبطال عادة التبني في المجتمع الجديد الذي أنارت فيه آيات القرآن، وطبقها على نفسه بزواجه من مطلقة مولاه زيد بن حارثة الشيباني، ونزل القرآن لتثبيت القلوب، وتأكيد الأحكام. وقصص الأنبياء تنزلت آياتها على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وتشابهت أحداثها مع واقع الدعوة الجديد، ومعاناة النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه مثلما عانى هود وصالح ونوح عليهم السلام، فكانت القصص تحمل الأنس في جوانحها، وستبقى زاخرة بالعطاء الذي يشع نوره على الدعاة في كل مكان وزمان.

ــ **القرآن منهج متكامل في حياة الإنسان:** ويظهر ذلك جليا في سياق التراجم والشروح التي كتبت حول الأعلام، ويلمس القارئ هذا المنهج في مجال الدعوة إلى الله، وعند أصحاب الحُكم والسلطان، ويظهر بوضوح في نطاق التربية والتعليم.

وقد وُصفَ النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية بصفتي المدثر والمزمل، إذأمره ربه أن ينطلق من وضعية ساكنة إلى وضعية الحركة والدعوة، والتي تؤكد على القيام والنهوض، وحمل الرسالة إلى الناس، وتبليغ الدعوة إلى قومه، والتحلي بالصبر، ومعالجة الاعراض بالهجر الجميل، وتفويض الأمر إلى الله تعالى فهو أولى بعقاب الظالمين. كما بُنيت حياة الأنبياء على منهج محكم لأنه يأخذ بالسنن الكونية، ويستنير بالنبوة التي نبعت منها البركة واثمرت التوفيق والنجاح، ونطقت بذلك آيات سورة يوسف عليه السلام، فكان سلوكه أثناء مرحلة الرق مبنياً على منهج يحوطه الصلاح، وتكلله الاستقامة، وكانت دعوته صادقة للعزيز وامرأته، واستمر المنهج عند دخوله السجن، فعُرف بعبادته لله، والدعوة إلى الصراط المستقيم، وترسيخ عقيدة التوحيد عند رفاقه، وتواصلت عناصر المنهج في التطبيق عندما تحمل مسؤولية التخطيط

الاقتصادي، ونفذ المشروع الذي حقق نجاحا باهرا، ليكون مثالا للبشرية في حسن التدبير الذي أسس على التقوى والصلاح، وبرزت مناهج الحكم والسياسة الشرعية في حياة نبي الله داود عليه السلام، وتفجرت ينابيع الحكمة عند بلقيس ولقمان.

ـ **القرآن يجسد الشمول والتنوع:** فآياته شملت مختلف الفئات البشرية، واقترب بأحكامه من حياة الناس جميعا وبدون استثناء، فخاطب الأنبياء، والدعاة والعلماء، ووجه الحكام والملوك والوزراء، وتحدث عن المهاجرين والمجاهدين والشهداء، وأثنى على العمال والصناع والأجراء، وفصل الأحكام والأوامر في واقع الأغنياء والفقراء، والصبيان والشيوخ والرجال والنساء، وأهل الكفر والنفاق على حد سواء، وأهل الإيمان والأولياء.

وتنوعت المعالم وتعددت البلدان، والمظاهر العمرانية التي ذكرت في سياق الحركة البشرية القرآنية، وارتبطت عضويا بالأحداث والسير وأسباب النزول، ولكن الخصوصية لا تحرم العطاء أو التجدد كلما تليت النصوص، لأن العبرة القرآنية جعلها الله سراً في ثنايا الآيات تطفو كلما رَقَّتْ النفوس وَرَقَتْ وتفاعلت مع الكتاب الكريم، فتهفو النفوس المؤمنة إلى مكة المكرمة، البلد الحرام، والبيت العتيق، كلما تليت آيات الحج، ويزداد تأثيرها كلما حل الموسم، أو تليت الآيات في قصة الخليل إبراهيم، وهو يهاجر بزوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى البلد الحرام، يدعو ربه بالبركة والخير لذريته، ويبني الكعبة المشرفة، وكلما كان المؤمن قرب الكعبة يزداد تفاعلا مع الآيات: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿127﴾﴾[البقرة: 127]. ويعيش المؤمن وجدانيا مع فتية الكهف، ويتصور حالهم وهم رقود يقلبون، وهم قيام ينظرون، وقد دبت الحياة في كيانهم، فقاموا يدعون الناس إلى عقيدة البعث والنشور، ويذكرونهم بالإيمان بالله: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿13﴾﴾[الكهف: 13].

ــ **القرآن كتاب العبر المتعاقبة على مر الزمان:** فالله يأمر عباده أن يكثروا من التدبر في الآيات، ليستخلصوا المعاني النبيلة، والدروس النافعة الجليلة، مما حدث للأمم الغابرة، وتعددت الآيات التي تحث على السير في الأرض من أجل النظر المتبصر في الآثار التي خلفها الإنسان القديم، ويكون النظر مصحوباً بالتأمل العميق في العواقب التي آلت إليها حياة الشعوب الفانية. فتجد سورة يوسف مثلا، تُذَكِّرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿109﴾﴾[يوسف: 109]. وهي تُذَكِّرُ كل مسلم بعد رسول الله بما ذكرت به في زمن نزولها، بأن

كل الرسل الذين بعثوا إلى أقوامهم في المدن والقرى والحواضر، كانوا مؤيدين بالوحي، وأن الله أهلك المكذبين من قومهم، وجعل في تاريخهم عبرة للناس، ودعاهم إلى التدبر في مصيرهم السيئ. ثم أخبر الله أن طول طريق الدعوة، ويأس الرسل من هداية قومهم، لن يستمر طويلا، بل يعقبه نصر الله ـ وتلك سنة ربانية ـ ونجاة المؤمنين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿110﴾ ﴾ [يوسف: 110].

وختمت السورة، والآيات السابقة بالحديث عن حقيقة مبثوثة في آيات الكتاب الكريم ـ مفادها ـ أن القصص وحوادث التاريخ التي ذكرت، لم تذكر تفصيلا، بل عرضت بعض المشاهد من حياة الرسل والأنبياء، للعبرة والعظة، وهي تصدق ما ورد في الكتب السماوية السابقة في بعض الجوانب المحدودة، (وهذا ما جعلنا في هذا المعجم نستأنس ببعض الإسرائيليات التي تتوافق مع السياق القرآني لأنها تزيد الحادثة وضوحا) قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿111﴾ ﴾ [يوسف: 111].

ويذكر لنا القرآن الحقيقة التالية: أن السير في الأرض للتعرف على آثار البشر في العصور الماضية، يبقى عديم الفائدة إلا إذا كان مستنيرا بالقرآن الكريم الذي وضع القواعد الأساسية التي تساعد على الاعتبار، ومنها:

1) تأكيد القرآن أن الأمم القديمة توفرت عندها أسباب القوة: ونجحت في عمارة الأرض بشتى أنواع العمارة من بناء وزراعة وتصنيع، ولكنهم كذبوا الرسل وظلموا أنفسهم فأخذهم الله بذنوبهم وأهلكهم، وقد فصلت قصصهم التي شرحت في هذا المعجم: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿9﴾ ﴾ [الروم: 9]. وأكدت الآيات القرآنية، حقيقة هامة، أن مصير تلك الأمم القوية كان الدمار بسبب ذنوبهم: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿21﴾ ﴾ [غافر: 21]. وكان ذكر الكفار بذلك التحديد المفصل ـ لأن

مصيرهم مثل الأمم السابقة المكذبة ـ ودعا الناس إلى تجنب مصيرهم السيئ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي اِ۬لْاَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اَ۬للَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿10﴾﴾ [محمد: 10].

ومنهم قوم نوح وقوم لوط، وأصحاب الأيكة (قوم شعيب) وقوم فرعون، وأصحاب السبت من بني إسرائيل وغيرهم من المكذبين المجرمين، فكان مصيرهم ـ جميعا ـ الهلاك والدمار، وتلك النهاية التي ينالها من أعرض وكذب بالدين: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي اِ۬لْاَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿137﴾﴾ [آل عمران: 137].

وأشارت الآية الأخرى إلى إجرامهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي اِ۬لْاَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿69﴾﴾ [النمل: 69].

2) تأكيد القرآن على أخذ العبر من القصص والأحداث السابقة: وهي التي أشارت إليها الآيات الكريمة، وكان التأكيد ضمنيا، أو بصورة مباشرة، مثلما ورد في شأن غزوة بدر التي كان النصر فيها حليف المسلمين، وذكرت الآيات بحقيقة النصر ـ أنه من عند الله ـ وفي ذلك عبرة بالغة لأصحاب العقول، وذَكَّرَ الله اليهود بالخصوص، أن في ذلك عبرة لهم: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اِ۬لْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ اِ۬للَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ اَ۬لْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي اِ۬لْاَبْصَٰرِ ﴿13﴾﴾ [آل عمران: 13]. كما ذُيلت بعض الآيات بلفظ " **الذكرى**" التي تنفع أصحاب العقول وأولي الألباب، مثلما ورد في قصة أيوب عليه السلام، فقد عوضه الله عما فقد من مال وأهل، وذلك فضل من الله وإكرام لعبده الصابر، وجعله ذكرى للناس على مدار الزمان: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي اِ۬لْاَلْبَٰبِ ﴿43﴾﴾ [ص: 43]. وصدق الشاعر في قوله:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر * ضل قوم ليس يدرون الخبر

ـ **القرآن والمعارف الواسعة:** وهي معارف تجعل النصوص واضحة جلية؛ فعندما يتلو المسلم الكتاب الكريم، تساعده تلك المعارف على تفهم الآيات، وتعينه على معرفة المعاني والأسرار الخفية، وتكشف عن أسرار القصص والأخبار، والتنبيه إلى أسباب النزول، فكانت الحادثة قديمة، ولكن الآية نزلت معقبة عليها، أو موجهة لصاحبها في ذلك الحين؛ ولكن التوجيه يستمر ويُبعَثُ أمام الناس كلما وقعت حادثة مشابهة لها، فالذي يقرأ فاتحة سورة "**عبس**": ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿1﴾ أَن جَآءَهُ اُ۬لْأَعْمَىٰ ﴿2﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿3﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعُهُ اُ۬لذِّكْرَىٰٓ ﴿4﴾﴾ [عبس: 1-4]. لا يمكنه أن يفهم النص فهما عميقا إلا عند دراسة قصة " **الأعمى**"

وهو الصحابي عبد الله بن أم مكتوم الذي نزلت الآية في قصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد تزكى في رحاب الدين، فصار حمامة المسجد النبوي، ومؤذن النبي صلى الله عليه وسلم، والمجاهد في سبيل الله بصدق العزيمة، وقد شهد معركة القادسية، فلقي الله شهيدا مطهراً، وهو يعانق لواء المعركة، وهذه أعظم تزكية وعبرة في حياته: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ④ ﴾[عبس: 3-4]. وقد جعلها الله تذكرة للناس على مدار الزمن: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ⑫ ﴾[عبس: 11-12].

وقد فهمنا ذلك من معارف المعجم، وهي معارف ومعلومات تاريخية، تضفي على النصوص والآيات البيّنَات، مزيدًا من الفهم، وتيسر لقارئ القرآن التدبرالذي يحقق العظة والاعتبار.

ـ **القرآن والأمثال المتتالية**: وهي التي وردت في قصص الأنبياء، أو حدثت في عهد الصحابة الأجلاء، أو في تاريخ الأمم الغابرة، ويتكرر ما يشبهها في الموضوع، ولكن يخالفها في الحيثيات، وهكذا جعلها الله مضربًا للمثل الذي يكون مدعاة للتذكر، وسبيلا للهداية:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ⑩ ﴾[التحريم: 10].

فضرب الله مثلا للنساء بقصص امرأة نوح، وامرأة لوط، وكانتا في عصمة رجلين عظيمين من أنبياء الله، ولكن كفرهما بالله لم يُغنِ عنهما شيئا عند الله، وكان مصيرهما النار ككل الكفار، لأن امرأة نوح كانت ظالمة، وامرأة لوط كانت كافرة، وأبو طالب مات على الضلال، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ⑯ ﴾[القصص: 56].

كما ضرب مثلا للمؤمنين بالمرأة الصالحة "**آسيا بنت مزاحم**" التي كانت في عصمة الطاغية الجبار "**فرعون**" فقد نجاها الله من كفره وضلاله، وأكرمها بفسيح جنانه، لأنها كانت ثابتة على الحق، فجعل في ذكرها أنساً وتسليةً للمؤمنات الصادقات: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ⑪ ﴾[التحريم: 11].

وكانت الآيات تنبه إلى ضرب الأمثال للتأسي والاعتبار في قصة أصحاب الجنتين: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ㉜ ﴾[الكهف: 32]. وكذلك في قصة أصحاب القرية: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ⑬ ﴾[يس: 13]. والله ضرب الأمثال للناس ليستمعوا لها، مثلما دعا المشركين إلى التأمل في أصنامهم، وهي ضعيفة لا تقدر

على شيء، وهي أحقر الأشياء فكيف يعبدونها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج: 73].

وعموما فان الإنسان والمكان في القرآن الكريم يرتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ ووقائع البشر في الماضي البعيد، ولكن الآيات البينات تبقى مفعمة بالعطاء الدافق، كلما دُرستْ أو تُليتْ في ضوء المعارف إلى أقوم السبل وأجلها، ويهتدي بها إلى الحق: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾[آل عمران: 101].

هكذا تم تصنيف هذا المعجم بتوفيق الله تعالى، فله الحمد والشكر على إكرامه، فهو وحده ذو الجلال والإكرام، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في المعجم

ـ **القرآن الكريم:** برواية ورش عن نافع، باعتماد **مصحف ورش الالكتروني**، المعتمد من وزارة الشؤون الدينة والأوقاف، الجزائر، يوم الاربعاء **06 جانفي 2016.**

ـ **أولا: كتب حول القرآن الكريم:**

1) كتب التفسير:

ـ **أحكام القرآن،** أبو بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت،(بدون تاريخ).

ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي،** ناصر الدين البيضاوي ـ مؤسسة شعبان بيروت.

ـ **أوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن،** محمد كريم راجح ـ دار المعرفة، بيروت، **ط1، 1983.**

ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)** ، لأبي السعود ـ دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ).

ـ **التحرير والتنوير،** محمد الطاهر بن عاشور ـ الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. **1984.**

ـ **تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)** ، فخر الدين محمد الرازي ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، (بدون تاريخ).

ـ **تفسير القرآن العظيم،** أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ـ دار الأندلس، بيروت، **ط1، 1966.**

ـ **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)** ، أبو عبد الله محمد القرطبي ـ دار الشعب، القاهرة (بدون تاريخ).

ـ **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** ، النسفي ـ دار الفكر (بدون ذكر البلد والتاريخ).

ـ **حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين،** أحمد الصاوي المالكي. مراجعة عبد العزيز سيد الاهل ـ الناشر عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة (بدون تاريخ).

ـ **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام،** محمد علي الصابوني ـ مكتبة رحاب، الجزائر، **ط4، 1990.**

ـ **صفوة التفاسير،** محمد علي الصابوني ـ دار الشهاب، الجزائر، **1990.**

ـ **في ظلال القرآن،** سيد قطب ـ دار الشروق، بيروت، **ط9، 1980.**

ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** الزمخشري ـ مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، **1972.**

ـ **كلمات القرآن تفسير وبيان،** حسنين محمد مخلوف ـ مكتبة رحاب، الجزائر (بدون تاريخ).

ـ **مختصر تفسير الطبري**، إختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، مكتبة رحاب، الجزائر، **ط2، 1987.**
ـ **مختصر تفسير ابن كثير**، محمد علي الصابوني ـ دار الشهاب، الجزائر، **1990.**
ـ **المصحف المفسر**، محمد فريد وجدي ـ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (بدون تاريخ).
ـ **نيل المرام في تفسير آيات الأحكام**، محمد صديق حسن خان ـ دار الرائد العربي، بيروت، **1983.**
2) كتب القصص في القرآن:
ـ **أسباب النزول**، أبو الحسن الواحدي النيسابوري ـ دار الفكر، بيروت، **ط1، 2001.**
ـ **أسباب النزول القرآني**، غازي عناية ـ دار الشهاب، الجزائر، **ط1، 1987.**
ـ **أضواء على حياة خالد بن سنان العبسي**، صلاح مؤيد العقبي ـ المطبوعات الجميلة، الجزائر (بدون تاريخ).
ـ **قصص الأنبياء**، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تح صدقي جميل العطار ـ دار الفكر، بيروت، **ط1، 2003.**
ـ **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، أبواسحاق النيسابوري الثعلبي ـ دار الفكر، بيروت، **2004.**
ـ **قصص الأنبياء**، حسن أيوب ـ دار السلام القاهرة، **ط2، 2004.**
ـ **قصص الأنبياء**، عبد الوهاب النجار ـ دار احياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).
ـ **قصص القرآن**، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي تح مجدي محمد الشهاوي ـ دار رحاب، الجزائر (بدون تاريخ).
ـ **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، عفيف عبد الفتاح طبارة ـ دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (بدون تاريخ).
ـ **مؤمن آل فرعون حفيد المرأة الكاملة وابن الرجل الصالح**، الشفيع الماحي أحمد ـ دار ابن حزم، بيروت، **ط1، 1999.**
ـ ثانيا: كتب السير والشمائل:
1) كتب السيرة النبوية الشريفة:
ـ **تهذيب سيرة ابن هشام**، عبد السلام هارون ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).
ـ **خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر**، أحمد محمد عساف ـ دار إحياء العلوم، بيروت، **ط2، 1980.**
ـ **الرحيق المختوم**، صفي الرحمن المباركفوري ـ دار الفكر، بيروت، **2000.**
ـ **رسول الله في القرآن الكريم**، حسن كامل الملطاوي ـ دار المعارف، القاهرة، **ط2، 1979.**
ـ **الرسول القائد**، محمود شيت خطاب ـ مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، **ط2، 1960.**

ـ **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لإبن هشام**، أبو القاسم بن عبد الله السهيلي ـ دار الفكر، **1982** (دون ذكر البلد).
ـ **السيرة النبوية دروس وعبر**، مصطفى السباعي ـ دار الزهراء، الجزائر، **ط2، 1993.**
ـ **السيرة النبوية في القرآن الكريم**، عبد الصبور مرزوق ـ مكتبة رحاب والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، **1987.**
ـ **شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي**، راجح عبد الحميد الكردي ـ شركة الشهاب، الجزائر، **1989.**
ـ **فقه السيرة**، محمد سعيد رمضان البوطي ـ دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر، (بدون تاريخ)
ـ **فقه السيرة**، محمد الغزالي ـ دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر، (بدون تاريخ)
ـ **في ظلال السيرة النبوية (الإسراء والمعراج)** ، محمد عبد القادر أبو فارس ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية، الأردن، **1990.**
ـ **كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض السبتي ـ دار الفكر، بيروت، **ط1، 2004.**
ـ **مختصر زاد المعاد للإمام ابن القيم الجوزية**، محمد بن عبد الوهاب ـ دار الهدى، الجزائر، **ط3، 1989.**
ـ **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، محمد الخضري بك، تح سمير أحمد العطار ـ دار الحديث، القاهرة، **2003.**
ـ **هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب**، أبو بكر جابر الجزائري ـ دار السلام، القاهرة، **ط7، 2004.**
ـ **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، نور الدين السمهوري، تح محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، **1971.**
2) سير أعلام الصحابة الكرام:
ـ **أبطال ومواقف**، أحمد فرج عقيلان ـ دار المعارج الدولية، الرياض، **ط2، 1997.**
ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، إبن الأثير ـ انتشارت اسماعيليان (بدون تاريخ)
ـ **الإستعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البر، تح محمد علي البجاوي ـ مطبعة نهضة مصر، القاهرة (بدون تاريخ).
ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، إبن حجر العسقلاني ـ دار الكتاب العربي، بيروت (بدون تاريخ).
ـ **أطفال حول الرسول (عبد الله بن الزبير)** ، محمد صديق المنشاوي ـ دار رحاب، الجزائر، (بدون تاريخ).
ـ **أعلام النساء**، الحافظ ابن عساكر، تح محمد عبد الرحيم ـ دار الفكر، بيروت، **ط1، 2004.**
ـ **ثلة من الأولين**، محمد عبد القادر أبو فارس ـ شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، **1990.**

ـ **حياة الصحابة،** محمد يوسف الكاندهلوي ـ دار التراث، القاهرة (بدون تاريخ).
ـ **رجال حول الرسول،** خالد محمد خالد ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، **ط1، 2003.**
ـ **رجال مع رسول الله في طريق الدعوة،** أحمد بن يوسف القادري ـ دار الأرقم، بيروت، **ط1، 2000.**
ـ **سير أعلام النبلاء،** الإمام الذهبي، تح شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ـ مؤسسة الرسالة، **ط2، 1982.**
ـ **صفة الصفوة،** ابن الجوزي، تح أحمد بن علي ـ دار الحديث، القاهرة، **2000.** جزءان.
ـ **صور من حياة الصحابة،** عبد الرحمن رأفت الباشا ـ دار الأدب الإسلامي، القاهرة، **ط1، 1997.**
ـ **صور من حياة الصحابيات دروس وعبر،** عبد العزيز الشناوي ـ مكتبة الإيمان، القاهرة (بدون تاريخ).
ـ **نساء حول الرسول،** محمد علي قطب ـ دار الدعوة، الأسكندرية، **ط1، 1995.**
ـ **نساء حول الرسول،** محمد متولي الشعراوي، إعداد وتعليق وتقديم: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي ـ المكتبة التوفيقية، القاهرة (بدون تاريخ).
ـ **نساء الصحابة،** عبد العزيز الشناوي ـ شركة الشهاب بالجزائر بالتعاون مع دار التراث الإسلامي بالقاهرة، الجزائر ، **1989.**
ـ **نساء النبي عليه الصلاة والسلام،** عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ـ دار الكتّاب العربي، بيروت، **1979.**
ـ **ثالثا: كتب التـاريخ والأخبار:**
ـ **البداية والنهاية،** أبو الفداء الحافظ بن كثير، تح مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، **ط1، 1985.**
ـ **التاريخ الشامل للمدينة المنورة،** عبد الباسط بدر ـ المدينة المنورة، **ط1، 1993.**
ـ **تاريخ ابن خلدون (تاريخ العبر)** ، ابن خلدون ـ دار البيان (بدون تاريخ).
ـ **تاريخ العرب القديم،** توفيق برو ـ دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر سوريا، **ط2، 2001.**
ـ **تاريخ اليعقوبي،** أحمد بن أبي يعقوب ـ دار صادر، دار بيروت، **1960.**
ـ **جمهرة أنساب العرب،** ابن حزم الأندلسي، تح عبد السلام هارون ـ دار المعارف، مصر، **1962.**
ـ **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية،** عبد الله التل ـ المكتب الإسلامي، بيروت، **ط3، 1979.**
ـ **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،** الإمام الفاسي، تح عمر عبد السلام تدمري ـ دار الكتّاب العربي، **ط1، 1985.**

ـ **الطريق إلى بيت المقدس " القضية الفلسطينية " (منذ آدم عليه السلام حتى سنة 1412هـ 1992م)**، جمال عبد الهادي محمد مسعود و وفاء محمد رفعت جمعة ـ دار التوزيع والنشرالإسلامية، القاهرة، ط2، 2001.
ـ **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ).
ـ **كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من آثار**، أبو الوليد الأزرقي، رشدي الصالح ملحس ـ مطابع دار الثقافة مكة المكرمة، ط2، 1965.
ـ **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية**، محمد الخضري بك ـ عالم الكتب، بيروت، ط1، 2002.
ـ **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، سبط بن الجوزي، تح إحسان حقي ـ دار الشروق، بيروت، ط1، 1985.
ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، أبو الحسن بن علي المسعودي، تقديم محمد السويدي ـ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989.
ـ **المسالك والممالك**، البكري، تح ادريان فان ليوفن وأندري فيري ـ الدار العربية للكتاب، 1992.
ـ **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي ـ دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1976.
ـ **رابعا: المعـاجم والموسوعات:**
ـ **أطلس الحديث النبوي الشريف**، شوقي أبو خليل ـ دار الفكر المعاصربيروت، دار الفكر دمشق، ط1، 2003.
ـ **أطلس السيرة النبوية**، شوقي أبو خليل ـ دار الفكر المعاصربيروت، دار الفكر دمشق، 2003.
ـ **أطلس القرآن**، شوقي أبو خليل ـ دار الفكر المعاصربيروت، دار الفكر دمشق، 2003.
ـ **دائرة المعارف**، فؤاد افرام البستاني ـ بيروت، 1983.
ـ **دائرة معارف القرن العشرين**، محمد فريد وجدي ـ دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ).
ـ **لسان العرب**، ابن منظور ـ الدار المصرية للتأليف. (بدون تاريخ).
ـ **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي ـ دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1967.
ـ **المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم**، محمد منير الدمشقي ـ دار التراث الإسلامي، الجزائر، 1989.
ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الحديث، القاهرة، ط1، 1996.
ـ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي ـ دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).
ـ **الملل والنحل**، أبو الفتح الشهرستاني، تح صدقي جميل العطار ـ دار الفكر، بيروت، 2005.
ـ **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، بيروت، ط28، 1986.

ـ **خامسا: الكتب العـامة:**

ـ **تبسيط العقائد الإسلامية،** حسن أيوب ـ دار السلام، القاهرة، **ط2، 2004.**

ـ **التبيان في آداب حملة القرآن،** محي الدين بن شرف النووي، تح محمد رضوان عرقسوسي ـ مؤسسة الرسالة، بيروت، **ط1، 2000.**

ـ **التبيان في علوم القرآن،** محمد علي الصابوني ـ مكتبة رحاب، الجزائر، **ط3، 1986.**

ـ **التعبير الفني في القرآن،** بكري الشيخ أمين ـ دار الشروق، بيروت، **ط4، 1980.**

ـ **الأذكار النووية،** محي الدين بن شرف النووي، تح عبد القادر الأرناؤوط منشورات دار الملاح للطباعة والنشر، (بدون ذكر البلد) **1971.**

ـ **الرسل والرسالات،** عمر سليمان الأشقر ـ قصر الكتّاب، الجزائر، **1989.**

ـ **الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن،** عبد الحليم عبد الرحمن خضر ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، **ط2، 1985.**

ـ **الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن،** محمد محمود عبد الله ـ مكتبة الإيمان، القاهرة، ط1 (بدون تاريخ).

ـ **العقيدة الإسلامية وأسسها،** حبنكة الميداني ـ دار الأرقم، دمشق، **ط3، 1983.**

ـ **علم تجويد القرآن،** محمد هشام البرهاني ـ مكتبة الإمام الأوزاعي، دمشق، **ط9، 2002.**

ـ **الفقه على المذاهب الأربعة،** عبد الرحمن الجزيري ـ دار الفكر ودار الكتب العلمية، بيروت، **1986.**

ـ **الفقه المالكي وأدلته،** الحبيب بن طاهر ـ دار ابن حزم، بيروت، **ط1، 1998.**

ـ **الكبائر،** شمس الدين الذهبي دار الشهاب، الجزائر، **1987.**

ـ **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها،** صبحي الصالح دار العلم للملايين، بيروت، **ط1، 1965.**

ـ **حجة النبي صلى الله عليه وسلم،** محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي، بيروت (بدون تاريخ).

ـ **رسالة الشرك ومظاهره،** مبارك بن محمد الميلي ـ دار البعث، الجزائر، **ط3، 1983.**

ـ **رياض الصالحين،** محي الدين بن شرف النووي ـ دار الفكر، بيروت، **2001.**

ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** ابن حجر العسقلاني، تح محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).

ـ **فقه السنة،** سيد سابق ، دار الجيل، القاهرة، **ط10، 1993.**

ـ **كيف نتعامل مع القرآن الكريم،** يوسف القرضاوي ـ مؤسسة الرسالة، بيروت، **ط1، 2001.**

ـ **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف،** ابن رجب الحنبلي ـ مؤسسة الريان ودار ابن حزم، بيروت، **ط2، 1996.**

ـ **من كنوز السنة،** محمد علي الصابوني ـ مكتبة رحاب، الجزائر، **ط2، 1986.**

- **منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين**، عز الدين بليق - دار الفتح، بيروت، **ط1، 1978**.
- **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس الأصبحي.
- **يارب**، عبد الحليم محمود - منشورات الكتب العصرية، بيروت (بدون تاريخ).

الجدول المساعد للبحث في مواد المعجم
والآيات المعلمية

الآيات	السورة	الحروف ومحتوى المواد
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم	الفاتحة: 6 – 7.	(ن) ـ المنعم عليهم.
غير المغضوب عليهم	الفاتحة: 7.	(غ) ـ المغضوب عليهم.
وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا	البقرة 35	(ح) ـ حواء، أم البشر.
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم	البقرة 47	(أ) ـ بنو إسرائيل.
وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم	البقرة: 58	(ب) ـ باب القرية. القرية.
إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين	البقرة: 62	(ن) ـ النصارى.
ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني	البقرة: 78	(أ) ـ أميون.
وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت	البقرة: 102	(أ) ـ بـابـل.
قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي	البقرة: 124	(أ) ـ إمام.
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى	البقرة: 125	(م) ـ مقام إبراهيم.
وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب	البقرة: 132	(ي) ـ يعقوب عليه السلام.
وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط	البقرة: 136	(س) ـ الأسباط.
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها	البقرة: 143	(ق) ـ القبلة.
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها	البقرة: 144	(س) ـ مسجد القبلتين.
إن الصفا والمروة من شعائر الله	البقرة: 158	(ص) الصفا.(هـ) ـ هاجر.
أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم	البقرة: 187	(ق) ـ قيس بن صرمة.
فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام	البقرة: 198	(ع)عرفات. (م) المشعرالحرام
ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله	البقرة: 199	(ح) ـ الحُمس.
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله	البقرة: 207	(ص) ـ صهيب بن سنان.
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر	البقرة: 217	(ر) ـ المرتـد.
ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا	البقرة: 224	(ع) ـ عبد الله بن رواحة.
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء	البقرة: 228	(أ) ـ أسماء بنت يزيد.
فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره	البقرة: 230	(ع) عائشة بنت عبد الرحمن.

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف.	البقرة: 231	(ث) ـ ثابت بن يسار.
وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن	البقرة: 232	(م) ـ معقل بن يسار.
ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف	البقرة: 243	(ح) ـ حزقيل بن بوذي.
إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله	البقرة: 246	(ش) ـ شمويل عليه السلام.
وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا	البقرة: 247	(ط) ـ طالوت.
إن ءاية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم	البقرة: 248	(ت) ـ التابوت.
فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر	البقرة: 249	(ن) ـ نهر الأردن.
ولما برزوا لجالوت وجنوده	البقرة: 250	(ج) ـ جالوت.
فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله	البقرة: 256	(ط) ـ الطاغوت.
ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك	البقرة: 258	(ن) ـ النمرود بن كنعان.
أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها	البقرة: 259	(ع) ـ عزير.
يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف	البقرة: 273	(ص) ـ أهل الصفة.
الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية..	البقرة: 274	(ع) ـ علي بن أبي طالب.
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب	آل عمران: 39	(ح) ـ المحراب.
إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم	آل عمران: 45	(م) ـ المسيح.
فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم	آل عمران: 61	(ن) ـ نصارى نجران.
قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم	آل عمران: 64	(أ) ـ أهل الكتاب.
إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا	آل عمران: 89	(ح) ـ الحارث بن سويد.
إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا	آل عمران: 96	(ب) ـ بكة.
يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب	آل عمران: 100	(ش) ـ شاس بن قيس.
وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال	آل عمران: 121	(أ) ـ أُحُـْـد.
ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة فاتقوا الله	آل عمران: 123	(ب) ـ بدر.
وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء	آل عمران: 140	(ش) ـ الشهداء.
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح	آل عمران: 172	(ح) ـ حمراء الأسد.
وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم	آل عمران: 199	(ن) ـ نجاشي الحبشة.
وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن ءانستم منهم رشدا	النساء: 6	(ث) ـ ثابت بن رفاعة.
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون	النساء: 7.	(أ) ـ أوس بن ثابت.

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض	النساء: 34.	(س) ـ سعد بن الربيع.
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة	النساء: 44.	(ر) ـ رفاعة بن زيد.
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت	النساء: 51.	(خ) ـ خيبـر.
أم لهم نصيب من الملك	النساء: 53.	(م) ـ الملك.
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها	النساء: 58.	(ع) ـ عثمان بن طلحة.
فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم	النساء: 65.	(ز) ـ الزبير بن العوام.
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم	النساء: 69.	(ث) ـ ثوبان بن بجدر.
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها	النساء: 93.	(م) ـ مقيس بن ضبابة.
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا	النساء: 94.	(م) ـ المقداد بن الأسود.
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا	النساء: 100.	(هـ) ـ المهاجرون إلى الحبشة
ولا تكن للخائنين خصيما	النساء: 105.	(أ) ـ بنو أبيرق.
وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا	النساء: 128.	(س) ـ سودة أم المؤمنين.
ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس	النساء: 163.	(أ) ـ أيوب عليه السلام.
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك	النساء: 176.	(ج) ـ جابر بن عبد الله.
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل	المائدة: 19.	(ف) ـ أصحاب الفترة.
ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم	المائدة: 21.	(أ) ـ الأرض المقدسة.
قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها.	المائدة: 22.	(ج) ـ قوما جبـارين.
قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض	المائدة: 26.	(ت) ـ أرض التيه.
واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا	المائدة: 27.	(ق) ـ قـابيل وهـابيل.
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم	المائدة: 63.	(ح) ـ الأحبـار.
إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابون والنصارى	المائدة: 69.	(ص) ـ الصابـون.
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم.	المائدة: 87.	(ع) ـ عثمان بن مضعون.
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس	المائدة: 97.	(ك) ـ الكعبـة.
وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة	الأنعام: 74.	(أ) ـ آزر بن ناحور.
وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين	الأنعـام: 86.	(أ) ـ اليسع عليه السلام.
وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر	الأنعـام: 91.	(م) ـ مالك بن الصيف.
أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس	الأنعـام: 122.	(ح) حمزة بن عبد المطلب.

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله	الأعراف: 65.	(هـ) ـ هـود عليه السلام.
وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله	الأعراف: 73.	(ث) ـ ثمـــود.
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض	الأعراف: 137.	(أ) ـ الأرض المباركة.
وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح	الأعراف: 142.	(هـ) ـ هارون عليه السلام.
فئامنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله	الأعراف: 158.	(أ) ـ النبي الأمي.
واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر	الأعراف: 163.	(س) ـ أصحاب السبت.
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها	الأعراف: 175.	(ب) ـ بلعام بن باعوراء.
واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون	الأنفـال: 26.	(ض) ـ المستضعفون.
يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول	الأنفـال: 27.	(ر) ـ رفاعة بن عبد المنذر.
إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله	الأنفـال: 36.	(ط) ـ المُطْعمون يوم بدر.
ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض	الأنفـال: 67.	(أ) ـ الأسـرى.
يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى	الأنفـال: 70.	(ع) العباس بن عبد المطلب.
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا	التوبة: 25.	(ح) ـ حنيـن.
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله	التوبة: 31.	(ر) ـ الرهبان.
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني	التوبة: 49.	(ج) ـ الجد بن قيـس.
ومنهم من يلمزك في الصدقات	التوبة: 58.	(ح) ـ حرقوص بن زهير.
ومنهم الذين يوذون النبيء ويقولون هو أذن	التوبة: 61.	(ن) ـ نبتل بن الحـارث.
يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم	التوبة: 64.	(ن) ـ المنافقون.
ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب	التوبة: 65.	(م) ـ مخشي بن حمير.
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر	التوبة: 74.	(ج) ـ الجلاس بن سويد.
وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا	التوبة: 74.	(ع) ـ عمير بن سـعد.
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن...	التوبة: 75.	(ث) ـ ثعلبـة بن حاطب.
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله	التوبة: 81.	(خ) ـ المخلفون.
تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا	التوبة: 92.	(ت) ـ البكائـين.
ومن الأعراب من يومن بالله واليوم الآخر	التوبة: 99.	(ن) ـ النعمان بن مقرن.
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار	التوبة: 100.	(ن) ـ الأنصار.
الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين	التوبة: 107.	(س) ـ مسجد الضرار.

لمسجد أسس على التقوى من أول يوم	التوبة: 108.	(س) ـ مسجد قباء.
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار	التوبة: 117.	(ت) ـ تبوك.
الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب	التوبة: 117.	(هـ) ـ المهاجرون.
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الارض	التوبة: 118.	(م) مرارة بن الربيع.
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين.	التوبة: 119.	(ك) ـ كعب بن مـالك.
واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المومنين	يونس: 87.	(ق) ـ قبلة اليهود.
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون	يونس: 90.	(ب) البحر الأحمر "القلزم".
ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه	هـود: 5.	(خ) ـ الأخنس بن شريق.
حتى أذا جاء أمرنا وفار التنور	هـود: 40.	(ت) ـ التنـور.
واستوت على الجودي	هـود: 44.	(ج) ـ الجودي.
وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق	هـود: 71.	(س) ـ سارة بنت هاران.
رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد	هـود: 73	(ب) ـ أهل البيت.
وألقوه في غيابات الجب يلتقطة بعض السيارة	يوسف: 10.	(ج) ـ الجـب.
وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه	يوسـف: 21.	(ع) ـ امرأة العزيز.
وادخلوا من أبواب متفرقة	يوسـف: 67.	(ب) ـ أبواب مصـر.
قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا	يوسـف: 78.	(ع) ـ العزيز.
وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين	يوسـف: 99.	(م) ـ مصـر.
وجاء بكم من البدو	يوسـف: 100.	(ب) ـ البـدو.
وما يومن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون	يوسـف: 106.	(ش) ـ المشركون.
سواء منكم من أسر القول ومن جهر به	الرعد: 10.	(ع) ـ عـامر بن الطفيل.
قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب	الرعد: 30.	(س) ـ سهيل بن عمرو.
إن المتقين في جنات وعيون	الحجر: 45.	(س) ـ سلمان الفارسي.
وان كان أصحاب الايكة لظالمين	الحجر: 78.	(أ) ـ أصحاب الأيكة.
ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين	الحجر: 80.	(ح) ـ الحجر.
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا	النـحل: 92.	(غ) ـ الغازلة الحمقـاء.
إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان	النـحل: 106.	(ع) ـ عمـار بن ياسر.
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام	الإسراء: 1.	(س) ـ الإسراء والمعراج.

إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله	الإسراء: 1.	(س) ـ المسجد الأقصى.
وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة	الإسراء: 7.	(س) ـ المسجد.
أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم	الكهف: 9.	(ك) ـ أصحاب الكهف.
قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا.	الكهف: 21.	(س) مسجد أصحاب الكهف.
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه	الكهف: 28.	(أ) ـ أمية بن خلف.
واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين	الكهف: 32.	(ج) ـ صاحبي الجنتين.
وإذ قال موسى لفتاه	الكهف: 60.	(ي) ـ يوشع بن نون.
لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين امضي حقبا	الكهف: 60.	(ب) ـ مجمع البحرين.
فوجدا عبدا من عبادنا ءاتيناه رحمة من عندنا	الكهف: 65.	(خ) ـ الخضر عليه السلام.
ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا	الكهف: 83.	(ذ) ـ ذو القرنين.
إن ياجوج وماجوج مفسدون في الارض	الكهف: 94.	(ي) ـ يأجوج ومأجوج.
فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا	الكهف: 110.	(ج) ـ جندب بن زهير.
ذكر رحمة ربك عبده زكرياء	مريم: 2.	(ز) ـ زكرياء عليه السلام.
يا زكرياء إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى	مريم: 7.	(ي) ـ يحيى بن زكرياء.
ذلك عيسى بن مريم قول الحق	مريم: 34.	(ع) ـ عيسى عليه السلام.
واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيئا	مريم: 41.	(أ) ـ إبراهيم عليه السلام.
واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد	مريم: 54.	(أ) ـ إسماعيل عليه السلام.
واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيئا	مريم: 56.	(د) ـ إدريس عليه السلام.
افرآيت الذي كفر بئاياتنا وقال لأوتين مالا وولدا	مريم: 77.	(ع) ـ العاص بن وائل.
طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى	طه: 1-2.	(ط) ـ طه.
فاخلع تعليك إنك بالواد المقدس طوى	طه: 12.	(و) ـ الوادي المقدس.
فكذلك ألقى السامري	طه: 87.	(س) ـ السامري.
وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه	الأنبياء: 87.	(ذ) ـ ذو النون.
ووهبا له يحي وأصلحنا له زوجه	الأنبياء: 90.	(ز) ـ زوجة زكريا.
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم	الحج: 3.	(ن) ـ النضر بن الحارث.
إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس	الحج: 17.	(م) ـ المجوس.
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد	الحج: 40.	(ب) ـ البيع.

فتبارك الله أحسن الخالقين.	المؤمنون: 14.	(ع) ـ عمر بن الخطـاب.
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن	المؤمنون: 20.	(ش) ـ شجرة الطور.
والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك	النـور: 3.	(م) ـ أم مهـزول.
والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم	النـور: 6.	(هـ) ـ هلال بن أمية.
لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم	النـور: 11.	(ع) ـ عائشة أم المؤمنين.
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم.	النـور: 11.	(ع) ـ عبد الله بن سلول.
ولا ياتل أولو الفضل منكم والسعة أن يوتوا أولي القربى	النـور: 22.	(م) ـ مسطح بن أثـاثة.
أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج.	النـور: 40.	(ل) ـ البحر اللجي (المحيط)
ويوم يعض الظالم على يديه	الفرقان: 27.	(ع) ـ عقبة بن أبي معيط.
كذبت عاد المرسلين	الشعراء: 123.	(ع) ـ قبيلة عـاد.
أتبنون بكل ريع آية تعبثون	الشعراء: 128.	(ر) ـ الريـع.
قال الذي عنده علم من الكتاب	النمـل: 40.	(أ) ـ آصف بن برخيا.
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا	النمـل: 45.	(ص) ـ صالح عليه السلام.
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض	النمـل: 48.	(ت) ـ تسعة رهـط.
فأنجينـاه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين.	النمـل: 57.	(ل) ـ امرأة لوط.
إن فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا	القصص: 4.	(ف) ـ فرعون.
إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين	القصص: 8.	(هـ) ـ هـامان.
في البقعة المباركة من الشجرة	القصص: 30.	(ش) ـ الشجرة المباركة.
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء	القصص: 56.	(ط) ـ أبو طـالب.
وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا	القصص: 57.	(ح) ـ الحارث بن عثمان.
إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم	القصص: 76.	(ق) ـ قـارون.
أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون	العنكبوت: 2.	(م) ـ مهـجع (مولى عمر).
ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي	العنكبوت: 8.	(س) سعد بن أبي وقاص.
وإلى مدين أخاهم شعيبا	العنكبوت: 36.	(م) ـ مـديـن.
وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله	العنكبوت: 36.	(ش) شعيب عليه السلام.
أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم	العنكبوت: 67.	(ح) ـ الحـــرم.
غلبت الروم في أدنى الأرض	الروم: 2-3	(د) ـ أدنى الأرض.

ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله	لقمان: 12.	(ل) ـ لقمان الحكيم.
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه	الأحزاب: 4.	(ج) جميل بن معمر الفهري.
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم	الأحزاب: 9.	(ح) ـ حذيفة بن اليمان.
إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم	الأحزاب: 10.	(خ) ـ الخندق.
وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا	الأحزاب: 13.	(ي) ـ يثرب.
ويستاذن فريق منهم النبيء يقولون إن بيوتنا عورة	الأحزاب: 13.	(ح) ـ بنو حارثة.
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	الأحزاب: 23.	(أ) ـ أنس بن النضر.
فريقا تقتلون وتاسرون فريقا.	الأحزاب: 26.	(ي) ـ يهود المدينة.
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا	الأحزاب: 36.	(ز) ـ زينب أم المؤمنين.
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها	الأحزاب: 37.	(ز) ـ زيد بن حارثة.
وامرأة مومنة ان وهبت نفسها للنبيء	الأحزاب: 50.	(غ) ـ غزية بنت جابر.
لقد كان لسبإ في مساكنهم ءاية جنتان عن يمين وشمال	سبأ: 15.	(س) قوم سبأ. سد مأرب.
فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم	سبأ: 16.	(س) ـ سيل العرم.
إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة	فاطر: 29.	(ح) ـ حصين بن الحارث.
إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثارهم	يس: 12.	(س) ـ بنو سلمة.
واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون	يس: 13.	(ق) ـ أصحاب القرية.
وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى	يس: 20.	(ر) ـ رجل يسعى.
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام	يس: 78.	(أ) ـ أبي بن خلف الجمحي.
وبشرناه بإسحاق نبيئا من الصالحين	الصافات: 112.	(أ) ـ إسحاق عليه السلام.
وإن إلياس لمن المرسلين.	الصافات: 123.	(أ) ـ إلياس عليه السلام.
سلام على آل ياسين.	الصافات: 130.	(أ) ـ آل ياسين.
وإن لوطا لمن المرسلين	الصافات: 133.	(ل) ـ لوط عليه السلام.
وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم	ص: 6.	(م) ـ الملأ.
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد	ص: 12.	(ذ) ـ ذو الأوتاد.
واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب.	ص: 17.	(ذ) ـ ذو الأيد.
يا داوود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس	ص: 26.	(د) ـ داود عليه السلام.
ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب	ص: 30.	(د) ـ سليمان عليه السلام.

وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث	ص: 44.	(أ) زوجة أيوب (رحمة).
واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار	ص: 48.	(ذ) ـ ذو الكفل.
إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين	ص: 71.	(أ) ـ آدم عليه السلام.
والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون.	الزمر: 33.	(ع) ـ عبد الله بن عثمان.
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين	غافر: 23.	(م) ـ موسى عليه السلام.
وقال رجل مومن من آل فرعون يكتم إيمانه	غافر: 28.	(ف) مؤمن آل فرعون.
ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا	غافر: 67.	(ش) ـ الشيخ الكبير
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم	الزخرف: 31.	(ر) ـ رجل من القريتين.
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا	الزخرف: 36.	(ط) ـ طلحة بن عبيد الله.
أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي	الزخرف: 51	(ن) ـ أنهار مصر.
أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم	الدخان: 37.	(ت) ـ قوم تبع.
إن شجرت الزقوم طعام الأثيم.	الدخان: 43، 44.	(ج) ـ أبو جهل.
الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره	الجاثية: 12.	(ب) ـ البحر.
قل للذين ءامنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله	الجاثية: 14.	(ف) ـ فنحاص اليهودي.
أفرآيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم	الجاثية: 23.	(ح) ـ الحارث بن قيس.
وشهد شاهد من بني إسراءيل على مثله فآمن واستكبرتم	الأحقاف: 10.	(ع) ـ عبد الله بن سلام.
لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به	الأحقاف: 11.	(ز) ـ زنيرة الرومية.
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن	الأحقاف: 29.	(و) وادي نخلة (بطن نخلة).
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل	الأحقاف: 35.	(أ) ـ أولو العزم.
إنا فتحنا لك فتحا مبينا.	الفتح: 1.	(ح) ـ الحديبية.
لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة	الفتح: 18.	(ش) شجرة بيعة الرضوان.
فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم	الفتح: 18.	(ع) ـ عثمان بن عفان.
وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة	الفتح: 24.	(م) ـ مكة المكرمة.
ولولا رجال مومنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم	الفتح: 25.	(ج) ـ جنيد بن سبيع.
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين	الفتح: 27.	(س) ـ المسجد الحرام.
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار	الفتح: 29.	(ص) ـ الصحابة.
إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله	الحجرات: 3.	(ث) ـ ثابت بن قيس.

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير	الحجرات: 4. الحجرات: 6. الحجرات: 13.	(ح) ـ الحجـرات. (ح) ـ الحـارث بن ضرار. (ب) ـ بلال بن ربـاح.
كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود.	ق: 12.	(ر) ـ أصحـاب الرس.
والموتفكة أهوى.	النجم: 53.	(أ) ـ الموتفكة.
مرج البحرين يلتقيان	الرحمن: 19.	(ب) ـ البحران.
أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم	الحديد: 19.	(ص) ـ الصديقون.
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها تشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير. لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله	المجادلة: 1. المجادلة: 1. المجادلة: 22.	(أ) ـ أوس بن الصامت. (خ) ـ خولة بنت ثعلبة. (ع)أبو عبيدة بن الجراح.
لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر. كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر	الحشر: 14. الحشر: 16.	(ج) ـ جدر اليهود. (ب) ـ برصيصا العابد.
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين	الممتحنة: 1. الممتحنة: 8.	(ح)حاطب بن أبي بلتعة. (أ) أسمـاء بنت أبي بكر.
ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد	الصف: 6.	(أ) ـ أحمد ـ محمد.
إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون.	المنافقون: 1. المنافقون: 1.	(ز) ـ زيـد بن أرقـم. (م) ـ المريسيـع.
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب	الطلاق: 1-2.	(ع) ـ عوف بن مالك.
يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا	التحريم: 1. التحريم: 10. التحريم: 11. التحريم: 12.	(ح) ـ حفصة أم المؤمنين. (ن) ـ امرأة نوح. (ف) ـ امرأة فرعون. (ع) ـ مريم ابنة عمران.
ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم. إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت	القلـم: 10، 11. القلـم: 17. القلـم: 48.	(و) ـ الوليد بن المغيرة. (ج) ـ أصحـاب الجنة. (ح) ـ صاحب الحـوت.
وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون	الحاقة: 41.	(ش) ـ الشاعر.
إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن انذر قومك	نوح: 1.	(ن) ـ نوح عليه السلام.

وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا.	الجن: 6. الجن: 11. الجن: 18.	(ر) ـ رافع بن عمير. (ص) ـ الصالحون. (س) ـ المسجد النبوي.
يا أيها المزمل	المزمل: 1.	(ز) ـ المزمل.
يا أيها المدثر	المدثر: 1.	(د) ـ المدثر.
وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون.	المرسلات: 48.	(ث) ـ ثقيف.
عبس وتولى أن جاءه الأعمى قتل الإنسان ما أكفره.	عبس: 1-2. عبس: 17.	(ع) عبد الله بن أم مكتوم. (ع) ـ عتبة بن أبي لهب.
ويل للمطففين	المطففين: 1.	(ط) ـ المطففين.
قتل أصحاب الأخدود.	البروج: 4.	(خ) ـ أصحاب الأخدود.
إن هذا لفي الصحف الأولى	الأعلى: 18.	(ص) ـ الصحف.
ارم ذات العماد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد.	الفجر: 7. الفجر: 9.	(أ) ـ إرم ذات العماد. (و) ـ وادي القرى.
ووجدك عآئلا فأغنى.	الضحى: 7.	(خ) ـ خديجة أم المؤمنين.
والتين والزيتون وهذا البلد الأمين	التين: 1. التين: 3.	(ت) ـ التين والزيتون. (ب) ـ البلد الأمين.
الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل	الفيل: 1.	(ف) ـ أصحاب الفيل.
لإيلف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت	قريش: 1. قريش: 2. قريش: 3	(ق) ـ قبيلة قريش. (ر) رحلة الشتاء والصيف. (ب) ـ البيت العتيق.
إن شانئك هو الأبتر	الكوثر: 3	(ب) ـ الشانىء الأبتر.
تبت يدا أبي لهب وتب وامرأته حمالة الحطب	المسد: 1. المسد: 4.	(ل) ـ أبولهب. (ج) ـ أم جميل.

فهرس الموضوعات

مـؤلف الكتاب

الأستاذ الدكتور علي بن الأخضر غنابزية، من مواليد 19 مارس 1959 بمدينة الوادي- الجمهورية الجزائرية .

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الوادي. باحث في الفكر الإسلامي، وله اهتمامات بشؤون الحضارة وارتباطها بالقرآن الكريم، الذي يعتبر المنطلق الرئيسي للحضارة، فالقرآن هو أساس الفعل الحضاري.

هذا المعجم

تم تأليف هذا المعجم التاريخي القرآني، الذي يبرز القيمة التاريخية لشخصيات الكتاب الكريم، ويفصل في المواقع الهامة التي عرفت الأحداث المتوالية، والمعالم الهادية، والمصطلحات المبثوثة في أعماق الآيات القرآنية، وذات البعد الحضاري.

وتم إعداده بالتأكيد على المادة التاريخية، لأنها أحد ركائز الدراسات القرآنية الحضارية، والتي تتقاطع مع دراسات عديدة، ومفتوحة لكل الباحثين.

ووردت معاني هذا المعجم في سياق سهل، وعبارات متناسقة، واختيارات مضبوطة باجتهاد يرنو إلى الدقة والإتقان. ويتخلله الشرح والتوضيح، من أجل تيسير فهم القرآن الذي يسره المولى سبحانه لما قال:

" ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" سورة القمر الآية 17.

إصدارات المؤلف

ـ ديوان الخطب المنبرية في المناسبات الوطنية.

ـ تنوير الأنام بأخلاق الصيام.

ـ الشيخ سيدي مصباح بن سيدي سالم ومآثره في الزاوية السالمية بوادي سوف.

ـ دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية (جزءان).

ـ مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900 ـ 1986.

ـ الشيخ محمد بن عمر العدواني حياته ومآثره.

ـ أدوار الكفاح المسلح بوادي سوف.

ـ مجتمع وادي سوف من من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر .

ـ مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية .

ــ الدليل الأكاديمي للأعمال الموجهة في الدراسة التاريخية الجامعية.

ــ تاريخ العلاقات العثمانية المغاربية وأثرها الجيوسراتيجي على ضفتي البحر المتوسط 1492 - 1911.

ـ رحلات الفرنسيين إلى وادي سوف واعماق العرق الشرقي بصحراء قسنطينة (1860-1939)